الفوائد الحسان
من آيات القرآن

جميع حقوق الطبع محفوظة للناشر



دار السلام للنشر والتوزيع

شارع الأمير عبد العزيز بن جلوي (الضباب سابقًا) مقابل الغرفة التجارية
المملكة العربية السعودية ص. ب: 22743 الرياض 11416
هاتف: 4033962-4043432-1-00966 فاكس: 4021659-1-00966
E-mail: darussalam@awalnet.net.sa, riyadh@dar-us-salam.com
Website:www.darussalamksa.com

دار السلام العليا:	تلفون:	00966-1-4614483	فاكس: 4644945
دار السلام الملز:	تلفون:	00966-1-4735220	فاكس: 4735221
دار السلام السويدي:	تلفون:	00966-1-4286641	
دار السلام السويلم:	تلفون:	00966-1-2860422	فاكس: 2860422
دار السلام جدة:	تلفون:	00966-2-6879254	فاكس: 6336270
دار السلام المدينة المنورة:	تلفون:	00966-503417155	فاكس: 8151121
دار السلام خميس مشيط:	تلفون:	00966-7-2207055	فاكس: 0500710328
دار السلام الخبر:	تلفون:	00966-3-8692900	فاكس: 8691551
دار السلام الشارقة:	تلفون:	00971-6-5634623	فاكس: 5632624
دار السلام الكويت:	تلفون:	00965-99600845	
دار السلام لندن:	تلفون:	0044-208-539 4885	فاكس: 208-5394889
دار السلام نيويورك:	تلفون:	001-718-6255925	فاكس: 718-6251511
دار السلام هيوستن:	تلفون:	001-713-7220419	فاكس: 7220431
دار السلام لاهور:	تلفون:	0092-42-7240024	فاكس: 7354072
دار السلام كراتشي:	تلفون:	0092-21-4393936	فاكس: 4393937
دار السلام اسلام آباد:	تلفون:	0092-51-2500237	

الفوائد الحسان من آيات القرآن

المجلد الثالث

تأليف

عبد الله بن محمد المعتاز

قدم له:

معالي الشيخ / عبد الله بن سليمان المنيع

عضو هيئة كبار العلماء

دار السلام
DARUSSALAM

دار السلام للنشر والتوزيع

الرياض - المملكة العربية السعودية



ⓒ مكتبة دار السلام، ١٤٣٤ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
المعتاز، عبد الله محمد
الفوائد الحسان من آيات القرآن. / عبد الله محمد المعتاز.
الرياض، ١٤٣٤هـ ص. ١٧ ×٢٤
ردمك: ٦ - ٢٣٥ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٧ - ٢٣٨ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (المجلد الثالث)

١- القرآن - السور والآيات. ا. العنوان
ديوي ٢٢١ ٤٩٧٩ / ١٤٣٤
رقم الإيداع: ٤٩٧٩ / ١٤٣٤
ردمك: ٦ - ٢٣٥ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (مجموعة)
٧ - ٢٣٨ - ٥٠٠ - ٦٠٣- ٩٧٨ (المجلدالثالث)

بسم الله الرحمن الرحيم

فائدة: البيت الحرام

قال الله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَـٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَـٰٓئِدَ﴾ [المائدة:٥] أوجد الله الكعبة وأمر خليله إبراهيم عليه السلام ببنائها لتكون قيامًا للناس لطفًا منه ورحمةً وآيةً للتوحيد ولتعظيمه وتعظيم حرماته، وهي وما حولها حرام ممنوع من أيدي الجبابرة ومحترم معظم مهاب، لا يجوز انتهاكه بالمظالم والفواحش، منزه عن النجاسات والمعاصي، فهو لإقامة الصلاة وللطواف والسعي والاعتكاف والحج والعمرة، تقوم مصالح أهل مكة وغيرهم بهذه البلدة الآمنة، ولما أراد أبرهة أن يهدم الكعبة أرسل الله عليه طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وقال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥] ظهر أفضل الأديان وأفضل الرسل بها، ودعا الله الناس للحج إليها، ورزق أهلها من الطيبات، ووفدت إليها الوفود، وكان أهلها يدينون بدين إبراهيم عليه السلام، ثم بدين محمد ﷺ، وهما الإسلام الواحد، أمن الله أهله ووحوشه ودوابه وطيره والأشهر الحرم والهدي والقلائد، كلها بسبب وجود هذا البيت الحرام، فالله بكل شيء عليم.

فائدة: الرفعة عند الله بالعلم والإيمان

الرفعة تكون بشيئين: العلم والإيمان، لقوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] أما النسب

واللون والوطن والطول والقصر والقبيلة والجمال والغنى والفقر، فلا يمدح أو يذم الإنسان بها، وإنما يمدح على الصفات الحميدة كالكرم والحلم والعلم والإيمان وأمثالها، قال تعالى عن أبي لهب القرشي: ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:٢] وقال عن ابن نوح عليه السلام: ﴿يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ﴾ [هود:٤٦] وكان أبو إبراهيم عليه السلام (آزر) من الكافرين، ويوسف عليه السلام الذي جرى عليه الرق، وقال الله تعالى عنه: ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٖ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٖ﴾ [يوسف:٢٠] هو أعلى الناس نسبًا، لأن أباه وجده وجد جده وجد جد جده أنبياء، وليسوا عربًا، ولهذا ورد أنه أعلى الناس نسبًا (يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) عليهم السلام، وكل من تعلم العربية فهو عربي، إذا نسي قومه ودخل في الإسلام وصار مع العرب يكون من المستعربين الذين منهم قريش، ومن كان نسبه من قبيلة عربية وصار مع غير العرب وترك لغة العرب فليس بعربي، لهذا فالبخاري والترمذي والنسائي وأبو حنيفة وصلاح الدين الأيوبي وابن تيمية وغيرهم ممن ليست أصولهم عربية، كلهم عرب، وكان لإبراهيم عليه السلام زوجتان أحدهما الحرة سارة أم اليهود، والثانية الجارية هاجر أم العرب، فلا ضير في ذلك، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] ولم يقل: لتفاخروا، وقال رسول الله ﷺ: «من بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [مسلم:٢٦٩٩ وأبو داود:٣٦٤٣ والترمذي:٢٩٤٥] وقال: «بحسب امرىء من الشر أن يحقر أخاه المسلم» [مسلم:٢٥٥٦، والترمذي:١٩٢٧ والبيهقي:٦/٩٢، ٨/٢٥٠]

وقال رسول الله ﷺ: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» [الترمذي:١٠٨٥، البيهقي:٧/٨٢ والبغوي في شرح السنة:٩/١٠ وحسنه الألباني] وقال تعالى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] ولم يقل: سماكم العرب ولا غيرهم، وليس في القرآن الكريم ياأيها العرب، وإنما فيه (يابني آدم - ياأيها الناس - ياأيها الذين آمنوا - ياأيها الذين كفروا) ولما قال أبو ذر لبلال رضي الله عنهما: ياابن السوداء، غضب رسول الله ﷺ وقال له: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [متفق عليه: البخاري:٣٠، ومسلم:١٦٦١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] فسمى التنابز بالألقاب إثمًا وفسوقًا وخروجًا من الإيمان وظلمًا، وسماه رسول الله ﷺ كفرًا، فقال: «اثنتان بالناس هما بهم كفر: الطعن في الأنساب، والنياحة على الميت» [مسلم:٦٧ والبيهقي:٤/٦٣، وأحمد:٢/٤٩٦] وقال: «من دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثي جهنم» قال رجل يارسول الله: وإن صام وصلى؟ قال: «وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم، بما سماهم الله عز وجل المسلمين المؤمنين عباد الله» [الترمذي:٢٨٦٣ أحمد:٤/١٣٠ وصححه محققو المسند والألباني] وقال: «إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتفاخرها بالآباء، الناس رجلان: مؤمن تقي وفاجر شقي» [أبو داود:٥١١٦ وحسنه الألباني] وقال: «ياأيها الناس إن الرب واحد والأب واحد والدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم،

إنما هي اللسان، فمن تكلم بالعربية فهو عربي» [ابن عساكر:٧/٢٠٣/٢ وضعفه الألباني في الضعيفة ٩٢٦، ونقل عن ابن تيمية في الاقتضاء أن معناه صحيح من بعض الوجوه] وقال: «المسلمون تتكافأ دماؤهم، ويسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم» [أبو داود:٢٧٥١ وقال الألباني:٢٧٥١] ولما قال المهاجرون: يا للمهاجرين، وقال الأنصار: ياللأنصار، قال ﷺ: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة» [البخاري:٣٥١٨، ٤٩٠٥، ٤٩٠٧، ومسلم:٢٥٨٤] وأمر ﷺ أن يقال لمن افتخر بآبائه وأجداده «عض هنا أبيك» [روى معناه أحمد:٥/١٣٦، وابن حبان رقم:٣١٥٣، والطبراني في الكبير:١/١٩٨، ١٩٩، والبخاري في الأدب المفرد:٦٩٣، ٦٩٤ والبغوي في شرح السنة:٤/٩٩ وابن السني:٤٢٧، قال الهيثمي في مجمع الزوائد:٣/٣: ورجاله ثقات] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات:١٠] وقال: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» [البخاري:١٣، ومسلم:٤٥] وقال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» [مسلم:٩١] قال ابن تيمية في الوصية الكبرى صفحة ١١١ وفي الفتاوى صفحة ٤١٥ جلد ٣: (وكذلك التفريق بين المسلمين وامتهانهم بما لم يأمر به الله ورسوله ﷺ مثل أن يقال: أنت شكيلي أو قرقندي، وجوابه أن يقول: بل أنا مسلم، فلا يجوز أن يمتحن الناس بها، ولا يوالي بهذه الأسماء ولا يعادي عليها، بل أكرم الخلق عند الله أتقاهم) وقال الشيخ بكر أبو زيد في كتابه: حكم الانتماء، الطبعة الثانية ص ٦٢ (فلا يجوز مثلا عقد الموالاة على اسم دون الإسلام، ولا الموالاة على رسم دون رسم الإسلام) وقال

عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا) وقال أيضًا الشيخ بكر أبو زيد في كتاب حكم الانتماء صفحتي ٨٧، ٨٨ ما نصه: (ثم دعا الرسول ﷺ إلى توحيد الإنسانية بمحو العصبية القبلية وقتل النعرة الجنسية وتغيير القياس الجاهلي لدرجات الناس، فجعل التقدير والتكريم بالتقوى، وبذلك زالت الفروق الاجتماعية بين الباهلي والقرشي والفقير والغني والأسود والأحمر، إن ربكم واحد وإن أباكم واحد) وقال ابن تيمية في كتابه: اقتضاء الصراط المستقيم ص ١٧ (كل من خرج عن دعوى الإسلام والقرآن من نسب أو بلد أو جنس أو مذهب أو طريقة فهو من عزاء الجاهلية) وقال ابن قيم الجوزية نقلًا من تيسير العزيز الحميد صفحة ٥١٥: (الدعاء بدعوى الجاهلية كالدعاء إلى القبائل والعصبية الإنسانية، ومثله التعصب للمذاهب والطوائف والمشايخ، وتفضيل بعض على بعض من الهوى والعصبية، وكونه منتسبًا إليه يدعو إلى ذلك، ويوالي ويعادي، ويزن الناس به، كل هذا من دعوى الجاهلية) وقال ﷺ: «الكبر بطر الحق، وغمط الناس» [مسلم:٩١] وقال: «من أُذِلَّ عنده مؤمن فلم ينصره، وهو يقدر على أن ينصره، أذله الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة» [أحمد:٣/ ٤٨٧، والطبراني في الكبير:٦/ ٨٩] وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ترك الناس ثلاثَ آيات فلم يعملوا بهن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسۡتَـٔۡذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡ﴾ [النور:٥٨] والآية التي في سورة النساء: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلۡقِسۡمَةَ أُوْلُواْ ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء:٨] والآية التي في الحجرات ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ:

«لينتهين أقوام يفخرون بآبائهم الذين ماتوا، إنما هم فحم جهنم، أو ليكونن أهون على الله من الجُعل الذي يُدَهْدِهُ الخِرِءَ بأنفه، إن الله قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتفاخرها بالآباء، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي، الناس كلهم بنو آدم وآدم خلق من تراب» [الترمذي:٣٩٥٥ وحسنه الألباني] ومن كانت صفته القبيحة هذه النعرات ينذر بسوء الخاتمة، كما حصل لقيس بن مطاطية الذي احتقر بعض الصحابة، فقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه الذي أراد قتله: «دعه إلى النار» [تهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ٦/ ٢٠٠، ٤٥٢] فكان قيس ممن ارتد، نسأل الله حُسن الخاتمة.

فائدة: مكانة العلم والعلماء

جعل الله تعالى العلماء وكلاء وأمناء على دينه ووحيه، وهذه منزلة عظيمة، فقد ارتضاهم لحفظ دينه والذب عنه، وأولاهم بذلك الأنبياء عليهم السلام، وقد أشار إليهم بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام:٨٩] ويكون المؤمنون بهم تبعًا لهم، فكل من قام بحفظ الدين والذب عنه والدعوة إليه يدخل معهم، وفي هذه الآية بشارة بأن الذين يحفظون الدين باقون إلى يوم القيامة من أتباع الرسل المؤمنين عربًا أو عجمًا، فمن قام بالدين علمًا وعملًا وجهادًا لأعدائه وذبًا عنه ونفيًا لتحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، فقد وكل بهذا الدين، لهذا قال تعالى: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا﴾ [الأنعام:٨٩] قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عمران:١٨٧] وقد قام بذلك العرب أولًا، ثم

العجم والترك والموالي، فرفع الفرس في يوم من الأيام لواءه، وقامت أمبراطورية الترك ورفعت دين الإسلام، وكذا الموالي، ووصل الإسلام إلى الصين شرقًا وإلى فرنسا غربًا، وقام صلاح الدين الأيوبي في فترة ما، وهكذا إذا تركه قوم قام به قوم ليسوا به بكافرين.

فائدة: تزيين المعاصي والسيئات وعقوبة للعبد

قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨] وقال: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٣] فَيُزَيَّنُ للعبد سوء العمل عقوبة له على إعراضه عن توحيده لله وعبوديته وإيثاره لسيء العمل على حسنه بعد تعريف الله له الحسن من القبيح، فيعمى عن قبحه إذا تمادى فيه، فيصير عنده القبيح حسنًا، لأن نور قلبه انطفأ بسبب كثرة المعاصي، فهو في ظلمات الجهل والفسوق والظلمة، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام:١١٠] وقال: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] وذلك بسبب إعراضهم عن الخير بعد أن تبين لهم ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِن أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٧] ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ «اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» [مسلم:٢٦٥٤].

فائدة: الأمور التي تحصل بها الهداية للعبد

قال الله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] قال الإمام ابن القيم رحمه الله: الهداية تكون بالأمور الآتية:

١- هداية العلم والبيان بأن يكون عالمًا بالحق مدركًا له.

٢- أن يكون قادرًا عليه.

٣- أن يكون مريدًا له.
٤- أن يفعله.
٥- أن يثبته الله عليه.
٦- أن يصرف عنه الموانع المضادة له.
٧- أن يهديه في الطريق هداية خاصة، فما ذكر في رقم (١) هداية إلى الطريق إجمالًا، وفي هذه هداية في الطريق وفي منازله تفصيلًا.
٨- أن يشهده المقصود في الطريق وينبهه عليه، فيكون مطالعًا له في سيره.
٩- أن يشهده فقره وضرورته إلى هذه الهداية.
١٠- أن يشهده الطريقين المنحرفين: طريق أهل الغضب وطريق أهل الصلاة، ثم يشهده الصراط المستقيم الذي سار عليه أنبياء الله ورسله وأتباعهم من الصديقين والشهداء والصالحين.

(مختصر من مدارج السالكين لابن القيم ج ٣ صفحة ٥١٠)

فائدة: وجوب إعلان العقيدة

قال تعالى: ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ○ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَٰتِنِينَ﴾ [الصافات: ١٦١، ١٦٢] كان المشركون يموهون على الناس أن الجن تضر من أسلم وأن الأصنام كذلك، كما قالت امرأة الطفيل بن عمرو الدوسي لما أسلم زوجها ودعاها إلى الإسلام: (ألا تخشى على الصبية من ذي الشرى؟ قال: لا) فأسلمت. قال ابن إسحاق: لما قدم ضمام بن ثعلبة وافد بني سعد بن بكر على قومه من عند رسول الله ﷺ قال في قوله: بَاسَتِ اللاتُ والعزى، فقالوا: يا ضمام اتق الجنون، اتق الجذام. فلم يفتنه ذلك عن دينه رضي الله عنه.

فائدة: الكبر منع بني إسرائيل من قبول الحق

بنو إسرائيل يقتلون أنبياءهم ويكذبونهم ويستكبرون عليهم، فلا غرابة أن يكذبوا محمدًا ﷺ مكابرةً منهم وحسدًا، مع أن دين الإسلام مصدق لما معهم، كما قال تعالى: ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ﴾ [البقرة:٤١] وقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧] وعيسى عليه السلام كانت ولادته سنة ٦٢٠ قبل الهجرة المحمدية، ولد بقرية (بيت لحم) ولما بلغ الثلاثين من عمره بعث رسولًا إلى بني إسرائيل، وتوفي وسنه ثلاث وثلاثون، أمه مريم بنت عمران من سبط يهوذا، ولدت عيسى عليه السلام وهي ابنة ثلاث عشرة سنة، مات أبوها قبل ولادتها، فكفلها زكريا عليه السلام زوج خالتها، وكان من أحبار اليهود، وقد اتهم اليهود مريم، وكفروا بالله، فلعنهم الله بكفرهم، قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة:٨٨] أي أن عدم إيمانهم ليس لقصور في أفهامهم، ولكن الله أبعدهم عن الحق لعدم استعدادهم لقبوله.

فائدة: الكافر فتنة للمؤمن

الكافر فتنة للمؤمن، وكذا المؤمن فتنة للكافر، ولهذا يقول الله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [يونس:٨٥] فإذا انهزم المؤمنون قال الكفار: لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا، وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم

﴿مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ [الأنعام:٥٣] فإذا اعتلى الكافر في الدنيا صار فتنة للمؤمنين وعظموهم وقلدوهم، وقد قال الكفار: ﴿لَوۡ كَانَ خَيۡرٗا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيۡهِۚ﴾ [الأحقاف:١١] قالوا: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ﴾ [هود:٢٧] وقالوا: ﴿أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١] ﴿وَقَالُواْ نَحۡنُ أَكۡثَرُ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥] وفي تقليد المسلمين للكافرين الغالبين في الدنيا أكبر فتنة للمؤمنين، فنسأل الله تعالى ألا يجعلنا فتنة للقوم الظالمين.

فائدة: أقسام الناس من حيث قبول العمل

قال الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا﴾ [الكهف:١١٠] فالناس على أربعة أقسام في هذا الباب:

القسم الأول: أعلاهم وهم أهل الإخلاص لله والمتابعة للرسول ﷺ، فأعمالهم كلها موافقة لأمر الله ولما يحبه الله ويرضاه، خالصة لوجهه الكريم، موافقة للسنة، قال ﷺ: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو رد» [البخاري معلقًا قبل حديث:٧٣٥٠ ومسلم:١٧١٨] فكل عمل ليس خالصًا لله ولا هو على متابعة أمر رسوله ﷺ فهو مردود، لا يزيد عامله إلا بعدًا، فإن الله إنما يُعبد بأمره، لا بالأهواء ولا بالآراء والبدع.

القسم الثاني: أسوؤهم وهم من لا إخلاص لهم ولا متابعة، فليس عملهم موافقًا للشرع ولا خالصًا لله تعالى، قال تعالى: ﴿لَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ فَلَا

تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٨٨] فهؤلاء أهل بدع وضلالة وشرك ورياء وسمعة، وهم أهل الغضب المتزينين للناس بما لم يشرعه الله ورسوله ﷺ، وهم شرار الخلق، وأبغضهم إلى الله سبحانه، وهؤلاء أهل العلم من المبتدعة.

القسم الثالث: المخلصون في أعمالهم على غير متابعة، كجهال العباد من المبتدعة والصوفية، والمتنطعون كالذين يواصلون الصيام ليلًا ونهارًا، ويتركون الجمعة والجماعة للخلوة بربهم (زعموا)

القسم الرابع: من أعمالهم متابعة لأمر الله وأمر رسوله ﷺ، ولكنها لغير الله كالمرائين والذين يقاتلون لأجل الشجاعة والحمية، وليقال: إنهم مجاهدون، أو يحجون ليقال: إنهم حجاج، أو يقرؤون القرآن ليقال: إنهم قراء، فأعمالهم لا تقبل، لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] ومن أشرك مع الله تركه الله وشركه، والله لا يقبل عمل المشركين.

فائدة: حياة القلوب

قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] الحياة الحقيقية هي حياة القلوب، والموت موت القلب والروح، والله تعالى يحيي القلوب بالعلم، كما يحيي الأرض بالمطر، وكلما كان القلب أتم حياة كانت همته أعلى وإرادته ومحبته لله أقوى، ومن لم تكن له همة ولا محبة لله ولا طلب للعلم فحياته أسوء من حياة البهائم، ومن أسباب حياة القلوب الذكر وترك الذنوب، والعاقل يخاف موت قلبه أكثر من خوفه موت جسده،

وهذه الحياة تحتاج إلى مجاهدة ومعرفة لله وسلوك الطريق إليه، ولا يزال العبد يتقرب إليه حتى يحبه، ومن تقرب إليه شبرًا تقرب الله منه ذراعًا.

فائدة: إذا منع الله العبد شيئاً أعطاه خيراً منه

لا يمنع الله عبده المؤمن شيئًا من أشياء الدنيا إلا ويؤتيه أفضل منه وأنفع، قال ابن القيم رحمه الله: (انظر إلى حال الجنين يأتيه غذاؤه، وهو الدم من طريق السرة، فلما خرج من بطن أمه انقطعت تلك الطريق، فتح الله له طريقين اثنين، وأجرى له رزقًا فيهما أطيب وألذ من الأول لبنًا خالصًا سائغًا، فإذا تمت مدة الرضاع وانقطعت الطريقان بالفطام، فتح له أربعة طرق أكمل منهما: طعامان وشرابان، فالطعامان من الحيوان والنبات، والشرابان من المياه والألبان وما يضاف إليهما من المنافع والملاذ، فإذا مات انقطعت عنه هذه الطرق الأربعة، لكنه سبحانه فتح له طرقًا ثمانيةً، وهي أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء).

فإذا منع العبد المؤمن من شيء في الدنيا فإنه يعطى أكثر منه في الآخرة، فما أماته إلا ليحييه حياة أطيب من حياة الدنيا، وما امتحنه إلا ليؤتيه الأجر والثواب ﴿وَلَدَارُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٠٩].

فائدة: إذا امتلأ القلب بمحبة الله لم يكن لغيره فيه محل

قال الله تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧] إذا امتلأ القلب بمحبة غير الله لم يكن فيه محل لمحبّة الله، وإذا أصغت الأذن إلى حديث غير الحديث المفيد لم يبق فيها إصغاء إلى الحديث

النافع، وإذا امتلأ الجوف بالشعر والشبه والشكوك والأمور التي لا تنفع لم يبق فيه مكان للقرآن والحكمة والعلوم النافعة، قال الرسول ﷺ: «لأن يمتلىء جوف أحدكم قيحًا يَرِيه خير له من أن يمتلىء شعرًا» [متفق عليه: البخاري: ٦١٥٥ ومسلم: ٢٢٥٧ وأبو داود: ٥٠٠٩ وأحمد في المسند: ١/ ١٧٥ وغيرهم] وكذا اللسان إذا حركه المرء بالتكلم بما لا ينفع لم يتمكن صاحبه من النطق بما ينفع، إلا إذا توقف عن النطق بالباطل، وجميع الجوارح كذلك، إما أن تشتغل بطاعة أو يشغلها غيرها.

ومن أراد النجاة فليشغل جميع جوارحه وقلبه فيما ينفع من ذكر الله وطاعته، والله الموفق.

فائدة: حقد اليهود والنصارى على المسلمين

اليهود والنصارى لا يرضون عن المسلمين حتى يتبعوا ملتهم، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة: ١٢٠] وملتهم ليست علمًا، وإنما هي هوى وشهوة، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ﴾ [الأنعام: ٧١].

فائدة: بشارة الرُسل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم

الرسول محمد ﷺ بَشَّر به الأنبياء قبله، قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ﴾ [البقرة: ١٢٩] وبشرت التوراة به وغيرها من الكتب السماوية، كما أن

الرسول محمدًا ﷺ صدق المرسلين، قال تعالى: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات:٣٧] فهو مصدق لما قبله من الأنبياء ومؤمن بهم، وهم مبشرون به.

فائدة: القرآن الكريم نور للصدور وحياة للقلوب

القرآن الكريم نور للصدور، وربيع وحياة للقلوب، مثل المطر للأرض والماء الذي تحصل به الحياة، قال الله تعالى: ﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد:١٧] وقال: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ﴾ [البقرة:١٧] وقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور:٣٥] وقال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام:١٢٢] فهذا القرآن نور يمشي به المؤمن في الناس، فمن وفقه الله لتدبره وتلاوته حق تلاوته أنس بقربه من الله، وناجى ربه، ولهج بحبه وسعد بعبادته، وصار شفاءً له من كل داء، وهدًى ورحمةً ونبراسًا يمشي به، ونورًا يهتدي به، اللهم اجعل القرآن الكريم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وذهاب همومنا وغمومنا، وقائدنا إلى رضاك، ومؤنسنا في قبورنا، ودالنا إلى الصراط المستقيم، وقائدنا للخيرات والبركات، ورافعنا إلى الدرجات العلى في جنات النعيم، بمنك وفضلك وكرمك وجودك وإحسانك وعطائك ومعروفك وتوفيقك ورحمتك.

فائدة: من لم يعبد الله يعبد غيره

من لم يعكف قلبه على الله تعالى ويعبده، يعبد غيره ويعكف

على غيره، فالمؤمن يعكف قلبه على محبة الله وذكره وإجلاله وتعظيمه، وغير المؤمن يعكف قلبه على التماثيل والأصنام واللهو واللعب، ذكر الله تعالى قول إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢] يعكفون على الصور، وتتعلق قلوبهم بها ويركنون إليها، ويعكفون على الأصنام، وقال ﷺ: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» [البخاري:٢٨٨٧] وفي رواية: «تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد الخميصة، تعس عبد الخميلة، إن أعطي رضي، وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش» الحديث [البخاري:٢٨٨٦، وابن ماجه:٤١٣٥] فمن لم يعبد الله يعبد غيره.

فائدة: من كبائر الذنوب

من كبائر الذنوب: الشرك بالله، وعقوق الوالدين، وقتل النفس بغير حق، واليمين الغموس، وقول الزور، والزنا، والسحر، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات، وأن يسب الرجل والديه، واستطالة الرجل في عرض أخيه المسلم بغير حق، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والإصرار على الصغيرة، والردة عن الإسلام، وجحود الفرائض، والتكذيب بالقدر، وكل ذنب توعد بالنار أو غضب الجبار، أو لعنة الله، أو عذابه، وقتل الأولاد مخافة الفقر، والظلم، والبدع، وما يستصغره العبد من الذنوب، قال تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء:٣١] والتائب من الذنوب يغفر له، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ

جَمِيعًا﴾ [الزمر:٥٣] أما من لم يتب منها فإن الله يغفر إن شاء جميع الذنوب عدا الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦] ولا تحصر الكبائر لتجددها وكثرتها، وقد يحصل في عصر ما كبيرة لم تكن معروفة من قبل، وقيل: إن الكبيرة ما أوعد الله عليه حدًا في الدنيا أو عذابًا في الآخرة، وقال بعضهم: عددها إلى السبعين أقرب من السبع، والله أعلم.

فائدة: العبرة بالصواب والحسن وليس بالكثرة

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَلَّ قَبۡلَهُمۡ أَكۡثَرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:٧١] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] وقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٞ﴾ [هود:٤٠] وقال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١١٦] وقال: ﴿قُل لَّا يَسۡتَوِي ٱلۡخَبِيثُ وَٱلطَّيِّبُ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ كَثۡرَةُ ٱلۡخَبِيثِۚ﴾ [المائدة:١٠٠].

هذه الآيات وغيرها تدل على أنه لا عبرة بالكثرة، وإنما العبرة بالصواب، فلا يغتر أحد بكثرة الكفار، فالعدد الكثير لا يبرر ضلال الضالين ولا خطأ المخطئين، وكثير من ضعفاء العقول والتفكير وقصار الأنظار يغتر بالكثرة، وقد بين الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه أمة وحده، فقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] وفي الغالب أن أهل الحق هم القلة، وأهل الباطل هم الكثرة، كما أن بعث النار أكثر من بعث الجنة. وقيل: أهل الجنة كمثل شعرة بيضاء في جلد ثور أسود.

فائدة: مدح الله لأنبيائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام

لما ذكر الله تعالى الأنبياء الثلاثة إبراهيم وإسحاق ويعقوب

عليهم السلام، مدحهم بأنه خصصهم وميزهم بخالصة هي ذكرى الدار الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ○ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ○ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٥-٤٧].

فإبراهيم عليه السلام عرف بصبره العظيم على قومه وعلى أبيه، وألقي في النار فصبر، وابتلاه الله بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام فاستجاب، وإلقاء أهله بواد غير ذي زرع فامتثل، وأمر بالختان وهو كبير فاستجاب، قال تعالى: ﴿وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] فقد وفى ما أمره الله به، وأما إسحاق ويعقوب عليهما السلام فقد أخبر الله عنهم أنهم أولو الأيدي والأبصار، فهم أقوياء في إقامة دينه، وعندهم البصيرة في حقائق الأمور والنظر الفكري ومراعاة أحكام الله وتوخي مرضاته، مثل أبيهم إبراهيم عليه السلام، كما أن الله أخلص هؤلاء الأنبياء الثلاثة وفضلهم، فنفوسهم نقية من العيوب خالصة مخلصة، وعصمهم الله من الزلل، ومنعهم من العصيان، ووهبهم العلم النافع والوحي والبيان، وتذكر الآخرة (ذكرى الدار) فلا ينسونها ولا يقبلون على الدنيا، فأحبوا طاعة الله واتقوه، وتجنبوا المعاصي والآثام، وتخلصوا من فتن الدنيا وأعرضوا عنها، كما أنهم عند الله ﴿لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾ [ص: ٤٧] فاصطفاهم الله وجعلهم خيارًا صالحين، نسأل الله من فضله.

فائدة: دعاء أهل الجنة

قال الله تعالى في دعاء أهل الجنة: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾ [فاطر: ٣٤] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجۡوَىٰ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ لِيَحۡزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾

[المجادلة:١٠] ويقرن الحزن دائمًا مع الهم، قال رسول الله ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والجبن والبخل، وضلع الدين وغلبة الرجال» [البخاري:٢٨٩٣] فهذه ثمانية أشياء، كل شيئين قرينان، وكذا يقرن الله تعالى بين الرجاء والخوف، قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ وَأَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٩٨] وهكذا.

فائدة: منة الله على موسى وهارون عليهما السلام

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١١٤] منة عظيمة من الله حصل عليها موسى وهارون عليهما السلام، فبدون أن يسألا النبوة أعطاهما الله هذه الدرجة العالية، ورفعهما بالنبوة، فموسى عليه السلام لم يسألها، وهارون عليه السلام سألها له أخوه موسى عليه السلام، أما هو فلم يسألها ولم يطلب من أن يسألها له، فالنبوة منَّة من الله ودرجة رفيعة وليست مكتسبة، فقد رحم الله عباده المستضعفين من بني إسرائيل لدى فرعون وقومه، فدفع عنهم الضرر، ورفعهم ونصرهم ونجاهم من الكرب العظيم والمذلة تحت سلطة فرعون، وأنقذهم وقومهم بعد أن لحقهم فرعون وقومه، وكان وراءهم، والبحر أمامهم، فضرب موسى عليه السلام بعصاه البحر بأمر من الله فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم، وأهلك الله فرعون وقومه بالغرق، وكان موسى وهارون عليهما السلام هم الغالبين، قال تعالى: ﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُواْ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ [الصافات:١١٦] كما أن الله تعالى منَّ عليهما بأن آتاهما التوراة، وهداهما إلى الصراط المستقيم الذي شرعه الله لعباده، كما قال سبحانه: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ

نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ﴾ [الشورى:١٣] كما منَّ عليهما بأن ترك عليهما في الآخرين ذكرًا حسنًا ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾ [الصافات:١٢٠] وهي آية تتلى في القرآن، وهذا جزاء المحسنين: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ○ إِنَّهُمَا مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الصافات:١٢١، ١٢٢].

فائدة: جواز القضاء في المساجد

قال الله تعالى: ﴿وَهَلۡ أَتَىٰكَ نَبَؤُاْ ٱلۡخَصۡمِ إِذۡ تَسَوَّرُواْ ٱلۡمِحۡرَابَ ○ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنۡهُمۡۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ خَصۡمَانِ بَغَىٰ بَعۡضُنَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فَٱحۡكُم بَيۡنَنَا بِٱلۡحَقِّ وَلَا تُشۡطِطۡ وَٱهۡدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ○ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسۡعٞ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةٗ وَلِىَ نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلۡخِطَابِ﴾ الآيات [ص:٢١-٢٣] في هذا دليل على جواز التمثيل للقصص لقصد التربية والموعظة والتعليم، وليس هذا من قبيل الكذب، وقد مثل الملائكة الذين تسوروا المحراب هذه القصة بأجسام وذوات، ومثل ذلك تمثيل الروايات والقصص للمصلحة والتعليم، لأن ما هو في شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ، وفي هذه الآيات دليل على جواز القضاء في المساجد، والله أعلم.

فائدة: من ذكر الله ذكره الله

قال الله تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِىٓ أَذۡكُرۡكُمۡ﴾ [البقرة:١٥٢] ذكر الله يكون باللسان والقلب معًا، فيتذكر الذاكر أسماء الله وصفاته وأمره ونهيه وكلامه، ويستلزم ذلك معرفته والإيمان به والثناء عليه وتوحيده وذكر نعمه وإحسانه وفضله ومنه وكرمه وجوده وآلائه، قال النبي ﷺ لمعاذ ابن جبل رضي الله عنه: «والله إني أحبك، فلا تنس أن تقول دبر كل

صلاة: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [أبو داود: ١٥٢٢ وصححه الألباني].

فائدة: العبودية أعظم صفات الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠] هذه مكرمة لداود عليه السلام أن وهبه ولدًا صالحًا، مدحه الله تعالى بقوله: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ وقد استحق عليه السلام العبودية لله ﴿نعم العبد﴾ وهذه أعظم الصفات للإنسان، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] وقال: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصافات: ٤٠، ٤١] وتعليل الثناء عليه بنعم العبد أنه رجاع إلى الحق، يتذكر خطأه فيرجع ويتوب، وفي عرض الصافنات الجياد عليه بالعشي ورجوعه وتوبته عندما قال: ﴿إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى ۖ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أي غربت الشمس، وألهتني الخيل عن الذكر الذي كنت أذكر به ربه قبل غروب الشمس، ثم قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] قيل: إنه ذبحها وتصدق بها على الفقراء توبةً منه وأوبةً. والله أعلم.

فائدة: محاجة صاحب ياسين لقومه

قال الله تعالى فيما حكاه من محاجة صاحب ياسين لقومه: ﴿يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ○ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [يس: ٢٠، ٢١] تدل هذه الآيات على وجوب الاتباع للرسل الذين لا يسألون الناس أجرًا، وهم على هداية وصراط مستقيم، ويدعون إلى عبادة فاطر السموات والأرض المستحق للعبادة والشكر والمحبة، والذي سيؤول إليه الخلق أجمعون، وهو الذي ينفع، وهذه الألهة

التي تعبد من دون الله لا تنفع، ولا تغني شفاعتهم شيئًا، ولا ينقذون أحدًا من العذاب، والمعبود يكون ربًّا خالقًا، وهذه الآلهة لا تنفع ولا تضر ولا تخلق ولا ترزق، ومن عبدها فهو مسلوب العقل.

فائدة: أظلم الظلم الإشراك بالله

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] الظلم هو الشرك، فالذي آمن بالله ولم يشرك به شيئًا له الأمن في الدنيا والآخرة، ومن تلبس بظلم فليس له أمن، ولا شك أن الظلم اعتداء على حق الله تعالى، وهو أكبر الاعتداء وأعظمه، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان:١٣] وقال ﷺ: «حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا» [البخاري:٢٨٥٦، ٥٩٦٧ ومسلم:٣٠].

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] شق ذلك على المسلمين وقالوا: أينا لم يظلم نفسه! فقال لهم رسول الله ﷺ: «ليس كما تظنون، إنما هو كما قال لقمان لابنه: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٌ﴾» [لقمان:١٣][البخاري:٦٩٣٧] وقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ [الأنعام:٨٢] أي ثابت لهم ومختص بهم، وهذا التعبير أبلغ من (آمنون) وقوله: ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ يدل على أن الهداية مقصورة على الذين لم يتلبسوا بشرك دون غيرهم.

وإذا تأملت وجدت أن خلل الأمن في أي بقعة أو أمة يكون بسبب الشرك، وما هذه المصائب التي تمر على العالم الإسلامي إلا بتهاون حكامه وأفراده بالعقيدة الصحيحة والمنهج السليم.

فائدة: للنية الصالحة أثر كبير في صلاح العبد

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيۡبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [فاطر:٣٨] لاشك أن النية الصالحة وما تضمره الصدور لها أثر كبير في صلاح العبد وجزائه وأعماله، قال تعالى: ﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح:١٨] وقال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى» [البخاري:١ ومسلم:١٩٠٧] ومن تمنى أن يكون مثل الصالحين وحرص على ذلك وعجز بسبب مرض أو غيره فله من الأجر العظيم.

فائدة: خيار الناس أحاسنهم أخلاقاً

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ [القلم:٤] وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلۡجَٰهِلُونَ قَالُواْ سَلَٰمٗا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال أنس رضي الله عنه: (خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين، فما قال لي قط: أف، ولا قال لشيء فعلته: لم فعلته، ولا لشيء لم أفعله: ألا فعلت كذا) [متفق عليه: البخاري:٦٠٣٨ ومسلم:٢٣٠٩].

فالإسلام حُسن الخلق، والقرآن الكريم آداب وأخلاق، فهو يأمر بصلة الرحم وبر الوالدين والعفو عن الناس، وإعطاء من حرمك، ويأمر بكل ما فيه مصلحة دينية أو دنيوية، وبكل معروف وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، ويأمر بالإعراض عن الجاهلين، وقبول أعذار الناس، وعدم التدخل في بواطنهم، ويأمر بتوحيد الله، وأداء الحقوق التي لله، والتي للعباد، ويأمر بالبر، وينهى عن كل إثم، وخيار الناس أحاسنهم أخلاقًا، وأثقل شيء في ميزان العبد يوم

القيامة حسن الخلق، وهو أكثر من يدخل الناس الجنة، كما أن أكثر من يدخل الناس النار سوء الخلق، وخيار الناس خيارهم لنسائهم، ويدرك المسلم بحسن خلقه درجة الصائم القائم، ومن ترك المراء وهو محق تكفل الله له ببيت في ربض الجنة، وفي بيت بأعلى الجنة لمن حسن خلقه، وأحاسن الناس أخلاقًا هم أحب الناس للرسول ﷺ، وأقربهم منه مجلسًا يوم القيامة، وأبغضهم وأبعدهم الثرثارون والمتشدقون والمتفيهقون والمتكبرون والكذابون، فالدين الإسلامي كله خلق من بذل الندى وكف الأذى واحتمال الأذى وعمل الجميل وكف القبيح والتخلي من كل رذيلة والتحلي بكل فضيلة، ومن الخلق الحسن: الصبر والعفة والشجاعة والعدل وكظم الغيظ والجود والحياء والحلم والأناة والرفق وعدم العجلة، ومن سيء الأخلاق: الجهل والغضب والشح والبخل والجشع والذلة والدناءة واللؤم وسفاسف الأمور والفحش والجبن، وهو دين التوسط في الأمور والقناعة والرحمة والابتسامة وطلاقة الوجه والبشر والوقار، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] وعلى المرء أن يزكي نفسه، فإن تزكيتها وعلاجها أصعب من علاج الأبدان، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] وقال: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان:٦٣] وقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح:٢٩] اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عنا سيئها، لا يصرف عنا سيئها إلا أنت.

فائدة: من صفات اليهود نقض العهود وتحريف كلام الله

من صفات اليهود نقض العهود، وتحريف الكلم عن مواضعه، وتعمد نسيان أوامر الله تعالى، والخيانة وقساوة القلب، بدليل قوله تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ ۚ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱصْفَحْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:١٣] لهذا وغيره لعنهم الله وحرم عليهم بعض الطيبات عقابًا لهم، وغل أيديهم وغضب عليهم، قال تعالى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾ [النساء:١٦٠] وقال: ﴿مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾ [النساء:٤٦] فهم ينقضون المواثيق والعهود، ويؤولون الكلم عن مواضعه، ولا يتعهدون الدين ولا يهتمون به، لهذا نسوا حظًا مما ذكروا به، وأغري بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، يوقدون نار الحروب ويفسدون في الأرض، قال تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ﴾ [المائدة:٦٤] وقال: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة:١٣] فهم خونة سيئو المعاملة، وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالعفو عنهم والصفح، وذلك من مكارم الأخلاق، كما أن بعض النصارى فيهم هذه الصفات، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [المائدة:١٤] فاسم دينهم (نصارى) ولكنهم لم ينصروه، فهم يقولون لعيسى ابن مريم عليه السلام لننصرنك، ولم يحقق ذلك إلا قليل

منهم، قال تعالى: ﴿كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ﴾ [الصف:١٤] وهذا اللقب نصارى حجة عليهم، حيث قالوا ذلك ثم لما جاءهم رسول مصدق لما معهم لم ينصروه، مع أن العهد معهم أن يؤمنوا به وينصروه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ﴾ الآية [آل عمران:٨١] ولهذا لم يقل: وإذ قال النصارى، وإنما قال: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ﴾ فهم يقولون: إنا نصارى ولم يحققوا معنى هذه الكلمة.

فائدة: الحسد أول جريمة ظهرت على الأرض

الحسد هو أول جريمة ظهرت على وجه الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْـَٔاخَرِ ۚ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] هذان ابنا آدم عليه السلام: قابيل وهابيل، قيل: قرب قابيل من ثمار حرثه، وقرب هابيل من أبكار غنمه، فتقبل الله قربان أحدهما دون الآخر، فالمتقبل منه كان تقيًا، والثاني لم يكن كذلك، لهذا قال تعالى على لسان هابيل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة:٢٧] فحسد أحدهما أخاه وقتله، وهذا يدل على أن عمل غير المتقين لا يقبل في شريعتهم، ومن هذه الآية نفهم أهمية التقوى، وأن مدار القول عليها، ويستفاد من الآية الثانية ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ ۛ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ﴾ [المائدة:٣٢] أي من اهتم باستنقاذها والذب عنها فكأنما أحيا

الناس جميعًا بذلك التوجيه، وكذا من غلب وازع الشرع والحكمة على داعي الغضب والشهوة فانكف عن القتل عند الغضب، فكأنما أحيا الناس جميعًا، وكل قتل إلى أن تقوم الساعة يحصل من البشر ينال القاتل الأول إثمه من دون أن ينقص من إثم الأخير شيء، وكذلك من سن سنة من الخير فاتبعه الناس بذلك يكون له أجر من عمل بهذه السنة، من دون أن ينقص من أجر عاملها شيئ.

فائدة: وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب:٦] فمن لم يجعل الرسول ﷺ أولى به من نفسه فليس من المؤمنين، لذا يجب على المسلم أن يكون الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه وأن ينقاد ويطيع أمره، ويرضى ويسلم بحكمه، ويؤثره على ما سواه، فليس لنفسه ولا لوالده ولا لسيده إلا ما وافق هدي الرسول ﷺ، ولا يجوز أن يتلقى أي شيء إلا منه ﷺ بعد أوامر الله تعالى، ومن تحاكم إلى غيره فهو معرض عن الحق، قال تعالى: ﴿وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا﴾ [النساء:١٣٥].

فائدة: شجرة الزقوم

قال الله تعالى عن شجرة الزقوم: ﴿إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ○ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ○ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ○ فَإِنَّهُمۡ لَأٓكِلُونَ مِنۡهَا فَمَالِـُٔونَ مِنۡهَا ٱلۡبُطُونَ﴾ [الصافات:٦٣-٦٦] هذه أوصاف هذه الشجرة الخبيثة، فهي فتنة للظالمين، فقد كانت سبب تهكمهم إذ قالوا: كيف تنبت شجرة في النار؟! وروي أن أبا جهل قال: ياجارية: هاتي لنا تمرًا وزبدًا نزقمه، فأخذوا يأكلونه ويقولون: أفبهذا

يخوفنا محمد في الآخرة؟! ومن صفاتها أنها كريهة المنظر ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٥] وكريهة الرائحة مسمومة، قال تعالى: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ○ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ○ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ○ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان:٤٣-٤٦] وقد فتن المشركون عندما سمعوا بوصفها، كما فتنوا عندما نزلت الآية في وصف جهنم ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ [المدثر:٣٠] قال أبو جهل لقريش: (ثكلتكم أمهاتكم إن ابن أبي كبشة يخبركم أن خزنة النار تسعة عشر وأنتم الدهم، أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا بواحد منهم، وأنا أكفيكم سبعة عشر فاكفوني أنتم اثنين) فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [المدثر:٣١] ومن صفات أهل النار أنهم يملؤون بطونهم منها على خبثها وكراهيتها، قال تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات:٦٦] ومن صفاتهم ﴿إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات:٦٧] وهو القيح السائل من الدمامل، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الأنعام:٧٠] ومن صفاتهم أنهم يرجعون إلى الجحيم، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات:٦٨] وهذه الشجرة تخرج في أصل الجحيم، وهي: ﴿كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ﴾ [الدخان:٤٥] من شدة حرارتها كالمغلي، نعوذ بالله منها ومن النار.

فائدة: حال المؤمن وحال الكافر عند حدوث النعم

قال الله تعالى عن قارون: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ [القصص: ٧٨] وقال سبحانه عن سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠] فإذا أنعم الله على العبد فعليه الاعتراف بها

ومعرفتها وإضافتها إلى فضل الله ورحمته، وأنه لا يستحقها، وعليه الانكسار بين يدي الله، والتواضع والمحبة للمنعم سبحانه، والعبودية والذل والخضوع لجنابه، والثناء عليه بالمحامد والسجود له شكرًا وعرفانًا، وإذا أصيب العبد بمصيبة (نسأل الله العافية) فعليه بالصبر والرضا والشكر والاعتراف بلطف الله وإحسانه والتوبة والاعتذار والانكسار بين يديه، وأنه لا يرفعها إلا هو، ولا يقيه شرها سواه، وأنه لا يكشفها إلا هو، ويعوذ برضى الله من سخطه وبعفوه من عقوبته وبه منه، وأنه لا ملجأ إلا إليه، ولا استجارة إلا به، وأنه لو خلي بينه وبين نفسه لهلك، وعليه بالدعاء المستمر، وقول ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] وعليه أن يعلم أن هذه المصيبة بما كسبت يداه، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠] ولا ييأس ولا يقنط، فإن مع العسر يسرًا، ولن يغلب عسر يسرين.

فائدة: ذم الله تعالى لآلهة الكفار

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في محاجته لقومه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا﴾ [مريم:٤٢] هذه الآية تدل على أن أبا إبراهيم عليه السلام مع شركه أعرف من الجهمية.

وقد ذم الله آلهة الكفار وعابها، لأنها لا تسمع ولا تبصر ولا تتكلم ولا تهدي ولا تنفع ولا تضر، وهذه صفة الإله عند الجهمية تعالى الله عن ذلك، وقال الله تعالى عن قوم موسى عليه السلام: ﴿وَٱتَّخَذَ قَوۡمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِنۡ حُلِيِّهِمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٌۚ أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾

[الأعراف: ١٤٨].

فائدة: الإسلام دين الوسطية

الدين الإسلامي دين الوسطية، فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور، والكرم وسط بين البخل والتبذير، والغيرة وسط بين التهمة والدياثة، والتواضع وسط بين الذل والكبر، والعز وسط بين الكبر والمهانة، والراحة وسط بين التعب والخمول، وهكذا كل منهج من مناهج الإسلام وسط، وأهل السنة والجماعة وسط بين اعتقادات أهل البدع، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

فائدة: العلم والمعرفة

الفرق بين العلم والمعرفة:

العلم أوسع من المعرفة، يوصف الله تعالى بالعلم، لأن المعرفة يسبقها جهل، قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٧] أما المخلوقات فوصفوا بالعلم تارة وبالمعرفة تارة أخرى، قال تعالى: ﴿مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: ٨٣] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٦] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١١٤] وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤] وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩] وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ﴾ [الرعد: ١٩] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ [الروم: ٥٦] وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

والفرق بين المعرفة والعلم أن المعرفة تتعلق بذات الشيء،

والعلم بأحواله، تقول: عرفت أباك وعلمته صالحًا، والمعرفة يسبقها جهل، أما العلم فلا يلزم ذلك، وإذا قلت: علمت زيدًا لم تفد المخاطب شيئًا، لأنه ينتظر أن تخبره على أي حال علمته، فإذا قلت: كريمًا حصلت الفائدة، وإذا قلت: عرفت زيدًا، استفاد المخاطب ولم يبق انتظاره لشيء آخر، والله أعلم.

فائدة: تشبيه المؤمن بالنور والكافر بالظلمة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ○ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ○ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ○ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ [فاطر:١٩-٢٢] شبه الله تعالى المؤمن بالبصير، والكافر بالأعمى، وشبه المؤمن بالنور، والكافر بالظلمات، وشبه المؤمن بالظل، والكافر بالحرور، وشبه المؤمن بالحي، والكافر بالميت، فالكافر قد يدرك أحوال الدنيا، ولكنه لا يدرك أحوال الآخرة والأمور الغيبية، فهو أعمى في ظلام، وهو ميت في حرور، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:٧] وحال المؤمن كالظل فيه الطمأنينة، وحال الكافر كالحرور تضطرب فيه النفوس، ولا تتمكن العقول فيه من التأمل والتبصر.

فائدة: لا ينفع الكافر قربُه ومصاهرتُه للمؤمن

ضرب الله ثلاثة أمثلة:

المثل الأول في قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا﴾ [التحريم:١٠] فهي مثل للكافرين، وفي هذه الآية دليل على أن الكافر لا ينفعه قربه ومصاهرته مع المؤمنين، فلم ينفع امرأة نوح

عليه السلام وامرأة لوط عليه السلام قربهما من النبيين، ولم ينفع ولد نوح عليه السلام بنوته من نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الممتحنة:٣] وقال: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾ [البقرة:٤٨] وقال: ﴿وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ﴾ [لقمان:٣٣].

والمثل الثاني للمؤمنين، مثل امرأة فرعون، فاتصال المؤمن بالكافر لا يضره شيئًا، فمعصية الغير لا تضر المؤمن المطيع لله في الآخرة.

والمثال الثالث للمؤمنين مثل مريم التي لا زوج لها لا مؤمن ولا كافر، وإذا كان كذلك فإن قرب أزواج النبي ﷺ منه إذا لم يطعنه لا ينفعهن ذلك، كما أن قرابته إذا لم يتبعوا أمره لا ينفعهم ذلك، قال ﷺ: «يافاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئًا» [البخاري:٢٧٥٣، ٣٥٢٧، ٣٤٧١، ومسلم:٢٠٤] كما أن قدح الكفار بالمرء المسلم لا يضره شيئًا مثل قدح اليهود بمريم لا يضرها شيئًا ما دامت بريئة، وكذا قدح المنافقين في عائشة رضي الله عنها لا يضرها شيئًا، وفي الآية تحذير لعائشة وحفصة رضي الله عنهما مما اعتمدتاه في حق النبي ﷺ، وتسلية لكل من أوذي في سبيل الله تعالى، قال تعالى: ﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم:٤].

فائدة: على العبد أن يحمل همَّ الدعاء قبل حمله همَّ الإجابة

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ﴾ [غافر:٦٠] وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (إني لا أحمل هم الإجابة، ولكن هم الدعاء) فعلى قدر نية العبد وهمته ومراده ورغبته ورهبته

وتوفيقه تنزل معونة الله تعالى، فهو الحكيم العليم، يضع كل شيء بموضعه، وإذا صدق العبد وافتقر أعانه الله ووفقه وهداه، وإذا لم يشكر ولم يفتقر لم يعنه ولم يوفقه ولم يهده، والله أحكم الحاكمين وأعلم العالمين.

فائدة: الذبيح هو اسماعيل عليه السلام

قال الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢].

الذبيح هو إسماعيل عليه السلام عندما بلغ معه السعي ثلاث عشرة سنة وصفه الله بأنه غلام حليم، ورأى إبراهيم عليه السلام في المنام أنه يذبحه، ورؤيا الأنبياء حق، فامتثلا وأسلما، وتله إبراهيم عليه السلام للجبين وصرعه على الأرض، والجبين أحد جانبي الجبهة، فباشر جبينه الأرض، فنادى الله إبراهيم عليه السلام عن طريق الوحي ﴿قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ﴾ [الصافات:١٠٥] وفداه الله بذبح عظيم، فهذا الفدى شريف القدر، لأنه فدا به عن ابن رسول الله إبراهيم عليه السلام، ولا شك ولا ريب في أن الذبيح إسماعيل عليه السلام لأمور كثيرة منها:

الأولى: أن المأمور بذبحه هو الغلام الحليم، وهو الذي سأل إبراهيم عليه السلام ربه بأن يهب له، أما إسحاق عليه السلام فقد قال الله تعالى عنه: ﴿وَبَشَّرۡنَٰهُ بِإِسۡحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات:١١٢] ووصف بأنه غلام عليم.

الثانية: أن ابتلاء إبراهيم عليه السلام بذبح ولده الأول، ولم

يكن له ولد سواه، وهذا أكمل في الابتلاء فإسحاق عليه السلام ابنه الثاني.

الثالثة: أن إبراهيم عليه السلام بنى بيتًا بمكة فأراد أن يقرب لله ابنه الذي بمكة قبل أن يبني بيتًا آخر.

الرابعة: ما روي أنه قال أعرابي للنبي محمد ﷺ يا ابن الذبيحين، فتبسم الرسول ﷺ، وقد علم أن الذبيحين إسماعيل عليه السلام وأبوه عبدالله الذي فداه عبدالمطلب.

الخامسة: أنه ذكر في التوراة (خذ ابنك وحيده) وإسماعيل عليه السلام كان وحيدًا، أما إسحاق عليه السلام فلم يكن وحيدًا، كما ذكر أن إبراهيم عليه السلام دفنه ابناه إسماعيل وإسحاق عليهما السلام.

السادسة: أن قرني الكبش كانا منوطين في الكعبة إلى أن احترق البيت في حصار ابن الزبير رضي الله عنه، ذكر ذلك صاحب الكشاف، وقال القرطبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه من ميزاب الكعبة وقد يبس).

السابعة: الروايات الكثيرة في حكمة رمي الجمرات أن الشيطان تعرض لإبراهيم عليه السلام ليصده عن ذبح ابنه.

الثامنة: أن الله لما بشر بإسحاق عليه السلام بين أن من وراء إسحاق يعقوب عليهما السلام، فدل أن إسحاق عليه السلام يحيى، ويخلف يعقوب عليه السلام من ورائه.

فائدة: زعم اليهود والنصارى أنهم ابناء الله وأحباؤه

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المائدة:١٨] هذا زعم مشترك بين اليهود والنصارى أبطله الله تعالى بقوله لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ﴾ [المائدة:١٨] فلو كانوا أبناء الله وأحباءه ما عذبهم، فإن المحب لا يعذب حبيبه، كما أن المسيح بشر يناله ما ينال البشر من الأعراض، وقولهم هذا يدل على غباوتهم وتناقض أقوالهم وفساد عقائدهم وغرورهم.

فائدة: خلق الله الإنسان في أحسن تقويم

في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ﴾ [الأنعام:٣٩] وقوله: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾ [البقرة:١٨] وقوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ○ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين:٤،٥] وقول الرسول ﷺ: «لايزال الرجل يصدق، ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقًا، ولايزال يكذب ويتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذابًا» [أحمد:١/٣٩٣، ٤٤٠، ٤١٠ وصححه محققو المسند] دليل على أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وعلى الفطرة، وهداه النجدين: طريق الخير وطريق الشر، وأن عوامل الضلال والشياطين التي تجتاله والهوى والنفس والشهوات تنحدر به، حتى يكون أعمى أصم أبكم في الظلمات، كذابًا في أسفل سافلين أخس من الخنازير والكلاب والقردة، وإذا أخذ الإنسان بأسباب الرقي وتزكية النفس ارتفع حتى يكون أفضل من الملائكة. فالفرق بين أجناس الإنسان في الهداية

والضلال كبير جدًا، بينما غيره متشابه، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩،١٠] وهناك عقبات أمام الكمال الإنساني، إذ اجتازها المرء حصل على الخيرات الكبيرة، قال تعالى: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ○ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ○ فَكُّ رَقَبَةٍ ○ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ○ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ○ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ○ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ [البلد:١١-١٨].

فائدة: محاسبة النفس

المسلم الحق يحاسب نفسه ليعرف ما عليه من الحقوق فيوفيها، قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر:١٨] وقال رسول الله ﷺ: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا، وتزينوا للعرض الأكبر» [الترمذي:٢٤٥٩] والمسلم الحق يؤدي ما عليه من الواجبات، ويتعبد لله بما أمر به من الطاعات، ولا يجوز له أن يتعبد لله بالبدع ولا بتحريم الطيبات، قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾ [الأعراف:٣٢] وقال ﷺ: «كل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» [مسلم:٨٦٧، ابن ماجه:٤٢، ٤٦ وأحمد:٣/ ٣١٠، البيهقي: ٣/ ٢٠٧، ٢١٣، ٢١٤].

فائدة: إذا زاغ الإنسان عن الهدى أزاغ قلبه

إذا زاغ الإنسان ومال عن الحق والهدى أزاغ الله قلبه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف:٥] ومن عرض عليه حق فرده ولم يقبله عوقب بفساد قلبه ورأيه وعقله، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا

غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء:١٥٥] فتكون قلوبهم في أكنة عن سماع الحق وقبوله، كما قالوا: ﴿قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥].

وهذا عقاب لهم على زيغهم عن الحق، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ○ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ﴾ [يس:٩-١١].

فائدة: نقمُ أهل الكتاب من المؤمنين لأجل الإيمان

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ○ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة:٥٩،٦٠] سبب نزول هذه الآية ما ذكره الواحدي وابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جاء نفر من اليهود إلى النبي ﷺ فسألوه عمن يؤمن به من الرسل، فلما ذكر عيسى ابن مريم عليه السلام قالوا: لا نؤمن بمن آمن بعيسى، ولا نعلم دينًا شرًا من دينكم، ولا نعلم أهل دين أقل حظًا في الدنيا والآخرة منكم، فأنزل الله تعالى الآية [أسباب النزول:٤٠١] وهي تخص اليهود لقوله فيها: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ﴾ الآية [المائدة:٦٠] فلما سبوا دين محمد ﷺ بين الله عيوبهم.

فائدة: الصديقون في القرآن

قال الله تعالى عن إسماعيل عليه السلام: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ

إِسْمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ﴾ [مريم:٥٤] ولقب الله يوسف عليه السلام بأنه صدِّيق، لأنه صدق وعد ربه في الكف عن المحرمات مع توفر أسبابها، ووصف مريم بأنها صدِّيقة في قوله تعالى: ﴿وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌۖ﴾ [المائدة:٧٥] وقال: ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا﴾ [التحريم:١٢].

فائدة: لله تعالى المحامد كلها

لله الحمد كله، لا أحد من خلقه يحصي ثناء عليه، فهو كما أثنى على نفسه، وله الشكر كله، وله الحب كله، وكل أفعاله محبوبة، يحب لذاته، وكل محبوب تابع لمحبته سبحانه يحب لأجله، ويحب لصفاته وأفعاله، فهو المحسن المنعم الحليم العفو الرحيم البر الكريم الكامل ليس كمثله شيء، ويتضمن حبه أصلين:

الأول: الإخبار بمحامده وصفاته.

الثاني: المحبة له عليها، فهو يفرح بتوبة عبده، وهو غني وما سواه فقير، تبتدئ النعم منه وتنتهي إليه، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤].

فائدة: وجوب الإقرار لله تعالى بالمحبة

حب الله تعالى أشد من كل حب، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِۗ﴾ [البقرة:١٦٥] وهو أصل العبادة، بل يجب إفراده بالمحبة، فالحب كله له، ولا يحب المرء أحدًا سواه، وإنما يحب لأجله وفيه، فنحب الرسل والأنبياء والملائكة والأولياء والصالحين لمحبة الله، وليست محبة معه، أما الذين يحبون معه فهم الذين يتخذون من دون الله أندادًا يبحونهم كحب الله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] فمن لم يحب الله لم يحب الرسول ﷺ، ومحبة الرسول ﷺ حب لله وطاعة وعبودية،

وشرط محبة الله أن يحب الرسول ﷺ، وأن يكون الله ورسوله أحب إلى العبد مما سواهما، ومن كان يحب أحدًا أشد من محبة الله ورسوله ﷺ فهو مشرك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة: ٢٤].

فائدة: حرمة الخمر وخبثه من جميع الوجوه

وصف الله الخمر بصفات قبيحة في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ○ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ فِى ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

فالرجس هو الخبث والمكروه من الأمور المذموم، كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥] وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقوله: ﴿مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في هذا تنفير لتعاطيه بأنه من عمل الشيطان.

وقوله: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ أي اجتنبوا شربه، واجتنبوا التقامر بالميسر، واجتنبوا الذبح للأنصاب، واجتنبوا الاستقسام والاستشارة للأزلام، فهذه الأمور تبعث العداوة والبغضاء والخصومات والإقدام على الجرائم والتحاسد والحسرة والغيظ والسباب والشتائم والضرب والصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وغيبوبة العقل وضياغ الوقت وخسارة الدنيا والآخرة واللهو، والغياب عن مجالس العلماء وسماع

أقوالهم، وما كان فيه ضرر من هذه الأمور فيدخل في التحريم، فقد حرم الله الخبائث كلها، وأحل الطيبات، وكل ما فيه ضرر على الإنسان في دينه أو دنياه منهي عنه، وكل ما فيه نفع للإنسان في دينه أو دنياه مأمور بالحرص عليه، قال ﷺ: «احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز» [مسلم: ٢٦٦٤، وابن ماجة: ٧٩].

فائدة: العلم الصحيح

في عصرنا هذا كثرت الكتب الخالية من العلم الصحيح الذي جاء من الله ورسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ٦١] وقال: ﴿أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٦] وقال: ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾ [البقرة: ١٢٠] إن هذه الأفكار والهواجس والخواطر والآراء والصحف والتناقضات والاختلافات أغلبها ليس علمًا، وفيها من التناقضات مالا يحصى، قال تعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢] وكثير من المؤلفات اليوم التي تملأ المكتبات ضررها أكثر من نفعها، وجهلها أكثر من علمها.

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة، ليس بالتمويه

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة
بين الرسول وبين رأي فقيه

كلا ولا جحد الصفات ونفيها
حذرًا من التمثيل والتشبيه

فائدة: شهادة الجوارح يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يس:٦٥] في صحيح مسلم عن أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «يخاطب العبد ربه يقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: إني لا أجيز على نفسي إلا شاهدًا مني، فيقول الله: كفى بنفسك اليوم عليك شهيدًا فيختم على فيه... ويقال لأركانه: انطقي فتنطق بأعماله، ثم يخلى بينه وبين الكلام، فيقول: بُعدًا لكُنَّ وسحقًا، فعنكن كنت أناضل». [مسلم:٢٩٦٩ والنسائي في الكبرى:١١٦٥٣].

فائدة: العزة المحمودة والعزة المذمومة

قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ [ص:٢] العزة هي المنعة والغلبة والتكبر، وهي عند الكفار عزة غرور وإعجاب بالنفس، مثل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة:٢٠٦] أي الكبرياء والعصيان يأخذه، وهذه العزة مذمومة، لأنها إباء عن الحق، وإعجاب بالنفس وغرور وتكبر.

أما إذا كانت عزة على الكافرين وعزة عن كل نقص ورذيلة، وهي العزة الجارية على أسباب واقعة حقيقية، قال تعالى: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤] فهي عزة محمودة، و﴿الشقاق﴾ هو العناد والخصام ومشاقة الله ورسوله ﷺ وتكذيبهم، وهذا هو الذي حال بينهم وبين الإيمان بالله وكتابه.

فائدة: سجدة سورة (ص) خلافية

في سورة (ص) قال الله تعالى عن داود عليه السلام: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا

وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤] الذي يظهر أنها محل سجدة ليست ملزمة، والدليل على ذلك ما ورد عن مجاهد أنه قال: (سألت ابن عباس رضي الله عنهما عن السجدة في ص فقال: أو ما تقرأ ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ○ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ○ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ○ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾ [الأنعام:٨٤-٩٠] فكان داود عليه السلام ممن أمر نبيكم أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام، فسجدها رسول الله ﷺ) [البخاري:٤٨٠٧] وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ليست ص من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها. [البخاري:١٠٦٩، وأبو داود:١٤٠٩] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قرأ رسول الله ﷺ وهو على المنبر ص، فلما بلغ السجدة تشزن - أي استعد - الناس للسجود، فقال رسول الله ﷺ: «إنما هي توبة نبي، ولكني رأيتكم تشزنتم للسجود، فنزل فسجد وسجدوا» [أبو داود:١٤١٠ وصححه الألباني] وقد كان داود عليه السلام راكعًا عندما ظن أنه فتن ولم يسجد، ولهذا يرى أبو حنيفة أن الركوع يقوم مقام سجود التلاوة، ولكن فعل الرسول ﷺ السجود على الأرض، والشافعي لا يرى السجود بعد قراءة هذه الآية خلافًا لأبي حنيفة ومالك وغيرهما.

فائدة: حال المسلمين في مكة قبل الهجرة

يقول الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِى ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال:٢٦] كان المسلمون أيام إقامتهم بمكة قليلًا مستضعفين بين المشركين، جفاهم قومهم وعادوهم، فصاروا لا قوم لهم، وكانوا على دين لا يعرفه العالم، وقد صرف الله أهل مكة عن استئصالهم، ثم قيض الله الأنصار فأسلموا، ثم أخرجهم من مكة إلى الحبشة، فنصرهم النجاشي، ثم هاجروا إلى يثرب فاستقبلهم الأنصار بالترحيب، ونصرهم الله في غزوة بدر، ورزقهم من الطيبات، لهذا يجب عليهم الشكر، عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله إنا كنا في جاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: «نعم» قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: «نعم، وفيه دخن» الحديث [البخاري:٣٦٠٦، ٣٦٠٧، ٧٠٨٤، ومسلم:١٨٤٧ وابن ماجة:٣٩٨٦ وأحمد:٤/ ٧٣، ٧٤] وقال ﷺ: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء، الذين يصلحون إذا فسد الناس» [مسلم:١٤٥، ١٤٦].

فائدة: عناد مشركي قريش ومكرهم

كان المشركون يمكرون بالرسول ﷺ ومعهم أبو جهل وعتبة وشيبة ابنا ربيعة وأمية بن خلف والنضر بن الحارث وطعيمة بن عدي وعقبة بن أبي معيط والوليد بن المغيرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [الأنفال:٣٠] ومن مكرهم أنهم يقولون: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ﴾ [الأنفال:٣١]

حيث تحداهم الرسول ﷺ أن يأتوا بمثل هذا القرآن، فقالوا: هذا أساطير الأولين، وقال النضر بن الحارث من بني عبدالدار وكان ممن يسافر إلى الحيرة وأطراف بلاد العجم، ويلتقي بالنصارى فيحدثونه عن أخبار الإنجيل، ويلقى من العرب من ينقل أساطير حروب رستم وغيره من ملوك الفرس، وخرافاتهم ونوادرهم وقصصهم، ويجلس لهذا بمجلس يجتمع عنده لمعارضة رسول الله ﷺ وصرف الناس عنه، وممن كان يؤيده الوليد ابن المغيرة وأبو جهل، وكانوا يقولون: ﴿وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢] وهذا يدل على عنادهم فلم يقولوا: إن كان هذا هو الحق فاهدنا إليه، والله تعالى قادر على عذابهم، ولكنه يمهل ولا يهمل ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] حيث كان الرسول ﷺ بينهم منع العذاب، وبعد هجرته عنهم بقي بمكة مؤمنون يستغفرون، روى الترمذي عن أبي موسى رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أنزل الله علي أمانين لأمتي: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ فإذا مضيتُ تركتُ فيهم الاستغفارَ إلى يوم القيامة» [الترمذي:٣٠٨٢ وضعفه الألباني].

فائدة: التكبر عن سماع الحق وصد الناس عنه سبب حلول النقم والعقوبات

من يتكبر عن سماع الحق، ومن لم يتبع الذكر، ولم يحرص على الوصول إليه وعلى استماعه ولم ينصت له، ولم يخش الله

بالغيب يجعل الله تعالى من بين يديه سدًا ومن خلفه سدًا، ويُغْشِهِ ويجعله لا يبصر ولا يستبين له الحق، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ○ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ○ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [يس:٩-١١] وقد كان المشركون يعرضون عن سماع القرآن ويصدون الناس عنه، يروى أن عبدالله بن أُبي كان يقول للرسول ﷺ: (اجلس في بيتك، فمن جاءك فحدثه، ومن لم يأتك فلا) وكان الوليد ابن المغيرة وغيره من سادات قريش يحذرون الناس من استماع القرآن ويصدونهم عنه، مع أنه يقول: (إن له لحلاوةً، وإن عليه لطلاوةً، وإن أسفله لمغدِق، وإن أعلاه لمثمر) [سيرة ابن هشام: موقف الوليد بن المغيرة من القرآن] وبسبب صدودهم وإعراضهم حَقَّ القولُ عليهم أنهم لا يؤمنون، فهم متكبرون معاندون، خبيثة قلوبهم، منطوية على الحسد والصفات القبيحة.

فائدة: استحباب التقيد بالأدعية المأثورة

قد يسأل المرء شيئًا من الله ويطلبه، وهو ضرر عليه، ولهذا ينبغي للعبد أن يتقيد بالأدعية المأثورة، وإذا كان ولابد فعلِّق سؤالك على شرط علمه تعالى بما فيه الخير لك، وقدِّم بين يدي سؤالك الاستخارة، فقد سأل إبليس أن ينظره إلى يوم يبعثون، فأعطاه الله سؤله، فصار ذلك نقمةً عليه، وزيادةً في شقائه وبعده عن ربه وطرده من رحمته، وإذا سألت شيئًا فاسأل الله أن يجعل ذلك عونًا لك على طاعته وبلاغًا إلى مرضاته، ولا يجعله قاطعًا لك عنه، ولا مبعدًا عن رحمته ورضوانه، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ

فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ○ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ﴾ [الفجر:١٥،١٦] وقال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] ومن الدعاء المأثور الصحيح: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [أبو داود:١٥٢٢، والبغوي في شرح السنة:١٠/ ٢٨٤-٤٢٧ وصححه الألباني] وقد علَّم رسول الله ﷺ هذا الدعاء معاذ بن جبل رضي الله عنه، وأمره أن لا ينساه دبر كل صلاة.

فائدة: من معاني ناشئة الليل

قال تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيۡلِ هِيَ أَشَدُّ وَطۡئٗا وَأَقۡوَمُ قِيلٗا﴾ [المزمل:٦].

الأقوال في ناشئة الليل:

أنه أي ساعة منه ناشئة، فكلما انقضت ساعة نشأت أخرى، وهو قول الزجاج وعكرمة وأبي مجلز ومجاهد والسدي وابن الزبير وابن عباس.

وقيل ما بعد المغرب والعشاء حيث نشوء الليل، قال بذلك علي ابن الحسين وأنس وثابت وسعيد بن جبير والضحاك والحكم والكسائي، وهذه أقوال من جعلها زمانًا.

أما من جعلها فعلًا ينشأ بالليل، فمعنى الناشئة عندهم ما يفعل بالليل من القيام، وهو قول ابن مسعود ومعاوية بن قرة وغيرهما.

وقالت عائشة رضي الله عنها: إنما يكون القيام ناشئة إذا تقدمه نوم، وهو قول ابن الأعرابي.

فائدة: أمر الله لنبيه ﷺ بمجالسة الضعفاء وتقريبهم منه

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَطۡرُدِ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ مَا عَلَيۡكَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَمَا مِنۡ حِسَابِكَ عَلَيۡهِم مِّن شَيۡءٖ

﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢] روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: كنا مع النبي ﷺ ستة نفر، فقال المشركون للنبي ﷺ: اطرد هؤلاء ونجلس معك، فوقع في نفس الرسول ﷺ ما شاء الله أن يقع، فحدث نفسه، فأنزل الله هذه الآية. [مسلم:٢٤١٣ والواحدي في أسباب النزول:٤٣٢-٤٣٤] والستة قيل هم: صهيب وعمار ابن ياسر والمقداد بن الأسود وخباب بن الأرت وبلال وابن مسعود رضي الله عنهم.

وقيل هم: خباب وعمار وأبو فكيهة ويسار وصهيب وسلمان رضي الله عنهم، وقيل: إن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لرسول الله ﷺ: (لو فعلت ذلك حتى ننظر ما الذي يريدون وإلى ما يصيرون من قولهم) فلما نزلت هذه الآية جاء عمر رضي الله عنه يعتذر، وقيل: إن قريشًا طعنوا في إيمان هؤلاء ونسبوهم إلى النفاق، وقيل: إنهم قالوا: (إن هؤلاء اجتمعوا عندك وقبلوا دينك، لأنهم يجدون مأكولًا وملبوسًا عندك) وكان ﷺ حريصًا على إيمان هؤلاء السادة، لأن في إيمانهم إيمانًا للآخرين، فأنزل الله عليه الأمر بعدم طرد الضعفاء، قال سبحانه: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٢] فهؤلاء الضعفاء الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، أعز وأكرم وأحب وأفضل من سادات قريش، كالأقرع بن حابس وعيينة بن حصن وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة ومطعم بن عدي والحارث بن نوفل وغيرهم [أحمد في المسند:١/٤٢٠ والطبري في التفسير رقم:١٣٢٥٨-١٣٢٦٢] قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ﴾

[آل عمران: ٦٨].

فائدة: الدليل على البعث بعد الموت

قال الله تعالى دليلًا على البعث بعد الموت: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ○ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ﴾ [سبأ: ٤، ٥] فلا تضيع أعمال الصالحين بدون جزاء، ولا أعمال الظالمين بدون عقاب، فليس هذا من الحكمة، وكيف يظلم هذا ويموت ويعاقب على ظلمه؟ وكيف يعمل الأعمال الصالحة ذاك ولا يجازى على عمله؟ فهذا لا يقره عقل ولا نقل، ولهذا فهناك حياة أبدية بعد الموت للجزاء والعقاب، ثم قال تعالى دليلًا وسببًا آخر من أسباب البعث: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦] وهذه علة ثانية للبعث بعد الموت ليرى الذين أوتوا العلم أن هذا القرآن حق، وأنه يهدي إلى صراط الله العزيز الحميد، وسواء كان تفسير ﴿ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ أهل الكتاب من اليهود والنصارى، أو المؤمنين الذين أعطاهم الله العلم، وهو القرآن الذي أنزل إليهم، فهذه علة للبعث بعد الموت، ودليل واضح عليه لا ينكره عقل سليم.

فائدة: العبودية الحقة

العبودية لله تعالى مستمرة في الدنيا وفي البرزخ وفي يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] - أي الموت - وهذه العبادة في الدنيا، وبين رسول الله ﷺ أن المرء يُسأل في قبره: من ربك وما دينك ومن نبيك؟ وورد عنه ﷺ أن ملكين

يسألانه من كان يعبد وما يقول في رسول الله ﷺ، ويلتمسان منه الجواب، وهذه عبودية البرزخ، أما عبودية يوم القيامة فقد قال الله تعالى عنها: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ○ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ﴾ [القلم: ٤٢، ٤٣] أما عبودية أهل الجنة، فهي التسبيح المقرون بأنفاسهم لا يجدون له تعبًا ولا نصبًا.

فائدة: الكعبة مبنية قبل إبراهيم عليه السلام

يظهر والله أعلم أن الكعبة مبنية منذ عهود قديمة قبل إبراهيم عليه السلام، وأن إبراهيم عليه السلام قام ببنائها بعد أن اندرست بسبب الأمطار أو غيرها، بدليل الآيات الكريمة:

١- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ﴾ [الحج: ٢٦] فقد هداه الله إلى مكانه بعد أن زالت معالمه وبوأه له.

٢- قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِيمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَٰعِيلُ﴾ [البقرة: ١٢٧] فالقواعد موجودة، وقام إبراهيم عليه السلام برفعها.

٣- قوله تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّىٓ أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَادٍ غَيْرِ ذِى زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ ٱلْمُحَرَّمِ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فقد أسكن ذريته بالوادي المجاور لمكان البيت، أي في مكان المسعى الحالي ومكان بئر زمزم، وإسماعيل عليه السلام هو الابن البكر لإبراهيم عليه السلام، أمه جارية قبطية مولاة لسارة أهداها إليها فرعون مصر، ولد إسماعيل عليه السلام في أرض الكنعانيين سنة ١٩١٠ قبل ميلاد المسيح، وتوفي بمكة سنة ١٧٧٣ ق.م، ومعنى إسماعيل عليه السلام بالعبرية سمع الله، أي إجابه الله، لأن الله استجاب دعاء أمه هاجر، إذ خرجت حاملًا بإسماعيل عليه السلام

مفارقة الموضع الذي فيه سارة مولاتها، ثم إن الله تعالى رزق إبراهيم عليه السلام بابن آخر من سارة، سماه إسحاق عليه السلام، ولما كبر إسماعيل عليه السلام رأى إبراهيم عليه السلام رؤيا وحي أن يذبحه، فعزم على ذبحه، ففداه الله بكبش نزل من السماء، وكان إسماعيل عليه السلام مع والده يبنون الكعبة ويرفعون قواعدها، ويدعون الله ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:١٢٨] وقوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة:١٢٩].

فائدة: لذة المؤمن وسعادته في عبادة ربه

لذة المؤمن وسعادته في عبادة ربه وطاعته وتجنب معاصيه ومعرفته ومحبته والشوق إلى لقائه.

أما العاصي والمنافق والكافر فلذتهم في أخس الأمور والفواحش والكلام القبيح والاستغراق في متاع الدنيا واللهو واللعب، قال الله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَـٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا﴾ [الأحقاف:٢٠] وإذا جمع الإنسان المؤمن بين لذة الطاعة ولذة المباحات فلا بأس بذلك، بشرط أن لا تلهيه عن عبادته والإنس بربه، قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَـٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ﴾ [الأعراف:٣٢] فالدنيا مطية الآخرة، قال الشاعر:

ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا

وأقبح الكفر والإفلاس في الرجل

فائدة: خير الناس من طال عمره وحسن عمله

من يتفكر في آيات الله ومثلاته وعقوباته للعاصين يزدد إيمانه، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ○ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ﴾ [يونس:٩٦، ٩٧] وإذا طال عمر الإنسان تكون المسؤولية أكبر والحجة عليه أعظم ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ [فاطر:٣٧] فمن طال عمره ولم يصلح عيوبه ويتدارك تفريطه ويغتنم أنفاسه فلا خير له في طول عمره، وصار طول عمره زيادة في إثمه، قال ﷺ: «خيركم من طال عمره وحسن عمله، وشركم من طال عمره وقبح عمله» [الترمذي: ٢٣٢٩، ٢٣٣٠، وأحمد: ٥/ ٤٠، ٤٣، ٤٧، ٤٨، ٥٠ وغيرهما وصححه الألباني].

فائدة: اسباب الكفر

كفر الأمم نشأ بسبب أربعة أمور: الكبر والحسد والغضب والشهوة، فالمتكبر لا ينقاد للحق، والحسود لا يقبل النصيحة، والغضوب لا يعدل، ومن غلبته شهوته لا يصبر على العبادة، وعلاج ذلك أن يعرف الإنسان ربه بصفات الكمال، ويعرف نفسه بصفات النقائص، قال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨].

فائدة: النهي عن مجالسة أهل الباطل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ﴾ [الأنعام:٦٨].

هذا نهي للرسول ﷺ والمسلمين أن يجلسوا مع الذين يخوضون

في آيات الله ويستهزءون بالدين أو بعلماء المسلمين ودعاتهم، لأن الذي يجلس معهم ولا ينكر عليهم مثلهم، وفائدة ذلك زجرهم ولعلهم يرجعون، وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٦٨] يدل على أنهم لا يتحدثون إلا فيما لا جدوى له من أمور الجاهلية، كعادة بعض مجالس الناس اليوم، وعلى المسلم ألا يجلس مع القوم الظالمين، قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨] والظالمون هم الذين يخوضون في آيات الله وفي الأمور المحرمة، وإنما على المسلم أن يجلس مع العلماء والدعاة وأهل الخير الذين يعينونه على عبادة الله، قال الله تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡ﴾ [النساء:١٤٠] وقال: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام:٧٠].

فائدة: الإيثار أعلى الجود والسخاء والإحسان

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر:٩].

من ترك ما يحتاجه لغيره فهو مؤثر على نفسه، وهو ضد الشحيح الحريص على ما ليس في يده، والبخيل بإخراج ما بيده، وقد حذر الرسول ﷺ من الشح، وبين أنه أهلك من كان قبلنا [مسلم:٢٥٧٨، أحمد في المسند:٣/٣٢٣ والبيهقي في السنن الكبرى:٦/٩٣، ١٠/١٣٤] وأن الشيطان يأمر بالبخل، والإيثار أعلى الجود والسخاء والإحسان والبذل، بل وقد وصف الله تعالى الأنصار بالإيثار، وكان قيس بن سعد بن عبادة رضي الله عنهما من المؤثرين المعروفين بالجود، حتى

إنه مرض مرة فاستبطأ إخوانه في العيادة فسأل عنهم، فقالوا: إنهم يستحيون مما لك عليهم من الديون، فقال: أخزى الله مالًا يمنع الإخوان من الزيارة، ثم أمر مناديًا ينادي من كان لقيس عليه مال فهو منه في حل، فعاده الناس حتى كسرت عتبة بابه.

فائدة: سوء أدب اليهود مع نبينا صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

كان المسلمون إذا ألقى عليهم النبي ﷺ القرآن يطلبون منه الإعادة حتى يفهموه ويعوه، فكانوا يقولون له: (راعنا يارسول الله) أي ارفق بنا، وكان اليهود يقولونها، أي كلمة (راعنا) ويقصدون معناه في لغتهم المقتضية للسب، (أي لا سمعت دعاء) فقال بعضهم لبعض: كنا نسب محمدًا، وهي اسم فاعل من رعن، أي أنت متصف بالرعونة، فكشف الله عملهم ونهى المسلمين عن قولها، وأمرهم بأن يقولوا: (انظرنا) ثم توعد الله اليهود وجميع الكافرين، فقال: ﴿وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٠٤].

فائدة: عقوبة المُستهزئين بالمسلمين و بالدين

كان بعض المنافقين والكفار واليهود يضحكون من المسلمين وقت سجودهم في الصلاة، وإذا نادى منادي الأذان قالوا: صياح مثل صياح العير، وتضاحكوا، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَٱلْكُفَّارَ أَوْلِيَآءَۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ○ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ٥٧، ٥٨] وقد كان بعض المسلمين

يوادهم قبل نزول الآية، وبين الله تعالى أن هؤلاء المستهزئين قوم لا يعقلون، لأن النداء للصلاة لا يوجب الاستهزاء، وبين تعالى أن من يواد هؤلاء المستهزئين غير مؤمنين، فقال: ﴿إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٥٧] كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة:٥١] وهكذا يجب على المسلم أن يكره الكافرين، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وأن لا يستهزأ بشيء من الدين، فربما حبط عمله بسبب ذلك، قال تعالى عن المستهزئين بالمسلمين: ﴿لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٦].

فائدة: الصبر والرضا بالقضاء والقدر

قال الله تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢١٦].

فالمكروه قد يأتي بالمحبوب، والمحبوب قد يأتي بالمكروه، والله يعلم ونحن لا نعلم، ولن يغلب عسر يسرين، وعلى المسلم امتثال أمر الله والرضا به، فالعواقب حميدة واليسر بعد العسر، عن صهيب رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له» [مسلم:٢٩٩٩].

فالعاقل يوطن نفسه على الصبر والرضا بالقضاء والقدر، والنظر إلى نعم الله تعالى، والتفويض لأمره وما يختاره، فالاختيار لله

وحده، فلا يختار إلا ما اختاره له مولاه، فالقدر حاصل، رضي المرء أو سخط فعليه الاستسلام، قال تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت:٢] وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُمۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُواْ﴾ [البقرة:٢١٤] وقال: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُواْ﴾ [النحل:١١٠] وقال: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ﴾ [الكهف:٧] وقال: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨] وقال: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٢] وقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾ [الروم:٦٠] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤].

فائدة: كل نفس بما كسبت رهينة

قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓۗ﴾ [فاطر:١٨] فكل يحاسب على عمله، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبِعُواْ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَيْءٍۖ﴾ [العنكبوت:١٢] وقال: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ○ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ○ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ○ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس:٣٤-٣٧] فلا يحمل أحد عن أحد إثمه، ولا تحمل حاملة حمل أخرى، ولا يحمل الله نفسًا حملًا لنفس أخرى، فهو العادل الذي لا يظلم أحدًا، فمن عمل صالحًا فلنفسه، ومن أساء فعليها.

فائدة: من لم يدخل جنة الدنيا لا يدخل جنة الآخرة

من كانت جنة الدنيا مأواه - وهي معرفة الله ومحبته والأنس به والشوق إلى لقائه والفرح به والرضا عنه - دخل جنة الآخرة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] أي في الدنيا ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل:٩٧] أي في الآخرة، وقال تعالى: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ○ كَلَّآ ۖ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ﴾ [المعارج:٣٨،٣٩] قال ابن القيم رحمه الله: (من لم يدخل جنة الدنيا لا يدخل جنة الآخرة). ولو حصل الإنسان على جميع متاع الدنيا، ولم يدخل الإيمان قلبه فهو في شقاء وألم وحسرة، يلاحقه ذل المعصية ونكد الدنيا، ومن حصل على الإيمان فإنه في سعادة وهناء وطمأنينة، ولو لم يتحصل من أمور الدنيا على شيء.

فائدة: جمال الظاهر والباطن محمود

على المسلم أن يحرص على جمال ظاهره وباطنه، فجمال الظاهر وجمال الباطن محمودان، وهما صفتا مدح، وخبث الباطل وقبح الظاهر مذمومان، وهما صفتا ذم، قال تعالى عن جمال الظاهر والباطن: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان:١١] فالنضرة جمال الظاهر، والسرور جمال الباطن، وقال: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان:٢١] فالثياب والأساور جمال في الظاهر ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ فالطهارة جمال الباطن، وقال: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه:١١٨] فالجوع ذل الباطن قد نفاه الله عنهم، والعري ذل الظاهر وقد نفاه الله عنهم، وقال:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦] فجمع بين اللباسين الظاهر وهو الريش، والباطن وهو التقوى، وقال: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِزِينَةٍ ٱلۡكَوَاكِبِ ○ وَحِفۡظٗا مِّن كُلِّ شَيۡطَٰنٖ مَّارِدٖ﴾ [الصافات:٦،٧] وقال: ﴿وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِۚ﴾ [غافر:٦٤] وقال: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [البقرة:١٩٧] وقال: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ○ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٦،١٠٧] فجمع للمؤمنين بين الجمالين، وللكافرين بين تسوية الظاهر والباطن، وقول امرأة العزيز: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمۡتُنَّنِي فِيهِۖ وَلَقَدۡ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ فَٱسۡتَعۡصَمَۖ﴾ [يوسف:٣٢] ظاهره جمال الخلقة وباطنه جمال العفة، وقال عن قبح الكافرين: ﴿خَٰشِعَةً أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ﴾ [المعارج:٤٤] فوصفهم بخشوع الأبصار وذل الباطن، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذِۭ بَاسِرَةٞ ○ تَظُنُّ أَن يُفۡعَلَ بِهَا فَاقِرَةٞ﴾ [القيامة:٢٤،٢٥] وقوله: ﴿وَتَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۖ﴾ [يونس:٢٧] فالظاهر مرتبط بالباطن قدرًا وشرعًا.

فائدة: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا

قال الله تعالى: ﴿فَبِظُلۡمٖ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمۡنَا عَلَيۡهِمۡ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتۡ لَهُمۡ﴾ [النساء:١٦١] وهذا الظلم الذي سبب لهم تحريم الطيبات، هو صدهم عن سبيل الله، وأخذهم الربا، وأكلهم أموال الناس بالباطل، والكفر، وقتل الأنبياء، وقولهم: قلوبنا غلف ﴿وَقَوۡلِهِمۡ عَلَىٰ مَرۡيَمَ بُهۡتَٰنًا عَظِيمٗا ○ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ﴾ [النساء:١٥٦،١٥٧] ﴿وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ﴾ [النساء:١٥٥] وقولهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌۚ غُلَّتۡ أَيۡدِيهِمۡ

وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ [المائدة:٦٤] وقولهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُ﴾ [آل عمران:١٨١] ونقضهم العهد، وصدهم عن سبيل الله وتحايلهم، هذه الأمور وغيرها كانت سببًا في عقابهم بتحريم الطيبات، فقد حرم الله عليهم كل ذي ظفر، ومن البقر والغنم حرم الله عليهم شحومهما، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيۡنَٰهُم بِبَغۡيِهِمۡ﴾ [[الأنعام:١٤٦] ولما جاء عيسى عليه السلام أحل الله لهم بعض ما حرم عليهم، وأزال الله عنهم الإصر والأغلال، ولما جاء دين محمد ﷺ أباح الله جميع الطيبات، ويسر على خلقه في كل أمر، فهو دين اليسر، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف:٣٢] فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: نور الإيمان

قول الله تعالى: ﴿نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ [النور:٣٥] قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بذلك إيمان العبد وعمله، وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: (المؤمن يتقلب في خمسة من النور: فكلامه نور وعمله نور، ومدخله نور، ومخرجه نور، ومصيره إلى نور يوم القيامة إلى الجنة) وقال السدي: (نور القرآن ونور الإيمان حين اجتمعا فلا يكون واحد منهما إلا بصاحبه) وعن عبدالله ابن عمرو رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلقه في ظلمة ثم ألقى عليهم من نوره يومئذ، فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله عز وجل» [أحمد:٢/١٧٦، ١٩٧، والحاكم:١/ ٣٠، وصححه الألباني في الصحيحة:١٠٧٦] وروي أيضًا عن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما

قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم نورًا من نوره، فمن أصاب من نوره يومئذ اهتدى، ومن أخطأه ضل» [البزار في مسنده رقم:٢١٤٥] ويضرب الله الأمثال للناس، والله بكل شيء عليم، فهو أعلم بمن يستحق الهداية ممن يستحق الإضلال وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «القلوب أربعة: قلب أجرد فيه مثل السراج يزهر، وقلب أغلف مربوط على غلافه، وقلب منكوس، وقلب مصفح، فأما القلب الأجرد فقلب المؤمن، سراجه فيه نوره، وأما القلب الأغلف فقلب الكافر، وأما القلب المنكوس فقلب المنافق، عرف ثم أنكر، وأما القلب المصفح فقلب فيه إيمان ونفاق، ومثل الإيمان فيه كمثل البقلة يمدها الماء الطيب، ومثل النفاق فيه كمثل القُرحة يمدها القيح والدم» [أحمد:٣/ ١٧ وسنده ضعيف].

فائدة: الأمر بالرفق بالحيوان

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام:٣٨] هذه الآية تدل على أن الدواب والطيور أمم مثل الأناسي، لها خصائص وقوام ونظام وحياة وموت وحشر، وهي آية عظيمة تدل على قدرة الله، ولكل واحدة منها حكمة، وتدل على وحدانية الله، قال النبي ﷺ: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء» [مسلم:٢٥٨٢ والترمذي:٢٤٢٠ وأحمد:٢/ ٢٣٥] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: انتطحت شاتان عند رسول الله ﷺ، فقال ياأبا ذر: «أتدري فيم انتطحتا؟» قلت: لا،

قال: «لكن الله يدري، وسيقضي بينهما يوم القيامة» [أحمد: ٥/ ١٦٢ وحسنه محققو المسند] وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٤٤] وفي الآية تنبيه للمسلمين على الرفق بالحيوانات والطيور، والنهي عن الاعتداء عليها وتعذيبها، وفي الحديث الصحيح: أن الله شكر للذي سقى الكلب العطشان [البخاري: ٦٠٠٩]، وأن الله أدخل امرأة النار في هرة حبستها، فلا هي أطعمتها ولا تركتها تأكل من خشاش الأرض [البخاري: ٢٣٦٤، ٧٤٥ ومسلم: ٢٢٤٢].

فائدة: عند الله مفاتيح الخزائن

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ [الحجر: ٢١] فما دامت الخزائن كلها عند الله فلا يطلب أي شيء إلا منه سبحانه، لأن مفاتيح الخزائن عنده ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] تنتهي إليه سبحانه جميع الأمور، فهو غاية كل مطلوب، ومنتهى كل محبوب، وكل محبة ليست لله تعالى أو لأجله فهي محبة باطلة، فليس وراءه غاية تطلب، وليس للإنسان استقرار ولا طمأنينة ولا سعادة ولا سكون إلا بالوصول إليه، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء، فالمرء محتاج إليه فقير، وكل شيء بقدره، فما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، ماضٍ حكمه، عدل قضاؤه، لم يخلق شيئًا عبثًا ولم يتركه سدى، فله الحمد كله والشكر كله، لا نحصي ثناءً عليه.

فائدة: صفات النفس

لنفس الإنسان ثلاث صفات:

١- النفس المطمئنة.

٢- النفس اللوامة.

٣- النفس الأمارة بالسوء.

فالنفس المطمئنة هي التي اطمأنت على الحق وعملت به وانقادت إليه، لا تنازعها شطحات، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ○ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ○ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧-٣٠] فهي مطمئنة إلى ربها بعبوديته ومحبته والإنابة إليه، والتوكل عليه والرضا به، والنفس اللوامة هي التي تلوم صاحبها عند ارتكابه المعصية، وتندم على ما فات من العمل الصالح، وقد لا تستقر على حال واحدة، ففيها شيء من التغلب والتردد والتلون، قال تعالى: ﴿وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ﴾ [القيامة:٢] أما النفس الأمارة بالسوء، وهي أخبث النفوس، تأمر بالمنكر وتنهى عن المعروف، وتعصي وتفجر، ولا تلوم صاحبها على ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف:٥٣] قال الإمام ابن قيم الجوزية: (وقد تكون النفس الواحدة تارةً أمارةً، وتارةً لوامةً، وتارةً مطمئنةً في اليوم الواحد والساعة الواحدة) ثم قال: (إن اللوامة نوعان: ملومة، وهي النفس الجاهلية الظالمة التي يلومها الله وملائكته، ولوامة غير ملومة، وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله، واحتملت ملام اللائمين في مرضاته، فلا تأخذها فيه لومة لائم، فهذه قد تخلصت من لوم الله، وأما من رضيت بأعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام، فهي التي يلومها الله عز وجل).

فائدة: قول سادات قريش عن الموالي والضعفاء

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] الاحتقار والحسد والظلم والكبر سببت في قول سادات قريش عن الموالي والفقراء والضعاف ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ﴾ [الأنعام:٥٣] فرد الله تعالى عليهم بقوله: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ وروى البخاري أن الأقرع بن حابس جاء إلى رسول الله ﷺ فقال: إنما بايعك سراق الحجيج من أسلم وغفار ومزينة وجهينة، فقال له رسول الله ﷺ: «أرأيت إن كانت أسلم وغفار ومزينة وجهينة خيرًا من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان، أخابوا وخسروا؟» فقال: نعم، فقال: «فوالذي نفسي بيده إنهم لخير منهم» [البخاري:٣٥١٥، ٣٥١٦، ٦٦٣٥، ومسلم:٢٥٢٢] أي أسلم وغفار ومزينة وجهينة خير من بني تميم وبني عامر وأسد وغطفان.

فائدة: الغرة والاستدراج

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الأنعام:٤٤] وهذا من أعظم الغرة أن تفتح على الإنسان أبواب النعم وهو مقيم على المعاصي، قال تعالى: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ﴾ [الحديد:١٤] والشيطان يغرّ الإنسان حتى يقيم على المعاصي، ويسوف عليه التوبة حتى يأتيه الموت، فيقول المغتر: (هذا لي، ومن كسبي وعقلي وحسن تدبيري) وإذا تولاه الشيطان لا يفلته، إلا أن يتغمده الله برحمته وفضله، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلۡفَضۡلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الحديد:٢٩] والله تعالى

أعلم بالتائبين والشاكرين ومن في قلبه خير وقبول للنعمة، قال تعالى: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] وهم قلة، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] ومن الشاكرين نوح عليه السلام، قال تعالى: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣] وإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ ۚ ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢١] وغيرهما من الأنبياء، وأعظمهم شكرًا نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ [النمل:٤٠] وقال: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢] وقال: ﴿مَا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ﴾ [النساء:١٤٧] وقال سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ﴾ [النمل:٤٠] وقال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۖ﴾ [إبراهيم:٧] وقال: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ﴾ [الزمر:٧] وقال: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤] وقال الله تعالى عن الشيطان: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧] وقال: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة:١٧٢] وقال تعالى: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٤٤] وقال: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾ [لقمان:١٤] وقال: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [آل عمران:١٢٣] اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

فائدة: الأمية معجزة في حق رسول الله ﷺ

قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ

أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [البقرة:٧٨] يبين الله تعالى أن من اليهود أميين، وهي صفة ذم بالنسبة إليهم، لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران:٧٥] يقصدون العرب، قال ابن صياد: (أشهد أنك رسول الأميين) فالأمية تقتضي قلة المعرفة وعدم الكتابة والقراءة، أما بالنسبة للرسول ﷺ فالأمية معجزة له ﷺ، فهو أعلم الناس، مع أنه لا يعرف القراءة ولا الكتابة، وكذا صحابته رضي الله عنهم بلغوا من المعرفة والعلم والإيمان مالم يبلغه غيرهم، مع أن أكثرهم أميون، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] وقال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء:١١٣] وقال سبحانه عن القرآن: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾ [العنكبوت:٤٩] فهم يحفظون القرآن في صدورهم، مع أنهم لا يقرؤون ولا يكتبون، وكم ممن هذه صفته بلغ من العلم الشيء الكثير كابن عباس رضي الله عنهما وعلمائنا أمثال المشايخ: محمد بن إبراهيم وعبدالعزيز بن باز وعبدالله بن حميد وعبدالعزيز بن عبدالله آل الشيخ وغيرهم ممن فقدوا أبصارهم وحسنت بصيرتهم، وقوله: ﴿إِلَّا أَمَانِيَّ﴾ [البقرة:٧٨] أي الاعتقادات التي يحسبها صاحبها حقًا، وليست بحق، من العوائد والأعراف والتقاليد والأكاذيب والتحريفات التي وضعها الأحبار والرهبان، والقراءات بدون فهم ولا فقه، والتمنيات والادعاءات الكاذبة، فهذه صفة بعض بني إسرائيل، أما البعض الآخر منهم فهم كما قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩] فهؤلاء الذين يحرفون التوراة عن عمد، توعدهم الله تعالى بالويل والشر والهلاك والخسران المبين في كسبهم المال الحرام، وخيانة الأمانة التي ائتمنهم الله عليها، وأمرهم بإبلاغها للناس، والخداع والتحريف في كتبهم بالزيادة أو النقصان، ولهذا نجد التوراة عندهم مختلفة، وكذا الإنجيل، بينما القرآن الذي حفظه الأميون من المسلمين بصدورهم لم يُزَد فيه حرف واحد ولم يُنْقَصْ منه شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] فقد تكفل الله بحفظه، أما الكتب السابقة فقد أمر الله أهلها بحفظها وإبلاغها للناس، فحرفها فريق منهم وزادوا ونقصوا وكتموا واشتروا بها ثمنًا قليلًا.

فائدة: عصيان بني إسرائيل وتكذيبهم لرسلهم

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًاۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ﴾ [المائدة:٧٠] هذه الآية بينت صفات بني إسرائيل في عصيانهم وتكذيبهم وقتلهم لرسلهم، وتدل على أنه لا يحق لمسلم أن يتبع هواه، وأن من الواجب اتباع الرسول ﷺ والعلماء والدعاة، وأن الأمم إذا رامت حمل علمائها ودعاتها وحكامها ونصحائها وهداتها على مسايرة الأهواء والشهوات والأراء فقد حق عليهم الخسران، كما حق على بني إسرائيل، حيث إن ذلك قلب للحقائق ومحاولة انقلاب التابع متبوعًا والقائد مقودًا، وهذا من الفتن العظيمة، كما قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿وَحَسِبُوٓاْ أَلَّا تَكُونَ فِتْنَةٌ فَعَمُواْ وَصَمُّواْ﴾ [المائدة:٧١].

فائدة: الأمر بكل الخيرات والنهي عن كل الشرور

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ﴾ [النحل:٩٠] وقال: ﴿قُلۡ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلۡفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنۡهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلۡإِثۡمَ وَٱلۡبَغۡيَ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَأَن تُشۡرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] وقال: ﴿قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ﴾ [الأعراف:٢٨] وقال: ﴿قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾ [الأعراف:٢٩] وقال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧].

فالعقل السليم يعلم أن كل ما حرم فهو مستقذر، وكل ما أبيح فهو طيب، قيل لأعرابي: لم أسلمت؟ قال: (ما أمر الرسول ﷺ بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به، ولا أحل شيئًا فقال العقل: ليته حرمه، ولا حرم شيئًا فقال العقل: ليته أباحه، قال تعالى: ﴿أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [البقرة:٧٦] وقال: ﴿لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنعام:١٥١] وقال: ﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] وكم ضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٦٦].

فائدة: من لم يتبع محمداً ﷺ فلا دين له

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡۗ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗاۚ فَلَا تَأۡسَ عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٨] هذه الآية

تبين أن اليهود والنصارى لم يقيموا التوراة والإنجيل، ولو أقاموهما لأمنوا بمحمد ﷺ، فقد أعرض النصارى عن بشارات الإنجيل بمجيء الرسول محمد بعد عيسى عليهما السلام، وأما اليهود فإنهم لم يقيموا الأحكام التي لم تنسخ من التوراة، ولم يؤمنوا بالإنجيل، ولم يصدقوا الرسول ﷺ المبشر به في كتبهم، وكلا اليهود والنصارى كفار، حسدوا المسلمين لما نزل القرآن الكريم ناسخًا لدينهم، أما قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٦٢] فهذه الآية المقصود منها من كان قبل بعثة رسول العالمين محمد بن عبدالله ﷺ، أما الذين آمنوا فالمقصود بها المؤمنون بالله وبمحمد ﷺ وما جاء به، أما من جعل عزيرًا ابن الله أو عيسى إلهه وعبده، أو عبد الكواكب من الصابئة، أو قال: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨] أو قال: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾ [البقرة:٨٠] كاليهود، أو قال: إن عيسى عليه السلام قد كفر خطايا البشر فعطلوا الجزاء وعطلوا الحكمة، أو عبدوا الكواكب، فهؤلاء كلهم كفار، إلا من آمن بمحمد ﷺ واتبع شريعته كعبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال تعالى: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] وقال: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٦،١٥٧] فمن لم يتبع الرسول النبي الأمي ﷺ

فليس له حظ من دين صحيح.

فائدة: ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [البقرة:١٣٠] ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١] وفي هذا إشارة إلى أن الدين عند الله الإسلام، وأنه لا يقبل من أحد سواه، وأن من رغب عن الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ، والذي هو ملة إبراهيم عليه السلام سفيه، أرعن الرأي، سخيف العقل خفيفه، فقد أمر الله أن نتبع ملة إبراهيم عليه السلام حنيفًا، أما ملة اليهود والنصارى فقد نهينا عن اتباعها، قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ﴾ [البقرة:١٢٠] وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ﴾ [النحل:١٢٣] وقد قال إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام من قبل: ﴿رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] وقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ ۖ يَٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] وقال: ﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١] وقال: ﴿وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا ۖ﴾ [آل عمران:٦٧] فإبراهيم عليه السلام في شبهه مثل محمد ﷺ وفي دينه موافق لدين الإسلام، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ﴾ [آل عمران:١٩] وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] وقال: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ٱلْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ

مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣] وقال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةٗ مُّسۡلِمَةٗ لَّكَ﴾ [البقرة:١٢٨] وقال: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تَهۡتَدُواْۗ قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥] وقال: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦] وقال: ﴿فَإِنۡ ءَامَنُواْ بِمِثۡلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهۡتَدَواْۖ وَّإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّمَا هُمۡ فِي شِقَاقٖۖ فَسَيَكۡفِيكَهُمُ ٱللَّهُۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [البقرة:١٣٧] فصبغة الله الإسلام، قال تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِۖ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة:١٣٨] ولما قال اليهود: إن إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط عليهم السلام كانوا هودًا أو نصارى، قال سبحانه: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠] وقال منكرًا عليهم: ﴿ءَأَنتُمۡ أَعۡلَمُ أَمِ ٱللَّهُۗ﴾ وقال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗاۖ﴾ [آل عمران:٦٧] وقال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمَآ أُنزِلَتِ ٱلتَّوۡرَىٰةُ وَٱلۡإِنجِيلُ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [آل عمران:٦٥] وقال: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة:١٤٠] فالحمد لله على نعمة الإسلام.

فائدة: أسباب وأنواع الشهادة

أسباب الشهادة:

١- المطعون والمبطون والغريق وصاحب الهدم والحريق والشهيد في سبيل الله وصاحب ذي الجنب والمرأة تموت بجمع، ودليل ذلك

ما أخرجه أبو داود وابن ماجة والنسائي وغيرهم بسند صحيح عن جابر بن عتيك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ما تعدون الشهادة؟» قالوا: القتل في سبيل الله عز وجل، قال رسول الله ﷺ: «الشهادة سبع، سوى القتل في سبيل الله: المطعون شهيد، والمبطون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب الهدم شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، وصاحب الحرق شهيد، والمرأة تموت بجمع - أي في بطنها ولد - شهيدة» [النسائي:١٨٤٦ وأبو داود:٣١١١، وابن ماجة:٢٨٠٣ وصححه الألباني].

٢- «التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء» [الترمذي: ١٢٠٩ وابن ماجة:٢١٣٩] وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

٣- من صرع عن دابته شهيد، ودليله ما صححه الألباني في السلسلة الصحيحة ٥/٤٥٦ عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من صرع عن دابته فمات فهو شهيد» [الطبراني في الكبير:١٩/ ١٦٠].

٤- عن جابر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله» [الحاكم في المستدرك:٣/ ١٩٥، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وذكره الألباني في السلسلة الصحيحة رقم:٣٧٤].

٥- «من مات بالسل شهيد، والنفساء يجرها ولدها بسرره إلى الجنة» [أحمد:٣/ ٤٨٩، ٥/ ٣٢٩ وابن ماجة:١٦٠٩، والطبراني في الكبير:١٨/ ٨٨،٨٧ قال الألباني: إسناده حسن - صحيح الترغيب والترهيب ١٣٩٦].

٦- «الميت من ذات الجنب شهيد» [حديث صحيح أخرجه أحمد في مسنده

١٥٧/٤ وصححه الألباني في الصحيحة ٤٨٧/٥].

٧- من مات بالطعن والطاعون فهو شهيد، لحديث أخرجه أحمد بسند صحيح عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «فَنَاءُ أمتي بالطعن والطاعون» [أحمد:٤/٣٩٥،٤١٧، ٢٥٥/٦ وصحح الألباني قوله ﷺ: «اللهم اجعل فَنَاءَ أمتي بالطعن والطاعون» [صحيح الجامع ١٢٥٨].

٨- «من تردى من رؤوس الجبال وتأكله السباع ويغرق في البحار شهيد عند الله» [أخرجه عبدالرزاق والطبراني في الكبير:٩٧١٨ عن ابن مسعود عن رسول الله ﷺ، وقال الهيثمي في المجمع:٣٠٢/٥ رجاله رجال الصحيح].

٩- «من طلب الشهادة صادقًا أعطيها ولو لم تصبه» [مسلم:١٩٠٨].

١٠- أخرج أصحاب السنن بسند صحيح عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قتل دون ماله فهو شهيد، ومن قتل دون دينه فهو شهيد، ومن قتل دون دمه فهو شهيد، ومن قتل دون أهله فهو شهيد» [الترمذي:١٤٢١، وقال: حديث حسن صحيح، وأبو داود:٤٧٧٢، وابن ماجة:٢٥٨٠، والنسائي:٤٠٩٥، وصححه الألباني].

١١- أخرج أحمد في مسنده:٣٠٥/١ بسند صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ: «من قتل دون مظلمته فهو شهيد» [النسائي:٤٠٩٣ وصححه الألباني]

١٢- أخرج الطبراني والحاكم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «من فصل في سبيل الله فمات أو قتل،

أو وقصته فرسه أو بعيره، أو لدغته هامة، أو مات على فراشه بأي حتف شاء الله، فإنه شهيد، وإن له الجنة» [الطبراني:٣/ ٣٢٠ قال الألباني: حسن، صحيح الجامع رقم ٦٤١٣].

١٣- أخرج أبو داود في سننه ٢٤٩٣ بسند حسن عن أم حرام رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ أنه قال: «المائد في البحر الذي يصيبه القيء له أجر شهيد، والغريق له أجر شهيدين» [صححه الألباني في صحيح الجامع:٢/ ١١٢٨ ورقم٦٦٤٢].

[المرجع كتاب بغية طالب السيادة في شرح إتحاف أهل السعادة بمعرفة أسباب الشهادة، للشيخ محمد بن الشيخ علي بن آدم بن موسى المدرس بدار الحديث بمكة المكرمة، الناشر: مكتبة الأصالة الأثرية]

فائدة: حسدُ أهل الكتاب والمشركين للمؤمنين

بين الله تعالى أن الكافرين من أهل الكتاب والمشركين يكرهون المسلمين، ولا يودون لهم أي خير، ويحسدونهم، فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥] فأهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بمحمد رسول الله ﷺ، ولم يتخذوا شريعة الإسلام دينًا لهم، كلهم كفار، لأن دينهم أمرهم باتباع محمد ﷺ إذا بعث، ولهذا قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ فمن لم يؤمن بمحمد ﷺ فهو كافر، مهما ادعى من دين، وقد حسد هؤلاء المسلمين وودوا لهم الشر، ولم يودوا لهم الخير، ولكن الله ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [البقرة:١٠٥] فالحمد لله على نعمة الإسلام.

فائدة: من وصف الله بغير صفاته فليس بمؤمن

الذي يقول: إنه يؤمن بالله ورسله، وهو يصف الله بصفات غير صفاته من اتخاذ الولد والحلول وتشبيه الله بخلقه أو غير ذلك، فهو في الحقيقة لا يؤمن بالله تعالى، كما أن الذي يقول: إنه يؤمن بمحمد صلوات الله وسلامه عليه، ويكفر بما جاء به من توحيد الله، فهو في الحقيقة لا يؤمن بمحمد ﷺ، ومثله من قال: إنه يعرف فلانًا، فإذا قلت له صفه لي، وصفه بغير صفاته، فهو في الحقيقة لا يعرفه، ومن ينكر صدق بعض الرسل ويصدق بعضًا، فهو من الحقيقة يكذبهم جميعًا، ويكذب الله تعالى، وهو في الواقع يفرق بين الله ورسله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيۡنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤۡمِنُ بِبَعۡضٖ وَنَكۡفُرُ بِبَعۡضٖ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ○ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ﴾ [النساء:١٥٠،١٥١] وقال الله تعالى عن المؤمنين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٦] وقال: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ﴾ [البقرة:٢٨٥].

فائدة: قواعد الإيمان

قال الله تعالى: ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنۡيَٰنَهُم مِّنَ ٱلۡقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّقۡفُ مِن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل:٢٦] وقال: ﴿أَفَمَنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقۡوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٍ خَيۡرٌ أَم مَّنۡ أَسَّسَ بُنۡيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٖ فَٱنۡهَارَ بِهِۦ فِي نَارِ جَهَنَّمَۗ﴾ [التوبة:١٠٩] وإذا كانت القواعد قوية صار البناء قويًا ثابتًا، فقواعد الإيمان العقيدة السليمة القوية التي تحمل البدن على العمل، وتدفع الشهوات والشبهات، وتستطيع تحمل المباني العالية، فعلو البنيان على قدر توثيق الأساس وإحكامه، وإذا كان

الأساس غير قوي لم يرتفع البنيان ولم يثبت، وإذا تهدم شيء من الأساس سقط البنيان كله.

فائدة: الأمر بإصلاح النفس وبذل الجهد في الدعوة إلى الله تعالى

قال الله تعالى عن اليهود: ﴿وَإِذَا جَآءُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَقَد دَّخَلُواْ بِٱلْكُفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُواْ بِهِۦ﴾ [المائدة:٦١] أي أن الإيمان لم يخالط قلوبهم طرفة عين، وإن قالوا: آمنا فهم كاذبون، فهم دخلوا كافرين وخرجوا كافرين لقسوة قلوبهم، يسارعون بالكفر والإثم والفساد والكذب والعدوان والظلم والاعتداء على المسلمين إن استطاعوا، ويأكلون السحت والربا، سماعون للكذب، وأشدهم في ذلك أحبارهم الذين يسكتون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ﴾ [المائدة:٦٣] وهم ﴿إِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ ٱتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا﴾ [المائدة:٥٨] وقد جعل الله منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت، فهم شر الناس وأضل عن سواء السبيل، وقد زادهم ما أنزل إلى محمد ﷺ طغيانًا وكفرًا، وألقى الله بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، وهم يوقدون الحرب فيطفئها الله، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤].

فائدة: الأمر باصلاح النفس وبذل الجهد في الدعوة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] إذا ظهرت المكابرة وقام الدعاة إلى الله بما افترض عليهم من الدعوة إلى الخير، وبذلوا جهدهم، وقاموا بما وسعهم، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر بجميع وسائله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، ومع ذلك ضل الناس

ولم يهتدوا ولم يرعوا، فعند ذلك ﴿عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥] فلا تغتموا ولا تحزنوا ولا تأسفوا على عدم قبول الضالين للاهتداء، فليس ذلك تقصيرًا منكم بالدعوة، لا يضرونكم إذا اهتديتم، فأنتم لم تقصروا في دعوتهم إلى الخير ونهيهم عن الشر، فالإثم عليهم، وليست هذه الآية رخصة في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال ﷺ: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيتم شحًا مطاعًا، وهوىً متبعًا، ودنيًا مؤثرةً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، فعليك بخاصة نفسك، ودع عنك العوام» [الترمذي:٣٠٥٨ وأبو داود:٤٣٤١، وضعفه الألباني إلا جملة: "فإن ورائكم..." فإنها ثابتة] وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أيها الناس إنكم تقرؤون هذه الآية وأنكم تضعونها في غير موضعها، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس إذا رأوا المنكر ولم يغيروه، يوشك أن يعمهم الله بعذاب من عنده» [الترمذي:٢١٦٨، وأبو داود:٤٣٣٨ وابن ماجة:٤٠٠٥، وصححه الألباني].

فائدة: دلائل النبوة

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء:١٧٤] البرهان هو الحجة الواضحة، والمراد هنا دلائل النبوة، أما النور المبين فهو القرآن الكريم الواضح، قال الله تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [النساء:١٧٠] وقال: ﴿هَذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ﴾ [إبراهيم:٥٢] وقال: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

فائدة: عاقبة موالاة الكفار

(الأضرار التي تصيب من يتولى اليهود والنصارى والكفار أجمعين كثيرة منها:)

١- أنه يكون منهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

٢- الندم في المستقبل، قال تعالى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ﴾ [المائدة: ٥٢].

٣- إحباط العمل، قال الله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [المائدة: ٥٣] وقال: ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

٤- الخسران، قال تعالى: ﴿فَأَصْبَحُوا۟ خَٰسِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٣].

٥- الدخول في ملتهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ [المائدة: ٥١].

٦- النفاق ومرض القلب، قال تعالى: ﴿فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥٢].

٧- الخلود في النار لمن تولاهم بمعتقدهم ودينهم فهو منهم في الكفر والخلود في النار.

٨- أن من تولاهم يكون مثلهم في المقت والمذمة.

٩- أن من تولاهم مثلهم في استحقاق العذاب والضلال العظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المائدة: ٥١].

١٠- أن من أعانهم فهو معين على معصية الله تعالى ورسوله ﷺ.

١١- أن من تولاهم يسارع فيهم وفي نصرتهم، قال تعالى: ﴿فَتَرَى

﴿ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾ [المائدة: ٥٢].

١٢- سوء الظن بالله لكل من والى الكفار خوفًا من الدائرة وقلة الثقة بنصره للمؤمنين.

١٣- الردة عن الإسلام، فإن موالاة الكفار ذريعة للردة عن الإسلام، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤].

فائدة: صفات جبريل عليه السلام

إنه رسول الله الكريم مبلِّغ عن الله كلامه سبحانه الذي سمعه منه، وأنه قوي مكين عند ربه، وأنه مطاع في السموات، وأمين، وأنه جميل المنظر بهي الطلعة، كثير الخير طيب معلم، أجرى الله تعالى عليه الخيرات في الأرض من الهدى والعلم والإيمان والبر، قال تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] يهرب منه الشيطان ويخافه، وقال عنه: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦] وقد رأه الرسول ﷺ على صورته له جناحان قد سدا الأفق عليه السلام.

فائدة: اسباب لعن بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ○ كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المائدة: ٧٨، ٧٩] يبين الله تعالى أن من أسباب لعنهم عدم أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ولم ينج منهم من العذاب إلا من قال

الله تعالى عنهم: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ﴾ [الأعراف:١٦٥] أما الواقعون في المعاصي والذين خالطوهم ولم ينهوهم عن السوء، والذين اعتزلوا في الصوامع فقد نزل العذاب عليهم، قال الرسول ﷺ: «كان الرجل من بني إسرائيل يلقى الرجل إذا رآه على الذنب فيقول: ياهذا اتق الله ودع ما تصنع، ثم يلقاه من الغد، فلا يمنعه ذلك أن يكون أكيله وخليطه وشريكه، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم ببعض، ولعنهم على لسان داود وعيسى ابن مريم» ثم قرأ الآية الآنفة، ثم قال: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرًا، أو ليضربن الله قلوب بعضكم على بعض، أو ليلعنكم كما لعنهم» [الترمذي:٣٠٤٨ أبو داود: ٤٣٣٦ وابن ماجة:٤٠٠٦، وأحمد:١/ ٣٩١ وضعفه الألباني].

فائدة: أدب المحاورة

قال تعالى: ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [سبأ:٢٥] وقال مؤمن آل فرعون: ﴿وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَـٰدِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ﴾ [غافر:٢٨] وهذا من أدب المحاورة، حيث بين أنكم لا تسألون عن جرمنا، ولا نسأل عن عملكم، والرسول ﷺ وصحابته لم يجرموا، وكذا موسى عليه السلام لم يك كاذبًا، وقال: ﴿يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ﴾ وسوف يصيبهم كل الذي يعدهم، وهذا تنازل منه وأدب.

فائدة: بعض ما كان يكتبه الإمام أحمد من الرقى عند عسر الولادة

قال الإمام ابن القيم في زاد المعاد الجزء ٣ صفحة (٣٨١):

(قال الخلال: حدثني عبدالله بن أحمد قال: رأيت أبي يكتب للمرأة إذا عسر عليه ولادتها في جام أبيض أو شيء نظيف، يكتب حديث ابن عباس رضي الله عنهما: لا إله إلا الله الحليم الكريم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين، كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغ، كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها. قال الخلال: أنبأنا أبو بكر المروزي: أن أبا عبدالله جاءه رجل فقال: يا أبا عبدالله تكتب لامرأة قد عسرت عليها ولادتها منذ يومين، فقال: قل له يجيء بجام واسع وزعفران، ورأيته يكتب لغير واحد.

فائدة: التقرب إلى الله بالعمل الصالح

البلوغ إلى الله تعالى يكون بالوسيلة إليه، والوسيلة هي ما يقرب العبد من الله بالعمل بأوامره واجتناب نواهيه، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [المائدة:٣٥] وفي الحديث القدسي: «ما تقرب إليَّ عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، ولئن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه» [البخاري:٦٥٠٢ وأحمد:٦/٢٥٦ والبيهقي في الكبرى:٣/ ٣٤٦، ١٠/ ٢١٩].

فائدة: وقوف العبد بين يدي الله عز وجل

للعبد بين يدي الله موقفان:

الموقف الأول في الصلاة. والثاني بين يدي الله يوم القيامة.

فمن قام بحق الموقف الأول في خشوعه بالصلاة هون عليه الموقف الثاني بين يدي الله يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء:٧٩] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ○ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان:٢٦، ٢٧].

فائدة: موت القلوب أعظم من موت الأبدان

موت القلوب أعظم من موت الأبدان، وحياة القلوب تكون بالوحي، قال تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر:١٥] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢] وقال: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ﴾ [الأنعام:١٢٢] وقال: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ [يس:٧٠] وقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَلَا تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَ﴾ [النمل:٨٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسۡمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسۡمِعٖ مَّن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [فاطر:٢٢] ومن فقد الروح فقد فقد الحياة النافعة في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا حياته حياة البهائم، وفي الآخرة النار لا يموت فيها ولا يحيى، أما الحياة الطيبة فللمؤمنين الصادقين، قال تعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗۖ﴾ [النحل:٩٧] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال:٢٤].

فائدة: العين حق

العين حق، قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] فالعائن حاسد، والعين سهام تخرج من نفس الحاسد نحو المحسود، وأصله من إعجاب العائن بالشيء وخبث نفسه، وعلاجه

الرقية الصالحة، قال ﷺ: «لا رقية إلا في نفس أو حمة أو لدغة» [أحمد:٣/٤٨٦، والحاكم:٤/٤١٣ وأبو داود:٣٨٨٨ والنسائي في الكبرى:١٠٨٧٣ وقال عنه محققو المسند: صحيح لغيره] ومن الرقى قول: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» [مسلم:٢٧٠٨، ٢٧٠٩] وقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه، ومن شر عباده، ومن همزات الشياطين أن يحضرون» [أبو داود:٣٨٩٣، والترمذي:٣٥٢٨، وأحمد:٦/٦ وحسنه الألباني] ومنها «اللهم إني أعوذ بوجهك الكريم وكلماتك التامات من شر ما أنت آخذ بناصيته، اللهم تكشف المأثم والمغرم، اللهم إنه لا يهزم جندك ولا يخلف وعدك، سبحانك وبحمدك» [أبو داود:٥٠٥٢ ضعفه الألباني].

ومنها «أعوذ بوجه الله العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وبكلماته التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر كل ذي شر، لا أطيق شره، ومن شر كل ذي شر أنت آخذ بناصيته، إن ربي على صراط مستقيم».

ومنها: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، عليك توكلت، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، أعلم أن الله على كل شيء قدير، وأن الله قد أحاط بكل شيء علمًا، وأحصى كل شيء عددًا، اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي، ومن شر كل دابة أنت ربي آخذ بناصيتها، إن ربي على صراط مستقيم» [ابن السني في عمل اليوم والليلة:٥٧ في إسناده الأغلب بن تميم وهو منكر الحديث].

ومنها: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا

فاجر من شر ما خلق وذرأ وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ذرأ في الأرض، ومن شر ما يخرج منها ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقًا يطرق بخير يارحمن» [أحمد: ٣/ ٤١٩ وضعفه محققو المسند].

فائدة: أعظم قسم أقسم الله به

أعظم قسم أقسم الله به قوله تعالى في سورة الحاقة: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ○ وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ○ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ [الحاقة: ٣٨-٤٠] فهذا القسم يعم المخلوقات كلها العلويات والسفليات، والدنيا والآخرة، وما يرى وما لا يرى، والملائكة والجن والإنس والعرش والكرسي، ويدل على صدق القرآن، وأنه حق من الله تعالى، قال سبحانه: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] فهذا القرآن كلام المرسِل سبحانه، والرسول مرسل به، وليس من قول البشر، كما قال تعالى لمن زعم: ﴿إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا قَوۡلُ ٱلۡبَشَرِ ○ سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ﴾ [المدثر: ٢٥، ٢٦] فمن زعم أن هذا القرآن من قول البشر فهو كافر، قال تعالى: ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل: ١٠٢] وقال: ﴿تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١] وقال: ﴿تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤٢] وما كان من الله فهو غير مخلوق، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

فائدة: قساوة قلوب اليهود

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾

[البقرة:٧٤] يبين الله تعالى أن قلوب اليهود قست بعد أن رفضوا الآيات العظام، وتعنتوا وعصوا، واستهزؤوا بأنبيائهم وآذوهم، حتى صارت قلوبهم مثل الحجارة في القسوة، بل إن الحجارة أقل قسوة من قلوبهم، لأن منها ما يتفجر منه الأنهار، ومنها ما يشقق فيخرج منه الماء، ومنها ما يهبط من خشية الله، فهي تمتثل لأمر الله وهم لا يمتثلون، فالحجارة يخرج منها الماء بأمره تعالى، وتهبط ساجدة هابطة مطيعة له سبحانه، وهم عصاة قاسية قلوبهم، معاندون، ليس فيهم شيء من الخير ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان:٤٤] فلا تطمعوا أن يؤمنوا بهذا الدين الإسلامي الواضح، فقد غضب الله عليهم ولعنهم، لأنهم يحرفونه بعدما عقلوه وعلموه، قال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا۟ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٧٥] وقد توارثوا هذه الصفات القبيحة فصارت طبعًا لهم ﴿وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾ [نوح:٢٧] خاصة علماؤهم وأحبارهم الذين أخذ منهم العامة أسوء الأخلاق وأقبح الآداب، وما زال اليهود إلى اليوم على هذه الصفات السيئة لانتكاس قلوبهم وغضب الله عليهم ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة:٧] لأنهم يعرفون الحق ويجحدونه، ويحرفون الكلم عن مواضعه، ويحتالون ولا يفون بالعهد، وهم والمشركون أشد الناس عداوة للذين آمنوا، قال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟﴾ [المائدة:٨٢] وقد لعنهم الله على لسان داود وعيسى ابن مريم عليهما السلام ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾.

فائدة: الوفاء بالعقود

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١] يجب الوفاء بالعقود إلا عقدًا أحل حرامًا أو حرم حلالًا، فيجب الوفاء بعقود البيع والإجارة والنكاح وعقود الصلح والمهادنة في الحرب والتعاقد على نصر المظلوم وغير ذلك، وفي الحديث «أوفوا بحلف الجاهلية» الترمذي:١٥٨٥، وحسنه الألباني] وروي أن فرات بن حيان العجلي رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن حلف الجاهلية، فقال: «لعلك تسأل عن حلف لخم وتيم» قال نعم، قال: «لا يزيده الإسلام إلا شدة» [الطبراني في الكبير:١٨/ ٣٢٢، قال الهيثمي في المجمع:٨/ ١٧٣: ورجاله وثقوا وفي بعضهم ضعف] والوفاء بالعقود من صفات العرب، بخلاف اليهود المعروفين بنقض العقود والعهود.

فائدة: جزاء المتقين المتوكلين على الله تعالى

الطمأنينة لمن اتقى الله تعالى وتوكل عليه، وقال: حسبنا الله ونعم الوكيل عند كل مصيبة، وكذا المخرج من كل شر والرزق يكونان بذلك، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ○ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢،٣] وقال: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:٣] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطلاق:٥] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق:٤] وقال: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٨٤] وقال: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال:٢] فلا إيمان لمن ليس عنده توكل على الله، لقوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣].

فائدة: بركة القرآن المجيد

القرآن المجيد مبارك، فيه الخيرات العظيمة، وجعلت البركة في ألفاظه ومعانيه، وفي متأمله وحافظه، ولقارئه الأجر العظيم، فالحرف الواحد لقارئه عشر حسنات، وبركاته كثيرة في الدنيا والآخرة، فيه كمال النفس وطهارتها وعلمها، وفيه عز الدنيا وسعادة الآخرة، وهو مصدق للكتب التي قبله ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة:٩٧] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ﴾ [الزمر:٣٣] وقال: ﴿فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [البقرة:٩٧] وقال: ﴿مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ﴾ [الصف:٦] قال الله تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام:٩٢] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء:٩].

فائدة: العقل ملك الجوارح

لقد مدح الله العقل وأهله، وذم من لا عقل له، وأخبر أنهم أصحاب النار الذين لا سمع لهم ولا عقل، فبالعقل واتباع النقل يصل الإنسان إلى أعلى الدرجات، فالعقل ملك الجوارح، قال ابن القيم رحمه الله: (العقل عقلان: عقل غريزة، وهو أب العلم ومربيه ومثمره، وعقل مكتسب مستفاد، وهو ولد العلم وثمرته، فإذا اجتمعا في العبد فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء) وفضَّل - رحمه الله - العقل المكتسب، لأن صاحب العقل الغريزي الذي لا علم ولا تجربة عنده آفته التي يؤتى منها الإحجام وترك انتهاز الفرصة، لأنه عقل يعقله عن انتهاز الفرصة لعدم علمه بها، وصاحب العقل المكتسب يؤتى من

الإقدام، فإن علمه بالفرص وطرقها يلقيه على المبادرة إليها، وعقله الغريزي لا يطيق رده عنها، فهو غالبًا يؤتى من إقدامه، والأول من إحجامه، فإذا رزق العقل الغريزي عقلًا إيمانيًا مستفادًا من مشكاة النبوة، لا عقلًا معيشيًا نفاقيًا يظن أربابه أنهم على شيء، ألا إنهم الكاذبون، فإنهم يرون العقل أن يرضوا الناس على طبقاتهم ويسالموهم ويستجلبوا مودتهم ومحبتهم، وهذا مع أنه لا سبيل إليه فهو إيثار للراحة والدعة ومؤنة الأذى في الله والموالاة فيه والمعاداة فيه، وهو وإن كان أسلم عاجلة فهو الهالك من الآجلة، فإنه ما ذاق طعم الإيمان من لم يوال في الله ويعاد فيه، فالعقل كل العقل ما أوصل إلى رضا الله ورسوله ﷺ) انتهى كلامه.

فائدة: الله أعلم بمن يستحق العطاء

الله تعالى أعلم حيث يعطي وحيث يمنع، فهو يعطي من يصلحه العطاء ومن يستحق العطاء، ويمنع بإرادته سبحانه لحكمته وعلمه، فهو أعلم بمن يعطيه الرسالة، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ﴾ [الأنعام:١٢٤] وأعلم بالشاكرين الذين يستحقون قبول الحق، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۗ أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام:٥٣] وقال: ﴿وَكُنَّا بِكُلِّ شَيۡءٍ عَٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨١] ذكرها بعد تخصيص سليمان عليه السلام بتسخير الريح له، وتخصيص أرض الشام بالبركة، قال تعالى: ﴿وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦٓ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ٱلَّتِي بَٰرَكۡنَا فِيهَاۚ﴾ [الأنبياء:٨١] وقال تعالى عن الكعبة وجعلها قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلۡكَعۡبَةَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ قِيَٰمٗا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ

وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ذَٰلِكَ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٩٧] وقال: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓاْ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ [الفتح:٢٦].

فائدة: افتراء اليهود والنصارى على الله

كان اليهود يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة:١٨] ويقولون: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ﴾ [البقرة:١١١] فرد الله عليهم زعمهم وتحداهم بقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ○ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٩٤، ٩٥] فإن كانوا يزعمون أنهم أحباء الله، وأن الدار الآخرة لهم، وأن الجنة لا يدخلها إلا اليهود والنصارى، فليتمنوا الموت، ولا شك أنهم لن يتمنوه أبدًا بما قدمت أيديهم، وأنهم أحرص الناس على حياة، وأين هم من عبدالله بن رواحة رضي الله عنه عند خروجه إلى غزوة مؤتة حين قال:

لكنني أسأل الرحمنَ مغفرةً
وضربةً ذات فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدا

أو طَعْنَةً بيَدَي حرَّانَ مُجْهِزةً
بِحَرْبَةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدا

حتى يقولوا إذا مروا على جَدَثي
ياأرشد الله من غازٍ وَقَدْ رَشَدَا

[أسد الغابة رقم:٢٩٤٣، الاستيعاب، رقم:١٥٤٨، وسيرة ابن هشام، غزوة مؤتة]

وأين هم من عمير بن الحمام رضي الله عنه إذ يقول:

يـاحـبـذ الـجـنـةُ واقـتـرابُـهـا
طـيـبـةٌ وبـاردٌ شـرابُـهـا

وأين هم من قول خباب بن الأرت رضي الله عنه:

ولستُ أبالي حين أُقْتَلُ مسلمًا
عَلَى أَيِّ جَنْبٍ كان في اللهِ مَصْرَعِي

[البخاري:٣٠٤٥، ٣٩٨٩]

إن اليهود والمشركين هم أحرص الناس على حياة، كما قال تعالى: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِۦ مِنَ ٱلْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة:٩٦].

فائدة: تدبر القرآن

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢] وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص:٢٩] تدل هذه الآية على أن الذي لا يتدبر القرآن ولا يتذكر ليس من أولي العقول، وأن القرآن مبارك لمن تدبره وتذكره، قال تعالى: ﴿يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [يونس:٥] فالعبرة تذكر القرآن وتدبره، قال تعالى: ﴿صٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ [ص:١] وهو مبارك كثير الخير، ولا بركة أعظم من الإرشاد للخير، وصرف الناس عن الشر.

فائدة: استعاذة العرب في الجاهلية

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ

﴿فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن:٦] كان العرب في الجاهلية إذا سافر أحدهم فأمسى في أرض قفر قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فيبيت في أمن وجوار منهم حتى يصبح، أي فزاد الإنس الجن باستعاذتهم بسادتهم رهقًا، أي طغيانًا وإثمًا وشرًا، يقولون: سدنا الإنس والجن، فيتعاظمون ويتكبرون، ولما جاء الإسلام استعاذ الرسول ﷺ بقوله: «أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق» [مسلم:٢٧٠٨، ٢٧٠٩] وهذا يدل على أن كلام الله (القرآن) يجوز الاستعاذة به، وأنه غير مخلوق، لأنه ﷺ لا يستعيذ بمخلوق أبدًا، ثم نزلت السورتان: قل أعوذ برب الفلق، وقل أعوذ برب الناس، فأخذ بهما الرسول ﷺ، ونظيره الاستعاذة بصفات الله تعالى - وهي كلها غير مخلوقة - قول النبي ﷺ: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك» [مسلم:٤٨٦، وأبو داود:٨٧٩ والترمذي:٣٤٩٣ وغيرهم] فرضاه وعفوه صفة من صفاته غير مخلوقة، والقرآن كلام الله منزل غير مخلوق.

فائدة: عداوة اليهود والمشركين للمسلمين

قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ﴾ [المائدة:٨٢].

عداوة اليهود والمشركين للمسلمين نابعة من حسدهم عليهم، فاليهود حسدوا المسلمين لمجيء النبوة من غيرهم، والمشركون حسدوا لسبق المسلمين بالاهتداء إلى الدين الحق، ونبذ الباطل وتعصبهم لدين الأجداد، وأقرب الناس للمسلمين من الفرق المخالفة للإسلام: النصارى، وبين الطرفين تفاوت في البغض، مثل المجوس

والصابئة والمعطلة وغيرهم، والمراد - والله أعلم - بالنصارى الباقون على دين النصرانية، لقوله تعالى: ﴿أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ فأما من آمن من النصارى فقد صار من المسلمين، وقد أثَّر على النصارى من كان بينهم من الرهبان والقسيسين المنقطعين للعبادة وأهل الصوامع لحسن أخلاقهم وتواضعهم وتسامحهم وعدم تكبرهم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة:٨٢] وكان منهم ورقة بن نوفل وزهير ولبيد الذي أسلم، ومن الذين أسلموا، منهم بحيرا الراهب وإدريس وأشرف وثمامة وقثم ودريد وأيمن وكثير من أهل الحبشة كالنجاشي، وفيهم من الخشوع ما قال الله تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة:٨٣] أما ورقة بن نوفل فكان يقول قبل موته: (ياليتني فيها جزع إذ يخرجك قومك) [البخاري:٣].

فائدة: الكلم الطيب والعمل الصا لح يرفعه

قال الله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر:١٠] الكلام الطيب كالذكر والدعاء والاستغفار، وكذا العمل الصالح الخالص من الشرك والرياء ومن البدع وغيرها، يرفعه الله إليه، ويضاعف حسناته، أما العمل والكلم المشوب بالشرك كأعمال المشركين من كسوة العاري وإطعام الجائع المقرون بالشرك بالله وأقوالهم، فلا يتقبله الله، ولا يفيد صاحبه، قال النبي ﷺ: «من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب - ولا يقبل الله إلا الطيب - وإن الله يتقبلها بيمينه، ثم يربيها لصاحبه، كما يربي أحدكم فلوه، حتى تكون مثل الجبل» [البخاري:١٤١٠، ومسلم:١٠١٤، والترمذي:٦٦١،

والنسائي: ٢٥٢٥، وأحمد: ٢/ ٣٣١].

فائدة: المنة لله في توفيق العبد للعمل الصالح

قال الله تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧] وقال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] وقال رسول الله ﷺ: «لن يُدْخل أحدًا عملهُ الجنة» [البخاري: ٥٦٧٣ ومسلم: ٢٨١٦] وفي لفظ: «لن ينجي أحدًا منكم عملهُ» [البخاري: ٦٤٦٣، ومسلم: ٢٨١٦] فالأعمال الصالحة التي يعملها الإنسان من توفيق الله وفضله وكرمه وجوده وإحسانه ورحمته ومنه وصدقته على عبده وإعانته، فهو الذي هداه إليها وحببها له، وزينها في قلبه، وكره إليه الكفر والعصيان، وليست ثمنًا لفضله وجزائه وثوابه، ولا تفي بشكره على نعمه، فلو عذب الله أهل السموات والأرضين لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ورحمته خير من أعمالهم، فكل الخلق بمنته وكرمه وجوده وإحسانه يتقلبون بتلك النعم بدون عوض منهم، فهو الذي وفقهم للأسباب، ووفقهم للعمل بها، وجازاهم عليها، ﴿وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ٢١٣] أما قول الله تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] فهذا العمل سبب لدخول الجنة، وليس ثمنًا لها، والله سبحانه له المنة في توفيق العبد لعمل الأسباب، وله المنة في ثوابه عليها، وله المنة في خلقه ورزقه، فهو المنان سبحانه.

فائدة: تعنت اليهود في طالباتهم من موسى عليه السلام

من تعنتات اليهود قولهم لموسى عليه السلام: أن ينزل عليهم كتابًا من السماء، وقولهم: ﴿أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [النساء: ١٥٣] والله تعالى

له الحكمة البالغة في إنزال ما طلبوا، أو عدم الاستجابة لهم، وإذا نزلت الآيات التي يطلبها الكفار من الأنبياء فلم يستجيبوا أنزل الله عليهم العذاب الأليم، كما قال تعالى في جواب دعاء عيسى عليه السلام الواقع بعد طلب الحواريين منه إنزال المائدة: ﴿إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:١١٥] وقال: ﴿وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩] وقال: ﴿وَمَا نُرْسِلُ بِٱلْـَٔايَٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩] وقد أنزل الله تعالى آيات كثيرة على اليهود فكفروا بها، فرفع الطور، وأمر بقتال أهل أريحا، ودخولهم الباب سجدًا، وأخذ العهد عليهم فنقضوا العهد، كما قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ○ وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ○ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾ [النساء:١٥٥-١٥٧].

فائدة: نفقة الأم على الأب في الحمل والإرضاع

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة:٢٣٣] قوله تعالى: ﴿المولود له﴾ يعم الوالد وسيد العبد، ويبين أن الولد لأبيه، ولهذا يجوز للوالد أن يأخذ من مال ولده، لأن الولد له لا للأم، وإن كانت ولدته حقيقة، وتفيد هذه الآية أن رزق المرتضع على الأب، قال تعالى: ﴿وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [الطلاق:٦] وتفيد أن النفقة على الأب في الحمل والإرضاع معًا، فرزق الحامل رزق للحمل، وكذا تدل الآية على أن رزق الولد بعد فطامه على الأب من باب

الأولى، ولهذا سمي الولد كسبًا للأب، كما قال ﷺ: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وإن ولده من كسبه» [النسائي:٤٤٥٢، وابن ماجه:٢١٣٧، وأحمد:٦/ ٣١، ٤٢ والترمذي:١٣٥٨ وصححه الألباني].

فائدة: العزة الحقيقية بالدين والتقوى

العزة الحقيقية ليست بالمال ولا بالنسب ولا بالجاه ولا بالجمال، ولا بغير ذلك من الأمور الدنيوية، وإنما العزة الحقيقية هي في الدين والتقوى، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر:١٠] أما العزة التي يزعمونها ويتشبثون بها، فإنها مثل خيط العنكبوت، واهية بالية منتهية كالسراب، وعزة الله هي لأوليائه وحزبه دائمة، وعزتهم يعقبها ذل.

فائدة: من عرف نفسه عرف ربهُ

قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ○ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ○ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ○ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ○ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ○ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ○ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧-٢٣] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ○ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار:٦،٧] وقيل: (من عرف نفسه عرف ربه).

فاعرف نفسك أيها المسكين بالجهل والظلم والعيب والفقر والذل والمسكنة والطغيان والعجلة، وأنك خلقت من نطفة، وخرجت من سبيل يسره الله لك، وكنت طفلًا لا تفقه شيئًا، ولا تمنع عن نفسك أي عدو، وستموت وتبعث وتحاسب على كل شيء.

اعرف نفسك قبل أن يأتيك الأجل المحتوم، فتخسر الدنيا والآخرة والأهل والأصحاب ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ

يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزمر: ١٥].

فائدة: التوبة سبب للفوز ومحو الذنوب

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

التائب من الذنب كمن لا ذنب له كما في الحديث [ابن ماجه: ٤٢٥٠، وحسنه الألباني]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: (الصحيح أن من التائبين من لا يعود إلى درجته قبل التوبة، ومنهم من يعود إليها، ومنهم من يعود إلى أعلى منها، فيصير بعد التوبة خيرًا مما كان قبل الذنب، وكان داود عليه السلام بعد التوبة خيرًا منه قبل الخطيئة) وقال أيضًا: (وهذا بحسب حال التائب بعد توبته وجده وعزمه وحذره وتشميره، فإن كان ذلك أعظم مما كان له قبل الذنب عاد خيرًا مما كان وأعلى درجة، وإن كان مثله عاد إلى مثل حاله، وإن كان دونه لم يعد إلى درجته، وكان منحطًا عنها).

وقد مثل لذلك بأمثلة، منها المثل الأول: رجل مسافر في الطريق يمشي بأمان، ويستريح تارة، عرض له مكان جميل وروضة غناء فنزل فيها، فجاء عدو فأخذه وقيده ومنعه عن السير، ثم جاء والده فحل وثاقه، فهرب مسرعًا من عدوه، حاذرًا متيقظًا لا يغفل، قويًا سريعًا خيرًا مما كان منه سابقًا، فوصوله إلى المنزل أسرع.

أما لو غفل عن عدوه وعاد إلى مثل حالته الأولى من غير زيادة ولا نقصان ولا قوة ولا حذر صار معرضًا لما عرض له أولًا، وإن أورثه توانيًا وتذكرًا لطيب مقيله، لم يعد إلى مثل سيره ونقص عما كان.

فائدة: يأس المشركين من ردة المسلمين عن دينهم

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣].

كان المشركون يفرحون إذا نزلت آيات التحريم ظنًا منهم أنها تسبب للمسلمين الردة عن الإسلام، ولما نزلت الآيات التي تحرم الاستقسام بالأزلام، وتحريم ما أهل لغير الله به، وتحريم ما ذبح على النصب، فرحوا ظنًا منهم أن ذلك يصعب على المسلمين، ولا شك أن دين الإسلام بجانب العقيدة شديد، وبجانب الفروع سهل ميسر، عند ذلك يئس الذين كفروا من ردة المسلمين، وفي الحديث «نصرت بالرعب مسيرة شهر» [البخاري:٣٣٥، ومسلم:٥٢١] وقد أمر الله تعالى المؤمنين ألا يخشوا الكفار، وأن يخشوا الله تعالى، فقال: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة:٣] ثم إن هذه الآية الكريمة وما بعدها ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] نزلتا في حجة الوداع على الصحيح، وهذه الآية وما قبلها فيها مجموع العقائد والأعمال والشرائع والنظم وإكمال البيان من الله تعالى وأحكام الاعتقاد وأركان الإسلام التي آخرها الحج، فهذا القرآن تبيان لكل شيء، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ [النحل:٨٩] وقال: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤] وفي الصحيح عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (لعن الله الواشمات والمستوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن، المغيرات خلق الله) [البخاري:٤٨٨٦، ومسلم:٢١٢٥] فبلغ ذلك امرأة من بني أسد، يقال لها أم يعقوب، وكانت تقرأ القرآن، فأتته فقالت:

لعنت كذا وكذا، فأين هذا من القرآن؟! لقد قرأت ما بين لوحي المصحف فما وجدته، فقال: (لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر:٧] [المرجع السابق].

فائدة: الاعتماد على الاسباب شرك

قال الله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف:٥٧] وقال: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:١٠٥] ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الأعراف:٣٩] وقال: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة:٨٥] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق:٢].

الاعتماد على الأسباب شرك، وتركها نقص في العقل وقدح في الشرع، وعلى المسلم أن يفعل الأسباب ويتوكل على الله، ويعتقد أن الأسباب لا تؤثر بنفسها، وإنما بمشيئة الله، قال ﷺ: «احرص على ما ينفعك ولا تعجز» [مسلم:٢٦٦٤] فكم من سبب لم يؤثر، فكما أن النار محرقة، فإنها لم تؤثر في إحراق إبراهيم عليه السلام.

فائدة: من أسباب الطمأنينة الإيمان بالله

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ [الفجر:٢٧،٢٨] السكون وعدم الاضطراب له أسباب، أهمها: الإيمان بالله وذكره واتباع أوامره واجتناب نواهيه، قال ﷺ: «البر ما اطمأن إليه القلب» [أحمد:٤/٤٢٨] وفي الحديث «الصدق طمأنينة، والكذب ريبة» [الترمذي:٢٥١٨ وصححه الألباني].

ومن أسباب الطمأنينة قراءة القرآن بتدبر، ومن أسباب القلق عدم

ذكر الله، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦] وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه:١٢٤] ويقول المعرض عن الذكر: ﴿رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ○ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه:١٢٥،١٢٦] فالأمن والراحة والأنس وسكون القلب والطمأنينة والسعادة بتعلق القلب بالله وذكره، ومن الدعاء المأثور «اللهم هب لي نفسًا مطمئنةً إليك» وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ ۖ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨٢] فالظلم هنا الشرك.

ولا شك أن توحيد الله ومعرفة أسمائه وصفاته ومراقبته من أعظم الأسباب في الطمأنينة، كما أن الإيمان بالقضاء والقدر، وأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، من أعظم الأسباب في ذلك.

فائدة: تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم

يسلي الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ، ويبين له أن الكفار لا يكذبونه، ولكنهم يجحدون بآيات الله ويتكبرون، فيقول سبحانه في سورة الأنعام: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] فهم في الحقيقة يقولون أقوالًا تدل على عدم التصديق بالرسول ﷺ، ولكن قلوبهم مصدقة له، ولا ينفعهم ذلك، ما لم يعلنوا التصديق بألسنتهم، وهذا بسبب جحودهم وتكبرهم وحسدهم، وهكذا الكفار قبل محمد ﷺ يجحدون رسلهم، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] ولما تشاورت قريش في شأن الرسول ﷺ قال النضر بن الحارث: (يامعشر قريش! قد كان محمد فيكم غلامًا أرضاكم فيكم وأصدقكم حديثًا،

حتى إذا رأيتم الشيب في صدغيه قلتم: ساحر، وقلتم: كاهن، وقلتم: شاعر، وقلتم: مجنون، ووالله ما هو بأولئكم) وهكذا كذبت الرسل من قبل محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٤] وفي هذا تسلية للرسول ﷺ، وأمر له بالصبر على أذاهم، ووعد له بالنصر المبين وإهلاك أعدائه، وهذه مشيئة الله تعالى ولو شاء سبحانه لجعل لهم عقولًا يفقهون بها، ولو شاء لهداهم أجمعين، ولو شاء لجعل الناس أمةً واحدةً، ولو شاء ما أشركوا، ولو شاء لجمعهم على الهدى، وليس للرسول شيء من ذلك، قال سبحانه: ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ ٱسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى ٱلْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى ٱلسَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ۚ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام: ٣٥] فهؤلاء معرضون لا يستمعون، ومتكبرون لا يبحثون عن الهداية، ومغرورون بجاههم لا يتواضعون، ومقلدون لآبائهم لا يرعون ﴿إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسْمَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦] وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْاْ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ﴾ [الأعراف: ١٤٦] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

فائدة: الأمر بحفظ الفروج وستر العوارات

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ○ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا

مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ○ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ﴾ [المعارج:٢٩-٣١] في هذه الآيات أمر الله تعالى بحفظ الفرج وستر العورة والتطهر من الخبث، وهذا كله من الأدب، ومن الأدب في الصلاة ألا يرفع المسلم بصره إلى السماء، وأن يكون مطرقًا رأسه خافضًا إلى الأرض، ومن الأدب ألا يستقبل الكعبة عند قضاء الحاجة ولا يستدبرها، ومن الأدب وضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة، ومنه السكون والطمأنينة والاستواء في الركوع، وتعظيم الخالق ومعرفة أسمائه وصفاته وتدبر آياته، وعدم العبث وكثرة الحركة أو تشتت الفكر، فمن حفظ ما بين لحييه وحفظ ما بين فخذيه حفظه الله تعالى، ومن الأدب غض البصر، فإن النظرة المحرمة سهم من سهام إبليس، والإسلام كله آداب، فمن تحلى بآدابه فهو المسلم الحق، وجماع الآداب في الصلاة، قال عبدالله بن المبارك عن ابن لهيعة. حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره، قال: سألنا عقبة بن عامر رضي الله عنه عن قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ دَآئِمُونَ﴾ [المعارج:٢٣] أهم الذين يصلون دائمًا؟ قال: لا، ولكنه من إذا صلى لم يلتفت عن يمينه ولا عن شماله ولا خلفه، وكذا معنى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَاتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المعارج:٣٤] أي بسكون الأطراف والطمأنينة واستماع القراءة، قال تعالى: ﴿أَوۡ أَلۡقَى ٱلسَّمۡعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧] والتأدب ظاهرًا وباطنًا ومراقبة الله والإحسان، ومن الآداب الإسلامية العالية أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ﴾ [الملك:٢] ولم يقل أكثر عملًا. والحياء شعبة من شعب الإيمان، وأدب من آداب الإسلام.

فائدة: تذكر الناس في الآخرة ما كانوا يعملونه في الدنيا

قول الله تعالى: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ○ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾ الآيات [الصافات:٥٠،٥١] تدل الآيات على أن الناس في الآخرة يتذكرون ما كانت لهم من أعمال وأقوال وأفكار مصفاة من الأكدار مدركة للحقائق، قال تعالى: ﴿فِي جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ○ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ○ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ [المدثر:٤٠-٤٢].

فائدة: ابتلاء الله لإبراهيم عليه السلام

ابتلى الله إبراهيم عليه السلام بأمور عديدة فأتمها ووفى بها، فقد كلفه بأوامر فامتثل، ونهاه عن نواهٍ فلم يعملها، وجعله إمامًا وقدوةً يقتدى به، فتلقى الشريعة وفق ما أمره الله، بخلاف اليهود والنصارى، فكما ابتلى الله إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤] فقد ابتلى الله جميع الناس من آدم عليه السلام، حيث قال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة:٣٠] إلى آخر الناس، ومعنى إبراهيم (أب رحيم) وهو رسول عظيم، اتخذه الله خليلًا، ولد في أور الكلدانيين سنة ١٩٩٦ قبل الميلاد، ثم انتقل إلى أرض الكنعانيين بحوران، تزوج سارة وكانت امرأة جميلة، وخرج بها إلى مصر بسبب قحط أصاب أرض حوران، فرام ملك مصر افتكاك سارة، فرأى آيةً صرفته عن مرامه، فأكرمها وأهداها جاريةً مصريةً اسمها (هاجر) أم إسماعيل عليه السلام فذهب بها إلى مكة بأمر من الله، وولدت منه إسماعيل عليه السلام أب العرب المستعربة، حيث تعلم العربية من قبيلة جرهم القحطانية اليمنية، ولما شب إسماعيل

عليه السلام بنى إبراهيم وولده إسماعيل عليهما السلام البيت الحرام، وتوفى إبراهيم عليه السلام سنة ١٧٧٣ قبل الميلاد، والكلمات التي ابتلى الله بها إبراهيم عليه السلام هي أصول الحنيفية، منها ذبح ولده إسماعيل عليه السلام ومنها أمره بالاختتان، وأمره بالمهاجرة يهاجر إلى بلاد غير ذي زرع ولا سكان وتركها بدون طعام ولا ماء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات:١٠٦] وقال: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم:٣٧] وقوله: ﴿قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ [الصافات:١٠٥] فاستحق الإمامة في الدين، وصار الأنبياء كلهم من سلالته، لما عنده من اليقين والصبر، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] ولما قال الله تعالى له: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ﴾ [البقرة:١٢٤] قال: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ﴾ قال الله تعالى: ﴿لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤] فالظالم لا يستحق الإمامة في الدين، فلا يستحق الخلافة كل ظالم، ولا يستحق الإمارة ولا القضاء ولا الفتوى ولا رواية العلم ولا إمامة الصلاة، ولا غير ذلك مما يدخل في إمامة الدين، وإن تولاها فهو لا يستحقها ويجب نصحه.

فائدة: من شكر الله شكره وزاده من فضله

من شكر الله شكره وزاده من فضله، والشكر يكون بمحبة الله والإنابة إليه والثناء عليه وطاعته، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ﴾ [النحل:٥٣] وقال: ﴿وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل:١١٤] ومن لم يطع الله ويعبده فليس شاكرًا له، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦].

فغاية الخلق أن يشكروا فلا يكفروا، والله تعالى يشكر من شكره، ويذكر من ذكره، فنشكر الله على أن خلقنا من العدم وهدانا للإسلام، وخلق السموات والأرضين، وأنزل الكتب وأرسل الرسل لأجلنا ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ○ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الدخان:٣٨،٣٩] ونشكره على أن كرمنا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء:٧٠].

فائدة: من آداب الأنبياء عليهم السلام

قال رسول الله ﷺ «أدبني ربي فأحسن تأديبي» [ضعفه الألباني في الضعيفة:٧٢ ونقل عن ابن تيمية أن معناه صحيح ولكن لا يعرف له إسناد ثابت] وكان أدبه القرآن ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم:١٧] وقال عيسى عليه السلام لربه: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ○ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة:١١٧،١١٨] وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ○ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ○ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٠] وقال مؤمن الجن: ﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِىٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن:١٠] وقال آدم وحواء عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] وقال أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] وقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤] وقال الخضر عليه السلام: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾

[الكهف:٧٩] وقال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا﴾ [الكهف:٨٢] وقال يوسف عليه السلام: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف:١٠٠] وكلهم ينسبون الخير لله، والشر للنفس والشيطان، والظلم لأنفسهم، فالأدب مع الله ومع الناس خير وصلاح وصيانة للنفس وحسن وفقه وطهارة وإخلاص وستر وخلق واستقامة وكرم، فالوضوء وغسل الجنابة وغض البصر والتطهر من الخبث، والتجمل ولبس الزينة في الصلاة، وعدم الحركة فيها، وستر العورة، وأن لا يرفع بصره، ويكون مطرقًا خافضًا إلى الأرض، وتدبر كلام الله، وأن لا تستدبر القبلة ولا تستقبلها عند قضاء الحاجة، ووضع اليد اليمنى على اليسرى في الصلاة حال القيام، والسكون وإلقاء السمع، ومعاملة الناس الطيبة، وأدب الأكل والشرب والركوب والدخول والخروج والسفر والإقامة والنوم والبول والكلام والاستماع والأدب مع الوالدين، كل ذلك وغيره من آداب الإسلام التي لا يستكمل الإنسان دينه إلا بالعمل بها.

فائدة: أحل الله الطيبات وحرم الخبائث

الطيبات أحلها الله، والخبائث حرمها الله، إلا ما اضطر المسلم إليه غير مائل إلى الحرام، قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة:٣] وقال: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٤] والطيبات معروفة، وهي الحلال، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة:٥] وقال: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧] وكل مستقذر حرام، والعبرة فيما استقذره أهل المروءة والأخلاق الفاضلة

وكل ضار محرم، وكل ما أقر الرسول ﷺ أكله فهو حلال، وكل نجس حرام، وقد أحل الله تعالى الصيد الحلال المأخوذ بالمعلم، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ ۖ فَكُلُوا۟ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [المائدة:٤] ولا يجوز أكل صيد المجوسي، أما الكتابي فيجوز أكل صيده وطعامه، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ﴾ [المائدة:٥] ومن العرب من هو من أهل الكتاب كبعض عرب اليمن الذين تهودوا وتغلب وبهراء وكلب ولخم ونجران وبعض ربيعة وغسان الذين تنصروا، كما أباح الله تعالى تزوج نساء أهل الكتاب، وأباح التيمم عند مشقة التطهر بالماء، فقال: ﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة:٥] وقال: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة:٦] وهذا من تيسير الله على عباده ومن نعمه، قال سبحانه: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة:٦] فالحمد لله تعالى على نعمه وتيسيره علينا.

فائدة: الجهل مذموم

ذم الله تعالى الجهل والجاهلين في آيات عديدة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١] وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأنعام:٣٧] وقال: ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأنعام:٣٥] وقال: ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [البقرة:٦٧] وقال: ﴿إِنِّيٓ

أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦] وقال: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩] وقال: ﴿لَا نَبْتَغِى ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [القصص:٥٥] وقال: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان:٦٣].

فائدة: الأمر بالتفكر في الخلق والبعث

أمر الله تعالى الإنسان بالتفكر في أساس خلقه وما بعد ذلك، فقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ○ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ○ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق:٥-٧] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ﴾ [الحج:٥] وقال: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِىٍّ يُمْنَىٰ ○ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ○ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [القيامة:٣٧-٣٩] وقال: ﴿أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ○ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ○ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ [المرسلات:٢٠-٢٢] وقال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ○ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ○ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ﴾ [المؤمنون:١٢-١٤] هذه الآيات تدل على مبدأ خلق الإنسان ووسطه وآخره ومن ثم بعثه بعد موته (تراب ونطفة وعلقة ومضغة وحياة وموت، وحياة من ضعف، ثم قوة ثم ضعف، يخرج من بين الصلب والترائب، ذكر وأنثى وتزاوج بينهما، علقة حمراء، ثم مضغة لحم تضرب إلى السواد، ثم عظام مجردة، ثم يكسو العظام لحمًا، ثم خلقًا آخر فيه الروح: أعصاب وعروق وأوتار وعظام يابسة ولينة ولحم وغشاء

يحفظه، ثم صوَّره فأحسن صورته، وشق له السمع والبصر والفم والأنف وسائر المنافذ، وانظر إلى طعامه ﴿أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ○ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ○ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ○ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ○ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ○ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ○ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ○ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ﴾ [عبس:٢٥-٣٢] عجبًا ما أكفر الإنسان ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ○ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ○ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ○ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ○ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ○ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ○ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧-٢٣].

فائدة: تتميز الاشياء بأضدادها

الذي نشأ في ضلال وكفر وشرك ومعاصي، ثم عرف الحق وأحبه واتبعه وخرج من الظلمات إلى النور، يعرف سبيل المجرمين وسبيل المتقين أكثر من غيره، وإذا وفقه الله وقبل سبيل الحق خرج من الظلمة الشديدة إلى النور التام، ومن المعاصي إلى الاستقامة، ومن الجهل إلى العلم، ومن الغي إلى الرشاد، ومن الظلم إلى العدل، ومن الحيرة إلى الهدى، ومن العمى إلى البصيرة، فصار أعلم بالحق، وأعرف بما ظفر به، فإن الضد يظهر حسنه الضد، وإنما تتبين الأشياء بأضدادها، وقد قيل: (من لم يعرف الجاهلية لا يعرف الإسلام) ولهذا فالصحابة الذين مر عليهم الجهل، بعد أن أحبوا الإسلام وآمنوا به، صاروا أحب الناس للتوحيد والإيمان، وأبغض الناس للكفر والعصيان، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام:٥٥] وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النساء:١١٥].

فائدة: الغافلون عن الآخرة

الذي يرضى بالدنيا ويطمئن إليها، ويغفل عن العمل للآخرة،

ولا يتعلم العلم، ويغلبه الهوى والجهل، ويفتن في أمور نهى الله عنها، وينغمس في الشهوات والملذات، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [يونس:٧،٨] وكما قال سبحانه: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الحشر:١٦،١٧] الذي هذا وصفه أوقعه الشيطان بجهله، فوقع بالكفر وهو لا يدري، لأنه لم يتعلم ولا يسأل عن العلم ولا يجالس العلماء، ورضي بالحياة الدنيا وانشغل بها واطمأن إليها، وأعرض عن قراءة القرآن والسنة واستماعهما، وعمر دنياه وشهواته فصار عبدًا لماله ومصنعه ودكانه وزوجته وأولاده ودنياه، وضيع أوقاته في اللهو واللعب، والقيل والقال، وما لا ينفع من الأفعال. وهؤلاء كثرة في هذا الزمان، لا يحضرون صلاة جماعة ولا ذكر ولا يقرؤون كتاب الله، ولا يستمعون إلى موعظة، همهم بطونهم والتكاثر في الدنيا والفخر والترف والملذات والهوايات الضارة والاستهزاء بالصالحين والنكت عليهم، والخوض واللعب ﴿قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ○ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦].

فائدة: وجوب الوفاء بالبيعة والعهود

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [المائدة:٧] في هذه الآية تذكير بالوفاء بالعهود والمواثيق التي أخذها

الرسول ﷺ على المؤمنين، ومنها عهد الإسلام ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة:١] وقال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِي وَاثَقَكُم بِهِۦٓ﴾ [المائدة:٧] ومنها عهد المسلمين عندما يلاقون الرسول ﷺ، وهو البيعة على ألا يشركوا بالله شيئًا ولا يسرقوا ولا يزنوا ولا يقتلوا أولادهم، ولأ يأتوا ببهتان يفترونه بين أيديهم وأرجلهم ولا يعصوه في معروف، وكذا العهد الذي ذكر في سورة الممتحنة عند ذكر بيعة النساء المؤمنات، كما ورد في الصحيح أنه كان يبايع المؤمنين على مثل ذلك، ومنها بيعة الأنصار لرسول الله ﷺ في موسم الحج سنة ثلاث عشرة قبل الهجرة، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلًا، على أن يمنعوا رسول الله ﷺ كما يمنعون نساءهم وأبناءهم، وعلى أنهم يؤوونه إذا هاجر إليهم، وبيعته سنة إحدى عشرة من البعثة للخزرج في موسم الحج ليبلغوا الإسلام إلى قومهم، وبيعته لاثني عشر رجلًا من الخزرج في موسم الحج بالعقبة مثل ذلك، وميثاق بيعة الرضوان في الحديبية تحت الشجرة سنة ست من الهجرة، على السمع والطاعة في المنشط والمكره، وقولهم: سمعنا وأطعنا، وهذه نعمة من الله يجب الوفاء بها، وعدم نقضها، فإن الله عليم بذات الصدور.

فائدة: إقامة الحجج على المشركين وإبتلائهم

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰٓ أُمَمٖ مِّن قَبۡلِكَ فَأَخَذۡنَٰهُم بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَتَضَرَّعُونَ ○ فَلَوۡلَآ إِذۡ جَآءَهُم بَأۡسُنَا تَضَرَّعُواْ وَلَٰكِن قَسَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ○ فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحۡنَا عَلَيۡهِمۡ أَبۡوَٰبَ كُلِّ شَيۡءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةً فَإِذَا هُم مُّبۡلِسُونَ﴾ [الأنعام:٤٢-٤٤] هكذا يبدأ الله امتحان الناس وفتنتهم

بالأسهل ثم الأشد، فإذا كذب الناس أخذهم الله بالبأساء والضراء، لأنه أسهل من فتنة الرخاء والنعم، ثم يختبرون بالأشد، وهو أن يفتح عليهم أبواب كل شيء، فإذا فرحوا بذلك ولم يعودوا إليه عذبهم الله وأخذهم بغتة، فإذا هم مبلسون، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّآ أَخَذۡنَآ أَهۡلَهَا بِٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمۡ يَضَّرَّعُونَ ○ ثُمَّ بَدَّلۡنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلۡحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ وَّقَالُواْ قَدۡ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذۡنَٰهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [الأعراف:٩٤،٩٥] وفرق بين النعم الكثيرة التي تفتح على العاصين بدون بركة، بل هي سبب شقائهم وانشغالهم وهمومهم، وبين البركات التي يفتحها الله على المطيعين، كما قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف:٩٦] ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ خَيۡرٞ لِّأَنفُسِهِمۡۚ إِنَّمَا نُمۡلِي لَهُمۡ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِثۡمٗاۚ﴾ [ال عمران:١٧٨].

فائدة: (المتنطع) يعتبر متعدياً على شرع الله

الذي يحرم على نفسه الطيبات والمباحات، أو يشدد في أمور فعلها من هو خير منه، يعتبر معتديًا على شرع الله، قال تعالى: ﴿تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ﴾ [البقرة:٢٢٩] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [المائدة:٨٧] وقال: ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾ [الأعراف:٣٢] وقال: ﴿قَدۡ خَسِرَ ٱلَّذِينَ قَتَلُوٓاْ أَوۡلَٰدَهُمۡ سَفَهَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَحَرَّمُواْ مَا رَزَقَهُمُ ٱللَّهُ ٱفۡتِرَآءً عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ [الأنعام:١٤٠] وقال: ﴿قُلۡ ءَآلذَّكَرَيۡنِ حَرَّمَ أَمِ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [الأنعام:١٤٣] إلى قوله: ﴿فَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا لِّيُضِلَّ ٱلنَّاسَ بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ﴾ [الأنعام:١٤٤] وقال:

﴿وَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾ [المائدة:٨٨] وقصة الذين قال أحدهم: أنا أقوم الليل ولا أنام، وقال الآخر: أنا أصوم النهار ولا أفطر، وقال الآخر: أما أنا فلا آتي النساء، فأنكر عليهم رسول الله ﷺ، وفي الحديث: «لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم» [أبو داود:٤٩٠٤، وأبو يعلى:٣٦٩٤، والطبراني في الكبير:٦/٨٨، قال الهيثمي:٦/ ٢٥٦: رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير سعيد بن عبدالرحمن بن أبي العمياء، وهو ثقة] وقول الرسول ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «ألم أخبر عنك أنك تقوم الليل وتصوم النهار» قال قلت: إني أفعل ذلك، قال: «فإنك إذا فعلت هَجَمَتْ عينك ونفهت نفسك، وإن لنفسك عليك حقًا، ولأهلك عليك حقًا، فصم وأفطر، وقم ونم» [البخاري:١١٥٣، ومسلم:١١٥٩].

وقصة سلمان الفارسي مع أبي الدرداء رضي الله عنهما يوم قال له أبو الدرداء رضي الله عنه لما حضر الطعام: كُل إني صائم، ولما قام أول الليل نهاه سلمان رضي الله عنه عن ذلك، ثم قام وسط الليل فنهاه، فلما كان آخر الليل قال له سلمان رضي الله عنه قم الآن.

ويروى أن الحسن البصرى دعي إلى طعام ومعه فرقد السبخي وأصحابه فجاءهم طعام فيه ألوان من الدجاج والفالوذ، فاعتزل فرقد زاعمًا أن هذه الألوان من الطعام لا يأكلها، لأنه لا يؤدي شكرها، فقال له الحسن: أفتشرب الماء البارد؟ قال: نعم، قال: إن نعمة الله في الماء البارد أكثر من نعمته في الفالوذ، فلا ينبغي للمسلم أن يترك الطيبات تشديدًا على نفسه، ولا يجوز له أن يحرمها.

فائدة: غلو النصارى في عيسى عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ﴾ [النساء:١٧١] أهل الكتاب غلوا في عيسى عليه السلام فنهاهم الله عن ذلك، وبين أن عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فهو لا يعدو هذه الصفات الثلاث: صفة الرسالة، وصفة كونه كلمة الله ألقاها إلى مريم، وصفة كونه روحًا من عند الله، أما جعلهم الرسالة بنوة - تعالى الله عما يصفون - وجعلهم الكلمة اتحاد حقيقة الإلهية بعيسى عليه السلام في بطن مريم، وأن روحه ليست مخلوقة، وجعلهم عيسى عليه السلام ابنًا لله، ومريم صاحبة لله سبحانه تعالى عما يشركون، وجعلهم معنى الروح على ما به تكونت حقيقة المسيح في بطن مريم من نفس الإلهية، فهذا غلو، فروح عيسى عليه السلام مخلوقة، كما أن روح آدم عليه السلام مخلوقة، وعيسى عليه السلام جاء من غير أب، وآدم عليه السلام جاء من غير أب ولا أم، ونهاهم الله عن أن يقولوا: ثلاثة، فقال: ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَانَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء:١٧١] فهذا الغلو من النصارى، أما اليهود فأبغضوا عيسى عليه السلام، ورموا أمه بالبهتان العظيم والغلو الكبير، وتجاوز الحد الذي حدد لهم دينهم، فهو سبحانه ﴿لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾ فقد استغنى عن أن يكون له ولد، فالولد ليس عبدًا لأبيه، والخلق كلهم عبيد الله ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ والله تعالى منزه عن الولد والصاحبة ﴿كَبُرَتۡ

كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾ [الكهف:٥] .

فائدة: الشك في البعث كفر

الذي لا يتيقن من البعث بعد الموت ومن أمور الآخرة، ويشك في ذلك كافر، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ○ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يُؤْمِنُ بِٱلْءَاخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِى شَكٍّ﴾ [سبأ:٢٠،٢١] وقال تعالى في سورة الكهف عن الشاك في البعث: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا﴾ [الكهف:٣٦].

فائدة: الإفساد في الأرض

تكرر في القرآن الكريم ذكر الإفساد في الأرض، لزيادة تفظيع الإفساد فيها بعد إصلاحها، قال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦] وقال: ﴿وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾ [المائدة:٣٢] ومن الإفساد في الأرض محاربة الله ورسوله، وقتل النفس بغير حق، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة:٣٣] وقد نزلت هذه الآية في سبعة: ثلاثة من عكل، وهي قبيلة من تميم، وأربعة من عرينة، وهي قبيلة من قضاعة، حيث قدم على النبي ﷺ نفر منهم فأسلموا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: قد استوخمنا هذه الأرض، فقال لهم: هذه نعم لنا فاخرجوا إليها، فاشربوا من ألبانها وأبوالها، فخرجوا فيها فشربوا من أبوالها وألبانها، واستصحوا فمالوا على الراعي، فقتلوه وطَرُّوا الذود

وارتدوا، فبعث رسول الله ﷺ في آثارهم جرير بن عبدالله رضي الله عنه في خيل فأدركوهم وقد أشرفوا على بلادهم، فما ترجل النهار حتى جيء بهم، فأمر بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم، وسُمِلت أعينهم بمسامير أحميت، ثم حبسهم حتى ماتوا، وقيل: أمر بهم فألقوا في الحرة يستسقون فما يُسقون حتى ماتوا [ينظر للاستزادة: البخاري:٢٣٣، ٤٦١٠، ومسلم:١٦٧١ وغيرهما] وذلك سنة ست من الهجرة، فهؤلاء محاربون لشرع الله تعالى، ومعتدون على حكم الله ورسوله ﷺ وعلى نعم رسول الله ﷺ المتخذة لتجهيز جيوش المسلمين، ولم يراعوا منَّة الانتفاع بها، ومرتدون عن الإسلام، وهذا جزاء لكل من يأتي هذه الجريمة أو مثلها، وهم مفسدون في الأرض، ومتلفون للأنفس والأموال جزاؤهم قطع الأيدي والأرجل من خلاف، والصلب قيل: إن قطع اليد لأجل أخذ المال، وقطع الرجل لأجل الإخافة بها والمشي وراء الناس والتعرض لهم، والنفي من البلد لحصره فيها، قيل: يأخذ الإمام بما يقارب جرم المحارب وكثرة إفساده، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من قتل وأخذ المال قتل وصلب، ومن لم يقتل ولا أخذ المال عزر، ومن أخاف الطريق نفي، ومن أخذ المال فقط قطع، وقال بذلك قتادة والحسن والسدي والشافعي، وفي هذا خزي الدنيا وعذاب الآخرة، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

فائدة: رمي اليهود والنصارى بعضهم بعضاً بالسفه

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ عَلَىٰ شَيْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا

﴿يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١٣] كل من اليهود والنصارى يُسفِّه الآخر، ويقول: ليسوا على شيء من الهدى والعلم، ويرمي الآخر بالضلال، وكذا يقولون للمسلمين: لا يدخلون الجنة، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة:١١١] وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ﴾ [البقرة:١١٣] أي اليهود والنصارى يقرؤونه ولا يتدبرونه، ولهذا قال ﴿يتلون﴾ ولم يقل (يعلمون) وقال تعالى: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٣] وهؤلاء هم مشركو العرب، فهم أميون لا يعلمون ولا يتلون ولا يتدبرون، فاليهود والنصارى والمشركون على وتيرة واحدة في ردهم الحق وضلالهم وقولهم: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٩١] وقال سبحانه: ﴿كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٣] فهم متشابهون ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة:١١٨] ثم قال الله تعالى: ﴿فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة:١١٣] فالله تعالى هو الحاكم بين عباده فيما كانوا فيه يختلفون، والدعاوي تحتاج إلى بينات، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [البقرة:١١١].

فائدة: قصر الحياة الدنيا وزوالها

الدنيا زائلة فانية مضمحلة خسيسة ناقصة دنية، فيها النكد والتعب والكدح والنغص والحسرة والأسف والهم والغم، وإيثارها على الآخرة فساد في الإيمان، وهي سجن المؤمن، قال النبي ﷺ: «مالي وللدنيا، إنما أنا كراكب، قال في ظل شجرة، ثم راح وتركها»

[الترمذي: ٢٣٧٧، وابن ماجة: ٤١٠٩، وأحمد والحاكم وغيرهم، وصححه الألباني] وقال: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يدخل أحدكم أصبعه هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟» [مسلم: ٢٨٥٨] وقد مثلها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ﴾ [يونس: ٢٤] وهي لعب ولهو وزينة وتفاخر وتكاثر ومتاع الغرور.

فائدة: مادة خلق الإنسان والجن

الإنس مخلوقون من صلصال كالفخار، والجان من مارج من نار، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ○ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٤، ١٥] والجن منهم مؤمن ومنهم كافر، ومنهم بر ومنهم فاجر، قال تعالى: ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن: ١١] ومنهم سني ورافضي وقدري ومرجئة، قال الله تعالى عنهم: ﴿كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ فهم مذاهب شتى، فالمسلمون الذين آمنوا بالله ورسوله ﷺ والقاسطون الجائرون العادون عن الحق الذين جعلوا لله أندادًا، ثلاثة أشكال: (صالحون ودونهم وكفار) وكذا الإنس ثلاثة أنواع: (أبرار ومقتصدون وكفار).

والإنس أكمل عقولًا من الجن، منهم الرسل والأنبياء والمقربون، وكفار الجن في النار ومسلموهم في الجنة، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] وقد كلف الإنس والجن بالشرائع، قال تعالى: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾

[الرحمن:١٣] وأبو الإنس آدم عليه السلام في الجنة، أما أبو الجن إبليس ففي النار، وسيحاسب الجن مثل الإنس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات:١٥٨] ودرجاتهم في التقى والضلال مختلفة، قال تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ﴾ [الأنعام:١٣٢] ومنهم القرناء الشياطين الذين يزينون الكفر والمعصية، قال تعالى: ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [فصلت:٢٥] وكثير من الإنس والجن يستمتع بعضهم ببعض، ويستعينون بهم على أغراضهم وشهواتهم، ويعوذون بهم، قال الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام:١٢٨] وهم يسمعون كلام الإنس وقراءتهم ويرونهم، قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [الأحقاف:٢٩] ومنهم دعاة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ﴾ [الأحقاف:٣١] والجن متعبدون بشريعة محمد ﷺ خاتم الأنبياء، ولا يقبل منهم إلا ذاك، لأن الرسول محمدًا ﷺ للعالمين.

فائدة: مكانة بيت الله الحرام

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥] جعل الله بيته يأوي إليه من يدين بالتوحيد لله تعالى، ويطوف به من يقصد تعظيم الله تعالى، قال تعالى: ﴿أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [البقرة:١٢٥] وقال الله على لسان

إبراهيم عليه السلام: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:٣٧] فهذا البيت يقصده الناس للتعظيم والطواف، جعله الله مثابةً يرجعون إليه، وأمنًا وأمانًا، لا ينصرف عنه قوم إلا جاء آخرون يخلفونهم، فهو سبب أمن، قال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت:٦٧] وقال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنٗاۗ﴾ [آل عمران:٩٧] وقال: ﴿وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ﴾ [البقرة:١٩١] وهذا يدل على أن الله أمر أن يجعل هذا المسجد الحرام مأمنًا، أما حدوث الفتن والقتل في عهد الحجاج وزمن القرامطة وجهيمان، فهذه مخالفة من الناس، وليس من أمر الله ولا يرضاه، وقد أمر الله أن يتخذ مقام إبراهيم مصلى، فقال: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبۡرَٰهِـۧمَ مُصَلّٗىۖ﴾ [البقرة:١٢٥] وقد أوصى الله تعالى بتطهير هذا البيت، فقال: ﴿أَن طَهِّرَا بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥] والمقصود التطهير المعنوي والحسي، كما دعا إبراهيم عليه السلام ربه، فقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنٗا وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦].

فائدة: الدنيا سجن المؤمن

المؤمن محبوس في هذه الدنيا، فقلبه محبوس عن الالتفات إلى غير الله، ولسانه محبوس عما لا يفيد، وجوارحه محبوسة عن المعاصي، وعلى الواجبات والمندوبات، فهو في سجن الدنيا، لا يفارقه حتى يموت فيتخلص من الحبس، أما الكافر فيكون حبسه في الآخرة في العذاب

الأليم الدائم، قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النساء:٧٧].

فائدة: وجوب تربية الأولاد

تربية الأولاد تربية إسلامية واجبة على كل أب مسلم، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [التحريم:٦] وقد أمر رسولنا ﷺ بأن يؤمروا بالصلاة لسبع، ويضربوا عليها لعشر، ويفرق بينهم في المضاجع، وأن يفتح أول كلامهم بلا إله إلا الله، وأن يلقنوا ذلك عند الموت، وأن يؤدبوا الأدب الحسن، وأن يحسن الأب أسماءهم، وأن يعلمهم العلم النافع، وأن يزوجهم إذا بلغوا، فالأب راع ومسؤول عن رعيته، والمرأة راعية ومسؤولة عن رعيتها، ويجب العدل بينهم في العطاء والمنع، وأن يعتنى بأمر خلقهم، ويبعدهم عن مجالس اللهو والباطل والغناء والفحش والبدع والكذب والخيانة والكسل والبطالة والدعة والراحة، ويعودهم الانتباه آخر الليل من الصغر للصلاة والدعاء، ويجنبهم فضول الطعام والكلام والمنام، ومخالطة الأشرار ومعاشرة الأراذل والمسكرات والدخان ولبس الحرير والتخنث والسرقة، وعليه تعليمهم الدين والقوة وتنمية مداركهم وعقولهم، ويدخلهم في حلقات القرآن، ويحرص على مجالستهم للعلماء والدعاة والشباب المتدينين والمكتبات النافعة وصلة الأرحام، ويختار لهم الزوجات الصالحات، وللبنت الزوج الصالح، وغير ذلك مما ينفعهم في دينهم ودنياهم.

فائدة: عجز آلهة المشركين عن نفع عابديها

قال الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ

﴿مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ○ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣] أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للمشركين: هذه الآلهة التي تعبدون هل يملكون ذرة من السموات أو الأرض؟! إنهم لا يملكون ذلك، وليس لهم شرك مع الله، ولا معين له وظهير، وليس لهم شفاعة عنده، فالشفاعة لا تكون إلا لمن أذن الله له أن يشفع، فهم يقولون: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] والله تعالى يقول: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨] ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وقد جمعت الآية نفي أصناف التصرف من الآلهة، كما جمعت نفي أصناف تصرف المعبودات من دونه، نفت عبادة الكواكب التي في السماء، والأصنام التي في الأرض، ونفت أن يكون لها شراكة مع الله، أو إعانة له، أو شفاعة لمن يعبدونها، أو أن يملكوا مثقال ذرة فيهما، أو أن يؤذن لهم بالشفاعة، وقد وردت أحاديث كثيرة عن شفاعة محمد ﷺ، وأن الله تعالى يقول له: «سل تعطه، واشفع تشفع» [البخاري: ٧٤١٠، ومسلم: ١٩٣] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة أجنحتها خضعانًا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم؟ قالوا: قال الحق، وهو العلي الكبير» [البخاري: ٧٤٨١ الترمذي: ٣٢٢٣].

فائدة: النار دار الكافرين

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ﴾

[فاطر:٣٦] جاءت هذه الآية بعد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ○ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ الآية [فاطر:٣٢،٣٣] يستفاد من ذلك أن الجنة دار للأقسام الثلاثة: الظالم لنفسه، والمقتصد، والسابق للخيرات، وأن النار دار للكافرين، وقوله: ﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم﴾ استنبط بعض العلماء منها (أن النار التي يعذب بها المؤمنون أخف من نار الكافرين، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران:١٣١] توضح أنها أعدت لهم، أما المؤمنون المذنبون فلم تعد لهم النار هذه، وإنما النار التي يعذبون بها خفيفة) والله أعلم.

فائدة: الشجر الربط يخرج منه النار

قال الله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس:٨٠] هذا الشجر الأخضر الرطب الحي، وهو شجر المَرْخ وشجر العَفَار، يؤخذ من هذا غصن ومن هذا غصن، وهما خضراوان، فيسحق المَرْخ على العَفَار فتنقدح النار مشتعلةً فيوضع على شيء يابس من الحطب أو غيره فيصير نارًا يوقدون منها، وهذا من عجيب صنع الله، ومن نعم الله الذي هداهم لهذا، ويسره لهم، حيث لا توجد وسائل لإيقاد النار إلا هذا أو مثله كحجرين من المرو يضرب أحدهما بالآخر فتنقدح النار من بينهما ويشعلون بها نارهم التي يوقدون، فسبحان خالق السموات والأرض الذي إذا أراد شيئًا قال له: كن فيكون، والذي بيده ملكوت كل شيء وإليه الرجوع والمصير، لا إله إلا هو.

فائدة: الجزاء من جنس العمل

الجزاء من جنس العمل، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ○ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ﴾ [الطلاق:٢،٣] ولما بذل الشهيد حياته لله عوضه الله حياة أكمل، ومن بذل لله شيئًا عوضه الله خيرًا منه، ومن ذكر الله ذكره الله في ملأ خير منه، ومن ذكره في نفسه ذكره الله في نفسه، قال تعالى: ﴿فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ﴾ [البقرة:١٥٢].

فائدة: لا يقدْح في الفاضل فهم المفضول للمشكل

قد يفهم المفضول ما لا يفهمه الفاضل، فقد فهمت المرأة من قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيۡتُمۡ إِحۡدَىٰهُنَّ قِنطَارٗا فَلَا تَأۡخُذُواْ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النساء:٢٠] جواز المغالاة في الصداق، فاعترف بذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفهم علي وابن عباس رضي الله عنهما من قوله تعالى: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف:١٥] مع قوله: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ﴾ [البقرة:٢٣٣] أن المرأة قد تلد لستة أشهر، ولم يفهم ذلك عثمان رضي الله عنه، فهَمَّ برجم المرأة التي ولدت لستة أشهر، حتى ذكَّره علي بن أبي طالب رضي الله عنه فأقر به، ونسب مثله إلى ابن عباس رضي الله عنهما.

وأشكل على ابن عباس رضي الله عنهما أمر الفرقة الساكتة التي لم ترتكب ما نهيت عنه من اليهود، هل عذبوا أو نجوا، حتى بيَّن له مولاه عكرمة رحمه الله دخولهم في الناجين دون المعذبين، قال تعالى عن الساكتين: ﴿وَإِذۡ قَالَتۡ أُمَّةٞ مِّنۡهُمۡ لِمَ تَعِظُونَ قَوۡمًا ٱللَّهُ مُهۡلِكُهُمۡ أَوۡ مُعَذِّبُهُمۡ

عَذَابًا شَدِيدًا﴾ [الأعراف:١٦٤] لأن الأمر بالمعروف فرض كفاية، والله تعالى عذَّب الذين نسوا ما ذكروا به، وهذا لا يتناول الساكتين، وغير ذلك.

وكثيرًا ما يفهم الفاضل أكثر من المفضول، كما فهم أبو بكر رضي الله عنه قتال مانعي الزكاة، ووفاة الرسول ﷺ، ومعنى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ﴾ [المائدة:١٠٥] بأنهم إذا أمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وإلا عمهم الله بالعقاب.

ولما أشكل على الصحابة رضوان الله عليهم معنى الظلم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] وقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟ بيَّن لهم الرسول ﷺ أن المراد به الشرك [البخاري:٦٩٣٧، وأحمد:١/٣٧٨] وهكذا.

فائدة: تفاوت أهل التوحيد في العلم والمعرفة

أهل التوحيد يتفاوتون في توحيدهم، أكملهم الرسل ثم الأنبياء، وأكملهم أولو العزم منهم، وهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد صلوات الله وسلامه عليهم، وأكمل هؤلاء محمد وإبراهيم عليهما السلام، وأهل التوحيد في كل عصر يتفاوتون علمًا ومعرفةً وحالًا تفاوتًا لا يحصيه إلا الله تعالى، وفي عصرنا يسبق السلفيون من أهل الحديث وأنصار السنة المحمدية غيرَهم، ويسبق منهم من يدافع عن توحيد الله، ويبين خوار أعدائه من المنحرفين.

فائدة: كل جمال ظاهر وباطن فهومن الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور:٣٥] وقال الرسول ﷺ: «إن الله جميل يحب الجمال» [مسلم:٩١، والترمذي:١٩٩٩

وأحمد والحاكم وغيرهم] فكل الحسن والجمال لله المتعال، ولو كشف حجابه عن وجهه لأحرقت سبحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه، وكل جمال ظاهر وباطن في الدنيا والآخرة، فمن آثار صنعته، فنور العرش من نور وجهه، ونور السموات والأرضين من نوره، أشرقت له الظلمات، فله العزة جميعها، والقوة جميعها، والجود كله، والإحسان كله، والعلم كله، والفضل كله، له جمال الذات والصفات والأفعال والأسماء، فهو الكبير المتعال العلي العظيم ذو الجلال والإكرام والحمد، لا نحصي ثناءً عليه فهو كما أثنى على نفسه، وفوق ما يثني عليه خلقه، فلا إله إلا هو، ولا معبود بحق سواه.

ويحب من عبده أن يكون جميلًا نظيفًا في كل شيء في نفسه وهندامه، قال رسول الله ﷺ : «إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا» [مسلم:٩١، والترمذي:١٩٩٩ وأحمد وغيرهم] وفي السنن «إن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده» [أحمد:٢/٢١٣ والترمذي:٢٨١٩ قال الألباني: حسن صحيح] وعن أبي الأحوص الجشمي رضي الله عنه قال: رآني النبي ﷺ وعلي أطمار، فقال: «هل لك من مال؟» فقلت: نعم، قال ﷺ: «من أي المال؟» قلت: من كل ما آتى الله من الشاء والإبل، قال ﷺ: «فلير نعمة الله وكرامته عليك» [أحمد:٣/٤٧٣ وصححه محققو المسند] وقال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكُمۡ لِبَاسٗا يُوَٰرِي سَوۡءَٰتِكُمۡ وَرِيشٗاۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقۡوَىٰ ذَٰلِكَ خَيۡرٞۚ﴾ [الأعراف:٢٦] وقال عن أهل الجنة: ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ○ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا﴾ [الإنسان:١١،١٢] وكما أنه يحب جمال الأقوال والأفعال، فهو يبغض القبيح منها، وجمال الباطن أهم من جمال الظاهر، ولهذا يبغض الله المنافقين

المتجملين بالظاهر دون الباطن، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون:٤] وقال عن الكفار: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم:٧٤] وقال الرسول ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، وإنما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [مسلم:٢٥٦٤] وحرم لباس الحرير والذهب على الرجال، ونهى عن استعمال الذهب والفضة، وهو لا يحب المسرفين، ونهى عن لباس الفخر والخيلاء، وكل ما أعان على طاعة الله فهو محمود، وكل ما كان للدنيا والفخر والخيلاء فهو مذموم.

فائدة: إنفاق الكفار الأموال للصد عن سبيل الله

ينفق الكفار الأموال الطائلة ليصدوا الناس عن سبيل الله، وتكون عليهم حسرة ويغلبون، وهذا الإنفاق العظيم للصد عن سبيل الله في عصرنا يدل على ذلك، وقد أنفق الكفار في عهد رسول الله ﷺ الكثير، فهذا أبو جهل وأمية بن خلف والعباس بن عبدالمطلب وعتبة ابن ربيعة والحارث بن عامر بن نوفل وطعيمة بن عدي بن نوفل وأبو البختري والعاصي بن هشام وحكيم بن حزام والنضر بن الحارث ونبيه بن حجاج السهمي وأخوه منبه، وسهل بن عمر العامري كانوا يطعمون في كل يوم عشرًا من الأبل يوم بدر لجيشهم وينفقون لصد المسلمين عن المسجد الحرام ولتعذيبهم، ولكنهم لا يحصلون من هذا الإنفاق على طائل، فيحصل لهم الحسرة والندم ويغلبون، وقد استأجر أبو سفيان ألفين من الأحابيش لقتال المسلمين يوم أحد، وكان يظن أن رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر رضي الله عنهما قتلوا، فخاب حسابه، وأنفقوا يوم الأحزاب حين هاجموا المدينة فانصرفوا

من المدينة بلا طائل، وغلبوا واندحروا، وقطع دابرهم يوم فتح مكة، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [آل عمران:١٢] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦] وهذه سنة الله ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال:٣٨].

لذا فيجب على المسلمين ألا يهمهم قوة الكافرين إذا اتحدوا على كلمة الله وعروته الوثقى، فإن انتصار الكفار يكون بسبب معاصي المسلمين، لا بقلة عددهم وعدتهم ﴿كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ﴾ [البقرة:٢٤٩] وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٩٣] وقال: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُواْ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ [التوبة:٢٩] وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] وقال: ﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال:٤٠] وقال الرسول ﷺ «لن يغلب اثنا عشر ألفًا من قلة» [أبو داود:٢٦١١ وابن ماجة:٢٨٢٧، وأحمد:١/ ٢٩٤، ٢٩٩ وصححه الألباني] فإذا تمسك المسلمون بدينهم، وصارت لهم قيادة إسلامية، وأعدوا ما يستطيعون من قوة، ولو كانت قليلة بالنسبة لقوة أعدائهم، إذا حصل ذلك غلبوا أعداء الإسلام مهما كانت قوة الأعداء، قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر:٥١] وقال عن صفات المنصورين: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج:٤١].

فائدة: تلاوة القرآن الكريم حق تلاوته

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١] الذي يتلوالقرآن تلاوةً مستوفيةً قِوامَ نوعها لا ينقصها شيء مما يعتبر في التلاوة، ويفهم مقاصد القرآن، ولا يتبع متشابهه، هو المؤمن حقًا، فحق التلاوة هو العلم بما في المتلو، وحق الإيمان هو العمل بما في هذا القرآن، هؤلاء من أهل الكتاب وغيرهم هم المؤمنون بالقرآن المجيد والرسول الكريم ﷺ، كما قال تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١] ومن هؤلاء المؤمنين من أهل الكتاب عبدالله بن سلام رضي الله عنه من اليهود وعدي بن حاتم وتميم الداري رضي الله عنهما من النصارى، فهؤلاء هم المؤمنون الصادقون دون غيرهم من الكافرين الخاسرين، ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١] أي من يكفر بالقرآن والرسول محمد ﷺ فهو الخاسر.

وهكذا فلا دين يُتَّخذُ شريعةً بعد بعثة النبي محمد ﷺ إلا القرآن الذي يأمر باتباع محمد ﷺ وطاعته فيما أمر واجتناب ما نهى عنه، وألا يعبد الله إلا بشرعه، فعلى المرء الإيمان بالكتب المنزلة كلها، وبالأنبياء والرسل كلهم، وعليه التمشي بشريعة خاتمهم محمد ﷺ، والعمل بمقتضى القرآن الكريم شريعةً ومنهاجًا، لأن الرسل السابقين لخاصة قومهم والكتب السابقة لهم، أما هذا القرآن والرسول الكريم محمد ﷺ فهما للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ

لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال هنا: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:١٢١] وقال: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] وقال عن الكافرين: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة:٩١].

فائدة: تحريم منافع الحيوانات كذبٌ وافتراء على ا لله

قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣].

الله تعالى لم يأمر ولم يشرع البحيرة، وهي الناقة التي يشقون أذنها بنصفين طولًا، علامةً على تخليتها، فلا تركب ولا تنحر ولا تمنع عن ماء ولا عن مرعى ولا يجزرونها، ويكون لبنها لطواغيتهم أو للضيوف لأصنامهم، وتكون بعد ولادتها عشرة أبطن، أو خمس آخرهن ذكرًا، وإذا ماتت حتف أنفها يأكل لحمها الرجال دون النساء.

والسائبة الناقة ينذرونها عن شفاء مريض أو قدوم سفر، ويحرمون الانتفاع بها، وتكون للسدنة، يطعمون من ألبانها أبناء السبيل، وعلامتها أن تقطع من جلدة فقار الظهر، وإذا ولدت السائبة عشرة أبطن، كلهن إناث متتابعة سيبوها، وما تلد السائبة يكون سائبة مثلها.

والوصيلة من الغنم هي الشاة تلد أنثى بعد أنثى، وبعضهم

يجعلونها الشاة تلد خمسة أبطن أو سبعة (على اختلاف مصطلحاتهم بين القبائل) فإذا كان الأخير ذكرًا ذبحوه لبيوت الطواغيت، وإذا كان أنثى استحيوها للطواغيت.

وقيل: إنها من الإبل إذا بكرت الناقة من أول إنتاج الإبل بأنثى، ثم تثني بعد بأنثى في آخر العام، فكانوا يجعلونها لطواغيتهم.

والحام هو فحل الإبل، إذا نتجت من صلبه عشرة أبطن، فيمنع من أن يركب أو يحمل عليه، ولا يمنع من مرعى ولا ماء، فقد حمي ظهره، ويجعلون عليه ريش الطاووس ويسيبونه، فلا يؤكل حتى يموت وينتفع بوبره للأصنام.

فهذه بزعمهم، وكان عمرو بن لحي الخزاعي أول من سيب السوائب فاتبعه الناس، قال رسول الله ﷺ عنه: «رأيت عمرو بن لحي بن قمعة بن خندف يجر قصبه في النار» [أبو يعلى:٦١٢١، وابن حبان:٧٤٩٠، وابن أبي شيبة:٧٠١٤ والطبري في التفسير ١٢٨٣١] ﴿وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة:١٠٣] فهم مفترون على الله الكذب، وليست من أمر الله، فهي تنتسب إلى الأصنام، وضررها كبير، وفيه تعطيل للانتفاع بها وتسييب لها، وإنما جعل الله الكعبة البيت الحرام قيامًا للناس والشهر الحرام والهدي والقلائد، ولم يجعل البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

فائدة: تحديد الحرم المكي

الحرم: هو المكان المحدود المحيط بمكة من جميع جهاتها، فضله الله تعالى، لا يصاد صيده، ولا يعضد شجره، ولا تحل لقطته، حدده إبراهيم عليه السلام بأمر من الله تعالى، ونصب أنصابًا تعرف به

حدوده، وجعله الله آمنا، ولما أراد أبرهة أن يعتدي عليه أرسل الله عليه طيرًا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول، وقد كانت العرب تحترم وتجير فيه الخائف، وكان جدهم قصي قد جدد معالمه وأنصابه، ولما كان فتح مكة بعث النبي ﷺ تميم بن أسد الخزاعي فحددها، ثم جددها عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة سبع عشرة من الهجرة، فبعث لتجديدها أربعة رجال من قريش من بوادي مكة، هم: مخرمة بن نوفل الزهري وسعيد بن يربوع المخزومي وحويطب بن عبدالعزى العامري وأزهر بن عوف الزهري، فأقاموا أنصاب الحدود حسب تحديد النبي ﷺ لها، وهي من الكعبة إلى جهة المدينة أربعة أميال إلى التنعيم، والتنعيم ليس من الحرم، ومن الكعبة إلى جهة العراق ثمانية أميال، تنتهي إلى المقطع، ومن الكعبة إلى جهة الطائف تسعة أميال تنتهي إلى الجعرانة، ومن الكعبة إلى جهة اليمن سبعة أميال تنتهي إلى أضاة لبن، ومن طريق جدة عشرة أميال تنتهي إلى الحديبية، والحديبية داخلة في الحرم، قال تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾ [المائدة:١] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحِلُّوا۟ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ﴾ [المائدة:٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ﴾ [البقرة:١٥٨] وقال: ﴿جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ﴾ [المائدة:٩٧] وقال: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠] وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] وقد حرم الله هذا الحرم منذ خلق السموات والأرض.

فائدة: الولد يتبع أباه في النسب

الولد يتبع أباه في النسب، ويسميه أبوه، وعليه عقيقته، أما في الحرية والرق فيتبع أمه، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب:٥] والنبي ﷺ أبو المؤمنين وأزواجه أمهاتهم، قال تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ﴾ [الأحزاب:٦].

فائدة: نهي الله تعالى نبيه عن طرد الضعفاء وأمره بإكرامهم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الأنعام:٥٤].

هؤلاء الذين آمنوا بالله من العبيد والضعفاء ومن معهم ممن طلب سادةُ قريش إبعادَهم عن مجلس رسول الله ﷺ حتى يحضروا مجلسه، وطلبوا طردهم، فنهاه الله تعالى حيث قال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ﴾ [الأنعام:٥٢] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ [الكهف:٢٨] هؤلاء أزكى وأفضل وأعز عند الله من سادات قريش المشركين لإيمانهم، فهم يستحقون الإكرام والتقدير ببدايتهم بالسلام حين دخولهم على رسول الله ﷺ وهي مزية لهم، وكان ﷺ كلما دخلوا عليه بدأهم بالسلام، وقال: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ الآية [الأنعام:٥٤] والأمر الثاني لتكريمهم بأن يبشرهم برضا الله عنهم، وغفرانه لهم ما عملوا من سوء بجهالة، والأمر الثالث أمانهم، فالسلام أمان في الدنيا والآخرة من الله الغفور الرحيم.

فائدة: اليقين أحد شروط شهادة ان لا إله إلا الله

اليقين شرط من شروط شهادة أن لا إله إلا الله، وهو مخالف للشك، ولهذا قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي﴾ [الأنعام:٥٧] ولو أن العذاب بيد رسول الله ﷺ لقضي الأمر، ولنزل عليهم العذاب، كما قال تعالى: ﴿قُل لَّوْ أَنَّ عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام:٥٨] ولكن ذلك عند الله تعالى الذي يمهل ولا يهمل ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ﴾ [الأنعام:٥٧] وقد كان المشركون يستعجلون العذاب ويقولون: ﴿رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص:١٦] ويقولون: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال:٣٢].

فائدة: نعم الله ومننه العظيمة على بني إسرائيل

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة:٢٠] خص الله بني إسرائيل بخصائص، وفضلهم على علم على العالمين، فلم يرعوا هذه النعمة، فعاقبهم الله بأن لعنهم وغضب عليهم، وصاروا أسوء الناس، ومن اختصاص الله لهم وتمييزهم على غيرهم أن جعل أكثر الأنبياء منهم، مثل يوسف والأسباط وموسى وهارون وإسحاق ويعقوب ويحيى وزكريا وعيسى وداود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام.

كما ميزهم بالنسب، فهم أبناء إبراهيم عليه السلام أب الأنبياء، وأمهم زوجته الحرة سارة، كما أنه جعل منهم ملوكًا وسادةً على الأمم

من الآموريين والعناقيين والحشبونيين والرفائيين والعمالقة والكنعانيين.

كما أنه آتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، فآتاهم الشريعة، وأيدهم بالنصر، وساق إليهم الرزق من المن والسلوى أربعين سنة، وأمرهم بدخول الأرض المقدسة المباركة المطهرة (أرض فلسطين) فخافوا من أهلها، وقالوا: ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة:٢٢] فأكدوا عدم دخولها بـ (إن ولن) ﴿قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة:٢٤] ولم يقدم إلا رجلان من الذين أنعم الله عليهما بالشجاعة والقوة والإيمان، حيث قال الله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [المائدة:٢٣] فعاقبهم الله بأن حرَّمها عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض، فقال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [المائدة:٢٥].

فائدة: تزكية النفس تكون باتباع هدي المرسلين

تزكية النفوس باتباع هدي المرسلين، قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] وقال: ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ﴾ [البقرة:١٥١] وتكون التزكية بمجاهدة النفس على العبادة، والتخلق بأخلاق الإسلام، ومن الدعاء المأثور «اللهم اهدنا لأحسن الأخلاق، لا يهدي لأحسنها إلا أنت، واصرف عني سيئها، لا يصرف عني سيئها إلا أنت» [مسلم:٧٧١

وأبو داود: ٧٦٠ والترمذي: ٣٤٢٣ والنسائي: ٨٩٧] ومنه «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» [مسلم: ٢٧٢٢، أحمد: ٤/ ٣٧١ وغيرهما].

فائدة: معاني الأمانة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾ [المعارج: ٣٢] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [الأنفال: ٢٧] وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال حدثنا رسول الله ﷺ حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا: «أن الأمانة نزلت في جَذْر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة» وحدثنا عن رفعها فقال: «ينام الرجل النومةَ فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل الوَكْت، ثم ينام النومة فتقبض، فيبقى أثرها مثل أثر المجْل كجَمْر دحرجته على رجلك، فنفط فتراه منتبرًا، وليس فيه شيء، ويصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقله وما أظرفه وما أجلده، وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان» [البخاري: ٦٤٩٧ ومسلم: ١٤٣] فالله تعالى لا يحب الخائنين، قال سبحانه: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَٱنۢبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [الأنفال: ٥٨] فالخيانة معصية خفية، وهي إبطال ونقض ما وقع عليه تعاقد دون إعلان بذلك، ومن ذلك الغلول، ومن ذلك ما نزل في قضية أبي لبابة وما صدر منه من إشارة إلى ما في تحكيم سعد بن معاذ رضي الله عنه من الضرر على اليهود، لأن حقه ألا يشير عليهم بشيء، إذ هو مبعوث وليس مستشارًا.

فالأمانة وصف محمود، وما يحفظه الإنسان عن غيره أمانة، والأولاد والأموال أمانة، والسمع والبصر والحواس أمانة، وهي دليل على نزاهة النفس واعتدال أعمالها، وإذا أضيعت انحل أمر المسلمين.

فائدة: المنافقون هم الأعداء الحقيقيون

المنافقون هم الأعداء الحقيقيون للإسلام والمسلمين، قال تعالى عنهم: ﴿هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤] فالمجاهرون بالكفر أخف ضررًا منهم، وأقل عذابًا، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار، وهم أشقى الأشقياء، يعطون في الآخرة نورًا، ثم يطفي الله نورهم، ويقال لهم: ﴿ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: ١٣] ويضرب بينهم وبين المؤمنين ﴿بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣] وقد طبع الله على قلوبهم، كما قال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣] وقال الله فيهم: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٨] فالمنافق أبصر ثم عمي، وعرف ثم تجاهل، وأقر ثم أنكر، وآمن ثم كفر، وقال الله عنهم: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ﴾ [المنافقون: ٤].

فائدة: ما ورد في نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء: ١٥٩] قيل: إن الضمير في قوله تعالى: ﴿قبل موته﴾ عائد إلى عيسى عليه السلام، أي قبل موت عيسى عليه السلام، لأن موته لا يقع إلا آخر الزمان، ليتم إيمان أهل الكتاب به قبل وقوع موته، فهو مرفوع إلى السماء، قال تعالى: ﴿بَل

﴿رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء:١٥٨] وموته بعد نزوله ورد عن رسول الله ﷺ أن عيسى عليه السلام ينزل في آخر مدة الدنيا [البخاري:٣٤٤٩، ومسلم:١٥٥، ١٢٥٢] ليؤمن به أهل الكتاب ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ أي يشهد بأنه بلغ لهم دعوة ربهم فأعرضوا، وفي آخر الزمان يكسر الصليب، ويظهر خرافة زعمهم بأنهم قتلوه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ [النساء:١٥٧] ويتأكد الشاكون في ذلك بأن الله تعالى رفعه إليه ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ والله أعلم.

قال ابن جرير: اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ﴾ قال بعضهم: قبل موت عيسى ابن مريم عليه السلام، يوجّه ذلك إلى أن جميعهم يصدقون به، إذا نزل لقتل الدجال فتصير الملل كلها ملةً واحدةً، وهي ملة الإسلام الحنيفية. وقال الحسن: أي قبل موت عيسى عليه السلام، والله إنه الآن لحيٌّ عند الله، ولكن إذا نزل آمنوا به جميعًا، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (لا يموت يهودي حتى يؤمن بعيسى عليه السلام قبل موته) فلا يبقى أحد من أهل الكتاب بعد نزول عيسى عليه السلام إلا آمن به قبل موته، وفي هذا بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيسى عليه السلام وصلبه، وتسليم من سلم لهم من النصارى الجهلة، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شبه لهم، فقتلوا الشبيه، ثم إن الله تعالى رفعه إليه، وأنه باق حي، سينزل قبل يوم القيامة فيقتل مسيح الضلال (الدجال) ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ولا يقبل إلا الإسلام أو السيف، ويؤمن به جميع أهل الكتاب، ولا يتخلف أحد منهم.

فائدة: صفات عيسى عليه السلام:

يهبط عيسى عليه السلام حكمًا عدلًا، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال بعد نزوله، حتى لا يقبله أحد، وتكون السجدة في عهده خير للناس من الدنيا وما فيها، يقتل الدجال، يهل بالحج والعمرة بفج الروحاء - وهو موضع بين الحرمين على ثلاثين ميلًا من المدينة أو أربعين - يؤمن به أهل الكتاب جميعهم، إذا خرج يدعو بدعوة الإسلام، يصلي مع المسلمين مأمومًا، أولى الناس بعيسى عليه السلام محمد بن عبدالله ﷺ، وهو رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، يهلك الله في زمانه الملل كلها إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، يحل الأمن بالأرض في زمانه، حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، يمكث أربعين سنة في الأرض، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، يقاتل الناس حتى يحكم الإسلام، ينزل الروم بين حلب وإنطاكية، فيخرج إليهم جيش من المدينة من خيار أهل الأرض فيحصل بينهم قتال، فينهزم ثلثهم، لا يتوب الله عليهم أبدًا، ويقتل ثلثهم هم أفضل الشهداء عند الله، وينتصر الثلث، فيفتحون القسطنطينية، ثم يخرج الدجال، فبينما هم يعدون للقتال يسوون صفوفهم إذ أقيمت الصلاة فينزل عيسى ابن مريم عليه السلام على منارة في دمشق، فإذا رآه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء، فيقتله المسيح ابن مريم عليه السلام، وينادي الحجر والشجر يا مسلم تحتي كافر فتعال فاقتله [أحمد:١/٣٧٥]، فيهلكهم الله، ثم

يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فلا يأتون على شيء إلا أهلكوه ويشربون المياه، ثم يرجع الناس إلى عيسى ابن مريم عليه السلام فيشكونهم فيدعو الله عليهم فيهلكهم ويميتهم، حتى تنتن الأرض من ريحهم، ثم ينزل الله مطرًا فتجرف أجسادهم إلى البحر، ثم تقوم الساعة.

فائدة: تسلية الله لرسوله ﷺ بذكر تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم

قال الله تعالى: ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا۟ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَـٰهُمْ فَكَذَّبُوا۟ رُسُلِى ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ [سبأ:٤٥] لقد كذبت الأمم التي قبل قريش، وهي أعظم منهم وأشد قوة، فأهلكهم الله، كما قال: ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا﴾ [الزخرف:٨] وقريش لم تبلغ معشار قوة الأمم السابقة التي أهلكها الله، وفي هذا تسلية للرسول ﷺ، وتهديد للذين كذبوا، فالرسول ﷺ أسوة بالرسل قبله ﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾ [ص:١٤].

فائدة: التوبة من صفات المؤمنين

التوبة من صفات المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] وقال: ﴿وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] وقال ﷺ: «ياأيها الناس توبوا إلى الله، فإني أتوب إلى الله في اليوم مائة مرة» [مسلم:٢٧٠٢ وأبو داود:١٥١٥] ومن دعائه ﷺ: «رب اغفر لي وتب عليَّ، إنك أنت التواب الغفور» مائة مرة [الترمذي:٣٤٣٤، وأبو داود:١٥١٦ وصححه الألباني] وما صلى صلاة قط بعد نزول: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ

﴿وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] إلا قال فيها: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» [البخاري:٤٩٦٧] والله تعالى يحب التائبين، قال ﷺ: «لله أرحم بعباده من هذه - الوالدة - بولدها» [البخاري:٥٩٩٩ ومسلم:٢٧٥٤].

ومن شروط التوبة: الإقلاع عن المعصية، والأسف على فعلها، والعزم على عدم العودة إليها، ورد المظالم إلى أهلها.

فائدة: من معاني المشارق والمغارب

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠] وهي إما مشارق النجوم ومغاربها، أو مشارق الشمس ومغاربها على قولين، وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن:١٧] وهما مشرقا الصيف والشتاء، وهي تناسب هذه السورة، لأنها سورة ذكرت فيها المزدوجات: الخلق والتعليم، والشمس والقمر، والنجوم والشجر، والسماء والأرض، والحب والثمر، والجن والإنس، وأصل أبي البشر وأبي الجن والبحرين، والجنة والنار، وقسم الجنة إلى جنتين عاليتين، وجنتين دونهما.

وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الشعراء:٢٨] وقال: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل:٩] بالإفراد، فكما أنه تفرد بربوبيته والتوكل عليه، فليس للمشرق والمغرب رب سواه، فكذلك ينبغي أن لا يتخذ إله ولا وكيل سواه.

فائدة: مخالفة أهل الكتاب في خلع النعال في الصلاة

يرى اليهود والنصارى خلع النعلين في الصلاة وقبل دخول

الكنائس، لأن الله تعالى أمر موسى عليه السلام أن يخلع نعليه عند دخوله الواد المقدس، فقال: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَۖ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى﴾ [طه: ١٢].

وقد أمرنا رسولنا ﷺ بمخالفة اليهود في ذلك، فقال: «إن اليهود والنصارى لا يصلون في نعالهم فخالفوهم» [أبو داود: ٦٥٢ والحاكم: ١/ ٢٦٠ من حديث شداد بن أوس مرفوعًا وأورده الحافظ ابن حجر في فتح الباري ج ١ ص٤١٥ وصححه الألباني].

والأصل والغالب أن الرسول ﷺ وصحابته يصلون في نعالهم، بدليل استنكاره خلع أصحابه نعالهم، فقد صح من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عند أبي داود والنسائي وابن ماجه وغيرهم أن رسول الله ﷺ ألقى نعليه في أثناء الصلاة فألقينا نعالنا، فأخبرهم أن سبب إلقائه أن جبريل عليه السلام أخبره أن فيهما قذرًا، وقال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه قذرًا أو أذى فليمسحه، وليصل فيهما» [أبو داود: ٦٥٠ وأحمد: ٣/ ٩٢، والبيهقي: ٢/ ٤٣١ وصححه الألباني] وعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن رسول الله ﷺ قال بعد الصلاة: «من شاء أن يصلي في نعليه فليفعل» [ابن أبي شيبة] مرسل صحيح الإسناد، وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: (رأيت رسول الله ﷺ يصلي حافيًا ومنتعلًا) [أبو داود: ٦٥٣ وابن ماجه: ١٠٣٨ قال الألباني: حسن صحيح] وقال الشوكاني رحمه الله: إن حديثي أبي سعيد وشداد بن أوس يدلان على وجوب الصلاة بالنعال، وحديث عمرو بن شعيب ومرسل ابن أبي ليلى يدلان على صرف تلك الدلالة إلى الندب.

وحيث جهل الناس هذه السنة فالأولى بيانها لهم، وعدم المشادة في ذلك، خاصة وأن من يفعل ذلك ويمشي بنعاله اليوم بالمساجد وهي مفروشة يلاقي الإنكار، وقد يتطور ذلك إلى المخاصمة ورفع الأصوات، ويسبب ذلك منكرًا في المساجد، أما إذا كان الإنسان في بيته أو لوحده فليصل بنعاله أحيانًا، وليصل حافيًا إن شاء، كما كان يفعل ذلك رسول الله ﷺ، فالأمر فيه سعة، ولله الحمد، والله أعلم.

فائدة: علم الله محيط بالخلق

قال الله تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ﴾ الآية [المجادلة:٧] جعل الله تعالى نفسه رابع الثلاثة، وسادس الخمسة إذ هو غيرهم سبحانه، أما قول النصارى: (ثالث ثلاثة) كما قال تعالى: ﴿لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المائدة:٧٣] فإنهم ساووا بينه وبين الاثنين في الإلهية - تعالى الله عما يشركون - والعرب تقول: رابع أربعة وخامس خمسة وثالث ثلاثة، لما يكون فيه المضاف إليه من جنس المضاف، كما قال تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ﴾ [التوبة:٤٠] والمقصود: رسول الله ﷺ وصديقه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، فإن كان من غير جنسه قالوا: رابع ثلاثة، وخامس أربعة، وسادس خمسة.

فائدة: مآل الأبرار ومآل الفجار يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ○ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ [الانفطار:١٣، ١٤] وهذا في الدنيا والبرزخ ودار القرار.

فعذاب الفجار الخوف والهم والحزن وضيق الصدر والإعراض عن الله والدار الآخرة والتعلق بغير الله والانقطاع عنه وتشتت الأمور

وعذابه بما تعلق به دون الله، فكل من أحب شيئًا غير الله عذب به في ثلاث الدور، ففي الدنيا يعذب به قبل حصوله، فإذا حصل عذب به حال حصوله بالخوف من سلبه وفواته، فإن سلب منه اشتد عذابه عليه، وفي البرزخ عذاب أليم لفراقه وفواته النعيم، والحجاب عن الله والحسرة والهم والغم والحزن، ثم عذاب النار، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور:٤٧] وقال: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ○ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ رَدِفَ لَكُم بَعْضُ ٱلَّذِى تَسْتَعْجِلُونَ﴾ [النمل:٧١،٧٢] أما نعيم الطاعات وترك المعاصي فهو في الدنيا والبرزخ والآخرة، فقد جعل الله تعالى للحسنات آثارًا محبوبةً لذيذةً طيبةً، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وقوةً في البدن، وزيادةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضًا في قلوب الخلق) وهذا يعرفه صاحب البصيرة والعلم، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ○ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ○ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧-٣٠].

فائدة: البلاء يعم إذا نزل

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ [الأنعام:٦٥] في صحيح البخاري عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥]

قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» قال: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذا أهون، أو هذا أيسر» [البخاري:٤٦٢٨].

فالعذاب إذا نزل قد يعم من بجوار الظالمين، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال:٢٥] وكما قال الصحابة رضوان الله عليهم: يارسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «نعم، إذا كثر الخبث» [البخاري:٣٣٤٦، ٣٥٩٨، ٧٠٥٩، ٧١٣٥ ومسلم:٢٨٨٠] وفي الحديث: «ثم يحشرون على نياتهم» [البخاري:٢١١٨، ٧١٠٨، ومسلم:٢٨٧٩، ٢٨٨٤] وقد وعد الله تعالى نبيه ﷺ ألا يسلط على أمته عدوًا من سوى أنفسهم، فيستبيح بيضتهم، وألا يهلكهم بعامتهم، ولا يجوز تمني لقاء العدو، وإنما المطلوب من المسلم أن يسأل الله العافية، وإذا ابتلي صبر.

فائدة: سبب رفعة بعض الناس على بعض

قال الله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام:٨٣] قوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ مبين لسبب رفعة بعض الناس على بعض، وأن ذلك لحكمة يعلمها الله، ويعلم الله بمن يستحق الرفعة ومقدار استحقاقه، فهو سبحانه محكم ومتقن للخلق والتقدير والتدبير، وهذا التفضيل مظهر لحكمته تعالى، جار وفق علمه، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام:٨٨] ولما ذكر الله أنه هدى إبراهيم عليه السلام ذكر هدايته لإسحاق ويعقوب ونوح وداود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس وإسماعيل واليسع ويونس

ولوط عليهم السلام، ثم قال: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ○ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۚ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٨٧،٨٨] وهذا فضل الله حيث آتاهم الكتاب والحكم والنبوة، وإن كفر بها هؤلاء فقد وكل الله بها قومًا ليسوا بها بكافرين، ثم أمر رسوله محمدًا ﷺ بقوله: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام:٩٠].

فائدة: تفسير بعض الكلمات الواردة في القرآن

فسر الرسول ﷺ الظلم في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام:٨٢] بالشرك، وفسر الحساب اليسير بالعرض، وفسر الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر بأنهما بياض النهار وسواد الليل، وبين أن الذي رآه رسول الله ﷺ نزلة أخرى عند سدرة المنتهى هو جبريل عليه السلام، وفسر ﴿أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام:١٥٨] بأنه طلوع الشمس من مغربها، وفسر ﴿مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ [إبراهيم:٢٤] بأنها النخلة، وفسر: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم:٢٧] بأن ذلك في القبر حين يُسأل: من ربك؟ ومن نبيك؟ وما دينك؟ وفسر الرعد بأنه صوت ملك من الملائكة موكل بالسحاب، وفسر اتخاذ أهل الكتاب أحبارهم ورهبانهم أربابًا من دون الله، بأن ذلك استحلال ما أحلوه من الحرام وتحريم ما حرموه من الحلال، وفسر القوة التي أمر الله أن نعدها لأعدائنا بالرمي، وفسر قوله: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء:١٢٣] بأنه ما يجزى العبد في الدنيا من النصب والهم والخوف واللأواء، وفسر ﴿وزيادة﴾ بأنها النظر إلى وجه الله الكريم، وفسر الدعاء في قوله:

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ﴾ [غافر:٦٠] بأنه العبادة، وفسر ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩] بأنه الركعتان قبل الفجر، وفسر ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق:٤٠] بالركعتين بعد المغرب.

فائدة: من نسى ذكر الله أنساه الله نفسه

الذي ينسى ذكر الله ينسيه الله نفسه، ويغفل عن إصلاح قلبه، ويتبع هواه، وتنفرط أموره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ﴾ [الحشر:١٩] وقال: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف:٢٨] وإذا نسي الله صار كالأنعام، لا يهمه إلا الشهوات، قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الفرقان:٤٤] فينساهم الله، وينسيهم حظوظ نفوسهم، عقوبةً لهم على نسيانه، فيقعون فيما تفسد به نفوسهم، فذكر الله هو النعيم والسرور والفلاح والصلاح في الدنيا والآخرة، فإذا ذكر العبدُ الله تعالى، بادر لإصلاح نفسه، وأحب ربه وشكره، وانقاد إلى عبادته.

فائدة: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوْاْ لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَٰهُمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المائدة:٦٥] وفي الحديث «ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت له أمة يطؤها، فأدبها فأحسن تأديبها، وعلمها فأحسن تعليمها، ثم أعتقها فتزوجها، فله أجران» [البخاري:٩٧، ٢٥٤٤، ٢٥٤٧، ٢٥٥١، ومسلم:١٥٤ واللفظ للبخاري].

فائدة: شروط تحقيق النَّصر

كيف نطلب النصر من الله في قضايانا الكثيرة في فلسطين وغيرها وهم يحاربون من أجل الوطن والتراب والعنصر قتالًا جاهليًا.

إن النصر لن يكون إلا إذا رفعنا راية الإسلام، وتحكيم كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ، وقد سُئل رسول الله ﷺ عن الجهاد في سبيل الله، فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [البخاري: ١٢٣، ٢٨١٠، ٣١٢٦ ومسلم: ١٩٠٤] إن الذي يظهر من أحوال كثير من قادة المقاتلين اليوم أنهم لو انتصروا فلن يحكموا كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ بل يخشى أن يكونوا أشد ضررًا ممن يقاتلونهم على الدعوة الإسلامية والدعاة، كما هو الحاصل اليوم في كثير من قادة البلاد الإسلامية الذين يحاربون الإسلاميين عدا بلاد الحرمين، كما أن معظم البلاد الإسلامية اليوم تحكم بغير شرع الله، وتحمي القبور التي تعبد من دون الله، وتؤذي الدعاة إلى الله، باستثناء حكومة المملكة العربية السعودية التي لا يوجد في بلادها قبر يعبد ولا بدعة تؤيد. قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

فائدة: الإيمان الحقيقي

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦] وقال: ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣] وقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَمَا هُم بِمُؤۡمِنِينَ﴾ [البقرة: ٨] فالإيمان الحقيقي معرفة ما جاء به الله تعالى ورسوله ﷺ، والانقياد له، والعمل به ظاهرًا وباطنًا، والدعوة إليه، والحب من أجله، والبغض في الله، والعطاء لله، والمنع لله، وإفراده

بالعبودية والإلهية، وتجريد المتابعة للرسول ﷺ، وعدم الالتفات إلى غير الله ورسوله ﷺ، والإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، والقضاء خيره وشره، والتصديق الجازم بذلك، وتحمل الأذى في سبيله.

فائدة: فرح الله بتوبة عبده

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه، من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه، وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها، فأتى شجرةً فاضطجع في ظلها، قد أيس من راحلته، فبينا هو كذلك إذ هو بها قائمةً عنده، فأخذ بخطامها، ثم قال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح» [متفق عليه: البخاري:٦٣٠٨ ومسلم: ٢٧٤٧].

فالله سبحانه وتعالى من كرمه وجوده وإحسانه وفضله ورحمته ومنه ومعروفه وصفاته العلى، يفرح فرحًا عظيمًا بتوبة عبده وأوبته إليه، أشد من فرح هذا الذي ضلت راحلته وعليها متاعه، فأيس منها ورقد تحت شجرة، ولما انتبه وجدها بخطامها.

ومن فضله أنه لا يهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون، آمرون بالمعروف وناهون عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ﴾ [هود:١١٧] ومن كرمه أنه لا يعذب أمةً ولا فردًا إلا بعد قيام الحجة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] ومن جوده وإحسانه أنه يبعث النذر والرسل للناس، قال تعالى: ﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ

نَذِيرٌ ○ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الملك:٨،٩] فإذا أقدم العبد على سبب الهلاك وهو عارف أنه سببه، فالحجة قائمة عليه والمؤاخذة لازمة له، مثل من شاهد النار فألقى نفسه فيها وهو عارف أنها محرقة، والله تعالى يقيم الحجة على الناس أولًا، كما قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ﴾ [الأنعام:١٣١] وقال: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [الزمر:٧١] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٣٣] فهم لا يؤمنون لأنهم فسقوا، ولو استجابوا لآمنوا وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر:٦] فالسبب في المصائب كلها وفي الانحرافات كلها، هو الإنسان نفسه (نعوذ بالله من شرور أنفسنا)، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى:٣٠] وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [التغابن:١٦] وقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ [يوسف:٥٣].

فائدة: الخواطر والتصورات تقتضي وقوع الشيء المفكر فيه

الخواطر والتصورات والإرادات تقتضي وقوع الشي المفكر فيه، فإذا كانت خواطر المسلم مراقبة الله ومحابه وعمل الخير والتفكر في آلائه وتوحيده، ومراقبته والحياء منه سبحانه، إذا كان ذلك أكرمه الله واجتباه ووالاه، وأبعده عن المعاصي والأقذار، أما إذا كانت خواطر المرء في أمور يكرهها الله تطورت هذه الخواطر إلى العمل، وإذا دفعت الخواطر السيئة اندفع عنك ما بعدها، وإن قبلتها صارت أمنيةً وشهوةً وإرادةً، ثم فعلاً، وأنفع الدواء أن تشغل فكرك في ما ينفع

ولا تمكن الشيطان من بيت أفكارك فإنه يفسدها، وعليك أن تشغل فكرك بالعلم النافع، وتذكر الموت والجنة والنار والتفكر في مخلوقات الله، وأسمائه وصفاته وكتابه وسنة نبيه ﷺ، ولا تشغلها بالوساوس والأماني الباطلة، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ﴾ [التوبة: ٤٦].

فائدة: ازدياد الكفار نفوراً بعد مجيء الرسول ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ لَّيَكُونُنَّ أَهۡدَىٰ مِنۡ إِحۡدَى ٱلۡأُمَمِۖ فَلَمَّا جَآءَهُمۡ نَذِيرٞ مَّا زَادَهُمۡ إِلَّا نُفُورًا ○ ٱسۡتِكۡبَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَكۡرَ ٱلسَّيِّئِۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣] يبين الله تعالى أن المشركين أقسموا بالله لئن جاءهم رسول من العرب ليكونن أهدى من اليهود والنصارى والصابئة وجميع الأمم، فلما جاءهم رسول منهم كذبوه، ومازادهم ذلك إلا فتورًا بسبب الكبر والمكر، ويظهر أن النصارى وغيرهم كانوا يدعونهم إلى دينهم فيقولون لهم ذلك، قال تعالى: ﴿أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ﴾ [الأنعام: ١٥٧] وقال: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُواْ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ○ أَن تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلۡكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيۡنِ مِن قَبۡلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمۡ لَغَٰفِلِينَ ○ أَوۡ تَقُولُواْ لَوۡ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا ٱلۡكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهۡدَىٰ مِنۡهُمۡۚ فَقَدۡ جَآءَكُم بَيِّنَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ﴾ [الأنعام: ١٥٥-١٥٧] وقال: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَئِن جَآءَتۡهُمۡ ءَايَةٞ لَّيُؤۡمِنُنَّ بِهَاۚ﴾ [الأنعام: ١٠٩] وقوله: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلۡمَكۡرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهۡلِهِۦۚ﴾ [فاطر: ٤٣] فمن حفر حفرةً لأخيه وقع فيها، والمكر يكون ضرره على الماكر، وهذه سنة الله تعالى في الأولين، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَانُواْ مِن

قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [غافر:٢١] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾ [الروم:٩].

فائدة: لا تكون الحياة نافعة إلا إذا كان فيها استجابة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٢٤].

الحياة النافعة هي التي تحصل بها الاستجابة لله ورسوله ﷺ، فمن لم يتحصل على هذه الحياة فحياته حياة البهائم، فحياة المؤمن مستمرة، وإن مات صاحبها، والكفار أموات وإن كانوا أحياء الأبدان، والقرآن حياة وعصمة في الدنيا والآخرة قال تعالى: ﴿إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال:٢٤] والإسلام حياة في الدنيا والآخرة، والقصاص حياة، قال تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي ٱلْقِصَاصِ حَيَوٰةٌ﴾ [البقرة:١٧٩] والجهاد حياة، ومن ترك الجهاد ضعف ومات، والشهيد حي في البرزخ، قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران:١٦٩] وحياة الجنة أكمل حياة، وحياة القلب والروح أهم من حياة البدن، وأعلى وأسمى، وحياة العالم أعظم من حياة الجاهل، وكما أن الكافر ميت، فإن المؤمن حي بنور إيمانه، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام:١٢٢] فالكافرون في ظلمة، والمؤمن يمشي في الناس بنور إيمانه في الدنيا والآخرة، وروح الحياة بأمر الله، قال الله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [النحل:٢] وقال: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ

عِبَادِهِۦ﴾ [غافر:١٥] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ﴾ [الشورى:٥٢].

فائدة: شهادة الله كافية عن شهادة أحد سواه

قال الله تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ ۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦].

لما سأل اليهود عن أشياء في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ الآية [النساء:١٥٣] دل سؤالهم على أنهم لا يشهدون بالحق، ولا برسالة الرسول ﷺ، ولا بالقرآن المنزل على رسوله ﷺ. جاء هذا الاستدراك لبيان شهادة الله تعالى التي هي فوق كل شهادة، وشهادة الملائكة على صدق الرسول ﷺ وعلى أن القرآن منزل من عند الله، فإذا لم يشهد أهل الكتاب فإن الله يشهد وملائكته يشهدون، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران:١٨] وهذا القرآن الكريم بعلم الله معجز لفظًا ومعنًى ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦] فشهادة الله كافية عن شهادة أحد سواه سبحانه وتعالى.

فائدة: مراتب الوحي للرسول ﷺ

مراتب الوحي للرسول ﷺ:

١- الرؤيا الصادقة.

٢- ما يلقيه الملك في روع الرسول ﷺ وقلبه.

٣- يتمثل له الملك بصورة رجل فيخاطبه، وفي هذه كان يراه الصحابة أحيانًا.

٤- أن يأتيه في مثل صلصال الجرس، وهذه أشدها عليه.

٥- أن يرى الملك في صورته التي خلقه الله عليها، كما في سورة النجم. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ○ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:١٣، ١٤].

٦- ما أوحاه الله إليه من فرض الصلاة وغيرها، وهو فوق السموات ليلة المعراج .

٧- كلام الله له منه إليه بلا واسطة، كما كلم الله موسى عليه السلام، قال الإمام ابن القيم: (هذه ثابتة لموسى ﷺ قطعًا، وثبوتها لنبينا محمد ﷺ في حديث الإسراء) والله أعلم.

فائدة: دعاء الله تعالى ينجي العبد من الكربات والشدائد

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [العنكبوت:٦٥] لقد نجاهم الله في الدنيا بسبب هذا الدعاء، وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] فهؤلاء المشركون، أما المؤمنون أولياء الله فينجيهم الله من كربات الدنيا والآخرة، ولما دعا يونس عليه السلام نجاه الله من تلك الظلمات، قال تعالى: ﴿فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] وما دعا مكروب بها إلا فرج الله كربه، ومن قال: (لا إله إلا الله) عند الموت آخر كلامه إلا دخل الجنة، فنسأل الله أن يلهمنا قولها، وأن تكون آخر كلمة نقولها في هذه الحياة الدنيا.

فائدة: العدل والقسط دليل التقوى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ

﴿بِٱلْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة:٨] العدل والقسط دليل على التقوى، والجور والظلم دليل على ضعف الإيمان، وقد أمر الله تعالى بأن يقوم الناس لله شهداء بالقسط، ولا يجرمنهم شنئان قوم على عدم العدل، وأمر رسوله محمدًا ﷺ بأن لا يكون للخائنين خصيمًا، فقال: ﴿وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا﴾ [النساء:١٠٥] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء:١٠٥] وقال: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾ [النساء:١٣٥] وتكون القوامة بالقسط على النفس، حيث قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء:١٣٥] فالعدل قامت عليه السموات والأرض، والقسط من العدل، قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ﴾ [النساء:٥٨] فالعدل ملاك كبح النفس عن الشهوة، وذلك ملاك التقوى، وما انهار مُلْك إلا بسبب ترك العدل والقسط، وما فاز قوم إلا بهما.

فائدة: معاني عداوة المحبة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن:١٤] ليس المراد عداوة البغضاء والمحادة، وإنما هي عداوة المحبة التي تصد عن الهجرة والخير والجهاد وتعلم العلم والصدقة ومجالسة الأخيار وعمل البر، عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلًا سأله عن معنى هذه الآية قال: هؤلاء رجال أسلموا من أهل مكة فأرادوا أن يأتوا إلى النبي ﷺ فأبى أزواجهم وأولادهم

أن يَّدَعوهم أن يأتوا رسول الله ﷺ، فلما أتوا رَسولَ الله ﷺ رأوا الناس قد فقهوا في الدين، هموا أن يعاقبوهم، فأنزل الله: ﴿وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التغابن: ١٤] [الترمذي: ٣٣١٧ وحسنه الألباني] وفي الحديث: «الولد مبخلة مجبنة» [ابن ماجة: ٣٦٦٦، وأحمد: ٤/ ١٧٢ وصححه الألباني] وكثير من الناس يفتن بأولاده وماله وزوجاته، وربما عصى الله بسببهم، قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ﴾ [التغابن: ١٥].

فائدة: الأمر بطهارة الثوب والقلب

قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤] قال قتادة ومجاهد: طهر نفسك من الذنوب، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: لا تلبسها على معصية وغَدْرَة. وقال الشاعر العربي:

وإني بحمدِ الله لا ثَوْبَ فَاجرٍ
لبستُ، ولا من غَدْرَةٍ أتقنَّعُ

يقال عند العرب للرجل الصدوق الوفي: طاهر الثياب، وقال الضحاك: أصلح عملك. وقال سعيد بن جبير: طهر قلبك ونيتك. وقال الحسن البصري ومحمد القرظي: وخلقك فحسِّنْ، وقال طاوس: وثيابك فقصر.

ومن الدين الطهارة في القلوب والثياب والكلام والنظر والاستماع والمشي والفكر والحركات، وترك الشبهات، والورع، وترك ما لا يعنيك، قال ﷺ: «ياأبا هريرة كن وَرِعًا تكنْ أعبدَ الناس» [ابن ماجة: ٤٢١٧، والترمذي: ٢٣٠٥، وأحمد: ٢/ ٣١٠ وصححه الألباني].

فائدة: تنزيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر

قال الله تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾ [يس:٦٩] قال أبو بكر ابن العربي: هذه الآية ليست من عيب الشعر، كما لم يكن قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت:٤٨] من عيب الخط، فلما لم تكن الأمية من عيب الخط كذلك لا يكون نفي النظم عن النبي ﷺ من عيب الشعر، فالشعر حسنه حسن وقبيحه قبيح.

وإنما لم يعلمه الله الشعر ولا الخط حتى لا يقول المشركون: إن القرآن شعر ويصدقوا بذلك، وقال رسول الله ﷺ: «إن من الشعر لحكمة» [البخاري:٦١٤٥] وقال: «أصدق كلمة قالها شاعر، كلمة لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل»

[البخاري:٦١٤٧]

فتنزيه النبي ﷺ عن قول الشعر وعن الخط من قبيل حياطة معجزة القرآن ومقام الرسالة، وقد كان الرسول ﷺ يأمر حسانًا وعبدالله بن رواحة رضي الله عنهما بقول الشعر وهجاء المشركين، واستحسن شعر كعب بن زهير رضي الله عنه وجازاه على قوله:

بانت سعاد فقلبي اليوم مَتْبول
مُتَيَّمٌ إثرها لم يُفَد مكبول

[البداية والنهاية:٧/ ١٢٦ بتحقيق التركي]

والعرب كانت تحب الشعر، وكان يؤثر فيها، بل كان رسول الله ﷺ يستمع إليه من عائشة رضي الله عنها وغيرها.

فائدة: الناس فقراء إلى الله

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر:١٥] فالناس كلهم فقراء إلى الله محتاجون إليه، وفيهم من العوز في كل لحظة من لحظاتهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

والفقر لي وصف ذات لازم أبدًا
كما الغنى أبدًا وصف له ذاتي

ففقر العالم لله فقر ذاتي، والله هو الغني غنًى ذاتيًا مطلقًا، وكلما تعلم الإنسان وعرف الله كلما زاد فقره إليه، فمن عرف ربه بالغنى المطلق عرف نفسه بالفقر المطلق، وقد خرج الإنسان من بطن أمه لا يعلم شيئًا، ثم إن الله تعالى سخر له وأغناه ورزقه، والعبد في أشد الفقر والحاجة إلى عبادة الله، ولا صلاح له إلا بذلك، وكلما زاد علم الإنسان زادت خشيته، واعترف بفقره وحاجته، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨].

فائدة: عظم جرم منع الناس عن المساجد

لا أحد أظلم ولا أشد طغيانًا وفسادًا وخرابًا ممن يمنع الناس عن دخول المساجد لذكر الله وعبادته، ويخربها، أو يمنع أعمال الخير، ويوقف الدعوة إلى الله تعالى، ويسعى في منع التبرعات ومشاريع البر والإحسان، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤] وقد توعد الله أولئك بالخزي في الدنيا والعذاب العظيم

في الآخرة، وقد منع المشركون رسول الله ﷺ وأصحابه من دخول مكة، ومن الطواف بالبيت، ومنع بختنصر ملك أشور الناسَ عن دخول بيت المقدس، وخرب طيطس الروماني بيت المقدس، وأحرق التوراة، وقام البعض بمنع الدعوة إلى الله ومنع مشاريعها الخيرية، واعتدوا على مؤسسات الخير بغير حق، وأضاعوا أموالها، فظلموا الدعاة وظلموا أنفسهم بسوء السمعة في الدنيا والعذاب في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الفرقان:٣٧] ومن عذاب هؤلاء في الدنيا أن يضع الله في قلوبهم الخوف والهلع والحزن والقلق قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة:١١٤].

فمن تسبب في إيقاف الدعوة إلى الله، ومنع بناء المساجد وتعميرها، وأوقف المشاريع الإسلامية، فقد توعده الله بهذا العذاب في الدنيا والآخرة، وإن ظن أنه بفعله هذا يصلح، فهو أظلم الناس وأشدهم فسادًا، والله لا يحب المفسدين، ومن الحزن والهوان والذلة ما نال المشركين يوم بدر من القتل الشنيع والأسر، وما نالهم يوم فتح مكة من الانهزام، وما سينالهم من عذاب الله يوم القيامة، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ﴾ [البقرة:٢١٧].

فائدة: مملكة سبأ وما آل إليه أمرها

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ○ فَأَعْرَضُوا۟

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ○ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ: ١٥-١٧].

مملكة سبأ في اليمن كانت في نعيم عظيم، ولما عصوا الله تعالى تبدلت نعمتهم وجنتاهم، والرزق الذي منحهم الله، وانهدم سد مأرب الذي كان يسقي زروعهم، فبدل الله حالتهم التي كانوا ينعمون بها، فقد ورد أن الجارية تحمل الإناء على رأسها وتمشي بين الأشجار المثمرة فلا تقطعها حتى يمتلئ الإناء من الثمار، وأمرهم الله بأن يأكلوا من رزق الله ويشكروه في تلك البلدة الطيبة، فلما أعرضوا بدلهم الله بجنتيهم جنتين من الخمط والأثل والسدر القليل بسبب كفرهم، وهذا مصير الكافرين، وقد ذكر الله تعالى قصة سبأ الذين لم يشكروا نعمة الله بعد ذكر قصة داود وسليمان عليهما السلام الشاكرين لله تعالى، والذين أسبغ الله عليهم نعمه، وفي هذا موعظة لمن أسبغ الله عليه النعمة بأن يشكرها بالعمل الصالح حتى لا تزول، وفي هذا أيضًا تمثيل أمة بأمة وبلاد ببلاد، قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ○ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ [النحل: ١١٢، ١١٣] وسيل العرم هو الماء الكثير المجتمع في السد، والذي بعد انهدامه اندفع بقوة فأغرقهم، وأتلف أنعامهم وأشجارهم، ثم أعقبه جفاف وقحط فماتت زروعهم، وهذا السد العظيم بدأ ببنائه سبأ أول ملوكهم، وأكمل بناءه ابنه حمير، قيل: إن طوله من الشرق

إلى الغرب ثمانمائة ذراع، وارتفاعه بضع عشرة ذراعًا، وعرضه مائة وخمسون ذراعًا. قال ابن عطاء الله الأسكندري: (من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها) ومن الدعاء المأثور عن النبي ﷺ: «اللهم باعد بيني وبين خطاياي كما باعدت بين المشرق والمغرب» [البخاري: ٧٤٤، ومسلم: ٥٩٨] وقد حمل قبيلةَ سبأٍ هذا الجفافُ بعد انهيار السد إلى ترك أوطانهم والتفرق بين البلاد، كما قيل في المثل: (تفرقوا أيدي سبأ) قال ذو الرمة:

فيالكَ من دارٍ تفرقَ أهلُها
أيادي سبأ عنها وطال انتقالها

وقبائل سبأ التي تفرقت، هي الأزد سكنت عمان، وخزاعة استقرت في مكة، والأوس والخزرج بيثرب، وغسان بالشام، ولخم بالعراق، وتفرق بعضهم في أنحاء اليمن، وفي طريقهم تمزقوا.

فائدة: ما تأليه اليهود للعجل

إذا اعتقد المرء شيئًا زاد توغلًا في حبه، وبالغ في ذلك، وقد اعتقد اليهود بالعجل فأشربوا حبه، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأُشْرِبُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ﴾ [البقرة: ٩٣] فأَلِهُوه فاتصل حبهم في قلوبهم، كما يتصل الشراب في الجسم ويدخل فيه، قال الشاعر:

تغلغل حبُّ عثمَةَ في فؤادي
فباديه مع الخافي يسيرُ

تغلغل حيث لم يبلغ شرابٌ
ولا حزنٌ ولم يبلغْ سرورُ

فائدة: ما حرمه الله في كتابه من اللحوم

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

﴿الميتة﴾: الحيوان الذي زالت منه الحياة.

﴿والدم﴾: المسفوح لقذارته.

﴿ولحم الخنزير﴾: اللحم يعم جميع أجزائه حتى الشحم، كما هو المفهوم من لغة العرب ومن العرف المطرد.

﴿وما أهل لغير الله به﴾: وهو ما سمي عليه عند الذبح باسم غير اسم الله.

﴿والمنخنقة﴾: هي التي عرض لها ما يخنقها، ويسد مجاري نفسها، وكان أهل الجاهلية يخنقون الشاة، فإذا ماتت أكلوها.

﴿والموقوذة﴾: المضروبة بحجر أو عصا ضربًا تموت به لانحباس الدم باللحم.

﴿والمتردية﴾: التي سقطت من جبل أو في بئر ترديًا فماتت، وذلك لانحباس دمها.

﴿والنطيحة﴾: وهي التي ضربها الحيوان ونطحها بقرنه فماتت.

﴿وما أكل السبع﴾: أي أكلها الحيوان المفترس كالأسد والنمر والضبع والذئب، لأنها ماتت بدون خروج دم.

﴿وما ذبح على النصب﴾: أي على القرابين والأصنام.

﴿وأن تستقسموا بالأزلام﴾: أي اللحم الذي يستقسمون عليه بالأزلام والأنصاب، وهو لحم جزور الميسر الحاصل بالمقامرة، وأكل المال بالباطل

ونحو ذلك.

فائدة: التفكر في خلق الله يزيد الإيمان

التدبر في خلق الله تعالى والتفكر، يزيد إيمان العبد، وقد أقسم الله تعالى بالقمر، والليل إذا أدبر، والصبح إذا أسفر، في سورة المدثر، فقال: ﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ○ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ○ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ○ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ○ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ○ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٢-٣٧].

فالقمر آية الليل، وما يحدث في حركاته على نهج واحد لا يفتر، ويجري في فلكه، لا تدركه الشمس، ولا يجيء الليل قبل انقضاء النهار، وتأثيراته العظيمة ومنافعه الكبيرة بتسخير من الله الحكيم العليم، يبدو جسمه المظلم بخيط من النور، ثم يتزايد حتى يتكامل ليلة النصف، ثم يأخذ في النقصان حتى يعود إلى حالته الأولى، فيحصل بسبب ذلك معرفة الأشهر والسنين وحساب الآجال ومواقيت الصلاة ومواقيت مصالح الدين والدنيا، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٨٩] جعله الله نورًا، وقدره تقديرًا، وجعله آيةً يعرف به الصوم والعدد والرضاع والحمل والإيجارات والآجال، ومعرفة أوائل الشهور وأوساطها وآخرها، يذهب نوره ثم يعود، وقد يعود مظلمًا كاملًا بالكسوف حسب أمر الله تعالى، وتقديره حسب ذلك أسهل من الحساب.

فسبحان من أوجده، وكذا الشمس التي كورها وجعلها ضياءً وآيةً عظيمةً دائبةً في طلوعها وغروبها، وجرمها العظيم، وتأثيرها على الأرض وغيرها، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾

[يونس:٥] وقال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ [الإسراء:١٢] وكما أقسم تعالى بالشمس أقسم بالليل إذ أدبر والصبح إذا أسفر، فهذا الليل يدبر ثم يقبل النهار وهكذا، ففي الليل السكون والهدوء، وفي النهار الحركة وارتفاع الأصوات، في الليل يعسعس الظلام، وفي النهار يتنفس النور، فلو كان الليل سرمدًا كيف يسعى الناس لمعاشهم والدنيا مظلمة؟ وكيف تهنأ لهم الحياة في ظلام سرمدي؟ وأي ثمار ونبات وحيوان يوجد، ولو كان النهار أبديًا لم يكن هدوء ولا استقرار، ولولا الله ثم الليل وبرده لاحترقت أبدان النبات والحيوان من دوام الشمس، وهذه الشمس ترتفع وتنخفض لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة، وفي ذلك مصالح للثمار والهواء والسحاب والمطر والحياة والأبدان والهواء وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ○ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ○ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ○ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس:٣٧-٤٠].

فائدة: الاستعاذة من الشيطان و من النفس

قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل:٩٨].

الاستعاذة من الشيطان الرجيم، والاستعاذة من شر النفس مطلوبتان من المسلم، وقد جاء في القرآن الكريم الاستعاذة من الشيطان الرجيم في آيات كثيرة، بل في سورة تامة وأحاديث كثيرة،

وتحذير الله لعباده منه أكثر من تحذيره من النفس، لأن شر النفس وفسادها ينشأ من وسوسة الشيطان، وليس في القرآن الاستعاذة من النفس، وإنما جاءت الاستعاذة من شرها في خطبة الحاجة في قوله ﷺ: «ونعوذ بالله من شرور أنفسا ومن سيئات أعمالنا» [أبو داود: ١٠٩٧، ٢١١٨ والترمذي: ١١٠٥ والنسائي: ٣٢٧٧ وابن ماجة: ١٨٩٢، ١٨٩٣ وصححه الألباني] وكذا في الحديث أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يارسول الله علمني شيئًا أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت، قال: قل: «اللهم عالم الغيب والشهادة، فاطر السموات والأرض، رب كل شيء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسي، وشر الشيطان وشركه، وأن أقترف على نفسي سوءًا، أو أجره إلى مسلم، قُله إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك» [الترمذي: ٣٣٩٢، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وصححه الألباني].

فائدة: كفر بعض قريس بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ۚ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩].

لما ذكر الله تعالى الذين هداهم، وأمر النبي ﷺ أن يقتدي بهداهم، وبين أن الله فضلهم وآتاهم الكتاب والحكم والنبوة، بين سبحانه أن من قوم الرسول ﷺ من سيخالفه من المشركين، وأنه غني عنهم، وأنه وكل قومًا ليسوا بها بكافرين، فإما أن يكونوا الأنصار ومن آمن من مكة من المهاجرين إذا كانت هذه السورة نزلت قبيل الهجرة، أو غيرهم من غير العرب الذين أسلموا وحسن إسلامهم، كما ورد أن الرسول ﷺ أشار إلى قوم سلمان الفارسي رضي الله

عنه، والله أعلم.

فائدة: إنكار اليهود نبوة سليمان عليه السلام ورميه بالسحر

قال ابن إسحاق: (لما ذكر النبي ﷺ سليمان في الأنبياء قالت اليهود: إن محمدًا يزعم أن سليمان نبي، وما هو بنبي، ولكنه ساحر، نزلت الآية الكريمة: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢] ولما مات سليمان عليه السلام عمدت الشياطين فكتبوا أصنافًا من السحر، وقالوا: من أحب أن يبلغ كذا وكذا فليفعل كذا وكذا من أصناف السحر، وختموه بخاتم يشبه نقش خاتم سليمان عليه السلام ونسبوه إليه ودفنوه، وزعموا أن سليمان عليه السلام دفنه، وأنهم يعلمون مدفنه، ودلوا الناس على ذلك الموضع، فأخرجوه، فقالت اليهود: ما كان سليمان إلا ساحرًا، وما تم له الملك إلا بهذا، قال الله تالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾ [البقرة:١٠٢] وقال عن السحرة في مواضع أخرى: ﴿سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ [الأعراف:١١٦] وقال: ﴿إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيْدُ سَٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٩] وقال: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ [طه:٦٦] وأكثر الناس قابليةً للسحر النساء والصبيان والعامة ومن يتعجب من كل شيء، والسحر يضر إذا أراد الله ولا ينفع أبدًا، كما قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢] ﴿وَلَقَدْ

عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢] وقد أنزل الله ملكين بمدينة بابل هما ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ﴾ تشكلا للناس على هيئة آدميين يعلمانهم كشف أسرار السحرة، لأن السحرة كانوا يزعمون أنهم آلهة أو رسل، فكانوا يسخرون العامة، فأراد الله تكذيبهم ذبًا عن مقام النبوة، فأنزل الملكين ابتلاء من الله لخلقه، وكان الملكان يقولان لمن أراد أن يتعلم السحر: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ [البقرة:١٠٢] أي ابتلاء واختبار، وقوله: ﴿فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ أي لا تفتتن، فالسحر لا تأثير له بذاته، ولكنه حيلة قد تؤثر في المسحور بإذن الله، وتعاطي السحر كفر، وليس لمتعاطيه حظ من الخير، بل كله شر ومكتسبه ماله من خلاقٍ، وإنما هو خسران مبين ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠٢] والله أعلم.

فائدة: التقوى تقوى القلوب

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: إن العبد يقطع منازل السير إلى الله بقلبه وهمته لا ببدنه، والتقوى في الحقيقة تقوى القلوب، لا تقوى الجوارح، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] وقال: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقۡوَىٰ مِنكُمۡۚ﴾ [الحج:٣٧] وقال النبي ﷺ: «التقوى ههنا» وأشار إلى صدره [مسلم البر والصلة:٢٥٦٤ وأحمد:٢/٢٧٧، ٣٦٠ والترمذي:١٩٢٧ وغيرهم].

فبالعزيمة وعلو الهمة وتجريد القصد والنية الصالحة والعمل - ولو قل - يصل الإنسان إلى التقوى أسرع مما يصل إليها الفارغ من

ذلك، ولو تعب وتحمل المشاق.

فائدة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه

من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه، لما قتل سليمان عليه السلام الخيل حيث حبسته عن صلاة العصر، سخر الله له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، وهي أسرع من الخيل، ولما امتثل إبراهيم عليه السلام في ذبح ابنه إسماعيل عليه السلام عوضه الله بذبح الكبش، وصار سنة إلى يوم القيامة، وأبقى ابنه بعد أن فداه، وهكذا.

وقد يعتب الله على أنبيائه كما عتب على آدم عليه السلام حين أكل من الشجرة، وعلى نوح عليه السلام حين طلب إنقاذ ابنه، وحين دعا على قومه، وعلى يونس عليه السلام حين خرج مغاضبًا، وعلى يعقوب عليه السلام حين قال: ﴿لَا تَدۡخُلُواْ مِنۢ بَابٖ وَٰحِدٖ وَٱدۡخُلُواْ مِنۡ أَبۡوَٰبٖ مُّتَفَرِّقَةٖۖ﴾ [يوسف:٦٧] وهذا العتب على شيء من النقص البشري، فالكمال لله تعالى.

ولما ألقى موسى عليه السلام الألواح وأخذ برأس أخيه يجره إليه، لم يعتب عليه، وكذلك حين لطم موسى عليه السلام عين ملك الموت ففقأها، وفي ليلة الإسراء عاتب ربه في النبي ﷺ إذ رفعه فوقه ورفع صوته بذلك، ولم يعتب عليه ربه في ذلك، ولله الحكمة في ذلك، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (السبب في عدم معاتبة موسى عليه السلام لأنه قاوم فرعون أكبر أعداء الله تعالى، وتصدى له ولقومه، وعالج بني إسرائيل أشد المعالجة، وجاهد في الله أعداء الله أشد الجهاد، وكان شديد الغضب لربه، فاحتمل له ما لم يحتمله غيره) [من كتاب مدارج السالكين لابن القيم الجزء الثاني ص ٤٧٥ (بتصرف)]

والله أعلم.

فائدة: حسد اليهود لرسول الله ﷺ مع معرفتهم به

قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩] أي أن (اليهود) في المدينة كانوا ينتظرون أن ينزل الكتاب عليهم، ويبعث الرسول منهم، وكانوا يترقبون مجيئه وينتظرون النصر به، وكانوا يقولون بذلك للمشركين، ولكنهم حسدًا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق جحدوا بالقرآن وكذبوا الرسول ﷺ، مع أنه مصدق لما معهم من الكتب، قال تعالى: ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّۚ﴾ [البقرة:١٠٩] وقال الله تعالى: ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٨٩] وقال: ﴿بَل لَّعَنَهُمُ ٱللَّهُ بِكُفْرِهِمْ﴾ [البقرة:٨٨] وقال: ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٦] وقال: ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُواْ بِمَا قَالُواْ﴾ المائدة:٦٤] وقال: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ﴾ [البقرة:٩٠] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِۖ﴾ [البقرة:٨٦] ثم قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾ [البقرة:٩١] وهذه قولة مشابهة لقول اليهود والنصارى وغيرهم من أهل الديانات المنسوخة والمحرفة، وفي هذه الآية دليل على أن من لم يؤمن بالإسلام وبمحمد رسول الله ﷺ، ويتبع شريعته فهو كافر، لا ينفعه إيمانه بموسى عليه السلام أو عيسى عليه السلام أو غيرهما، ما لم يتبع دين الإسلام وشريعته، ويؤمن بمحمد رسول الله ﷺ، والإيمان

بمحمد ﷺ يستلزم طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

فائدة: ذم كثرة الاسئلة

من الأمور المذمومة كثرة الأسئلة، وقد نهى الله عن ذلك حين ينزل القرآن، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾ [المائدة:١٠١] وقال ﷺ: «إنما أهلك من كان قبلكم كثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم» [مسلم:١٣٣٧، وأحمد:٢/٤٨٢] وقد سأل رجل رسول الله ﷺ من أبي؟ وأين هو؟ قال: «في النار» فلما رأى وجهه قال: «إن أبي وأباك في النار» [مسلم:٢٠٣، وأبو داود:٤٧١٨، وأحمد:٣/١١٩] وكثير من الأمم السابقة سألوا عن أشياء كانت سبب كفرهم، فثمود سألوا صالحًا عليه السلام آيةً، فلما أخرج لهم الناقة عقروها، وسأل اليهود زكريا ويحيى عليهما السلام عن عيسى عليه السلام فقالا: نبي، فأبغضوهما، وهكذا.

فائدة: من ساءت نيته عوقب بالخذلان

من رد الحق لأنه لم يوافق هواه، قلبت بصيرته وفؤاده، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ﴾ [الأنعام:١١٠] ومن تهاون بالأمر الحسن إذا حضر وقته ثبطه الله عن عمله، وأقعده عنه عقوبةً له، قال تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدٗا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ﴾ [التوبة:٨٣].

فائدة: هجر القرآن يكون بأمور عديدة

هجر القرآن يكون بأمور عديدة:

هجر قراءته، وهجر الإيمان به، وهجر الإصغاء وإلقاء السمع إليه، وهجر العمل به، وهجر الوقوف عند حلاله وحرامه، وهجر تحكيمه والتحاكم إليه، وهجر تدبره وتفهم معانيه ومعرفة مراده، وهجر الاستشفاء والتداوي به، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان: ٣٠].

فائدة: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً

قال الله تعالى: ﴿قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨] يحمد الله تعالى لعدم اتخاذه ولدًا، وعدم وجود شريك له، وبإنه لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، ولا يعزب عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أصغر من ذلك ولا أكبر، وبأنه لا يظلم أحدًا، وبأنه لا تدركه الأبصار، ولا يحاط به علمًا ولا يحاط به رؤيةً، ولا يغفل ولا ينسى، فأوصافه كلها أوصاف الكمال ونفي أوصافه نفي لحمده، ونفي الحمد مستلزم لثبوت ضده، فهو سبحانه الإله الرب المتصف بصفات الكمال، الحي القيوم العليم العدل الصمد الغني مالك الملك. ومن نفى أسماءه الحسنى وصفاته العلى فهو ملحد، قال الله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

فائدة: الرسل المذكورون في القرآن الكريم

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ

وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ○ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ۚ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [النساء:١٦٣، ١٦٤] بين الله تعالى في هاتين الآيتين أسماء بعض الرسل: نوح بن لامك أول الرسل عاش ٩٩٠ سنة، قيل: إنه مات قبل الهجرة بـ ٣٩٧٤ سنة، وإبراهيم بن آزر الخليل في بلاد الكلدانيين، ومات في بلاد الكنعانيين (سوريا) ببلدة الخليل، وإسماعيل بن إبراهيم من الجارية المصرية (هاجر) توفي بمكة، وإسحاق بن إبراهيم من سارة، ويعقوب بن إسحاق الملقب بإسرائيل، والأسباط - وهم أسباط إسحاق، أي أبناء يعقوب - اثنا عشر ابنًا: روبين وشمعون وجاد ويهوذا ويساكر وزبولون ويوسف وبنيامين ومنسى ودان وأشير وثفتالي (على جميع الأنبياء والرسل السلام).

أما عيسى ابن مريم عليه السلام فقد ولد من غير أب سنة ٦٢٢ قبل الهجرة، ورفع إلى السماء قبل الهجرة بـ ٥٨٩ سنة.

وأيوب عليه السلام وهو بعد إبراهيم وقبل موسى عليهما السلام، ويونس بن متى عليه السلام بعث إلى أهل نينوى الأشورية، وهارون أخو موسى بن عمران عليهما السلام، وسليمان بن داود عليهما السلام، وداود أبو سليمان عليهما السلام أنزل الله عليه الزبور، قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الزبور:١٦٣] وقد قص الله علينا قصص مجموعة من الرسل في القرآن الكريم، وهم: هود وصالح وشعيب وزكريا ويحيى وإلياس واليسع ولوط وتبع عليهم السلام، قيل: من الرسل الذين لم يقصصهم الله علينا حنظلة بن صفوان ورسول أصحاب الرس، وبعض حكماء اليونان وخالد بن

سنان العبسي، قال تعالى: ﴿وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَٰهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ﴾ [النساء:١٦٤] وقال: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر:٢٤] وما ذكر في القرآن إنما هم الرسل المجاورون لبلاد العرب، أو من هم من العرب، أو من بني إسرائيل، وعدد الرسل ٣١٣ رسولًا، أولهم نوح عليه السلام، وعدد الأنبياء عليهم السلام مائة ألف وأربعة وعشرون ألفًا، والله أعلم.

فائدة: سخافة عقل الكافر

الكافر ليس لديه عقل ولا علم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] وقال: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف:١٧٩] وقال: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٧١] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج:٤٦] وقال: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٣] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [النمل:٥٢] وقال: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩] وقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البقرة:١١٨] وقال: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ﴾ [البقرة:١١٣] وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩] هذه الآيات وغيرها تدل على أن الكافر لا عقل له ولا علم، وأن له أذنًا لا يسمع بها، وعينًا لا يبصر بها، فما أبعد جهل الكافر، وما أقل علمه وعقله، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد:١٩] إن المؤمن المنيب إلى الله الخاشي القانت الساجد القائم هو العالم حقًا ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ

هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر:٩] إن علم المادة بدون علم للروح جهل مركب، كما هو الحاصل عند كفار اليوم، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلۡجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٞ وَحُمۡرٞ مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٞ ۝ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٧، ٢٨].

فائدة: الكبر بطر الحق وقمط الناس

قال الله تعالى: ﴿يَزِيدُ فِي ٱلۡخَلۡقِ مَا يَشَآءُۚ﴾ [فاطر:١] وفي الحديث الصحيح «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر» قالوا يارسول الله! الرجل يحب أن يكون نعله حسنًا وثوبه حسنًا، أفذلك من الكبر؟ قال: «لا، إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق، وغمط الناس» [مسلم:٩١ وأبو داود:٤٠٩١ والترمذي:١٩٩٩] وقال الله تعالى: ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۜۡطَةٗۖ﴾ [الأعراف:٦٩] فهذا جمال الظاهر نعمة من نعم الله، أما جمال الباطن - وهو أهم - فهو أعظم النعم ورحمة من رحماته، قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [فاطر:٢].

فائدة: مثلُ المؤمن والكافر

ضرب الله تعالى مثل البحرين العذب والمالح للمؤمن والكافر، فقال: ﴿وَمَا يَسۡتَوِي ٱلۡبَحۡرَانِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ سَآئِغٞ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞۖ﴾ [فاطر:١٢] وقال عن دقيق صنعه: ﴿يُسۡقَىٰ بِمَآءٖ وَٰحِدٖ وَنُفَضِّلُ بَعۡضَهَا عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلۡأُكُلِۚ﴾ [الرعد:٤] ومن كل شيء خلق الله زوجين اثنين: ليلًا ونهارًا، وشمسًا وقمرًا، وسماءً وأرضًا، وذكرًا وأنثى، وفي هذا دلالة على وحدانية الله تعالى، فهو الواحد الأحد الفرد الصمد الذي

لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] أي لعلكم تذكرون أن الله هو الواحد لا شريك له.

فائدة: زعمُ المشركين أن الملائكة بنات الله

قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ الْبَنَاتُ وَلَهُمُ الْبَنُونَ ○ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ○ أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ○ وَلَدَ اللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ○ أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ ○ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ○ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ○ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ○ فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ○ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾ [الصافات:١٤٩-١٥٨].

في هذه الآيات:

١- أنهم جعلوا لأنفسهم الأفضل - وهم الأولاد - ولله البنات.

٢- أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، بينما هم يتعيرون بها.

٣- أنهم اجترؤوا على الله، وكأنهم شاهدون على خلقه الملائكة إناثًا.

٤- أنهم جعلوا لله ولدًا سبحانه، حيث قالوا: ﴿ولد الله﴾ قال الله تعالى: ﴿وإنهم لكاذبون﴾.

٥- أنهم يقولون ذلك بدون حجة ولا سلطان ولا علم ولا كتاب مبين واضح.

٦- أنهم جعلوا بين الله وبين الجن نسبًا بتلك الولادة، حيث زعموا أن الملائكة بنات الله من أشراف الجن، فهو نسيب لهم، وهم أنسباؤه وأصهاره، وجعلوا الأبوة والبنوة والأخوة للشيطان، حيث

إنه من الجن ﴿سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون:٩١] وهذه الاستفهامات استفهاماتُ تهكمٍ وإنكارٍ.

فائدة: العلم النافع والعلم الضار

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩] كثير من الناس في هذا العصر خاصة، علمهم لا يضر الجهل به، ولا ينفع معرفته، أو نفعه قليل وتضييع للوقت، وبعضه يسوق إلى أمور مكروهة، معرفتها ضرر كبير كالعلم بأسماء المطربين والرياضيين، وضياع الوقت في الأشعار التي لا تفيد، والخوض في الأنساب للفخر واحتقار الآخرين، وإثارة النعرات، والعلم بالفلك ودقائقه ودرجاته، وعدد الكواكب ومقاديرها، والعلم بعدد الجبال وألوانها ومساحاتها، وإذا تتبع المرء وسائل الإعلام وجد أن أكثرها تنشر المعلومات الضارة، أو ما لا نفع فيها، وإذا أراد المرء العلم النافع فليتعلم ما تكمل نفسه بإدراكه، كالعلم بالله وأسمائه وصفاته وأفعاله وكتبه وأمره ونهيه، فشرف العلم بحسب شرف معلومه وشدة الحاجة إليه، وأن يقصد بذلك وجه الله تعالى ورضاه، والدار الآخرة، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١].

فائدة: آية قبض الظل ومده

قال الإمام ابن قيم الجوزية رحمه الله في مدارج السالكين الجزء الرابع ص ١٨٤-١٨٦ في تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ○ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان:٤٥،٤٦]: أخبر تعالى أنه بسط الظل ومده،

وأنه جعله متحركًا تبعًا لحركة الشمس، ولو شاء لجعله ساكنًا، ثم أخبر أنه قبضه بعد بسطه قبضًا يسيرًا، وهو شيء بعد شيء، ثم يقبضه جملة، ولو شاء لجعله لاصقًا بأصل ما هو ظل له من جبل وبناء وشجر وغيرها فلم ينتفع به أحد.

ثم قال: وفي الآية وجه آخر، وهو أنه سبحانه مد الظل حين بنى السماء كالقبة المضروبة، ودحى الأرض تحتها، فألقت القبة ظلها عليها، فلو شاء سبحانه لجعله ساكنًا مستقرًا في تلك الحال، ثم خلق الشمس ونصبها دليلًا على ذلك الظل، فهو يتبعها في حركتها، يزيد بها وينقص، ويمتد ويتقلص) ثم قال: وفيها وجه آخر، وهو أن يكون المراد قبضه عند قيام الساعة بقبض أسبابه، وهي الأجرام التي تلقي الظلال فيكون قد ذكر إعدامه بإعدام أسبابه، كما ذكر إنشاءه بإنشاء أسبابه، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا﴾ [الفرقان:٤٦] كأنه يشعر بذلك، وقوله: ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ [الفرقان:٤٦] يشبه قوله: ﴿ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:٤٤].

فائدة: محاولة كفار مكة لصرف الناس عن سبيل الله وعن محمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ○ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ [سبأ:٧،٨].

ورد أن الوليد بن المغيرة قال لقريش: إنه قد حضر هذا الموسم، وأن وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأيًا واحدًا، ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضًا، ويرد قولُكم بعضُه بعضًا، فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأيًا نقول به، قال: بل أنتم قولوا أسمع، قالوا: نقول:

كاهن، قال: لا، والله ما هو بكاهن، لقد رأينا الكهان، فما هو بزمزمة الكاهن ولا سجعه، قالوا: فنقول: مجنون، قال: ما هو بمجنون، لقد رأينا الجنون وعرفناه، فما هو بخنقه ولا تخلجه ولا وسوسته، قالوا: فنقول: شاعر، قال: لقد عرفنا الشعر كله، فما هو بالشعر، فقالوا: فنقول: ساحر، قال: ما هو بنفثه ولا عقده، قالوا: فما نقول يا أبا عبد شمس؟ قال: إن أقرب القول فيه أن تقولوا: ساحر، جاء بقول هو سحر، يفرق بين المرء وأبيه، وبين المرء وأخيه، وبين المرء وزوجه، وبين المرء وعشيرته. فاستقبل المشركون الواردين على مكة بهذه المقالة ﴿هَلۡ نَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ رَجُلٖ يُنَبِّئُكُمۡ إِذَا مُزِّقۡتُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمۡ لَفِي خَلۡقٖ جَدِيدٍ﴾ [سبأ:٧] وذلك لصرف الناس عن دعوة الرسول ﷺ ﴿أَفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةُۢ﴾ [سبأ:٨] فهو كاذب في زعمهم أو مجنون. وقولهم: ﴿رجل﴾ للإيهام أنهم لا يعرفونه، وأنه أتى بشيء محال، كيف يأتي الخلق الجديد بعد تمزق الأجسام وتفرقها وتفككها.

فائدة: هجرة إبراهيم عليه السلام

قال إبراهيم عليه السلام لما أنجاه الله من النار التي أُلقي فيها: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الصافات:٩٩] أي مهاجر إلى حيث أعبد ربي وحده، ولا أعبد آلهتكم، ولا أفتن في عبادة الأصنام التي أقمتموها في بلادكم، وقد قصد عليه السلام بلاد حران في أرض كنعان في بلاد الفنيقيين، وهي هجرته الأولى، والهجرة الثانية التي هداه الله إليها، كما قال: ﴿سيهدين﴾ هي الهجرة إلى مكة ليقيم هناك أول بيت وضع للناس، ويعلن التوحيد في هذا الحرم المبارك الذي

هداه الله إليه، وقد أودع فيه أهلًا ونسلًا، وبنى البيت وجعل الله نسله حفظته، وأذن في الناس بالحج، وكان إبراهيم عليه السلام واثقًا بأن الله سيهديه، فهداه الله إلى هذه الغاية الشريفة والمكان الطيب، ومن ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

فائدة: حفظ الله وعصمتهُ لرسوله صلى الله عليه وسلم

لما نزلت الآية الكريمة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة:٦٧] أبعد الرسول ﷺ عنه الحراس، لأن الله تكفل بحفظه من الناس، وكان ﷺ يبلغ ما أنزل إليه حال نزوله، فإذا أنزل عليه ليلًا أخبر به عند صلاة الصبح، كما في حديث عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أنزلت عليَّ الليلة سورة، لهي أحب إليَّ مما طلعت عليه الشمس» ثم قرأ ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ [الفتح:١] [البخاري:٤١٤٨، ومسلم:١٧٨٦ وأحمد:٣/١٩٧] وحديث كعب ابن مالك رضي الله عنه قال: فأنزل الله توبتنا حين بقي الثلث الآخر من الليل، قالت أم سلمة رضي الله عنها: (أفلا أرسل إليه فأبشره) قال: «إذًا يحطمكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليل» حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا [البخاري:٤٦٧٧ ومسلم:٧١٦، ٢٧٦٩] وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ نزلت عليه سورة الأنعام جملة واحدة بمكة ودعا رسول الله الكتاب فكتبوها من ليلتهم، وعن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يُحْرس في المدينة، وأنه حرسه ذات ليلة سعد بن أبي وقاص وحذيفة رضي الله عنهما وأن رسول الله أخرج رأسه من قبة وقال لهم: «ياأيها

الناس الحقوا بملاحقكم، فإن الله قد عصمني» [تفسير الطبري: ١٢٢٧٧].

فائدة: الأخلاق المحمودة والمذمومة

قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ○ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٧-١٠].

من الأخلاق المحمودة: الصبر والعدل والشجاعة والمروءة والأمانة والعفة والكرم والحلم والحياء والجود والاحتمال والإيثار والإخلاص والصدق وعزة النفس والقوة في الحق والقناعة والتواضع ومكافأة المحسن والتغافل عن زلات الناس وترك الاشتغال بما لا يعني وسلامة القلب وحسن المعاملة، وهذه الأخلاق تنشأ من الخشوع وعلو الهمة.

ومن الأخلاق المذمومة: الكذب والخيانة والخسة والرياء والخديعة والمكر والحسد والفزع والطمع والنفاق والبخل والجبن والكسل والعجز والذلة لغير الله، وهذه الأخلاق منشؤها المهانة والدناءة وصغر النفس.

فائدة: نقض اليهود للعهود والمواثيق وسفكهم للدماء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ○ ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ﴾ [البقرة: ٨٤، ٨٥] لما تقاتل الأوس والخزرج اعتزل اليهود الفريقين زمنًا طويلًا، وكانت الأوس مغلوبة، فدبروا محالفة قريظة والنضير، فلما علم الخزرج بذلك توعدوا اليهود إن فعلوا ذلك، فامتنعوا عن محالفة الأوس ومحالفة الخزرج معًا، فطلب الخزرج

على اليهود رهائن أربعين غلامًا من غلمان قريظة والنضير، فسلموهم لهم. ثم إن عمرو بن النعمان البياضي الخزرجي أطمع قومه أن يتحولوا لقريظة والنضير لحسن أرضهم ونخلهم، وأرسل إلى قريظة والنضير يقول لهم: (إما أن تخلوا لنا دياركم، وإما أن نقتل الرهائن التي لدينا) فخشي القوم على رهائنهم، واستشاروا كعب بن أسيد القرظي، فقال لهم: (ياقوم امنعوا دياركم، وخلوه يقتل الغلمان، فما هي إلا ليلة يصيب أحدكم فيها امرأته حتى يولد له مثل أحدهم. فأجابت قريظة والنضير عمروًا فإنهم يمنعون ديارهم، فعدا عمرو على الغلمان فقتلهم. ثم تحالفت قريظة والنضير مع الأوس، فسعى الخزرج في محالفة بني قينقاع من اليهود، وبذلك نشأ قتال بين فرق اليهود قبل الهجرة بخمس سنين، فكانت اليهود تتقاتل وتجلي المغلوبين من ديارهم وتأسرهم، ثم لما ارتفعت الحرب جمعوا مالًا، وفدوا به أسرى اليهود الواقعين في أسر أحلاف أحد الفريقين من الأوس والخزرج، فعيرت العرب اليهود بذلك، وقالت: كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم بأموالكم؟ فقالوا: قد حرم علينا قتالهم ولكنا نستحي أن نخذل حلفاءنا وقد أُمرنا أن نفدي الأسرى، فذلك قوله تعالى: ﴿وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٨٥][تفسير الطبري: ١٤٧٤، ١٤٧٥] .

فائدة: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ

يظن بعض ممن لا يعرف المنهج الصحيح في العقيدة وغيرها أن

العالم الكبير لا يخطئ، وأنه لا يمكن لتلميذه أو من هو أقل منه علمًا أن يسبقه في مسألة ما، وهذا خطأ كبير سبب في كثير من الانحرافات، فهذا موسى عليه السلام جهل أمورًا عرفها الخضر، مع أن موسى عليه السلام أعلم منه.

مثال ذلك فهم المناهج والفرق الحديثة قد لا يفهمها عالم بالفقه كبير، ويفهمها من احتك مع أهلها، وصارع تلك الفرق أكثر من فهم العالم الكبير، وكل أحد عنده اختصاص بفرع من فروع العلم، وقد بين الرسول ﷺ ذلك في قوله: «أعلمكم بالحلال والحرام معاذ، وأعلمكم بالفرائض زيد» [ابن ماجة:١٥٤، وأحمد:٣/ ٢٨١، وعبدالرزاق في مصنفه:٢٠٣٨٧، وصححه الألباني] .وكل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ المعصوم.

فائدة: كل يجازى بعمله

قال الله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠] وقال: ﴿وَٱلۡجُرُوحَ قِصَاصٞۚ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِۦ فَهُوَ كَفَّارَةٞ لَّهُۥۚ﴾ [المائدة:٤٥] فهذا الجود بالصبر والإعفاء والتحمل، وهو أفضل من الجود بالمال، وكذا الجود بالخلق والبشر أثقل ما يوضع في ميزان العبد يوم القيامة، وأفضل من الجود بالمال، وكان أبو ضمضم الصحابي الجليل رضي الله عنه يقول: (اللهم إنه لا مال لي أتصدق به على الناس، وقد تصدقت عليهم بعرضي، فمن شتمني أو قذفني فهو في حل) فقال النبي ﷺ: «من يستطيع منكم أن يكون كأبي ضمضم» [ابن السني في عمل اليوم والليلة:٦٢ وابن ماجة:٤٨٨٦، ٤٨٨٧ قال الألباني عن الأول: صحيح مقطوع،

وعن الثاني: ضعيف مرسل] ومن الجود الجود بالجاه والشفاعة والمشي في حاجة المسلمين وإعانة المسلمين، وأعلى الجود الجود بالنفس في سبيل الله، قال الشاعر:

يجود بالنفس إذ ضن البخيل بها
والجود بالنفس أقصى غاية الجود

[الموافقات للشاطبي]

وقال آخر:

متيم بالندى لو قال سائله
هب لي جميع كرى عينيك لم ينم

والجود بالعلم وبذله لمن سأله ومن لم يسأله، وكان ﷺ أجود الناس في جميع أنواع الجود.

فائدة: مراتب الهداية

ذكر ابن القيم رحمه الله أن مراتب الهداية عشر، وهي باختصار:

الأولى: مرتبة تكليم الله لعبده يقظةً بدون واسطة، قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء: ١٦٤].

الثانية: مرتبة الوحي المختص بالأنبياء عليهم السلام، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ﴾ [النساء: ١٦٣].

الثالثة: إرسال الرسول الملكي إلى الرسول البشري، فيوحي إليه عن الله ما أمره أن يوصله إليه.

الرابعة: مرتبة التحديث، كما كانت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال رسول الله ﷺ: «إنه قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون، فإن يكن في هذه الأمة أحد فعمر بن الخطاب» [البخاري: ٣٤٦٩، ٣٦٨٩، ومسلم: ٢٣٩٨].

الخامسة: مرتبة الإفهام، قال تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

السادسة: مرتبة تبيين الحق من الباطل بالأدلة، وهذه المرتبة هي حجة الله على خلقه التي لا يعذب أحدًا ولا يضله إلا بعد وصوله إليها، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ﴾ [التوبة: ١١٥].

السابعة: مرتبة البيان الخاص المستلزم للهداية الخاصة والعناية والتوفيق، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ﴾ [القصص: ٥٦] وقال: ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧].

الثامنة: مرتبة الإسماع، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

التاسعة: مرتبة الإلهام، قال الله تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس: ٧، ٨]وقال رسول الله ﷺ لحصين بن منذر الخزاعي رضي الله عنه: «قل: اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي» [الترمذي: ٣٤٨٣، والنسائي في عمل اليوم والليلة: ٩٩٣، ٩٩٤، وأحمد: ٤/ ٤٤٤، وابن حبان: ٢٤٣١، وصحح إسناده محققو المسند] وهي أعلى من الفراسة، فإن هذه قد تتحصل بنوع كسب وتحصيل، ووقوعها يكون أحيانًا، وقد تستصعب على صاحبها.

العاشرة: مرتبة الرؤيا الصادقة، قال رسول الله ﷺ: «الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة» [البخاري:٧٠١٧ ومسلم: ٢٦٦٣، والترمذي:٢٢٧١ وأبو داود:٥٠١٢ وابن ماجة:١٩١٧، وأحمد:٢/ ٢٣٢، ٢٦٩] [انظر مدارج السالكين الجزء الأول].

فائدة: منافع الرياح

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ [الحجر:٢٢] الرياح تلقح الشجر والنبات، وتسير السفن وتبرد الماء وتضرم النار وتجفف الرطب، وحياة كل ما في الأرض من نبات وحيوان ومطاعم بسبب الرياح، فهي حياة الأبدان، وهي بريد يوصل الأصوات والريح، وهي رحمة من الله تنقل السحاب، وتثير الرطوبة من البحار، وتفرق المطر، ولو نزل جملةً لأهلك الناس والحيوان والنبات، وتأتي برحمة الله، روي عن النبي ﷺ: «أنها من روح الله تأتي بالرحمة» ويقال: «اللهم اجعلها رياحًا، ولا تجعلها ريحًا» [الطبراني في الكبير:١١/ ٢١٤].

فائدة: وصف الله سبحانه لرسله بالخيرية

قال الله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٨] إسماعيل عليه السلام هو جد معظم العرب، فهو أبو العدنانيين، وجد للأم لمعظم القحطانيين، لأن زوج إسماعيل عليه السلام جرهمية، ثم قال تعالى: ﴿وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ﴾ فمقام اليسع عليه السلام في بني إسرائيل كمقام إسماعيل عليه السلام في بني إبراهيم عليه السلام، لأن اليسع بمنزلة الابن للرسول إلياس عليه السلام، وكان معينًا له في مدافعة عبادة الأصنام عند اليهود، كما كان إسماعيل عليه السلام في إعانة أبيه إبراهيم عليه السلام، ولما رفع

إلياس عليه السلام إلى السماء قام اليسع عليه السلام مقامه، وأما ذو الكفل عليه السلام فهو أيضًا مشابه لإسماعيل عليه السلام في صفة الصبر، قال تعالى: ﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنبياء:٨٥] وقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾ [ص:٤٨] ثناء عليهم بالخيرية، بهذا قرنت أسماء هؤلاء الثلاثة في هذه الآيات الكريمات، والله أعلم.

فائدة: الإسلام هو الطريق المستقيم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣].

الدين الإسلامي دين يفي بحاجات الناس، والمؤمن الحق من يكون موفيًا كل شيء من أمور الدين حقه في العبادة والجهاد، والتعلم والتعليم، ومخالطة الناس ومناصحتهم، وصلة الأرحام، وبر الوالدين، والنوافل والأوراد، ومعاشرة أهله، وتأديب أولاده، والسعي لما فيه نفعه في الدنيا والآخرة، وقد كان الرسول ﷺ يقوم حتى ترم قدماه، ويصوم حتى يقال: لا يفطر، ويجاهد في سبيل الله، ويخالط الأصحاب ولا ينعزل عنهم، ويصل الأرحام، ويحسن على الناس، ويقوم بالنوافل، ولا يترك أمرًا من أمور الدين إلا عمل أمثله، فصلوات الله وسلامه عليه وعلى آله.

فائدة: لا يعذب الله أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء:١٥] وقال: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء:١٦٥] وقال: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ○ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا﴾ [الملك:٨،٩] وقال:

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُوا۟ شَهِدْنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَا ۖ﴾ [الأنعام: ١٣٠] فالله تعالى لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، كما هو واضح من الآيات آنفًا، فمن جاءه ما جاء به الرسول ﷺ، وقامت عليه الحجة فهو المذنب، أما من لم يعرف ما جاء به الرسول ﷺ، وعجز عن ذلك، فهو على قسمين:

أحدهما: من أراد الهدى وأحبه، ولكنه غير قادر عليه ولا على طلبه، لعدم من يرشده، فهذا حكمه حكم أرباب الفترات، ومن لم تبلغه الدعوة.

الثاني: المعرض الذي لا إرادة له، ولا يحدث نفسه بغير ما هو عليه، الراضي بما هو عليه، لا يؤثر غيره عليه، ولا تطلب نفسه سواه، ولا فرق عنده بين حال عجزه وقدرته، ومات على شركه، ففرق بين عجز الطالب وعجز المعرض، والله يقضي بين عباده بحكمه وعدله، ولا يعذب إلا من قامت عليه حجته بالرسل، أما المعين كزيد أو عمر مثلًا هل قامت عليهما الحجة أم لا، فهذا لا يمكن الدخول بين الله وبين عباده فيه، ويجب اعتقاد أن من دان بدين غير الإسلام فهو كافر، وأن الله تعالى لا يعذب أحدًا إلا بعد قيام الحجة عليه، بالرسول، والتعيين موكول إلى علم الله وحكمه، وهذا في أحكام الثواب والعقاب، أما في أحكام الدنيا فهي جارية على الظاهر، فأطفال الكفار ومجانينهم لهم حكم أوليائهم.

(منقول باختصار من كلام ابن القيم الضوء المنير على التفسير، جمع الشيخ علي الصالحي).

فائدة: فوائد قصة خلق آدم

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ○ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ [ص: ٦٧، ٦٨]

وقال: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ○ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النبأ:١،٢].

قصة خلق آدم عليه السلام، وشقاء الشيطان، وأمر الله بالسجود لآدم عليه السلام، وسجود الملائكة كلهم، وامتناع إبليس عن السجود، والاختصام والحوار، خبر عظيم، وما أعده الله للمتقين من حسن المآب، وللطاغين من شر المآب نبأ عظيم، وتأنيب الكفار بعضهم لبعض في النار والخصام، وعدم وجود من كانوا يعدونهم من الأشرار معهم في النار، نبأ عظيم.

ما كان لرسول الله ﷺ أن يعلمه لولا أن علمه الله، قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ○ إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص:٦٩،٧٠] فالرسول ﷺ لا يعلم الغيب، وما كان يتلو من قبله من كتاب ولا يخطه بيمينه، وما كان يقرأ كما جاء في الحديث «ما أنا بقارئ» [البخاري:٣] فقد كان أميًا بين أميين، فعلمه ربه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران:٤٤] وقوله: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ [القصص:٤٤] فما علم الرسول ﷺ بذلك، ولا بغيره من المغيبات إلا بوحي من الله، قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [ص:٧٠] وقال: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ [القصص:٤٦].

فهذه رحمة من الله لمن اتبع هذا الدين الحنيف وآمن بهذا الرسول الأمي صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وأصحابه، ومن اتبع دعوته إلى يوم الدين.

فائدة: بغض اليهود لجبريل عليه السلام

اليهود يعادون ويبغضون جبريل عليه السلام خاصة، حيث إنه هو الواسطة في إنزال القرآن على محمد ﷺ، وقيل: لأنه ينزل العذاب على الأمم المكذبة لرسلها، وهم يعادون بذلك ربهم وملائكته ورسله وجبريل وميكال عليهم السلام، والله تعالى عدوهم وعدو للكافرين أجمعين، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ○ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧، ٩٨].

فائدة: جمال الظاهر والباطن

جمع الله تعالى في سورة القيامة لأوليائه بين جمال الظاهر والباطن، فزين وجوههم بالنضرة، وبواطنهم بالنظر إليه، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ○ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ونظير ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] وقوله: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦] فهما لباسان للظاهر والباطن، ونظيره قوله: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ○ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات: ٦، ٧] جمال الظاهر بزينة الكواكب، وجمال الباطن بالحفظ من الشياطين، ومثله قوله: ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ ۖ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١] فهو في غاية الحسن الظاهري والباطني، ومثله قوله: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] فهما قوتان ظاهرة وباطنة،

ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾ [الطارق:١٠] فنفى عنهم الدافعين الدافع من أنفسهم والدافع من الخارج، وهو الناصر، ومثله قوله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ○ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه:١١٨،١١٩] فقابل بين الجوع في الباطن والعري في الظاهر، وقابل بين الظمأ وهو حر الباطن، والضحى وهو حر الشمس الظاهر، ومثله قوله تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧] فهما زادان: زاد الطعام وزاد التقوى، وغير ذلك.

فائدة: التمسك بجميع شرائع الإسلام

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة:٢٠٨].

التوازن والاقتداء بالرسول ﷺ هو سبيل المؤمنين الذين يأخذون هذا الدين بشموله، فلا يتركون شيئًا لشيء من العبادات، ولا وقتًا لوقت، فهم أهل العبادة المطلقة، تجدهم في مجالس العلماء في تعلمهم وعلمهم، وهم مع العباد في عباداتهم، وهم مع المجاهدين والذاكرين والمتصدقين والمحسنين، راحتهم في عبادة ربهم بكل أنواع العبادات، فلكل وقت عبادة، فهم وقت الجهاد مع المجاهدين، وإن آل إلى ترك الأوراد والصيام والقيام، وفي وقت استقبال الضيوف يقومون بحقه، وفي تأدية الواجبات من حقوق الزوجات والأولاد والجيران والأقارب يقومون بحقوقهم، وفي وقت السحر يستغفرون، وفي ثلث الليل الأخير يقومون، وفي وقت الأذان يجيبون المؤذن، وفي وقت صلاة الجماعة يصلون

بالمساجد، وفي وقت إغاثة اللهفان والصدقات يقومون بذلك، وفي عرفة يتضرعون بالدعاء والذكر، ولا يصومون فيها، وفي عشر ذي الحجة يكثرون من أعمال الخير من التكبير والتهليل والتحميد، وفي العشر الأخير من رمضان يعكفون بالمساجد، وإذا مرض المريض زاروه، وإذا مات شيعوه وصلوا عليه، يخالطون الناس ويصبرون على أذاهم ولا يعتزلونهم، وتكون خلطتهم في الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، يتبعون مرضاة الله أين كانت، فسبحان من علمهم وألهمهم ووفقهم للخيرات.

فائدة: صبر الله تعالى على ما يقترفه العباد من الذنوب

صبر الله تعالى وحلمه على عباده، مع ما يقترفون من الذنوب عظيم، قال الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا ۝ لَّقَدۡ جِئۡتُمۡ شَيۡـًٔا إِدّٗا ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِنۡهُ وَتَنشَقُّ ٱلۡأَرۡضُ وَتَخِرُّ ٱلۡجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ۝ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم:٨٨-٩٢] وقال: ﴿وَقَدۡ مَكَرُواْ مَكۡرَهُمۡ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكۡرُهُمۡ وَإِن كَانَ مَكۡرُهُمۡ لِتَزُولَ مِنۡهُ ٱلۡجِبَالُ﴾ [إبراهيم:٤٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [فاطر:٤١] انظر إلى حلم الله ومغفرته كيف يمنعان من زوال السموات والأرض، وقد ورد أن السموات والأرض تستأذن بالزوال لعظم ذنوب العباد، كما ورد في الحديث «ما من يوم إلا والبحر يستأذن ربه أن يغرق بني آدم» [أحمد:١/٤٣ معناه، وهو ضعيف].

فائدة: لا يُحاسب الإنسان على شيء ليس باختياره

قال الله تعالى عن إبراهيم وإسحاق عليهما السلام: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ﴾ [الصافات:١١٣] وقال عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٢٤].

في هذه الآيات دليل على أن الخبيث والطيب لا يجري أمرهما على العرق والعنصر والنسب واللون والوطن، فقد يلد البر الفاجر، والفاجر البر، وأن فساد الأولاد ليس فيه غضاضة على الآباء، فمناط الفضل ما يكتسبه المرء من الصالحات، وفي هذا إبطال غرور المشركين بأنهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، وأن في ذلك مزية، وأنهم الأولى بالمسجد الحرام من غيرهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهَٰذَا ٱلنَّبِىُّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۗ﴾ [آل عمران:٦٨] وقال عن المسجد الحرام: ﴿وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] وقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [التوبة:١٩] وقال: ﴿وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓا۟ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الأنفال:٣٤] وقد جعل الله مكة للناس سواء العاكف فيه والباد، ووضعه للناس عامة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦] وقال عنه: ﴿سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ ۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

والأماكن لا تعز الأشخاص، وإنما يعزهم تقوى الله، وكذا الأنساب والألوان والأوطان، فالرفعة تكون بالعلم والإيمان، قال

تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وما ضر إبراهيم عليه السلام كفر أبيه آزر، وما نقص نوحًا عليه السلام كفر ابنه، قال تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ ۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦]

والمرء لا يحاسب عن غيره، قال تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام:١٦٤] ولا يحاسب عن شيء ليس باختياره كالنسب واللون والطول والقصر وأمثال ذلك، وإنما يحاسب عما كان باختياره وعمله، قال رسول الله ﷺ: «لينتهين أقوام عن فخرهم بالآباء، أو ليكونن عند الله أهون من الجعلان التي تجر الخراء بأنوفها، إنما هو مؤمن تقي أو فاجر شقي» [أحمد:٢/ ٣٦١ وأبو داود:٥١١٦ والترمذي:٣٩٥٥ وحسنه الألباني] وقال لمن عيَّر مسلمًا بابن السوداء: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠، ومسلم:١٦٦١].

فائدة: بشارة الله لخليله إبراهيم عليه السلام بغلام حليم

قال الله تعالى عن إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات:١٠١] وقال عن إسحاق عليه السلام: ﴿وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات:٢٨] وقال عن إسحاق عليه السلام: ﴿فَبَشَّرْنَٰهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود:٧١].

الآية الأولى، وهي بشارة لإبراهيم عليه السلام بغلام حليم هو (إسماعيل عليه السلام).

والآية الثانية، هي بشارة له (بإسحاق عليه السلام).

الأولى بشارة من الله تعالى لنبي الله إبراهيم عليه السلام.

والثانية هي بشارة من الملائكة لسارة أم إسحاق عليه السلام،

حيث قال الله تعالى: ﴿فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسْحَٰقَ يَعْقُوبَ ○ قَالَتْ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا﴾ [هود: ٧١، ٧٢].

فالأولى بشارة استجابة دعاء إبراهيم عليه السلام، حيث قال في دعائه: ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] والثانية بشارة كرامة لامرأة عجوز وشيخ كبير.

وقوله عن إسماعيل عليه السلام: ﴿بِغُلَٰمٍ حَلِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠١] وعن إسحاق عليه السلام: ﴿بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ﴾ [الذاريات: ٢٨] والحلم يجمع أصالة الرأي ومكارم الأخلاق والرحمة بالمخلوق، وهو أعلى الصفات وأزكاها.

وقد أمر الله تعالى إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام أمر ابتلاء، وليس أمر تشريع، إذ لو كان تشريعًا لما نسخ قبل العمل به، وقد أظهر الله عزم إبراهيم عليه السلام وثباته وعلو مرتبته في طاعة ربه فالولد عزيز على النفس، وتوليه بيده ذبح ابنه الذي كان يسأل الله أن يرزقه ليكون ولدًا يرثه، من أعظم الابتلاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾ [الصافات: ١٠٦] وقد استجاب الابن إسماعيل عليه السلام وامتثل لأمر الله تعالى، فقال: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ○ فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ○ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ○ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ○ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ ○ وَفَدَيْنَٰهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ﴾ [الصافات: ١٠٢-١٠٧].

فائدة: معاني التقوى

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة: ١٢٣] أمر الله تعالى

بالتقوى، وهي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وأمر بالوقاية من يوم القيامة الذي لا يقبل فيه عدل، ولا فدى فيؤخذ، ولا شفيع فيشفع، لأن دفع الفداء لهم متعذر، وتوسط الشفيع لمثلهم ممنوع، إذ لا فدى ولا شفيع ولا عدل إلا لمن أذن الله له، ولا يأذن الله إلا لمن ارتضى.

فائدة: مناظرة إبراهيم عليه السلام الصائبة المشركين

شرك الصابئة من جهة الكواكب، وقد ناظرهم إبراهيم عليه السلام في بطلان آلهتهم فدحضت حجتهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣] وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:٧٩] وقال: ﴿أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ﴾ [الأنعام:٨٠] أي أتريدون أن تصرفوني عن الإقرار بربي وبتوحيده، وعن عبادته وحده وتشكون فيه، وقد أرشدني وبين لي الحق حتى استبان لي كالعيان، وبين لي بطلان الشرك، وعدم صلاح آلهتكم للعبادة، وأنها توجب الضرر لعابديها، ثم بين أنه لا يخاف ما يشركون به، وإنما خوفه من الله وحده ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا﴾ [الأنعام:٨٠] وأن آلهتهم لا تصلح للعبادة، وهي تأفل وتغيب، فالإله لا تأخذه سنة ولا نوم، قيوم على خلقه، حي عالم عليٌّ عظيم.

فائدة: كل ما قدمه الإنسان من خير أو شر أحصاه الله في اللوح المحفوظ

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس:١٢] أي ما قدموا من خير فعلوه في الدنيا، وما سنوا من سنة خيرًا أو شرًا فاقتدي بهم فيها بعد موتهم، وما استمر لهم من عمل بعد وفاتهم من خير أو شر، وما

تولد من أعمالهم، وكل شيء أحصاه الله في اللوح المحفوظ، قال ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له» [مسلم: ١٦٣١].

فائدة: أضرار المعاصي والذنوب وآثار الحسنات والطاعات

الذنوب والمعاصي تنقص الإيمان، ويترتب عليها فساد العباد والمعاش والمعاد، ونقص النعم، وهم القلوب ومرض الأبدان، والضعف والذلة والمهانة والحقارة، وضيق الصدر والحزن والألم والظلمة، والضعف في البدن ونقص الرزق وبغض الخلق والبلاء والشر والهلاك وانسداد أبواب الخير، والزيادة في الذنوب والمعاصي والمصائب.

أما الطاعات فهي سبب الصلاح وزيادة الرزق والعيش الطيب والنعم والصحة والقوة والعزة والسعادة والفرح والأنس والنور وحب الخلق وزيادة الرزق، والخير والزيادة في الأعمال الخيرية.

ودليل ذلك ما يأتي من الآيات:

قال الله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] وقال: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ﴾ [النحل: ٣٠] وقال: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [هود: ٣] وقال: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ○ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ﴾ [الانفطار: ١٣، ١٤] وقال: ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [الطور: ٤٧] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن

نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] وقال: ﴿أَوَ لَمَّآ أَصَٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (إن للحسنة نورًا في القلب، وضياءً في الوجه، وقوةً في البدن، وزيادةً في الرزق، ومحبةً في قلوب الخلق، وإن للسيئة سوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًا في الرزق، وبغضةً في قلوب الخلق).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣] وقال الله تعالى عن اليهود لما أفسدوا في الأرض: ﴿بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ﴾ [الإسراء: ٥] وقال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران: ١٨].

فائدة: أنواع القلم

ذكر ابن القيم رحمه الله: أن الأقلام متفاوتة، وهي:

١- قلم القدر السابق، قال ﷺ: «إن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب» الحديث [أبو داود: ٤٧٠٠، وأحمد: ٥/ ٣١٧، والبيهقي: ١٠/ ٢٠٤ وصححه الألباني].

٢- قلم الوحي الذي يكتب به وحي الله، وقد سمع رسولنا ﷺ صريف الأقلام ليلة الإسراء.

٣- قلم التوقيع عن الله ورسوله ﷺ، وهو قلم الفقهاء والمفتين والقضاة.

٤- قلم طب الأبدان الذي تحفظ به الصحة.

٥- قلم الملوك ونوابهم، وأصحابه أعز أصحاب الأقلام، إذا

صلحت كتاباتهم.

٦- قلم الحساب الذي تضبط به الأموال والأرزاق.

٧- قلم الحكم الذي تثبت به الحقوق والقضايا والدماء.

٨- قلم الشهادة الذي تحفظ به الحقوق، وتصان من الإضاعة، وتحول بين الفاجر وإنكاره، ويصدق به الصادق، ويشهد للمحق والمبطل.

٩- قلم التعبير، وهو كاتب وحي المنام وتفسيره وتعبيره، وما أريد منه.

١٠- قلم تواريخ العالم ووقائعه وضبط حوادثه.

١١- قلم اللغة وتفاصيلها وألفاظها وتراكيبها.

١٢- القلم الجامع، وهو قلم الرد على المبطلين، ورفع سنة المحقين.

ومن فضائل القلم أن الله أقسم به، فقال: ﴿وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم:١] وقال: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ○ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ○ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:٣-٥] وأن به يكتب كلام الله تعالى.

فائدة: إثبات صفة العجب لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات:١٢] أي أن الرسول ﷺ عجب لما رأى إعراضهم وقلة إنصافهم، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [الرعد:٥] وقال رسول الله ﷺ: «إن الله ليعجب من رجلين يقتل أحدهما الآخر، كلاهما يدخلان الجنة، يقاتل هذا في سبيل الله فيقتل، ثم يتوب الله على القاتل فيستشهد في سبيل الله» [النسائي:٣١٦٥ وابن ماجة:١٩١، وصححه الألباني] وقال ﷺ عن الأنصاري وزوجه إذ أضافا رجلًا

فأطعماه عشاءهما وتركا صبيانهما يتضورون من الجوع: «عجب الله من فعالكما» [البخاري: ٣٧٩٨، ٤٨٨٩، ومسلم: ٢٠٥٤، والترمذي: ٣٣٠٤ والبغوي في شرح السنة: ٥/ ٦٣] وقال: «عجب الله من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل» [البخاري: ٣٠١٠، وأبو داود: ٢٦٧٧] وغير ذلك من إثبات العجب لله تعالى ولرسوله ﷺ.

فائدة: شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ

قال الله تعالى مشيرًا إلى الأنبياء: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] فيها أمر للرسول ﷺ بأن يقتدي بفضائل الرسل عليهم السلام وخُلُقهم التي أثنى الله عليها، وقد جمع الرسول ﷺ محاسن الأخلاق كلها، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وهل شرع من قبلنا شرع لنا؟ على أقوال:

الأول: أنه شرع لنا. والثاني: أنه ليس بشرع لنا، لقوله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨] والثالث: أن شرع إبراهيم عليه السلام شرع لنا، لقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النحل: ١٢٣].

فائدة: الله لا يخلف الميعاد

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١] فقد عهد الله وضمن لمن قام بأمره بالنصح والصدق والإخلاص والاجتهاد وعمل الأسباب قام الله سبحانه له بما ضمنه من الرزق والكفاية وقضاء الحوائج، وإذا قام العبد بالاستغفار مع التقوى قام الله بعهده له من الاستجابة ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧] وضمن الله تعالى لمن نصره أن ينصره، قال الله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ﴾

[محمد:٧] ومن كان همه رضا ربه رضي الله عنه وأرضى عنه الناس، ومن كان همه رضا الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط الله عليه الناس، ومن توكل عليه كفاه إذا عمل الأسباب، فترك الأسباب معصية، وتاركها متواكل، وليس متوكلًا.

فائدة: الاستعاذة والاستعانة بالله

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل:٩٨].

هناك أمور يحبها الله، وأمور يبغضها، وقد استعاذ الرسول ﷺ بما يحبه الله عن ما يبغضه، فقال: «اللهم أني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك» [أبو داود:١٤٢٧، والترمذي:٣٥٦٦ والنسائي:١٧٤٧ وابن ماجة:١١٧٩ وصححه الألباني] وفي قوله: «أعوذ بك منك» التوحيد الخالص وقطع الالتفات إلى غير الله، وتكميل التوكل عليه، والاستعانة والاستعاذة بمشيئته من مشيئته، فهو سبحانه إذا أغضبه معاصي الخلق وكفرهم وشركهم وظلمهم أرضاه تسبيح الملائكة وعبادة المؤمنين، والله أعلم.

فائدة: رؤية رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام

من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الرسول ﷺ رأى جبريل عليه السلام، ولا يتم الإيمان إلا باعتقاد ذلك، أما رؤية الرسول ﷺ لربه فقد سألت عائشة رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ فقال: «نور أنى أراه» [مسلم:١٧٨، والترمذي:٣٢٨٢، وأحمد:٥/١٥٧] وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه يرى أن الرسول ﷺ رأى ربه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ○ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:١٣، ١٤].

فائدة: الحرص على أعمال الخير

إغاثة الملهوف، وجبر المكسور، وإرشاد الضال، وتقوية الإيمان، وطلب العلم، وأعمال الخير التي تبقى بعد الممات، والتي نفعها عام، أهم من النوافل البدنية، وكذا الحرص على أعمال القلوب من تصحيح المحبة لله وما والاه، والخوف والرجاء والتوكل والإنابة، والتوحيد الخالص أهم من غيرها من الأمور الظاهرة، وكل ما يتعلق بالقلب من علاج الكبر والحسد والعنصرية والتفرقة أهم من الاهتمام بالصورة، قال ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» [مسلم:٢٥٦٤] وقال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣].

فائدة: سلامة القلب من الأمراض

سلامة القلب من الأمراض كالشرك والأدواء والعلل وطاعة الهوى والعجب والغرور والكبر والحقد والحسد والرياء والاستخفاف بالناس وغير ذلك، من أعز الطاعات وأفضل القربات، ومن مكارم الأخلاق والصفات، وكان حظ إبراهيم عليه السلام من ذلك حظًا وافرًا، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤] وأكمل الخلق بسلامة القلب وغيره نبينا محمد ﷺ، فلذلك قال: «بعثت بالحنيفية السمحة» [أحمد:٥/٢٦٦] وقال: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» [أحمد:٢/٣٨١ والبيهقي:١٠/١٩٢ وصححه الألباني في الصحيحة:٤٥] فدين الإسلام دين الأخلاق الكاملة، ونبينا محمد صلوات الله وسلامه عليه أكمل الناس خلقًا، وقد وصف دين إبراهيم عليه السلام بالحنيفية، ووصف دين الإسلام بالحنيفية

السمحة، بزيادة كلمة (السمحة).

فائدة: إفراد الله بالعبادة دليل على صدق العبد

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزمر:٣] فإفراد العبادة لله والعبادة الخالصة له، دليل على صدق العبد، فلا ينبغي أن تشوب عبادة المرء أي شائبة، من قصد المال أو الرياء أو الفخر أو إرضاء الناس من دون الله، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» [البخاري:١، ومسلم:١٩٠٧].

فمن عبد الله ليمدحه الناس فقد أشرك، والله غني عن عبادته، والله أغنى الشريكين، من أشرك معه أحدًا تركه وشركه، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميةً، ويقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال رسول الله ﷺ: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [البخاري:٧٤٥٨، ومسلم:١٩٠٤، والترمذي:١٦٤٦، وأبو داود:٢٥١٧، والنسائي:٣١٣٦، وابن ماجه:٢٧٨٣] فمن كان أصل عمله لله وعقد نيته الأولى على ذلك لا تضره الخطرات التي تقع بالقلب ولا يملكها الإنسان.

قال الإمام مالك رحمه الله: (إذا كان أول عمله وأصله لله فلا بأس به إن شاء الله، قال الله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾ [طه:٣٩] وقال: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤].

فما كان في القلب مما لا يملك الإنسان إزالته فهو من وسوسة

الشيطان ليمنعه من العمل، ولا يجوز للمرء أن يترك العمل خوفًا من الرياء، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة:١٩٨].

ومن قصد العبادة ليتقرب بها إلى الله وليسأله صلاحًا لدنياه لم يضره ذلك، ومن ذلك صلاة الاستخارة، ومثله أن يقصد العامل دعاء المسلمين له، ولا شك أن العبادات يختلف أجرها ومنزلتها عند الله، بحسب قوة الإخلاص والقصد، وعدم نيل شيء من حظوظ الدنيا، وهذه عبادة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإذا كان إظهار العمل ليقتدي به الناس، أو كان العمل يتطلب ذلك لمصالح أخرى كمن يعمل في وجوه الخير ويظهر ذلك ليجمع تبرعات من المحسنين، وليتوسع عمله الخيري، والله أعلم.

فائدة: إقامة حد السرقة على الرجال والنساء

قال الله تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨].

ذكر الله تعالى السارقة مع السارق لدفع توهم أن حد السرقة لا يقام إلا على الرجال، وقد كانت العرب في الجاهلية لا يعبهون بالمرأة، ولا يقيمون عليها الحد، ومثله قوله تعالى: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ﴾ [النور:٢] وكذا قوله: ﴿الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَىٰ بِالْأُنثَىٰ﴾ [البقرة:١٧٨] وقوله: ﴿وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِن نِّسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ فَإِن شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا ○ وَاللَّذَانِ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا﴾ [النساء:١٥، ١٦].

وأول رجل قطعت يده في الإسلام الخيار بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، وأول أمرأة قطعت يدها المخزومية مرة بنت سفيان التي سرقت في عهد رسول الله ﷺ، فأمر بقطع يدها، وعظم ذلك على قريش، فقالوا: ومَنْ يُكَلِّمُ فِيها رَسُولَ اللهِ ﷺ؟ فَقالُوا: ومَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إلَّا أُسامَةُ بنُ زَيْدٍ حِبُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ؟ فَكَلَّمَهُ أُسامَةُ، فَقالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أتَشْفَعُ في حَدٍّ مِنْ حُدُودِ اللهِ؟» ثُمَّ قامَ فاخْتَطَبَ ثُمَّ قالَ: «إنَّما أهْلكَ الذِينَ قَبْلَكُمْ أنَّهُمْ كَانُوا إذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكوهُ، وإذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أقامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وايمُ اللهِ لَوْ أنَّ فاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَها» [البخاري: ٣٤٧٥ ومسلم: ١٦٨٨] وفي أول السارقين من الرجال والنساء خلاف.

فائدة: أوصاف الولدان المخلدين في الجنة

أوصاف الولدان المخلدين في الجنة التي ذكرت في قوله تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] وقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور: ٢٤].

أنهم لا يهرمون ولا يتغيرون، في أذانهم القرطة، وفي أيديهم الأساور، كأنهم اللؤلؤ المنثور، فهم بيض الوجوه، جميلو المنظر والخلقة، يخدمون أهل الجنة يمشون على بساط من الذهب والحرير، أنشأهم الله في الجنة، ولدوا لأهلها وأنشؤوا فيها، كما أنشأت الحور العين للخدمة، يطوفون على أهل الجنة كأنهم اللؤلؤ المنثور واللؤلؤ المكنون، يحملون الأكواب والأباريق وكيسان الخمر واللبن والعسل والماء بكؤوس من معين ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ۝ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ

لِّلشَّٰرِبِينَ ○ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات:٤٥-٤٧] وهؤلاء غير أولاد المسلمين الذين ماتوا قبل البلوغ، فإن هؤلاء يكونون في سن الثلاثين، كما ورد في الحديث «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير، يُرَدُّون أبناء ثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار» [الترمذي:٢٥٦٢ (م١) وضعفه الألباني].

فائدة: العَالِمُ الحقيقي هو من يخشى الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨] فكلما زاد علم الإنسان بالله زادت خشيته منه وخوفه وحياؤه وحبه له، وشفقته وحزنه على ذنوبه وتوبته، واتكاله على ربه، وذكره وذكر الدار الآخرة والموت، وخوف سوء الخاتمة، أعاذنا الله منها، وكان رسول الله ﷺ يكثر من «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على طاعتك» [الترمذي: ٣٥٢٢، وأحمد:٣/١١٢، ٢٥٧، ٦/ ٩١، والحاكم:٢/٢٨٨، ٢٨٩ والطبراني في الكبير:١/ ٢٣٤، ٧/ ٢٧٥ والبغوي في شرح السنة:١٠/ ٣٦، ٣٧ وابن ماجة:١٩٩ وصححه الألباني] وثبت أنه كان يقول: «لا ومقلب القلوب، لا ومقلب القلوب» [البخاري:٧٣٩١، وأبو داود:٣٢٦٣، والترمذي:١٥٤٠ وغيرهم] وقد خص الله العلماء بالخشية، قال ابن مسعود رضي الله عنه: (كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار به جهلًا) وكل من خشيه فأطاعه فهو عالم، قال تعالى: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر:٩] فالعالم الحقيقي هو من يخشى الله، لا من يحفظ مسائل من العلم، وليست لديه خشية لربه، وكان ﷺ أعرف الناس بالله وأشدهم له خشيةً، ومن خشي الله لم يخش الناس، واستحيا منه سبحانه

وعظمه وراقبه وتوكل عليه وأجله وأناب إليه ورضي به وسلم أمره إليه وهابه وشكره وأحبه، وأخبت له ورجاه وخشي من عقابه، وصدقه وآمن بكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره وبملائكته، ومن لم يخش الله فليس بعالم، قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨] هم الذين يقولون: إن الله على كل شيء قدير، فالخشية هي حقيقة العلم وغايته، والله المستعان.

فائدة: من آثر مراد الله على مراد نفسه استحق الجنة

الله تعالى أمر العباد بأن يكونوا مع مراده الديني منهم، لا مع مراد أنفسهم، ومن آثر مراد الله على مراد نفسه استحق الجنة، ومن آثر مراد نفسه على مراد خالقه، وآثر هواه على مرضاة ربه، قامت عليه الحجة، وعاقبه الله، قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس:٣٣] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر:٦] فمن الناس من هو حي قابل للانتفاع والإنذار، ومنهم من هو ميت لا يقبل الإنذار، ولا ينتفع بالمواعظ، وليس قابلًا للخير، فيحق عليه القول بالعذاب، وتكون عقوبته بعد قيام الحجة عليه من إرسال الرسول وعدم إيمانه به.

فائدة: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء

الله سبحانه وتعالى يغفر الذنوب جميعًا عدا الشرك، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦] يروى أنه كان في مجلس ما عمرو بن عبيد شيخ المعتزلة

فقال عمرو: يؤتى بي يوم القيامة فيقال لي: ياعمرو من أين قلت: إني لا أغفر لقاتل؟! فأقول أنت يارب قلت: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء:٩٣] فقال له رجل: فإن قال لك: فإني قلت: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء:١١٦] فمن أين علمت أني لا أشاء أن أغفر للقاتل؟! فسكت عمرو بن عبيد، ولم ير جوابًا.

فائدة: بعض ما ورد في سورة الإسراء

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء:١] روى الربيع بن أنس عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال في حديث المعراج الطويل: «... ثم أتي بفرس فحمل عليه، كل خطوة منه منتهى البصر، فسار وسار معه جبريل عليه السلام، قال: فأتى على قوم يزرعون في يوم ويحصدون في يوم، كلما حصدوا عاد كما كان، فقال: ياجبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء المجاهدون في سبيل الله تضاعف لهم الحسنة بسبعمائة ضعف ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ:٣٩] ثم أتى على قوم تُرضَخ رؤوسهم بالصخر، كلما رُضِخَتْ عادت كما كانت، ولا يفتر عنهم من ذلك شيء، قال: ياجبريل من هؤلاء؟ قال: هؤلاء الذين تتثاقل رؤوسهم عن الصلاة، قال: ثم أتى على قوم على أقبالهم رقاع، وعلى أدبارهم رقاع، يسرحون كما تسرح الإبل والنعم، ويأكلون الضريع والزقوم ورصف جهنم وحجارتها، قال: ما هؤلاء ياجبريل؟ قال: هؤلاء

الذين لا يؤدون صدقات أموالهم، وما ظلمهم الله شيئًا، وما الله بظلام للعبيد» الحديث [تفسير الطبري: ٨/ ٧-١٢، رقم: ٢٢٠٢١].

فائدة: من أدلة البعث بعد الموت

قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ۝ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٥، ٤٦] وقال الله تعالى عن الإنسان: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۝ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ۝ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ۝ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ﴾ [يس: ٧٨-٨١] هذه أدلة واضحة على البعث، خلق الإنسان من نطفة فإذا هو خصيم مبين ،وأنه جعل من الشجر الأخضر الرطب نارًا، وأنه خلق السموات والأرض، فالذي أنشأ هذه أول مرة قادر على أن يخلق مثلهم، سبحانه وتعالى عما يشركون.

فائدة: اليقين أكمل مراتب العلم

بالصبر واليقين ينال الإنسان الإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤] واليقين أكمل مراتب العلم، وحاجة الناس إلى العلم أشد من حاجتهم إلى الطعام والشراب، وهو من صفات الله تعالى العليم، ولا يقوم الإيمان إلا بالعلم، ولا يمكن التصديق واليقين إلا به، وكل صفة كمال ترجع إليه، وصاحبه أكثر أجرًا وأقل تعبًا، وهو أفضل من الجهاد، وقال ﷺ «أفضل الأعمال إيمان بالله ثم الجهاد» [البخاري: ٢٦، ومسلم: ٨٣] وأفضل الأمة أبو بكر رضي الله عنه لعلمه وإيمانه، لا لكثرة صلاته وصيامه، وقد تميز آدم عليه عليه السلام على

الملائكة لعلمه ﴿قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئۡهُم بِأَسۡمَآئِهِمۡۖ﴾ [البقرة:٣٣] وتميز يوسف عليه السلام بعلمه بتعبير الرؤيا، قال تعالى: ﴿نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ وَفَوۡقَ كُلِّ ذِي عِلۡمٍ عَلِيمٞ﴾ [يوسف:٧٦] وتميز إبراهيم عليه السلام بالعلم بالحجة، قال تعالى: ﴿وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُۗ﴾ [الأنعام:٨٣] وتميز الخضر بالعلم حتى أن موسى عليه السلام طلب منه التعليم، فقال: ﴿هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا﴾ [الكهف:٦٦] وتميز سليمان عليه السلام بعلم منطق الطير، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ [النمل:١٦] وتميز داود بعلم صناعة الدروع والأسلحة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ﴾ [الأنبياء:٨٠] وتميز رسولنا محمد ﷺ بعلم الكتاب والحكمة، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾ [النساء:١١٣] وتميز عيسى عليه السلام بعلم التوراة والإنجيل، وما أعطاه الله تعالى من المعجزات من إبراء الأكمه والأبرص وغير ذلك.

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ﴾ [الزمر:٩] وقال: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١] وقال: ﴿أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ﴾ [الرعد:١٩] والعلم الذي يرفع العبد، العلم بالله وكتابه ورسوله ﷺ وحديثه، قال ابن القيم رحمه الله:

العلم قال الله قال رسوله
قال الصحابة قال ذو العرفان

وهناك علوم ضارة، وعلوم معرفتها والجهل بها سواء.

فائدة: التفكر في آيات الله الكونية

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ:٩] الاستفهام للتعجب والإنكار، كيف لا يؤمنون بالله وهم يرون هذه الكائنات الأرضية والسماوية العظيمة التي أمامهم وخلفهم من كواكب بعضها يطلع، وبعضها يغيب بأشكال مختلفة وسير بنظام تام وأنوار وظلام وشفق وجبال وبحار وأودية وحيوانات وطيور، كيف لا يتدبرون ذلك ويؤمنون بالله تعالى ولا يشركون به شيئًا؟!: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ﴾ [الروم:٨] ثم يهددهم الله ﴿إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ﴾ [سبأ:٩] فصانع هذه المخلوقات العظيمة قادر على أن يخسف بهم الأرض، مثل ما خسف بقارون، ومثل ما يخسف ببعض هذه المخلوقات، أو يسقط عليهم كسفًا من السماء، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور، وهاهم في عصرنا اطلعوا على بعض المخلوقات العظيمة، ومازالوا في غيهم وكبرهم وكفرهم وعنادهم، وما اطلعوا عليه هو نقطة من محيط، فمخلوقات الله أعظم، فسبحانه وتعالى عما يشركون. ثم لما بين سبحانه ذلك بين ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾ [سبأ:٩] وبعد هذه الآية ذكر أحد المنيبين إلى الله، وهو داود عليه السلام، فقال: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ﴾ الآية [سبأ:١٠] وداود عليه السلام كم قال الله تعالى عنه:

﴿وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ [ص:١٧] وقال: ﴿فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَٰكِعٗا وَأَنَابَ﴾ [ص:٢٤] وكانت الجبال والطير تؤوب معه ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيۡرَۖ﴾ [سبأ:١٠] فهي ترجع صوته وتسبح معه، وكان شاكرًا لله تعالى، يعمل الصالحات هو وآله، فالشكر بالعمل هو أعلى الدرجات، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] فالله تعالى يبين أن العمل الصالح شكر لله، وأن الأكل من الطيبات مع العمل الصالح شكر لله، قال بعد هذه الآية: ﴿لَقَدۡ كَانَ لِسَبَإٖ فِي مَسۡكَنِهِمۡ ءَايَةٞۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٖ وَشِمَالٖۖ كُلُواْ مِن رِّزۡقِ رَبِّكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لَهُۥۚ بَلۡدَةٞ طَيِّبَةٞ وَرَبٌّ غَفُورٞ﴾ [سبأ:١٥].

فائدة: الأنبياء عليهم السلام لم يطلبوا مالاً على دعوتهم

الأنبياء عليهم السلام لا يطلبون مالًا ولا أجرةً على دعوتهم، قال الله تعالى عن محمد ﷺ: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٖ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ﴾ [سبأ:٤٧] وقال: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] وقال: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ﴾ [هود:٢٩] وقال: ﴿لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ﴾ [هود:٥١].

فائدة: لا يتقبل الإيمان عند معاينة لعذاب

قال الله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبٖ﴾ [سبأ:٥٤].

أي حال زجهم في النار بينهم وبين ما يأملونه من النجاة، وذلك مثل قولهم: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنعام:٢٧] وقولهم: ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا غَيۡرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعۡمَلُۚ﴾ [فاطر:٣٧] وقول فرعون: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ

بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس:٩٠] فهم وأمثالهم فُعِلَ بهم فعل واحد من الحيلولة بينهم وبين ما يشتهون.

فائدة: كمال التوحيد أن يتجرد العبد لله

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣٠، ١٣١].

الخلائق كلهم ينقسمون إلى قسمين: سفيه لا أسفه منه، ورشيد، فالسفيه الذي لا أسفه منه من رغب عن ملة إبراهيم عليه السلام، ومال إلى الشرك، والرشيد من تبرأ من الشرك، وجميع المرسلين يقولون لأقوامهم: ﴿ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف:٥٩] قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء:٢٥] وقال: ﴿وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ﴾ [الزخرف:٤٥] وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ﴾ [النحل:٣٦].

وكمال التوحيد أن لا يبقى في قلب الإنسان شيء لغير الله، فيكون العبد مواليًا لربه في جميع الأمور، يحب من أحب، ويبغض من أبغض، ويوالي من يوالي، ويعادي من يعادي، ويأمر بما يأمر، وينهى عما نهى الله عنه. وأكمل الناس في ذلك محمد ﷺ، ثم إبراهيم عليه السلام، ثم أولو العزم من الرسل، ثم الرسل، ثم الأنبياء.

وإذا تدبرت القرآن الكريم وجدته يدور على التوحيد من أوله إلى آخره، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:٢] وقال: ﴿وَلَا تَدۡعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۘ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ

كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص:٨٨].

فائدة: لا أحد أظلم من صدَّ عن سبيل الله

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدْ ضَلُّواْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء:١٦٧] الكافرون من اليهود والنصارى والمشركين والمنافقين وغيرهم الذين يصدون الناس عن سبيل الله وعن الإسلام ويفتنونهم ويوهمونهم بتكذيب الرسول ﷺ والقرآن، هم في ضلال مبين وضياع عن الإيمان كبير، وبُعد عن طريقه، وهذا الضلال بعيد جدًا، نسأل الله العافية. ومع ضلالهم هذا فإن الله لا يهديهم إلى الطريق المستقيم، فهم لا يستحقون ذلك لكفرهم وظلمهم، وإنما يهديهم إلى طريق جهنم، وذلك على الله يسير، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ○ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:١٦٨، ١٦٩] فالظلم عاقبته وخيمة، فهو يغشى على القلب، ويمنعه من وصول الحق، والعمل بأسباب الهدى.

فائدة: لذة النظر إلى وجه الله تعالى أعظم وألذ لذات جنات النعيم

قال الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ [يس:٥٨] روى ابن ماجه عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «وبينما أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم، فإذا الرب تعالى قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم ياأهل الجنة، قال: وذلك قول الله تعالى: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾ قال: فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم، ما داموا ينظرون إليه، حتى يحتجب عنهم ويبقى نوره وبركته عليهم في ديارهم

[ابن ماجة: ١٨٤ وضعفه الألباني] قال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩] ولذة النظر إلى وجه الله الكريم ألذ من جميع لذات جنات النعيم، وكان من دعائه ﷺ: «أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك» [أحمد: ٥/ ١٩١ والنسائي: ١٣٠٥ وصححه الألباني وابن حبان في صحيحه] قال هشام بن حسان: (يتجلى الله تبارك وتعالى لأهل الجنة، فإذا رأوه نسوا نعيم الجنة) نسأل الله تعالى لذة النظر إلى وجهه الكريم من غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة.

فائدة: عالم السوء من آثر الدنيا على الآخرة

قال الله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ○ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

إذا أحب العالم الدنيا وآثرها على الآخرة، خرجت فتاواه وفق شهواته، وشهوات من يستفيد منهم في الدنيا بجاه أو مال ووفق هوى الناس فيخلد إلى العرض الأدنى، فيحل ويحرم لأجلها، مع علمه بتحريم ما أباحه، أو تحليل ما حرمه، فيقول على الله ما يعلم بطلانه، وقد مثله الله تعالى بأسوء مثل، بالكلب الذي يلهث، وبين أنه ينسلخ من دينه، وتتبعه الشياطين، ويكون من الغاوين، ويخلد إلى الأرض، ويعبد الهوى، ويلهث في طلب الدنيا، ولو زادت عنده فهو

لاهث جشع، ويمسخ الله قلبه وعقله ودينه وأخلاقه، وهذه أقبح الصفات وأسوئها، نسأل الله العافية والسلامة.

فائدة: الدنيا ظل زائل وعيش فانٍ

عمر الإنسان قصير، ومدة بقائه في الدنيا قليلة، وهذه الدنيا كالنوم، ويقظتها يقظة القلب بالعلم والإيمان، وهي ظل زائل، وعيش فانٍ، وخيال مضمحل، مملوءة بالمنغصات، أما الحياة الحقيقية (الحيوان) فهي حياة الآخرة، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤] حياة كاملة، أمن وسرور، قريبة المنال، قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات:٤٦] وقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ﴾ [يونس:٤٥] وقال: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ﴾ [الأحقاف:٣٥] وقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ [الروم:٥٥] وقال: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ○ قَالُواْ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ○ قَـٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون:١١٢-١١٤] فواأسفاه على من ضيع عمره فيما لا فائدة له في أخراه.

فائدة: من صفات المنافقين

١- أنهم يخفون على الناس، وقد يخفون على أنفسهم، فيظنون أنهم مصلحون وهم مفسدون، كما قال الله تعالى عنهم: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَـٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:١٢] وقال عنهم أيضًا: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٨].

٢- يهجرون القرآن، ويفارقون الوحي، ويأخذون بزخرف القول،

ولديهم من الغرور الشيء الكثير، قال تعالى: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] وقال: ﴿يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام:١١٢] وقال: ﴿إِنَّ قَوْمِي ٱتَّخَذُوا۟ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا﴾ [الفرقان:٣٠].

٣- الخديعة والمكر والكذب من صفاتهم، قال تعالى: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [البقرة:٩].

٤- قلوبهم مريضة بالشبهات والشكوك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ قَالُوٓا۟ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة:١١].

٥- لكل واحد منهم وجهان: وجه عند المؤمنين، ووجه عند إخوانهم المنافقين والكفار، قال تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ﴾ [البقرة:١٤].

٦- يستهزؤن من المؤمنين ومن أحكام الدين ومن الدعاة إلى الله، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ○ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [البقرة:١٤، ١٥].

٧- لا يسمعون الحق ولا يبصرونه ولا يبحثون عنه، قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ [البقرة:١٨].

٨- من صفاتهم الرياء والكسل عند الصلاة، وعدم ذكر الله إلا قليلًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٤٢].

٩- التذبذب وعدم الاستقرار، فهم مع القوي، فإذا ضعف تركوه إلى غيره، قال تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء:١٤٣].

١٠- يكرهون أهل العقيدة الصحيحة وأهل الحديث وأنصار السنة والسلفيين وأهل السنة والجماعة والأثر، ويتربصون بهم الدوائر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ ٱللَّهِ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَٰفِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوٓاْ أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النساء: ١٤١].

١١- تعجبك أقوالهم بحلاوتها ولينها وبلاغتها وزخرفها، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤].

١٢- يفسدون في البلاد والعباد والمعاش والمعاد، مع حضورهم الصلاة والذكر والزهد خداعًا، ويدعون الإصلاح، قال تعالى: ﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥].

١٣- يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، بعضهم من بعض، ولا ينفقون في سبيل الله، قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

١٤- يصدون عن أعمال الخير وسماع المواعظ، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١].

١٥- كثرة حلفهم وأيمانهم، وادعائهم أنهم يريدون: جمع الكلمة، والتوفيق بين الناس، والإحسان ﴿فَكَيْفَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَآءُوكَ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّآ إِحْسَٰنًا

وَتَوۡفِيقَۢا﴾ [النساء: ٦٢] وقال: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمۡ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

١٦- لا يحكمون الشرع، ولا يرجعون إلى العلماء الكبار ذوي الاستنباط، وإنما يرجعون إلى أوليائهم، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

١٧- طبع الله على قلوبهم، فهم لا يفقهون بسبب نفاقهم بعد معرفتهم وكفرهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ ثُمَّ كَفَرُواْ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣].

١٨- أحسن الناس أجساما، وأفصحهم أقوالًا، وألطفهم بيانًا، ولكن قلوبهم خبيثة، فهم كالخشب المسندة، لا فائدة فيهم ولا ثمرة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

١٩- يؤخرون الصلاة عن وقتها، ينامون حتى تطلع الشمس، ولا يصلون العصر حتى تصفر، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ﴾ [النساء: ١٤٢] وينقرون الصلاة نقرًا، يصلون بالأبدان لا بالأرواح، ولايحضرون الجماعة إلا قليلًا، خاصة الفجر والعصر.

٢٠- إذا حدثوا كذبوا، وإذا وعدوا أخلفوا، وإذا خاصموا فجروا، وإذا عاهدوا غدروا، وإذا ائتمنوا خانوا، قال تعالى: ﴿وَيَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمۡ لَمِنكُمۡ وَمَا هُم مِّنكُمۡ وَلَٰكِنَّهُمۡ قَوۡمٞ يَفۡرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦].

٢١- إن حصل للمسلمين نصر كرهوا ذلك، وإن أصابتهم مصيبة

فرحوا بها، قال الله تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة: ٥٠] وقال: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا﴾ [آل عمران: ١٢٠].

٢٢- يحرصون على الفتن، وتفريق المؤمنين وإضعافهم، والإرجاف في صفوفهم، قال تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٧].

٢٣- يكرهون ما أنزل الله، ويكرهون الدعاة إليه، والعاملين في سبيله، والعلماء الكبار، والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ [محمد: ٩].

٢٤- يعرفهم المؤمنون من العلماء وأهل البصيرة في سيماهم ولحن أقوالهم، قال تعالى: ﴿فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد: ٣٠].

٢٥- أبصارهم خاشعة، وقلوبهم ذليلة، ويحسبون كل صيحة عليهم، وعندهم من الحسد والضغينة ما الله به عليم، قال تعالى: ﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ﴾ [القلم: ٤٣] وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٩] وقال: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون: ٤].

فائدة: خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ [القلم: ٣] فأجره صلوات الله وسلامه عليه مستمر دائم عظيم، وجميع ما يعمله المسلمون من خير للرسول ﷺ فيه أعظم الأجر والنصيب، فهو سبب

إسلامهم، ويذكر اسمه ويصلى عليه باستمرار.

وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وهذه أعظم أدلة نبوته، وكان ﷺ خلقه القرآن، كما قالت عائشة رضي الله عنها، فهو زاكي الأخلاق، صادق الصفات، حكيم عدل، أقواله موافقة للحق، شريف فاضل، يحب ما أحب الله تعالى، ويكره ما كرهه سبحانه، بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة وجاهد في الله حق جهاده، حتى أتاه اليقين، يتصف بأعلى الأخلاق وأفضل العلوم والأعمال والإرادات.

فائدة: السعي في تغير المنكر دليل على إيمان العبد بربه وتوحيده له

قال الله تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ○ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ○ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ○ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ○ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ○ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ○ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ قَالَ يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ﴾ [يس:٢٠-٢٦] هذه الآيات تبين أن هذا الرجل جاء مسرعًا يسعى، وهذا دليل على حرصه في إنكار المنكر، ونصيحته لقومه، وحبه للنبي، وإيمانه وتوحيده لله تعالى، فقد جاء من مكان بعيد في أقصى القرية، قيل: إن اسمه حبيب بن مرة، وكان نجارًا، وكان يحمل هم قومه وهم الدعوة، وهو ممن يقتدى به في الإسراع بتغيير المنكر، وفي قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ۖ﴾ دليل على أنه مات شهيدًا، فدخل الجنة مباشرة بعد موته، وفي قول الرجل: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾ [يس:٢٥] دليل على إعلانه إيمانه بدون خوف ولا

وجل، وهكذا المسلم، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام والمؤمنين في قومه: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] وقوله: ﴿يَٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ۝ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] دليل على أن فرحه بدخوله الجنة لم يُنْسِهِ قومَه، فتمنى أن يعلموا ماذا لقي من ربه ليؤمنوا، ولم يتمن هلاكهم ولا الشماتة بهم، وهذا يدل على حلمه وكظم غيظه وحسن خلقه.

فائدة: علامات التوبة الصحيحة

قال الله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] وقال الله تعالى: ﴿لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ [التوبة: ١١٠].

علامات التوبة الصحيحة هي تقطع القلب حسرةً وألمًا وحزنًا على ارتكاب الذنب، وأن يكون التائب بعد التوبة خيرًا مما كان قبلها، وأن يكون خوفه مستمرًا في حياته إلى الموت، وأن يتحسر تحسرًا عظيمًا على فعلته وتفريطه، وأن ينكسر قلبه بين يدي ربه ويذل ويخضع، وأن يتعاظم ذنبه ويندم على ارتكابه، ويعزم على عدم العودة إليه، وأن يكثر الإلحاح بالدعاء إلى الله تعالى في أن يتوب عليه، وأن يقلع عن الذنب، ويأسف على ما مضى، ويعزم على إصلاح نفسه، ويصلح ما أفسد عند غيره، فيرد المظالم، وأن يكثر الاستغفار والعبادة، وأن يخاف أنه ما وفى التوبة حقها، وأنها لم تقبل منه، وأنه لم يبذل جهده في صحتها، وأن يخاف من سقوط

منزلته عند ربه.

أما علامات التوبة غير الصحيحة فهي:

ضعف عزيمته، والتفاته إلى ذنبه أحيانًا، وتذكر لذة مواقعته للذنب، ووقوعه من نفسه، وجمود عينيه وغفلته، وعدم استحداث أعمال صالحة، واستصغار ذنبه، وأن لا يزداد في عمل الخير، ولا الاستغفار، ولا يرد ما عليه من المظالم.

فائدة: هلك المتنطعون

قال الله تعالى آمرًا رسوله محمدًا ﷺ: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] وكل الأنبياء لا يطلبون أجرًا لدعوتهم، وهذا دليل على صدقهم، قال تعالى: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود:٢٩] وقال: ﴿مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾ [سبأ:٤٧] وقوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] فالرسول ﷺ لا يعمل بالتكلف ولا يأمر به، فلا حرج في دين الله ولا مشقة، فالدين دين سهل ويسير، روى الدارقطني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، فمر على رجل جالس عند مقراة له - أي حوض ماء - فقال عمر: ياصاحب المقراة أوَلَغَتِ السباع الليلة في مقراتك؟ فقال له النبي ﷺ: «ياصاحب المقراة لا تخبره، هذا متكلف، لها ما حملت في بطونها، ولنا ما بقي شراب وطهور» [الدارقطني في السنن:٣٤، ٣٥ قال صاحب التعليق المغني على الدارقطني: وهذا موقوف ورجاله ثقات إلا أن يحيى بن عبدالرحمن لم يسمع من عمر رضي الله عنه] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: (يأيها الناس من علم منكم علمًا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، قال الله لرسوله ﷺ: ﴿قُلْ

مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص:٨٦] [البخاري:٤٨٠٩ ومسلم:٢٧٩٨] فطبع الرسول ﷺ السماحة، والدين الإسلامي سمح، قال ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا [مسلم:٢٦٧٠].

فائدة: مفسدات القلب

قال الله تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف:٦٧].

مفسدات القلب خمسة:

١- كثرة المخالطة لأهل الدنيا الذين لا يذكرون بالآخرة ولا بالعمل الصالح، قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ○ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ○ لَّقَدۡ أَضَلَّنِي عَنِ ٱلذِّكۡرِ بَعۡدَ إِذۡ جَآءَنِيۗ﴾ [الفرقان:٢٧-٢٩] وقال الله عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لقومه: ﴿إِنَّمَا ٱتَّخَذۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا مَّوَدَّةَ بَيۡنِكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٢٥].

أما خلطه العلماء والدعاة وأهل الخير والنصيحة والآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر، ففيها من المصالح الكثير، وعلى المرء إذا خالط قومًا أن يقلب مجالسهم طاعة لله، وأن يلهج بذكر الله حتى لا يضيع عليه الوقت، وأن يقدم النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة، أو بالجدال بالتي هي أحسن.

٢- التمني الضار، وهو رأس مال المفاليس كما قيل.

التمني قسمان:

أ) قسم محمود: وهو تمني الخير والعلم والإيمان والعمل الصالح، وصاحب هذا يحصل له من الأجر كأجر فاعله، كما ورد أنهما في الأجر سواء.

ب) قسم مفسد للقلب: وهو أن يحوم قلبه على تمني المحرمات والشهوات وأعمال الشر، فيفسد بذلك قلبه، وهو لم يتحصل على شيء من أمنياته السيئة.

٣- التعلق بغير الله، وصاحبه يكله الله إلى من تعلق به من رئيس أو كبير، وفي هذا نقص من توحيد المرء قد يصل إلى الشرك، قال تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمۡ يُنصَرُونَ ○ لَا يَسۡتَطِيعُونَ نَصۡرَهُمۡ وَهُمۡ لَهُمۡ جُندٞ مُّحۡضَرُونَ﴾ [يس: ٧٤، ٧٥].

٤- كثرة الطعام، أو الطعام الحرام، وكلاهما مفسد للقلب والبدن، كما قال ﷺ: «ما ملأ آدمي وعاءً شرًا من بطنه، بحسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه، فإن كان لابد فثلث لطعامه، وثلث لشرابه، وثلث لنفسه» [الترمذي: ٢٣٨٠، وابن ماجة: ٣٣٤٩، وأحمد: ٤/ ١٣٢ والحاكم: ٤/ ٣٣١ وصححه الألباني].

٥- كثرة النوم، فإنه يثقل البدن، ويضيع الوقت، ويسبب الغفلة والكسل، خاصة بعد الفجر إلى شروق الشمس، فهذا وقت غنيمة وبركة، ووقت نزول الأرزاق وتقسيم الخيرات والبركة، ومن جلس في مصلاه بعد صلاة الفجر حتى ترتفع الشمس قيد رمح، يذكر الله تعالى، وختم مجلسه بصلاة الشروق، حصل على أجر عظيم، ورد أنه يعادل حجة وعمرة، والله المستعان.

فائدة: وقفات مع سورة ياسين

في سورة ياسين بين الله تعالى عدة آيات:

الأولى: هذه الأرض الميتة عندما ينزل عليها المطر، كيف تحيا ويخرج منها الحب وغيره، قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ [يس: ٣٣].

الثانية: الأزواج من كل شيء، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ﴾ [طه: ٥٣] ذكر وأنثى، قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩] وقال في سورة يس: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦].

الثالثة: قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ [يس: ٣٧] فإذا زال النور، صارت ظلمة، وسلخ النهار من الظلمة.

الرابعة: جريان الشمس لمستقر لها، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] عن أبي ذر رضي الله عنه قال: كنت مع رسول الله ﷺ في المسجد عند غروب الشمس فسألته فقال: «إن هذه تجري حتى تنتهي إلى مستقرها تحت العرش، فتخر ساجدةً، ولا تزال كذلك حتى يقال لها: ارتفعي، ارجعي من حيث جئت، فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها، ثم تجري لا يستنكر الناس منها شيئًا، حتى تنتهي إلى مستقرها، ذاك تحت العرش، فيقال لها: ارتفعي أصبحي طالعة من مغربك، فتصبح طالعةً من مغربها، فذلك مستقر لها، ومستقرها تحت العرش، فذلك قوله تعالى:

﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾» [البخاري: ٣١٩٩، ٤٨٠٢، ٤٨٠٣ ومسلم: ١٥٩ وأبو داود: ٤٠٠٢ والترمذي: ٣٢٢٧].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ﴾ [يس: ٣٩] والعرجون هو العود الذي يحمل ثمر النخلة (أعلى العذق).

السادسة: أن الشمس لا ينبغي لها أن تدرك القمر، وأن الليل لا يسبق النهار، وأن كل هذه الأكوان في فلك تسبح، قال تعالى: ﴿لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠].

السابعة: قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمۡ أَنَّا حَمَلۡنَا ذُرِّيَّتَهُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ ٱلۡمَشۡحُونِ ○ وَخَلَقۡنَا لَهُم مِّن مِّثۡلِهِۦ مَا يَرۡكَبُونَ﴾ [يس: ٤١، ٤٢] فسفينة نوح عليه السلام التي حملت من كل زوجين اثنين، وعدم غرقها وشحنها بالمخلوقات، آية عظيمة ومنة كريمة من الله.

فائدة: سكينة الله على رسوله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [التوبة: ٢٦] وقال: ﴿إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ﴾ [التوبة: ٤٠] وقال: ﴿لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفتح: ١٨] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ﴾ [الفتح: ٤] وقال: ﴿إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٦] وقال: ﴿سَكِينَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٤٨] وقد أنزل الله تعالى

سكينته على نبيه محمد ﷺ إذ كان في الغار يوم الهجرة ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة:٤٠] وفي يوم حنين حين ولوا مدبرين من شدة بأس الكفار، وفي يوم الحديبية عندما لم يتحمل عمر بن الخطاب رضي الله عنه شروط الصلح، وكان ﷺ يدعو الله بأن ينزل السكينة عليه وعلى أصحابه يوم كانوا يحفرون الخندق، ويرتجز بقول عبدالله بن رواحة رضي الله عنه:

فأنزلن سكينةً علينا
وثبِّت الأقدامَ إن لاقينا

[البخاري:٤١٠٦ ومسلم:١٨٠٣]

وقد جعل الله السكينة لباسه، كما ورد في صفته في الكتب السابقة، وكان ساكن النفس والقلب، بعيدًا عن الفحش واللغو، ليس فظًا ولا غليظًا ولا صخابًا ولا قوالًا للخنا، كريمًا تقيًا حكيمًا صادقًا وفيًا عفوًا عدلًا متأنيًا وقورًا خاشعًا لطيفًا، وقد أمر الله تعالى بالخشوع، فقال: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحديد:١٦] والخشوع سكينة وطمأنينة، فبالسكينة يتميز الصادقون، وبالخشوع يتضح المؤمنون، وبالسمت يعرف المجدون، «وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم، إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وحفتهم الملائكة، وذكرهم الله فيمن عنده، ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه» [مسلم:٢٦٩٩، وأبو داود:١٤٥٥، وابن ماجة:٢٢٥].

وفي صفة رسول الله ﷺ في الكتب السابقة (إني باعث نبيًا أميًا ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب في الأسواق، ولا متزين بالفحش،

ولا قوالًا للخنا، أسدده لكل جميل، وأهب له كل خلق كريم، ثم أجعل السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة مقوله، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والعدل سيرته والحق شريعته، والهدي إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه) [ابن قيم الجوزية في مدارج السالكين الجزء الثاني ص ٥٢٦ - دار الحديث القاهرة).

فائدة: سبب نزول سورة عبس

قال الله تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ○ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾ الآيات [عبس:١،٢] في هذه السورة التنويه بضعفاء المؤمنين، وعلو قدرهم عند الله، وخشيتهم، وطهارة نفوسهم، وأنه لا يجوز تحقيرهم وذمهم، وأن الإنسان يطغى إذا ظن أنه استغنى، ويتكبر إذا صار عظيمًا في قومه ويفجُر، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ○ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق:٦،٧].

وسبب نزول هذه السورة أنه كان عند النبي ﷺ رجال من سادات المشركين، وهم: عتبة بن ربيعة وأبو جهل والعباس بن عبدالمطلب وأُبي بن خلف وشيبة بن ربيعة والوليد بن المغيرة، وكان رسول الله ﷺ يعرض عليهم الإسلام، وكان حريصًا على إيمان هؤلاء السادة ليكون ذلك سببًا في إيمان أتباعهم، فأقبل عبدالله بن أم مكتوم رضي الله عنه، وهو رجل مؤمن أعمى من بني عامر بن لؤي ليسأل الرسول ﷺ عن مسائل، وكان النبي ﷺ يحبه ويكرمه، وكان مؤذنه مع بلال بن رباح رضي الله عنه، ولكنه ﷺ كره في هذا الوقت سؤاله لحرصه على إيمان هؤلاء السادة، فتلهى عنه وعبس وتولى، فعاتبه الله

تعالى على ذلك في هذه السورة، وبين أن هؤلاء المتكبرين الذين استغنوا عن هذا الدين لا تتصدى لهم، وما عليك من تزكيتهم وإسلامهم، وأما هذا الأعمى الذي جاء يسعى حريصًا على الخير والعلم وهو يخشى فأنت عنه تلهى وما يدريك لعله يزكى أو يذكر فتنفعه الذكرى، كما قال الله تعالى: ﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ○ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ○ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾ [عبس:٥-٧] ولما نزلت هذه الآية كان ﷺ يقول لابن أم مكتوم رضي الله عنهما: «مرحبًا بمن عاتبني فيه ربي» [تفسير القرطبي، تفسير سورة عبس] وكان يفرش رداءه ليجلس عليه.

وهذه تذكرة للمؤمنين، وبيان كفر الإنسان ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧] وتوضيح لتكبره، مع أنه مخلوق من نطفة، وخرج من السبيل، وسيموت ويقبر ثم يبعث إذا أراد الله ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ○ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ○ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ○ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ○ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ○ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧-٢٢].

فائدة: من طلب الهداية زاده الله هداية على هدايته

كلما توغل العبد بالكذب على الله والكفر به ومعصيته، ازداد غضب الله عليه، وصار بعيدًا عن هداية الله، قال تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا۟ بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ وَشَهِدُوٓا۟ أَنَّ ٱلرَّسُولَ حَقٌّ وَجَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران:٨٦].

كما أنه كلما اهتدى العبد، أي بحث عن الهداية وطلبها، زاده الله هداية على هداية، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد:١٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر:٣] فهو سبحانه يتركهم غضبًا عليهم، فكما أنه يهدي

من يشاء إلى صراط مستقيم فكذلك يضل من يشاء، فإن للهداية أسبابًا، أهمها: البحث عنها وعدم التكبر على الحق، قال تعالى: ﴿سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ﴾ [الأعراف:١٤٦] فهؤلاء مستحقون البعد عن الهداية، وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون، فإن الله تعالى إذا أرسل رسلًا يبلغون الناس الدين، كان الناس بمستوى واحد، فهم عبيده وهو ربهم، ثم يكونون أصنافًا في تلقيهم الدعوة، فمنهم من يطلبها ويبحث عنها ويسأل ويتدبر وينظر ويفكر، فهذا يشرح الله صدره للإيمان والخير، ومنهم من يصد عنها ولا يشرح صدره لتلقيها ويعاند، فهذا يصده الله عن الهداية، قال الله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِۚ﴾ [الأنعام:١٢٥] وقد امتن الله تعالى على المؤمنين بأن شرح صدورهم للإيمان وحببه إليهم وزينه في قلوبهم، وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان، قال الله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ○ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [الحجرات:٧،٨] والحمد لله رب العالمين.

فائدة: حال أهل التوحيد وأهل الشرك

قال الله تعالى: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلٗاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩].

هذا مثل لحال أهل التوحيد وأهل الشرك، والله تعالى يضرب

الأمثال للناس، كما قال ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ [الروم:٥٨] وقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ﴾ [الكهف:٣٢] وقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ﴾ [الكهف:٤٥] وقال: ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس:١٣].

وفي هذه الآية تمثيل حال المشرك في تقسيم عقله وحيرته بين الآلهة الكثيرين، وشكه، وطلبه رضاهم، وخوفه من غضب بعضهم، وتردده وضياعه، وتوزع قلبه، بحال مملوك اشترك فيه مالكون كُثُر مختلفون متنازعون، مهنهم شتى، وحوائجهم كثيرة، فهو في حيرة في إرضائهم وأداء حقوقهم، لا يقر له قرار ولا يهنأ له بال، ويقابله تمثيل المسلم الموحد لله تعالى الذي يقوم بتنفيذ أوامره واجتناب نواهيه، لا يأمره إلا واحد، ولا ينهاه إلا هو، عرف ربه وعلم ما أوجبه عليه، ففهمه واحد، وقلبه مجتمع، يتبع الحق ويبتعد عن الباطل ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ [الزمر:٢٩] أبدًا لا يستوون ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٢٩] فأكثر الناس لا يعلمون عدم استواء الحالتين، ولو علموا لما اختاروا الشرك بالله، إن أكثرهم يتبعون رؤسائهم الضالين ويقلدونهم، قال تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦] ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] وقال: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠].

فائدة: ميراث العلم والنبوة

قال الله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُودَ﴾ [النمل:١٦] هذا ميراث العلم

والنبوة، أما ميراث المال فإن معاشر الأنبياء لا يرثون ولا يورثون، كما أن لسليمان عليه السلام أولادًا كُثرًا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [النمل:١٥] ثم جاءت بعدها: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ﴾ [النمل:١٦] ولا يتصور عاقل أن المقصود ميراث المال، فمن المعلوم أن كل إنسان يرث مالَهَ ابنُه، فلا فائدة من الإخبار في ذلك، وينزه كلام الله عن هذا الفهم.

فائدة: حسن الخلق جِمَاعُ الدين كله

قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤] وقالت عائشة رضي الله عنها لما سُئلت عن خلق رسول الله ﷺ: (كان خلقه القرآن) [مسلم:٧٤٦، وأبو داود:١٣٤٢ وغيرهما] وهذا الخُلق الكريم الذي يتصف به الرسول عليه الصلاة والسلام أكبر دليل على صدقه، وحيث إن القرآن الكريم اشتمل على كامل العلم والخلق، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت:٤٩] فالحكمة والعدل والحق والأدب وتزكية النفوس والشرف وصلة الرحم كلها في علم القرآن، وكل خُلقٍ سيئٍ ينهى عنه القرآن، فهو ينهى عن الكفر والنفاق والفساد والشرك والبغي والظلم والجزع والهلع والعدوان والطيش والحدة والفحش والعجلة والكنود والبذاءة والبخل والشح والغش والفخر والخيلاء والكبر والرياء والعجب والسمعة والكذب والغلظة وإخلاف الوعود والانتقام وقطيعة الأرحام، فالخلق هو جماع الدين كله، ومن تخلق بأخلاق القرآن وصل إلى غاية الأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة، وبقدر نقصه في

ذلك يحصل له نقص الأخلاق.

فائدة: طريق الخير واحد وطرق الشر متعددة

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَوْلِيَآؤُهُمُ ٱلطَّٰغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ ٱلنُّورِ إِلَى ٱلظُّلُمَٰتِ ۗ﴾ [البقرة:٢٥٧] فالنور واحد، والظلمات متعددة، وسبيل الله واحد، وسبل الشياطين متعددة، ومنبع النور واحد، ومنابع الظلمات متعددة، والطريق إلى الله واحد، والطرق المخالفة متعددة، وطريق الجنة واحد، وطرق النار متعددة، والدين الحق - وهو الإسلام - واحد، وطرق الباطل كثيرة.

فائدة: من آداب الصلاة

من الأدب في الصلاة أن يتزين العبد في لباسه عند الوقوف بين يدي ربه، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١] فإن الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته على عبده خاصة في الصلاة.

ومن الأدب فيها أن يخفض بصره في موضع سجوده ولا يرفع بصره إلى السماء، ومن الأدب ألا يقرأ القرآن وهو ساجد وراكع، لأن حالة الركوع والسجود حالة ذل، وتكون القراءة حالة الوقوف.

ومن الأدب أن يضع يده اليمنى على اليسرى حال القيام على صدره، ومن الأدب عدم الحركة وعدم الالتفات، ومن الأدب الاستواء في الركوع، وتعظيم الله فيه، قال ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب» [مسلم:٤٧٩ وأبو داود:٨٧٦] ومن الأدب سؤال الله تعالى في السجود، قال ﷺ: «وأما السجود فأكثروا فيه من الدعاء، فقمن أن

يستجاب لكم» [مسلم:٤٧٩ وأبو داود:٨٧٦] ومن الأدب التراص في الصلاة بين المصلين، وألا يترك للشيطان منفذًا، ومن الأدب عدم مسابقة الإمام أو التخلف عنه، وإنما تكون المتابعة بعد فراغ الإمام من التكبير مباشرة.

ومن الأدب الإنصات للقراءة، قال تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق:٣٧].

فائدة: اتباع الهوى والشهوات يسبب التباس الحق على أهله

قال الله تعالى: فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُۥ يَأْخُذُوهُ ۚ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَٰقُ ٱلْكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ وَدَرَسُوا۟ مَا فِيهِ ۗ وَٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأعراف:١٦٩] وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] الذين يتبعون الهوى والشهوات من المنصب والمال والرئاسة والدار الدنيا وأمثال ذلك يخالفون الحق فينطمس الحق عليهم، ويأخذون عرض الحياة الدنيا، ويحرمون ما أحل الله، أو يحلون ما حرم الله، ويقولون سيغفر لنا، فهم يصرون على ذلك، عن علم لديهم بخطئهم، فتعمى قلوبهم، وقد مثلهم الله تعالى بالكلاب، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۝ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ﴾ [الأعراف:١٧٥] وهذا خالف الإيمان وأدركه الشيطان واتبع الهوى، ولم يرفعه العلم، واختار الدنيا واتبع الشهوات، أما المتقون فيعلمون أن الآخرة خير من الدنيا فلا يؤثرونها، ويتمسكون بالكتاب

والسنة، ويصبرون على عبادة الله، ولو حرموا من الدنيا والمناصب والجاه والرئاسة، ولا يغيرون ما علموه، ولا يتبعون الشياطين من الإنس والجن، فيهديهم ربهم بإيمانهم، ويعملون بما آتاهم الله من علم ويثبتون عليه، فيرفعهم الله، ولا يخلدون إلى الأرض، ولا يتبعون الهوى والشهوات.

فائدة: من عجائب النمل

من عجائب النمل أنها هادئة تخرج من بيتها وتطلب قوتها، وقد تسير مسافات بعيدة، ثم تحمله في طرق معوجة صاعدة وهابطة، وقد تتعاون نملتان أو أكثر في حمله، ثم تخزنه بعد أن تفلقه فلقتين أو أكثر حتى لا ينبت، والذي لا ينبت منه لا تفلقه، وإذا جاءه بلل أخرجته في يوم مشمس ونشرته حتى ييبس لئلا يتعفن، ثم تعيده، وما جمعته نملة لا تأكل منه نملة أخرى، وهي لا ترضى الكذب، أخبرني من أثق به أنه وضع قطعة صغيرة من طعام في الأرض فأتت نملة لتحمله إلى بيتها فلم تستطع حمله، فذهبت إلى أخواتها لتستعين بهن في حملها، وقبل وصولهن أخذ الذي أخبرني قطعة الطعام، فبحثن عنها فلم يجدنها فذهبن، ثم ألقى قطعة الطعام، وكانت النملة التي رأت القطعة سابقًا مستمرة في البحث فوجدتها فذهبت مسرعة إلى أخواتها لتستعين بهن فأقبلن وقبل وصولهن أخذ القطعة من الطعام، فعل ذلك ثلاثًا، وفي الرابعة اجتمعن عليها ومزقنها غضبًا عليها، لأنهن يظنّ أنها كذبت عليهن، وأعجب من ذلك ما قال الله تعالى عن النملة التي تقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

وقولها: ﴿لا يحطمنكم﴾ قال أحد الذين يبحثون عن إعجاز القرآن: إن النملة كالزجاج ليس فيها دم، وإنما تتكسر، ولهذا قالت: ﴿لا يحطمنكم﴾ وكيف عرفت أنه سليمان عليه السلام وهذه جنوده، واعتذرت عنهم بأنهم ﴿لا يشعرون﴾ فسبحان من ألهمها.

وقد ورد أن الرسول ﷺ نهى عن قتل النمل، وللنمل سادات، وورد أنها تستغيث وترفع قوائمها، قال نبي الله سليمان عليه السلام: «ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم» [ابن أبي حاتم في تفسيره:١٦٢٠٣] ومن عجائبها أنها تجمع قوت الشتاء في الصيف، ومن أعجب العجب قوة شمها.

فائدة: ثقلُ العلمِ والفتوى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل:٥] فليس في العلم شيء خفيف، كله ثقيل، خاصة الفتاوى، كان أحد السلف لا يؤهل نفسه للفتوى حتى يشهد له سبعون أنه أهل لذلك، ممن هم أعلم منه، وكان بعضهم يرتعد قبل أن يجيب سائلًا على فتواه في أمور الدين، ومن عرض نفسه للفتوى فقد عرضها لأمر عظيم، قالت الملائكة: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة:٣٢] ولما سئل رسول الله ﷺ أي البلاد شر؟ قال: «لا أدري حتى أسأل جبريل» فسأله فقال: «أسواقها» [أحمد:٤/٨١، وأبو يعلى:٧٤٠٣، والطبراني في الكبير:١٥٤٥، ١٥٤٦ ومعناه في صحيح مسلم:٦٧١، ولفظه: «أحب البلاد إلى الله مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها»] وقال عتبة بن مسلم: صحبت ابن عمر رضي الله عنه أربعة وثلاثين شهرًا، فكان كثيرًا ما يسأل فيقول: لا أدري.

فائدة: مخرج الصدق ومدخل الصدق

قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠].

قيل: مخرج صدق: خروجه من مكة، ومدخل صدق: دخوله في المدينة للهجرة، وقد أمر الله رسوله ﷺ أن يسأله أن يجعل مدخله ومخرجه الصدق، فقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ﴾ وهذا كقول الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [يونس: ٢] وقوله: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ○ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٤، ٥٥] وقد قال إبراهيم عليه السلام في دعائه ربه: ﴿وَاجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ﴾ [الشعراء: ٨٤] وقال: ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] هو التأييد والعلم والإخلاص، وجميع العلوم المعارضة للقرآن والسنة، من لدن النفس والشيطان والهوى.

أما العلوم المأخوذة من الكتاب والسنة، أو التي لا تعارض الكتاب ولا تعارض السنة فهي من الله تعالى، وقد نصر الله تعالى رسوله محمدًا ﷺ وجعل له سلطانًا نصيرًا، قال تعالى: ﴿وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٠] وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٢].

فائدة: شرك المحبة

قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ○ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] وقال: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾

[البقرة:١٦٥] فمن أحب أحدًا مثل محبته لله أشرك شركًا أكبر لا يغفر إلا بالتوبة، وأشد منه من أحب شيئًا أعظم من حبه لله، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ﴾ [التوبة:٢٤].

فائدة: فتنة شياطين الإنس والجن

الشياطين من الإنس والجن يزينون لابن آدم الشر، ويقبحون الخير، ويأمرون بالسوء والفحشاء والمنكر، وينهون عن الأعمال الصالحة، قال تعالى: ﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:٤٣] وقال: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ [فاطر:٨] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ﴾ [الأنعام:١٣٧] والله تعالى وملائكته وصالح المؤمنين يزينون لابن آدم الخير، وينهونه عن الشر ويقبحونه، قال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:٧].

الشيطان فتن نفسه، حيث لم يمتثل لأمر الله تعالى الذي فيه فلاحه، فلم يسجد لآدم عليه السلام كما سجد الملائكة، وافتخر بأصله وأنه من النار، وآدم عليه السلام من تراب، وقال: ﴿ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا﴾ [الإسراء:٦١] وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦].

كما فتن آدم وحواء عليهما السلام حيث أغواهما بالأكل من الشجرة التي زعم أنها شجرة الخلد، وأن من أكل منها لا يخرج من الجنة أبدًا.

وفتن بني آدم إلا من عصمه الله، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفۡتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ كَمَآ أَخۡرَجَ أَبَوَيۡكُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ﴾ [الأعراف:٢٧].

وفتن ذريته من الجن ممن أغواهم فلم يسلموا لله تعالى وقالوا مثلما قال وزعموا مثلما زعم، قال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِي وَهُمۡ لَكُمۡ عَدُوُۢۚ بِئۡسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلٗا﴾ [الكهف:٥٠].

فائدة: ما تحويه كلمة التوحيد من المعاني

﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ○ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ○ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الزخرف:٢٦-٢٨] هذه كلمة التوحيد لا إله إلا الله براءة من الشرك وأهله، وإثبات العبودية لله تعالى وحده، ورَّثها إبراهيم عليه السلام أتباعه، وقامت عليها الأرض والسماوات والملة والقبلة والفطرة، وهي الكلمة التي تعصم مال المرء ودمه وذريته، وهي المنجية من العذاب لا يدخل أحد الجنة إلا بها، ولا ينجو من النار إلا بتحقيقها، وهي التي يقاتل من أجلها، قال رسول الله ﷺ: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» [أبو داود:٣١١٦، وأحمد:٥/٢٣٣، ٢٤٧، والحاكم:١/٣٥١، ٥٠٠، وصححه الألباني].

فائدة: الإيمان بالقدر يورث في القلب طمأنينة وأنساً

الإيمان بالقدر خيره وشره يورث في قلب المؤمن طمأنينةً وأنسًا وراحةً نفسيةً، لأنه يعلم أن ذلك بإذن الله، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ [التغابن:١١] وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ○ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ

بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد:٢٢،٢٣] وما دام الإنسان لا يستطيع أن يدفع ما قدر له من شر، فالواجب عليه الرضا وعدم السخط ولا الشكوى ولا اليأس، فكل شيء مقدر قبل أن يخلق، وبهذا تحصل الطمأنينة وتذهب الوساوس والقلق.

فائدة: مراتب المحرمات

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزمر:٦٠] وقال: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ [الأنعام:٩٣] القول على الله بغير علم من المحرمات الكبيرة، وفي الآية الكريمة: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٣٣] ما يوضح مراتب المحرمات الأربعة التي أشدها القول على الله بغير علم:

أولًا - الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

ثانيًا- الإثم والبغي بغير الحق.

ثالثًا- الشرك بالله تعالى: .

رابعًا- القول على الله بغير علم ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الزمر:٣٢] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ ٱلْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ○ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النحل:١١٦،١١٧].

فالذي يقول على الله الكذب فيحل الحرام ويحرم الحلال أو نحو ذلك، يتمتع في الدنيا قليلًا، وله عذاب أليم في الآخرة، وهذا دليل على أن ذلك أعظم الكبائر المحرمة.

فائدة: الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة

الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة.

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ○ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ○ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ○ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٧].

شبه الله كلمة التوحيد لا إله إلا الله بالشجرة الطيبة المثمرة النافعة المتأصلة بالأرض وفرعها في السماء، وهذه الشجرة هي النخلة التي شرفها الله على سائر الشجر، فهي كالمؤمن يثمر العلم والمعرفة واليقين، ساقها كالإخلاص، وفرعها كالأعمال الصالحة، أما الشجرة الخبيثة فهي كلمة الكفر والنفاق الخبيثة التي لا يأتيها الماء الذي يسقيها وينميها، ولم يكن لها قرار فلا عرق ثابت ولا فرع عال ولا ثمرة طيبة ولا منفعة، فليس للكفر أصل ولا دليل، ولا يقبل للمشرك عمل صالح، ولا يصعد عمله إلى السماء، والله تعالى من فضله يثبت الذين آمنوا في الدنيا والآخرة والبرزخ، ويضل الله الظالمين، قال الله تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال: ﴿إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ﴾ [الأنفال: ١٢] وقال: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۚ﴾ [هود: ١٢٠] وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا۟ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا﴾ [النساء: ٦٦] فالله تعالى يثبت المؤمنين عند

السؤال في القبر، ويثبتهم عند اجتياز الصراط، وإذا كانت النخلة طيبة فالمؤمن أولى بالطيب والإخلاص والثبات والعلم والمعرفة والمنفعة، كما أن الكافر أولى من الشجرة الخبيثة بالضرر وعدم النفع والإفساد والفساد وعدم البركة، وليس لعمله ولا قوله أصل ولا فرع، ولا يصعد إلى السماء ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفۡعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٧] نسأل الله عز وجل أن يثبتنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة.

فائدة: الصلاة

قال الله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف:٣١] فينبغي للمسلم أن يتزين للصلاة، ويلبس أحسن الثياب وأجملها، ولا يكتفي بستر العورة، وأن يغتسل من الجنابة، ويتوضأ لكل صلاة إن أمكن، ويتطهر ويتطيب، فالله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده.

ومن الأدب أن ينظر إلى موضع سجوده في صلاته، ولا يرفع بصره إلى السماء، ويتذلل لربه، ولا يقرأ القرآن في حالة الركوع والسجود، وأن يضع يده اليمنى على اليسرى حال القيام، وأن يصلي وهو ساكن مطمئن لا يلتفت ولا يتحرك، عدا حركات الصلاة، وأن يلقي السمع عند قراءة الإمام، ويتدبر القراءة، وأن يستوي في الركوع، ويعظم الله، ويتذكر أنه صغير ضئيل، كان بعض السلف له حلة جميلة، يلبسها للصلاة، وكانوا إذا وقفوا للصلاة كأن على رؤوسهم الطير خاشعين لله، قال تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١، ٢].

ومن آداب الصلاة الاستواء والاعتدال، وعدم إيجاد فُرَجَ بين

المصلين، وعدم المسابقة للإمام أو التأخر عنه طويلًا، أو موافقته، فالواجب المتابعة، إذا ركع فليركع، وإذا سجد فليسجد بعده مباشرة.

فائدة: الدعاء من أفضل العبادات

من أفضل العبادات الدعاء، قال الله تعالى: ﴿ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥] وقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة:١٨٦] وقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُاْ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧] وقال: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر:٦٠] وقال: ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤] وقال: ﴿إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٩] وقال: ﴿وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ [مريم:٤] وقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠] وأفضله الخفي الخاشع المتضرع الذليل المخلص لله المحب له المتكرر المتبتل، المبتدئ بالحمد والمنتهي بالصلاة على النبي ﷺ وأن يكون على طهارة، رافعًا يديه إلى السماء، مفتقرًا لربه، الخائف الراغب الموقن بالإجابة، وأن يكون الداعي من أهل الإحسان والتوحيد الخالص.

فائدة: رؤية الله في الجنة أعظم النعم

رؤية الله تعالى في الجنة أعظم النعم، وهي ثابتة عند أهل السنة والجماعة ثبوتًا قطعيًا، خلافًا لأهل البدع، قال الله تعالى لموسى عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِىٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِى وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ

﴿دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف:١٤٣] وقال رسول الله ﷺ «إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» [البخاري:٥٥٤، ٤٨٥١، مسلم:٦٣٣، أبو داود:٤٧٢٩، والترمذي:٢٥٥٤، وابن ماجه:١٧٧، وأحمد:٤/ ٣٦٠] ومن الأدلة على ذلك:

الأولى: سؤال موسى عليه السلام رؤية ربه تبارك وتعالى، فلا يجوز أن يسأله ذلك لو كانت مستحيلة في الآخرة.

الثانية: عدم إنكار الله تعالى على موسى عليه السلام سؤاله الرؤية، ولو كانت مستحيلة لأنكر عليه كما أنكر على نوح عليه السلام لما سأله نجاة ابنه، قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [هود:٤٦].

الثالثة: أن الله أجاب موسى عليه السلام بقوله: ﴿لن تراني﴾ ولم يقل: لا تراني، والفرق بين الجوابين واضح، حيث لا تحتمل قوى موسى عليه السلام رؤية ربه في الدنيا لضعف قوته، وحرف لن لا يدل على التأبيد والدوام.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرْ إِلَى ٱلْجَبَلِ فَإِنِ ٱسْتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوْفَ تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف:١٤٣] فالجبل مع قوته لا يثبت لتجلي ربه في هذه الدنيا فكيف بالإنسان الضعيف، أما في الآخرة فإن حواس المؤمن قوية.

الخامسة: أن الله علق عدم قدرة موسى عليه السلام على الرؤية بأن الجبل لا يستطيع ذلك التجلي، ولو كان الجبل وموسى عليه السلام قادرين لأمكنت الرؤية لله تعالى.

السادسة: أن دار الكرامة فيها ما تشتهيه الأنفس، وما يتمناه أهل

الجنة، ورؤية الله تعالى غاية أمنية العباد جعلنا الله تعالى منهم.

السابعة: أن الله تعالى كلم موسى عليه السلام وخاطبه وناجاه وناداه، ومن أنكر الرؤية لزمه إنكار التكليم.

الثامنة: قول الله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ [البقرة:٢٢٣] وقوله: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب:٤٤] واللقاء يدل على الرؤية، وكذا قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٩] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ [الكهف:١١٠] وغيرها من الآيات والأحاديث.

فائدة: الله تعالى موصوف بصفات الكمال

الله تعالى موصوف بصفات الكمال في أفعاله وعلوه وعظمته وعزته وملكه وحفظه لخلقه، وبصفات الحمد والمغفرة والرحمة والكلام والولاية والمشيئة وإحياء الموتى والقدرة التامة الشاملة، وكونه فاطر السموات والأرض، وهو السميع البصير، حاكم بين عباده، قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:١١] فلا معبود بحق سواه، فهو العلي الحكيم، أنزل كتبه على رسله، وكلم من شاء منهم، يراه المؤمنون جهرة بأبصارهم يوم القيامة، وهو على كل شيء قدير، التعظيم له والخضوع له، والحلف لا يكون إلا به، لا إله إلا هو، والتوكل لا يكون إلا عليه، وكل شيء من الله، ما شاء كان ومالم يشأ لم يكن، تعالى وتقدس عن كل عيب أو نقص، ليس له ند ولا عدل ولا كفؤ، وليس من دونه ولي ولا شفيع، لا نشبهه بخلقه ولا نمثله ولا نكيفه ولا نعطل صفاته

وأسماءه، نثبت ما أثبته لنفسه، كالوجه والكلام والأفعال واليدين والاستواء على العرش والنزول إلى السماء الدنيا آخر الليل، بيده الخير، له مقاليد السموات والأرض، فهو حي لا يموت، قوي له القوة والعزة، لا تأخذه سنة ولا نوم، غني لا يظلم عباده، لكمال غناه وعدله ورحمته، لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [يونس:٦١] وقال: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ [الأنعام:١٠٣] لعظمته وإحاطته بما سواه، فهو الكبير المتعال الواسع، لا يحاط به علمًا، له المجد لا مثيل له، وهو رب العالمين، وهو كما أثنى على نفسه لا نحصي ثناءً عليه، وهو اللطيف الخبير لا يكون السجود إلا له، ولا الركوع، ولا الاستغاثة إلا به، نثبت جميع صفات الكمال له، وننفي جميع صفات النقص عنه، سبحانه وتعالى عما يشركون، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ○ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ○ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ○ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ○ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ○ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى:٦-١١].

فائدة: ما يستحب فعله في يوم الجمعة

قال الله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ فَٱسْعَوْاْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩] يوم الجمعة عيد الأسبوع، خصت هذه الأمة به، تضاعف فيه الحسنات، أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا من الأمم، فكان لليهود يوم السبت، وللنصارى يوم الأحد، فهديت أمة محمد ﷺ إلى يوم الجمعة، على المسلم الإكثار فيه من الدعاء والاستغفار، يسن أن يقرأ الإمام في صلاة الفجر يوم الجمعة ﴿الٓمٓ ○ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١،٢] و﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان:١] تقوم فيه الساعة، يسن إكثار الصلاة فيه على النبي محمد ﷺ، ويسن فيه الاغتسال والتطيب والسواك ولبس أحسن اللباس، والتبكير لصلاة الجمعة والمشي إليها، والقرب من الإمام، والإنصات للخطبة، والذكر وقراءة القرآن وقراءة سورة الكهف والاستغفار، وتحري ساعة الإجابة قبل غروب الشمس آخر ساعة من العصر، ووقت صعود الإمام على المنبر وغيرهما من الأوقات، والصدقة، ومن ترك ثلاث جمع تهاونًا طبع الله على قلبه وختم عليه، وصار من الغافلين، وفي رواية ابن خزيمة وابن حبان «من ترك الجمعة ثلاثًا من غير عذر فهو منافق» [ابن حبان:٢٥٨، وابن خزيمة:١٨٥٧، وقال محقق صحيح ابن حبان: إسناده حسن] ويسن قراءة سورة الأعلى في الركعة الأولى والغاشية في الثانية، أو سورة الجمعة في الأولى والمنافقون في الثانية، ولا يجوز للمسلم حجز مكان في المسجد وهو خارج المسجد في الجمعة ولا غيرها من الصلاة، وإذا وجد المكان محجوزًا بسجادة أو نحوها يرفعها ويصلي مكانها، إذا لم يكن صاحبها في المسجد، ولا يجوز

الكلام والإمام يخطب، إلا لمن كلم الإمام، ولا يجوز تخطي رقاب الناس، والتفرقة بينهم وأذيتهم، وإذا دخل المسجد فلا يجلس حتى يصلي ركعتين خفيفتين، خلق آدم عليه السلام يوم الجمعة، وتكون النفخة والصعقة فيه، وهو خير يوم طلعت فيه الشمس، وفيه أهبط آدم من الجنة، وفيه تيب عليه، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مصيحة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من قيام الساعة، إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله شيئًا إلا أعطاه إياه، كما ورد في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ [مسلم:٨٥٢ والنسائي:١٤٣١ وابن ماجه:١١٣٧ وأحمد ٢/ ١٦٤،١٨٥،٢٣٠] وفي يوم الجمعة يُبعث الناس إلى منازلهم في الجنة، وفيه يوم المزيد يرون ربهم فيه، ويستحب فيه تجمير المسجد، وفيه تكفر السيئات وترفع الدرجات.

فائدة: من صفات أولياء الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [يونس:٦٢-٦٤] في هذه الآيات الكريمة بشرى لأولياء الله تعالى ووعد لهم بعدم الحزن وعدم الخوف، وقيل: المعنى لا خوف عليهم من لحوق مكروه، ولا هم يحزنون من فوات مطلوب في جميع الأوقات، وهم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ﴾ [يونس:٦٣] أي آمنوا بكل ما جاء عن الله، وامتثلوا أمر الله، واجتنبوا معاصيه، واتقوه حق تقاته، قيل لرسول الله ﷺ من أولياء الله؟ قال: «الذين إذا رؤوا ذكر

الله تعالى» أي لحسن سمتهم وإخباتهم، [رواه ابن المبارك والبزار:٣٦٢٦ وابن مردويه وكذا الطبري وغيرهم عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهما] وروى أحمد وابن حاتم والبيهقي وجماعة عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن لله تعالى عبادًا ليسوا بأنبياء ولا شهداء، يغبطهم النبيون والشهداء، على مجالسهم وقربهم من الله تعالى» قال أعرابي: يارسول الله انعتهم لنا، قال: «هم أناس من أفناء الناس ونوازع القبائل لم تصل بينهم أرحام متقاربة، تحابوا في الله وتصافوا، يضع الله تعالى لهم يوم القيامة منابر من نور فيجلسهم عليها، فيجعل وجوههم نورًا، وثيابهم نورًا، يفزع الناس يوم القيامة وهم لا يفزعون، وهم أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون» [أحمد ٥/ ٣٤١، ٣٤٣، والطبراني في الكبير ٣٤٣٣، وأبو يعلى ٦٨٤٢، والبغوي في شرح السنة ١٣/ ٥٠ والحاكم ٤/ ١٧٠، ١٧١ وابن حبان: ٢٥٠٨ عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال محققو شرح السنة: إسناده صحيح].

ثم بين الله تعالى أن ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس:٦٤] أخرج الطيالسي وأحمد والدارمي والترمذي:٢٢٧٥ وابن ماجه:٣٨٩٨ والطبراني والحاكم وصححه والبيهقي وغيرهم وصححه الألباني عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ عن قوله سبحانه: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: «هي الرؤيا الصالحة، يراها المؤمن أو ترى له» أما بشرى الآخرة فهي بشارة المؤمن عند الموت، أن الله قد غفر لك، روي ذلك عن رسول الله ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب:٤٧] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾

[يونس:٢] وقال: ﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ﴾ [التوبة:٢١] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] وقال: ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ﴾ [فصلت:٣٠] كما أن لهم بشرى النصر والفتح والغنيمة والثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس وغير ذلك في الدنيا، وبشرى الآخرة بالفوز والكرامة وبياض الوجوه، وإعطاء الصحائف بأيمانهم، وغير ذلك، مما تبشرهم به الملائكة، لا تبديل لكلمات الله ولا تغيير، والحمد لله رب العالمين.

فائدة: مزية أمة محمد صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧].

أمر الله تعالى موسى وأخاه هارون عليهما السلام أن يتخذوا بيوتهم للصلاة فيها، وكانت اليهود تستقبل الصخرة، والنصارى تستقبل مطلع الشمس، وهدى الله المسلمين إلى استقبال الكعبة التي بناها إبراهيم عليه السلام، وكانت الأمم السابقة لا تصلي إلا في كنائسها، أما أمة محمد ﷺ فجعلت لهم الأرض مسجدًا وطهورًا، ولما كان فرعون يلاحقهم ويمنعهم من الصلاة، رخص الله لهم في الصلاة في البيوت، كما رخص لنا في صلاة الخوف، فصارت البيوت كالكنائس، أمروا بذلك لئلا يظهر عليهم الكفار، فيؤذوهم ويفتنوهم في دينهم، وقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس:٨٧] فيه بشارة لهم بالنصر على فرعون وقومه، وبشارة للمؤمنين إلى يوم القيامة.

فائدة: صور من سماحة الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْۗ﴾ [ص: ٤٤].

لما حلف أيوب عليه السلام بأن يضرب امرأته مائة ضربة، ولما لم يكن في شرع من قبلنا كفارة يمين، بل كانت اليمين توجب عليهم فعل المحلوف عليه، أمر الله أيوب عليه السلام أن يأخذ بيده ضغثًا فيضرب به ولا يحنث، وفي هذا يتبين سماحة الإسلام، وأنه لا آصار ولا أغلال فيه، كما قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَـٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَـٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧].

فائدة: خلق الله تعالى الإنسان في أجمل صورة

قال الله تعالى: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ○ وَطُورِ سِينِينَ ○ وَهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ○ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ○ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ○ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ○ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [التين: ١-٨].

أقسم الله تعالى بالتين والزيتون، وهما فاكهتان تنبتان في أراض مباركة - بلاد الشام خاصة القدس - وطور سيناء، وأقسم بمكة البلد الأمين، بأن الله خلق الإنسان في أحسن تقويم وأحسن صورة واعتدال وشكل، فهو أحسن من كل الحيوانات ومن جميع

المخلوقات، وبلاد الشام أرسل الله الرسل منها، وهي مكان الإسراء والمعراج، مر عليها الرسول ﷺ قبل البعثة وبعدها، ومكة وسط الكرة الأرضية، فضلها الله على جميع البقاع، وفيها أول بيت وضع للناس، بعث فيها أكرم الخلق عند الله محمد بن عبدالله ﷺ، ومن دخلها كان آمنا، وفيها المشاعر وحرمات الله ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] وقال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَـٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠] ثم استنكر الله تعالى على من أنكر البعث، فقال: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين:٧] كما قال سبحانه: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾ [ق:٥] وقال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَـٰكِمِينَ﴾ [التين:٨] بلى هو أحكم الحاكمين، فلا يليق بأحكم الحاكمين أن لا يجازي المحسن ويعاقب المسيء، ومن أنكر ذلك فقد قدح في حكمه وحكمته.

وإقسام الله تعالى بالتين لما فيه من الفوائد، فهو فاكهة لا عَجَم لها، وقوت وغذاء وإدام ودواء، جميل المنظر، مفرح للقلب، لذيذ، أثبت الأطباء فائدته لأشياء كثيرة، منها البواسير والنقرس وغيرهما.

أما الزيتون الذي ينبت في بلاد الشام المباركة، فهو قوت وغذاء وإدام ودواء ونور، له فوائد كثيرة، وهو مبارك يحتاجه الناس في بقاع الأرض.

أما طور سينين فهو طور سيناء الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام، وهو مبارك لتجلي الله عليه.

أما البلد الأمين فهو مكة التي حرمها الله وأمنها، وهي مظهر نبوة محمد ﷺ، ووسط الأرض، وفيها أول بيت وضع للناس، هدى

للعالمين، ومن دخله كان آمنًا، أوجب الله حجه على كل مستطيع من الناس ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٧].

فائدة: من فضائل السماء والأرض

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

من فضائل السماء أن الله سبحانه وتعالى فيها، وكذا عرشه وكرسيه، والرفيق الأعلى للذين أنعم الله عليهم، ودار كرامته، ومستقر الأنبياء والرسل، وأنها مطهرة من الخبث والشرور، فلا تفتح أبوابها للأرواح الخبيثة، وفيها ملائكته الساجدون القائمون، ومادتها شريفة، وفيها الرزق والجنة، ولا يوجد فيها موضع أربع أصابع إلا وملك ساجد أو قائم، وقد قدمها الله تعالى بالذكر على الأرض، وجاءت في القرآن الكريم مجموعة، أما الأرض فتأتي مفردة في كتاب الله تعالى، فهي أفضل من الأرض وأزكى على الصحيح.

جعل الله في الأرض آدم عليه السلام خليفة، فقال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وفيها أماكن مباركة كالشام ومكة والمدينة والمساجد والطور، وقد خلقها الله قبل السموات، وأقسم الله تعالى في أشياء في الأرض، فقال: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ [الطور: ١] وقال: ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين: ٣] وقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] وهي مهبط وحيه وكتبه ورسله، وفيها الأعمال المحببة إليه كالجهاد والصدقة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفيها المنافع العظيمة من الأنهار والثمار والعلوم والأقوات والحيوانات والنبات، قال تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠] وقال: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت: ١٠] وفيها أفضل

خلقه محمد ﷺ، وفيها بيته ورسله وأنبيائه والصالحون من عباده، وقد جعلها الله قرارًا وبساطًا ومهادًا وفراشًا وكفاتًا، وفيها من كل زوج بهيج.

فائدة: الغاية من خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وقال: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨] وقال: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] هذه الآيات وغيرها تدل على أن الله خلق جميع المخلوقات لحكمة وغاية، منها معرفة الله بأسمائه وصفاته وأفعاله وآياته، لأجل أن يعبد ويشكر ويطاع ويحمد ويذكر، ويأمر وينهى ويشرع ويدبر ويقضي ويقدر ويثيب ويعاقب ويجازي ويعدل ويعلم ويكرم ويعذب، ويوحد ويقدس، ويجود وينعم ويعفو ويغفر ويسامح، ويمجد ويسبح ويعظم، ومنها التفكر في خلقه والتوكل عليه، وقال تعالى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا﴾ [آل عمران: ١٩١] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾ [ص: ٢٧].

فائدة: الحسنات من الله تعالى والمصائب نفس الإنسان

قال الله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء: ٧٩] أي أن النعم من الله والمصائب بسبب نفس الإنسان، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠] وقال: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ﴾

[الشورى:٤٨] فالمصائب سببها النفس واتباع أهوائها، أما الحسنات فهي من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٥٣] فالأعمال الصالحات بتوفيق الله للعبد وإعانته ومشيئته، أما السيئات فهي بسبب ظلم الإنسان وجهله، قال أحد العلماء: (لا يرجوَنَّ عبد إلا ربه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبه) وكانت خديجة رضي الله عنها تقول للرسول ﷺ: (لن يخزيك الله أبدًا، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق) [البخاري:٣، ومسلم:١٦٠] فهي تعلم أن من كانت هذه صفته لا يمكن أن يخزيه الله العزيز الرحيم الحكيم العليم، وهذا من فقهها بالأسباب والمسببات، وهذا مقتضى أسمائه وصفاته الحسنى.

فائدة: فضائل العلم الشرعي

العلم يرفع المرء، ويصلح الأمم والبلدان، والجهل بخلاف ذلك، فهو خراب العالم وخراب الناس، قال الإمام أحمد رحمه الله: (لولا العلم لكان الناس كالبهائم) والناس أحوج إلى العلم من الأكل والشرب، ويجب على كل إنسان أن يتعلم ما يصلح به دينه من العلم النافع الذي جاء به الرسول ﷺ، وهو يسير بفضل الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر:١٧] ومن طلب العلم أعانه الله، قال مطر الوراق: (هل من طالب علم فيعان عليه).

فائدة: الناس من حيث الشكر والكفر قسمان

الشكر ضد الكفر، وهو غاية خلق الله تعالى لعبيده، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ

وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨] والناس على قسمين: شاكر أو كفور، كما قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان:٣] وقال الله تعالى عن سليمان عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ﴾ [النمل:٤٠] ومن شكر زاده الله تعالى من فضله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم:٧] والله تعالى لا يرضى الكفر، ويرضى الشكر، قال تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر:٧] وقال: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٤] والشاكرون لله قليل، كما قال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ:١٣] اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

فائدة: الإنفاق الممدوح والإنفاق المذموم

الذين ينفقون أموالهم في المعاصي، أو ينفقونها رياءً وفخرًا وسمعةً وحبًا لثناء الناس، كالذي يزرع الزرع يرجو نفعه، فتأتيه الريح العاصفة والبرد الشديد أو النار فتهلكه، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ○ مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِى هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ ۚ وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [آل عمران:١١٦،١١٧] وقال تعالى: ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤] أما الذي ينفق ماله في سبيل الله فقال الله تعالى عنه: ﴿كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾

[البقرة: ٢٦١] وقال: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

فائدة: من أسرار الشريعة وحِكَمِها

من أسرار الشريعة وحِكَمِها أن القتل يحصل بشاهدين، أما الزنا فلا يقبل إلا بأربعة شهود، ولو لم يقبل القتل إلا بأربعة لضاعت الحدود، أما الزنا فقد أمر الله تعالى بستره.

ومن ذلك أن الله تعالى أوجب الحد بشرب الخمر، ولم يوجبه بشرب الدم والبول وأكل النجاسات، وهي أخبث من الخمر لما في الخمر من المفاسد المترتبة عليه.

وأوجب القطع في سرقة ربع دينار، ومنع قطعها في النهب مهما كثر، وأوجب الحد في رمي الرجل بالفاحشة، ولم يوجبه في رميه بالكفر، ولم يُرَتب على الربا حدًا مع كونه من الكبائر العظام، لأن معصية الربا لا يطهرها الحد لعظمها.

ولم يوجب الحد في أكل مال اليتيم لأن له النار، وكذا ترك الصلاة لم يرتب عليه الحد، وكذا اليمين الغموس وغير ذلك، وهذه كلها من أسرار الشريعة وحكمها العظيمة.

فائدة: صفات أهل الجنة

لأهل الجنة أوصاف بينها الله تعالى في قوله: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

فهذه الصفة الأولى أنهم متقون لله، والتقوى امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه: ثم بين الصفة الثانية، وهي صفة من صفات المتقين فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] أي في العسر واليسر والشدة والرخاء والفقر والغنى، ثم ذكر صفة أخرى، فقال: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] أي يحبسون الغضب إذا أوذوا، ثم قال: ﴿وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وهذه أبلغ من الكظم أنهم يعفون عمن أساء إليهم، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] وهذه أعلى، فهم لا يكتفون بكظم الغيظ والعفو، وإنما يتبعون ذلك بالإحسان إلى من أساء إليهم، ثم بين تعالى أنهم ﴿إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥] فبين تعالى أنهم إذا حصل منهم ذنب ذكروا الله وتابوا واستغفروا، ولم يصروا ولم يعاودوا الذنب، وتداركوا ما فاتهم من الحسنات، ولم يرضوا بالمعاصي والسيئات، ولم يطمئنوا إليها، ولم يجاهروا فيها، وندموا عليها وأقلعوا عنها، واعتذروا لله منها، ودعوه أن يتوب عليهم.

فائدة: بشارة للتائبين

من أعظم البشارة للتائبين أن الله تعالى يبدل سيئاتهم حسنات، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] وهذا بشروط، أهمها الإيمان بالله، والعمل الصالح، والأسف والندم على فعل السيئات، والعمل على تركها، والإقلاع عنها، وتبديل القبائح

بالمحامد، فيبدل الشرك بالإيمان، والزنا بالعفة، والكذب بالصدق، والخيانة بالأمانة، وهكذا قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما رأيت النبي ﷺ فرح بشيء قط فرحه بالآية الكريمة: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ○ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١، ٢] وبالآية الكريمة: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفرقان: ٧٠] وهذه منة من الله تعالى أن يعطيهم مكان كل سيئة حسنة، عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولًا الجنة، وآخر أهل النار خروجًا منها، رجل يؤتى به يوم القيامة فيُقال: عملت كذا وكذا، كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا، كذا وكذا، فيقول: نعم، لا يستطيع أن ينكر، وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه، فيقال له: فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ها هنا» قال أبو ذر رضي الله عنه: فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه [مسلم: ١٩٠، و الترمذي: ٢٥٩٦، واللفظ لمسلم].

قال العلماء: إن هذا الرجل عذب بالنار على ذنوبه، ثم أخرج منها، وبدلت سيئاته حسنات، وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (إن الذنب لا بد له من أثر، وأثره يرتفع بالتوبة تارة، وبالحسنات الماحية تارة، وبالمصائب المكفرة تارة، وبدخول النار ليتخلص من آثرها تارة، لأن الجنة لا يكون فيها ذرة من الخبيث، ولا يدخلها إلا من طاب من كل وجه).

فائدة: لا يجوز السؤال على وجه العناد والجدل

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ وَإِن تَسۡـَٔلُواْ عَنۡهَا حِينَ يُنَزَّلُ ٱلۡقُرۡءَانُ تُبۡدَ لَكُمۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهَا﴾ [المائدة:١٠١] وقال: ﴿أَمۡ تُرِيدُونَ أَن تَسۡـَٔلُواْ رَسُولَكُمۡ كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبۡلُ﴾ [البقرة:١٠٨] وقال ﷺ: «ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه» [مسلم:١٣٣٧].

ولما أخبر رسول الله ﷺ الصحابة بوجوب الحج، قال رجل: أكُلَّ عام يارسول الله، فسكت الرسول عليه الصلاة والسلام حتى قالها الرجل ثلاث مرات، ثم قال الرسول ﷺ: «لا، ولو قلت: نعم لوجبت، ولو وجبت لما استطعتم» ثم قال: «ذروني ما تركتكم» الحديث [مسلم:١٣٣٧] وقال رسول الله ﷺ: «إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يُحَرَّم، فحرم من أجل مسألته» [البخاري:٧٢٨٩، ومسلم:٢٣٥٨] وكان الصحابة رضي الله عنهم لا يحبون كثرة السؤال، وكانت الأسئلة التي تلقى على رسول الله ﷺ معظمها من الأعراب، فلا يجوز السؤال على وجه التعنت والاقتراح والتكذيب والعناد والمراء والجدال، أما السؤال للتعلم والاستفادة في أمر لا تعنت فيه ولا عناد ولا مراء فقد كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ بأدب وحسن خلق، قال تعالى: ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ○ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن

تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٩، ٢٢٠] وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَكُفْرٌ بِهِ﴾ [البقرة:٢١٧].

فائدة: مما يتميز به المؤمنون

طيب العيش وانشراح الصدر، وعدم الحزن والأنس، وسعادة الروح، والحياة الطيبة، والنعيم، والمتاع الحسن، والحياة الكريمة للمؤمنين، وليست للكفار ولا للعصاة، قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] وقال: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ﴾ [الأنعام:١٢٥] وقال: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾ [فصلت:٤٦] وقال: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢] وقال: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ○ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ○ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [يونس:٦٢-٦٤] وقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ [الزمر:١٠].

فائدة: الاستعاذة من شياطين الجن والكفار والجاهلين

الاستعاذة من شياطين الجن بقول: (أعوذ بالله من الشيطان الرجيم) قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٢٠٠] كما أن الاستعاذة من شر مجادلة الكفار وغيرهم من المتكبرين بالاستعاذة بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَا هُمْ بِبَالِغِيهِ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦]

أما الجاهلون فيكون اتقاء شرهم بالإعراض عنهم، قال تعالى: ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩].

أما المؤمنون فقد أمر الله رسوله ﷺ بالصبر مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه، وأن لا تعدو عيناه عنهم، وأمره بالعفو والصفح والاستغفار لهم، ومشاورتهم في الأمر، والصلاة عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٢٨] وقال: ﴿فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾ [التوبة: ١٠٣].

أما العصاة المتخلفون عن الجهاد فقد أمره الله تعالى بأن يهجرهم، وأن يقيم الحدود عليهم، وأن يكونوا عنده سواء: شريفهم ودنيُّهم.

فائدة: أجر القرض الحسن

قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٢] وقال: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

فالقرض الحسن، والبذل في سبيل الله، والإحسان إلى الخلق يضاعف الله تعالى أجرها، وينميها عنده حتى تكون أضعاف ما أنفقه، ويجازيها بالعطاء الجزيل والزيادة من الخير، إذا كان عن طيب نفس وثبات قلب، وذلك يكون من أفضل ما يجد، وبدون منٍّ ولا أذى، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ

وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦١].

ثم بين تعالى أن القول المعروف خير من الصدقة التي يتبعها أذى، فقال: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣] وصدقة القول من المعروف والإحسان، والكلمة الطيبة صدقة، وعدم المؤاخذة والمقابلة من الإحسان، ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٦٤] لبيان أن المن والأذى يبطلان الصدقة، كما أن السيئة قد تحبط الحسنة، وكذا الرياء يبطلها، قال تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ ۗ﴾ [البقرة:٢٦٦] وقد مثل الله تعالى المنفق المرائي بالصفوان، وهو الحجر الأملس الذي عليه تراب، فهو لا ينبت لعدم إخلاصه، أما من عمل بإخلاص، ثم عرض عليه ما يبطل ثوابه، بمن سلط عليه إعصار فيه نار فاحترق، فهذا نبت له شيء ثم احترق، وذاك لم ينبت له شيء.

فائدة: أنواع المعاصي ثلاثة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُا۟ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓا۟ أَوْ يُصَلَّبُوٓا۟ أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَٰفٍ أَوْ يُنفَوْا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ ۚ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْىٌ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة:٣٣].

المعاصي على ثلاثة أنواع:

النوع الأول: فيه الحد، ولا كفارة فيه، كالسرقة وشرب الخمر والزنا والقذف.

النوع الثاني: فيه الكفارة، ولا حد فيه، كالوطء في نهار رمضان، والوطء في الإحرام لأهله.

النوع الثالث: لا حد فيه ولا كفارة، كوطء الأمة المشتركة بينه وبين غيره، وقُبلة المرأة الأجنبية والخلوة بها، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير.

ولا بد من إقامة الحجة أولًا، إما بالإقرار، أو ما يقوم مقامه من إقرار الحال كرائحة الخمر وقيئها، وحمل من لا زوج لها ولا سيد، ووجود المسروق في دار السارق أو معه، أو البينة ممن تتوفر فيه العدالة وعدم التهمة.

فائدة: حكم القُرعة في شرعنا وشرع من قبلنا؟

القرعة في شرعنا وشرع من قبلنا، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ○ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ○ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩-١٤١] وقال رسول الله ﷺ: «لو يعلم الناس ما في النداء والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يستهموا عليه لاستهموا» [البخاري: ٦١٥، ٦٥٤، ٧٢١، ومسلم: ٤٣٧] وكان ﷺ إذا أراد سفرًا أقرع بين أزواجه فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه، قال الله تعالى عمن قبلنا: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَٰمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤].

فائدة: حكمة الله تعالى في هداية المؤمنين وإضلال الكافرين

لله تعالى الحكمة البالغة في هداية المؤمنين وضلال الكافرين، وما ذلك إلا بعلم الله، وبسبب عمل ابن آدم، قال تعالى: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام:١٢٥] وقال: ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ﴾ [البقرة:٢٦] أما سبب الإضلال فقد قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٧] وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:٢٥٨] وقال: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة:١٠٨] وقال: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف:١٤٦] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ﴾ [غافر:٣٤] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر:٣٥] وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٥٩] وقال: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًۢا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ ۚ﴾ [التوبة:١١٥] وقال: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ○ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام:١٠٩، ١١٠] وقال: ﴿وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ [الجاثية:٢٣] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۘ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٤٦] وقال: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:٢٢] وقال: ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُوا۟

مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٨] وقال: ﴿وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً﴾ [الجاثية:٢٣] وقال: ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ○ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة:٢٦، ٢٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد:١٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت:٦٩].

فللهداية أسباب أهمها: البحث عنها، والعلم والحرص عليها، والإقبال على الله بصدق والدعاء.

وللضلالة أسباب أهمها: نقض العهود، وقطع ما أمر الله به أن يوصل، والإفساد في الأرض، والكبر والظلم والفسوق والإسراف والارتياب والجحود والطغيان وكتمان الحق.

فائدة: فوائد من قصص عيسى وزكريا عليهم السلام

الفوائد من قصص عيسى وزكريا عليهما السلام كثيرة، منها: وجوب الوفاء بالنذر، حيث نذرت زوجة عمران حين حملت قائلة: ﴿رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥] ومن الفوائد أن التربية الصالحة لها دور كبير في صلاح العبد، وأن للأنبياء آيات وكرامات، وكذا للأولياء كرامات.

وأن الداعية لا يستجيب له جميع الناس، فمنهم من يستجيب ومنهم من يعصي، وأن مع العسر يسرًا، وأن الله ثبت قلب مريم عليها السلام عند الابتلاء، ورزقها من حيث لم تحتسب، وهي تصلي بالمحراب، قال تعالى: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [آل عمران:٣٧] وأن الله تعالى يجيب دعوة الداع إذا دعاه،

قال تعالى عن زكريا عليه السلام بعد أن دعا الله أن يهب له ولدًا يرثه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ أَنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًۢا بِكَلِمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ ٱلْكِبَرُ وَٱمْرَأَتِي عَاقِرٌ ۖ قَالَ كَذَٰلِكَ ٱللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٣٩، ٤٠] وأن يحيى تعلَّمَ العلمَ وهو صغير، وآتاه الله الحكم وهو صبي، وأعطاه الحنان والتقى والبر والطهارة والسلام، قال تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ○ وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم:١٤، ١٥] .

ومن الفوائد أن الله تعالى تقبل مريم، وأنبتها نباتًا حسنًا، وجعل كفالتها لزكريا عليه السلام النبي العظيم، وأن القرعة معتبرة في مثل هذا الأمر، وأن زكريا عليه السلام رباها تربية صالحة، ورزق زكريا عليه السلام ولدًا على الكبر، وأمره أن يسبح الله ويحمده بكرةً وعشيًا.

ومن الفوائد إنطاق الله عيسى عليه السلام وهو في المهد، آية من الله ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِيَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ○ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ○ وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا﴾ [مريم:٣٠-٣٢] ومنها أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ﴾ [النساء:١٥٨] وقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء:١٥٧] وأن عيسى عليه السلام، قد بشر بمحمد ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾ [الصف:٦].

فائدة: فرار السعداء إلى الله تعالى بطاعته

قال الله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات:٥٠] هذا فرار السعداء

منه وإليه، وذلك بالعمل بطاعته، والفرار مما سواه، والهروب من عذابه، وإفراده تعالى بالطلب والعبودية وجميع أنواع التوحيد، كالحب والخشية والإنابة والتوكل والرجاء والخوف والسؤال، والفرار من جميع المكروهات والمحذورات، والاستعاذة به، قال رسول الله ﷺ: «وأعوذ بك منك» [مسلم:٤٨٦] وقال: «لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك» [البخاري:٢٤٧، ومسلم:٢٧١٠] والفرار مما أوجد قدر الله ومشيئته وخلقه إلى ما تقتضيه رحمته وبره ولطفه وإحسانه، والاستعاذة بالله تعالى، والهروب إليه، لا إلى غيره من المخلوقات، وعدم التعلق بغيره، وعدم الخوف من غيره، وعدم رجاء غيره، والفرار من المخلوقات إلى خالقها، وعدم الالتفات إلى غيره تعالى، وهجران ما لا يحبه ولا يرضاه، والإقبال على ما يحبه ويرضاه، قال رسول الله ﷺ: «المهاجر من هجر ما نهى الله عنه» [البخاري:١٠] فالمؤمن مهاجر إلى ربه، لا يرضى به بديلًا، ولا يلتفت إلا إليه سبحانه، قال إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وسأله الملك هل لك حاجة، قال: «أما إليك فلا، وأما إلى الله فبلى» [البداية ١/١٤٦ ١٠/٣٢٩، تاريخ الطبري ١/١٤٨، حلية الأولياء ١/٢٠] وقال محمد ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وهما في الغار: «ما ظنك باثنين الله ثالثهما» [البخاري:٤٦٦٣] وقال موسى عليه السلام حين قال قومه: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ○ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ [الشعراء:٦١،٦٢] وقال يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] وقال أيوب عليه السلام: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣] وقال إسماعيل عليه السلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ

ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الصافات:١٠٢] وقال هود عليه السلام: ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٦] وقال شعيب عليه السلام: ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

فائدة: أفعال الله تعالى دالة عليه

قال الله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت:٥٣] آيات الله تعالى كثيرة، منها في الآفاق وفي ما أرسل به رسله فأخبرت به، وفي أدلة نبوتهم، وفيما يحدثه الله في الأرض، وما يشاهدونه، وفي أنفسهم، وعلى الخلق النظر والاعتبار والتفكر والتدبر، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:١٩٠] وقال: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢] وقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ [ص:٢٩] وقال الشاعر:

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

وأفعاله تعالى دالة على صفاته وقدرته ومشيئته وعلمه ووجوده وإرادته وحكمته وإحسانه ورحمته وعقوبته لمن عصاه، قال تعالى: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] فهو المعبود بحق، له الكمال والجمال والجلال والعظمة والعزة والكبرياء، وقد شهد الله تعالى بذلك، فقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ﴾ [آل عمران:١٨] وقال: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ

أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦].

فائدة: استرقاق السارق في دين يعقوب عليه السلام

في سورة يوسف عليه السلام ذكر الله تعالى قوله عليه السلام: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] وقال: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ﴾ [يوسف:٥٠] فسمى يوسف عليه السلام السيد ربًا، وهذا جائز في شرع يوسف عليه السلام، وكذا قوله تعالى في أبويه وإخوته: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ﴾ [يوسف:١٠٠] فإن السجود منهم جائز في شرعه، وكذا قوله تعالى: ﴿مَن وُجِدَ فِى رَحْلِهِۦ فَهُوَ جَزَٰٓؤُهُۥ ۚ﴾ [يوسف:٧٥] إسترقاق السارق جائز في شرعه، وهذه الثلاث كلها منسوخة في شرع نبينا محمد ﷺ.

فائدة: اعتراف أبي جهل بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم

الكثير من الكفرة يعرفون أن الإسلام حق، ويجحدون ذلك، ويلبسون الحق بالباطل، ويكتمون الحق، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ﴾ [النمل:١٤] وقال: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام:٣٣] وقال: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ○ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران:٧٠، ٧١] وقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢]\ وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ﴾ [البقرة:١٤٦] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ﴾ [الأنعام:١١٤].

وقد اعترف أبو جهل بصدق محمد ﷺ، ومنعه من الإيمان به

الكبر، وقال: (تنازعنا نحن وبنو هاشم الشرف، أطعموا وأطعمنا، وسقوا وسقينا، وأجاروا وأجرنا، حتى إذا تجاثينا على الركب، وكنا كفَرسَي رِهان قالوا: منا نبي يأتيه الوحي من السماء فمتى ندرك هذه) [تفسير ابن كثير، الإسراء، تفسير آية ٤٧، ٤٨، والسيرة النبوية لابن هشام ١/ ٣١٥].

واعترف أمية بن أبي الصلت وقال: (لا أؤمن بنبي من غير ثقيف أبدًا) واعترف هرقل وآثر الملك والجاه، واعترف اليهود في عهد رسول الله ﷺ وقالوا: نشهد أن محمدًا نبي، قال: «فما يمنعكم أن تتبعوني» [حلية الأولياء ٥/ ٩٨، معجم الصحابة ٢/ ١١ باب الشين] قالوا: إن داود عليه السلام دعا أن لا يزال في ذريته نبي، وإنا نخشى إن اتبعناك أن تقتلنا اليهود، وهكذا الكثير من علماء اليهود والنصارى وقادة الأمم في هذا العصر وغيره يعرفون الإسلام، وينكرونه ظلمًا وعلوًا وتكبرًا، وهكذا قامت عليهم الحجة.

فائدة: جميع أفعال الله تعالى وأقواله مكتوبة في اللوح المحفوظة قبل خلق السموات والأرض

كل شيء مكتوب في اللوح المحفوظ قبل خلق السموات والأرض، فهذا القرآن الكريم مكتوب في أم الكتاب، كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ﴾ [الزخرف: ٤] وقال: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ○ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾ [البروج: ٢١، ٢٢] فجميع أفعال الله تعالى وأقواله مكتوبة عنده، فإيمان المؤمنين وصلاحهم مكتوب، وكفر الكافرين وفسادهم مكتوب، وجميع ما قدره وقضاه من خير أو شر مكتوب، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الرعد: ٣٩] ومشيئته نافذة، وقضاؤه وقدره واقع لا محالة،

آمنا بالقدر خيره وشره.

فائدة: من فوائد قصة نوح عليه السلام مع قومه

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ○ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ○ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ○ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [نوح:١-٤].

من فوائد هذه القصة أن على الداعية أن يصبر اقتداء بنوح عليه السلام الذي صبر على قومه ألف سنة إلا خمسين عامًا.

ومنها تعاهد المدعوين ومتابعتهم حتى لا يدخل الشيطان عليهم، حيث دخل على قوم نوح عليه السلام لانقطاع الدعوات عنهم، منذ آدم عليه السلام، والإنسان من صفاته النسيان، كما نسي آدم عليه السلام.

ومن فوائدها عدم التساهل في البدع، فإنها تزداد، ويتخذها الناس دينًا، فقد صور قوم نوح الأولياء ليذكروهم بعبادة الله، ثم لما تقادم العهد عبدوهم.

ومنها أهمية العلم، وأن الجهل سبب انحراف الأمم، ومنها أن على الداعية احتضان المستجيبين له، وعدم الاستماع إلى قول أعدائهم فيهم حين يطلبون إبعادهم، فقد طلب قوم نوح عليه السلام ذلك، وقالوا له: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ﴾ [هود:٢٧] فقال لهم عليه السلام: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ﴾ [هود:٣١] ومنها صناعة الفلك والاهتمام بالقوة، فقد أنقذ الله نوحًا عليه السلام بسبب هذه الأسباب الدنيوية،

ومن ذلك كل قوة كالصواريخ والسيارات والطائرات، قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال:٦٠] وهذه القوة من الله، ولا تنفع إلا بإرادته.

ومن الفوائد التسمية عند ركوب المركوبات، قال تعالى: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود:٤١] وأن المحبة والمودة للمؤمنين، وأن الكافر ليس من أهل المؤمنين ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود:٤٦] وأن قوة الله غالبة ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾ [هود:٤٣] وأن على الداعية الدعوة ليلًا ونهارًا بدون أجر، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود:٢٩] ومن الفوائد عدم احتقار المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِىٓ أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيْرًا﴾ [هود:٣١] وأن على المؤمن حمد الله عند حصول النعم، قال تعالى: ﴿فَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [المؤمنون:٢٨] وأن يكثر الدعاء: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِى مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون:٢٩].

فائدة: الحب في الله أوثق عرى الإيمان

الحب في الله من أوثق عرى الإيمان وأكملها، وهو تابع لمحبة الله تعالى، فإذا أحب العبد ربه أحب من يحبه من رسله وأنبيائه وملائكته وأوليائه، وأبغض من يبغضه ربه، فدين الإسلام حب وبغض وفعل وترك، فالمؤمن يحب ما أحبه الله، ويبغض ما أبغضه الله، ويفعل لله ويترك لله، ويتبع ذلك الخوف من الله والرجاء فيه وعبادته ودعاءه، وإذا أحب شيئًا أحبه توصلًا به إلى محبة الله، واستعانةً به على مرضاته، وقد كان ﷺ يحب من الدنيا النساء والطيب، وهذه المحبة تكون عونًا له على تبليغ رسالته، وعبادة ربه، قال تعالى:

﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المائدة:٥٤] وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] ولا يجد أحد حلاوة الإيمان إلا إذا أحب في الله وأبغض لأجله، كما قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع إلى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار» [البخاري:٢١، ومسلم:٤٣] وقال ﷺ: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [البخاري:١٤، ١٥، ومسلم:٤٤].

فائدة: جمع الله تعالى لأهل الجنة بين سائر أنواع الأمن

لقد جمع الله لأهل الجنة بين أمن المكان وأمن الطعام وأمن الخروج منها وأمن الموت وأمن الزمان، فأمن المكان قال الله تعالى عنه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ [الدخان:٥١] فهو آمن من الزوال والفساد والنقص، وأهله آمنون من النغص والنكد، ومن الخروج منه ومن كل مكروه، وقال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥٥] فلا يخافون انقطاع الفاكهة، ولا يخافون من الموت، قال تعالى: ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ﴾ [الدخان:٥٦] منازلهم راقية، ولباسهم رائع، ونساؤهم جميلات، ومقامهم آمن، لهم ما يشتهون من الفواكه وغيرها، ولهم النساء الشابات الجميلات الحور العين، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ○ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ○ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ○ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ○يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ○ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ

وَوَقَىٰهُمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الدخان: ٥١-٥٦].

فائدة: المستحقون للويل والوعيد من الله تعالى

قال الله تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ۝ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٤-٧].

وقال تعالى: ﴿وَوَيۡلٞ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦، ٧] وقال تعالى: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝ يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ [الجاثية: ٧، ٨].

ففي الآية الأولى توعد الله تعالى بالويل - وهو واد في جهنم - لمن يسهو عن صلاته فلا تؤثر الصلاة على أخلاقه، إما لمراءاته أو لتأخيرها عن وقتها أو تركها، وهؤلاء من الناس يمنعون الماعون، قال ابن مسعود وابن عباس رضي الله عنهما وغيرهما: (هو إعارة القدر والدلو والفأس ونحوها) وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال لما سئل عن حق الإبل: «إعارة دلوها، وإطراق فحلها» [مسلم: ٩٨٨] فنهى الرسول ﷺ عن أخذ الأجرة على عسب الفحل، وفي الصحيحين «لا يمنعن جار جاره أن يغرز خشبه في جداره» [البخاري: ٢٤٦٣ ومسلم: ١٦٠٩] كما نهى عن منع إجراء الماء في أرض غيره من غير ضرر لصاحب الأرض.

أما الآية الثانية فقد توعد الله المشركين ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٧] .

وفي الثالثة توعد الله تعالى الأفاك كثير الإثم الذي ﴿يَسۡمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسۡتَكۡبِرٗا﴾ [الجاثية: ٨].

فمن ترك الصلاة كفر، لقوله ﷺ: «العهد الذي بيننا وبينهم

الصلاة، من تركها فقد كفر» [الترمذي: ٢٦٢١ وابن ماجه: ١٠٧٩، وأحمد ٥/ ٣٤٦، والبيهقي ٣/ ٣٦٦، والحاكم ١/ ٧٥٦، وصححه الألباني] وكقوله تعالى: ﴿فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِۗ﴾ [التوبة: ١١] فعلق أخوتهم للمؤمنين بفعل الصلاة، فإذا لم يفعلوا لم يكونوا إخوة، ولم يكونوا مؤمنين، لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ [الحجرات: ١٠] ولقوله تعالى: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١] وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون: ٩] وفي تركها تكاسلًا خلاف، أما من جحد وجوب الصلاة فهو كافر بالإجماع.

فائدة: ما أعده الله لأهل الإيمان في الآخرة

أهل الإيمان والعمل الصالح والعلم النافع والعقيدة السليمة لهم من الخيرات في الآخرة مالا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فلهم نعيم القلوب وسعادتها، ونعيم الأبدان بالأكل والشرب والنكاح ﴿فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ﴾ [الطور: ١٨] يعطيهم الله ما يحبون، هانئين آمنين من انقطاعها ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ [الطور: ٢٠] ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيۡهَا مُتَقَٰبِلِينَ﴾ [الواقعة: ١٦] لا يمسهم النصب ﴿وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الدخان: ٥٤] ﴿خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ﴾ [الرحمن: ٧٠] يلحق ذرياتهم بهم تكميلًا لسعادتهم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ﴾ [الطور: ٢١] فمن اتبعهم من ذريتهم بالإيمان، لا بالنسب ولا الحرية ولا الرق ولا غير ذلك، وإنما اتبع والديه بالإيمان تفضل الله على والديه، وعليه بأن يلحقه به، فيرفع الولد إليه، ولا ينقص من منزلة الأب شيء ﴿وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ

عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١] فهذا الإلحاق للمؤمنين لا للكافرين ﴿كُلُّ ٱمْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ [الطور:٢١] يمدهم الله بفاكهة ولحم مما يشتهون، وينشئ لهم الخدم الذين وصفهم الله بقوله: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الطور:٢٤] وقال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان:١٩] ويذهب عنهم الهم والخوف والحزن، ويقيهم من النار، قال تعالى عنهم: ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ○ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ﴾ [الطور:٢٦، ٢٧].

فائدة: كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام

إذا عاينت الأمم العذاب لا ينفعها الإيمان، ما دامت لم تؤمن في الرخاء، إلا قوم يونس عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْيِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس:٩٨] قيل: إنهم لما عاينوا العذاب تابوا إلى الله، وردوا المظالم، وأخلصوا النية، قال الفضيل بن عياض: قالوا: اللهم إن ذنوبنا قد عظمت وجلت، وأنت أعظم وأجل، فافعل بنا ما أنت أهله، ولا تفعل بنا ما نحن أهله، وقيل: إنهم عَجُّوا إلى الله تعالى أربعين صباحًا حتى كشف ما نزل بهم، وقيل: إن يونس عليه السلام بُعث إلى أهل نينوى من أرض الموصل، وكانوا أهل كفر وشرك فدعاهم إلى الإيمان بالله وحده، وترك ما يعبدون من الأصنام، فأبوا وكذبوا، فأخبرهم أن العذاب مصبحهم إلى ثلاث، فلما كانت الليلة الثالثة ذهب عنهم من جوف الليل، فلما أصبحوا تغشاهم العذاب، فكان فوق رؤوسهم، ليس بينهم وبينه إلا

قدر ثلثي ميل، ثم غامت السماء غيمًا أسود ودخانًا شديدًا فغشى مدينتهم واسودت، فلما أيقنوا بالهلاك طلبوا نبيهم فلم يجدوه، فخرجوا إلى الصحراء بنسائهم وصبيانهم ودوابهم، وأظهروا التوبة، وعَجُّوا إلى الله وتضرعوا، فكشف الله عنهم العذاب.

فائدة: من أشرك بالله لم يقدر الله حق قدره

قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام:٩١] فمن أشرك بالله وجعل له ندًا، لم يقدر الله حق قدره، فهو سبحانه عظيم ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ﴾ [الزمر:٦٧] ومن أحب أحدًا كحبه لله لم يقدر الله حق قدره، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ﴾ [البقرة:١٦٥] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام:١] فمن يعبد مع الله إلهًا آخر، أو يعظم أحدًا مثل عظمته لله، لم يقدر الله حق قدره، وعدل بالله غيره، وقال تعالى: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ○ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٩٧،٩٨] فلما عظموا آلهتهم وعبدوها مع الله، أو من دون الله، وأحبوها مثل حبهم لله، صار فعلهم هذا تسويةً لها برب العالمين، لا أنهم يعتقدون أنها تخلق أو تحيي أو تميت، ومثلهم كمثل الذين يجعلون للأولياء مالله تعالى من النفع والضر، فهؤلاء سووها برب العالمين، وما أكثر هؤلاء ممن يزعمون أنهم مسلمون.

فائدة: الأرض خُلقت قبل السماء

خلق الله الأرض قبل السماء، ثم خلق السماء، ثم دحى

الأرض، قال تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ○ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ○ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ○ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [فصلت: ٩-١٢].

وقال: ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا ○ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا ○ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا ○ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا ○ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ○ وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا ○ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ﴾ [النازعات: ٢٧-٣٣] فهو سبحانه بدأ بخلق الأرض، ثم خلق السموات سبعًا، ثم دحى الأرض، وقدر فيها أقواتها، وكذا كل بناء يبدأ بأسفله أولًا، فالأرض خلقت في يومين أولًا، والسماء في يومين بعدها، ودحيت الأرض بعد ذلك في يومين، المجموع ستة أيام، وهو قادر سبحانه وتعالى أن يقول: كن فيكون، ولكن ذلك لحكمة أرادها، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون، ثم قال للملائكة: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] وهذا من تكريم الله تعالى لآدم عليه السلام وبنيه.

فائدة: عقوبة رد الحق

عقوبة رد الحق لمخالفته هوى النفس، أو التهاون في أمر الله ونهيه، انقلاب القلب، قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠] وقال: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾ [التوبة: ٨٣] وقال: ﴿وَاعْلَمُوا

أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤] وقال رسول الله ﷺ: «يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك» [الترمذي:٣٥٢٢ وصححه الألباني] وقال ﷺ: «اللهم يا مصرف القلوب صرف قلوبنا على طاعتك» [مسلم:٢٦٥٤].

فائدة: قصة اصحاب الأخدود

أقسم الله تعالى بالعالم العلوي في سورة البروج فقال: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ [البروج:١] وأقسم بأعظم الأيام يوم القيامة ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ [البروج:٢] ثم أقسم بكل شاهد ومشهود، وهو أعم وأشمل ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ [البروج:٣] بأن أصحاب الأخدود مقتولون ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾ [البروج:٤] وهم حين عذبوهم بالنار شهود، والملائكة شهود وجوارحهم تشهد، والله الرقيب المطلع سبحانه، قال الله تعالى عن يوم القيامة: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ ٱلنَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود:١٠٣] وقال: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء:٧٨] أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، وهؤلاء الكفار كانوا قعودًا يتفرجون عليهم وهم يعذبون، شاهدين ما يجري، لا تأخذهم بهم رحمة ولا رأفة، مع أن هؤلاء المعذبين بالنار ذات الوقود لا ذنب لهم، إلا أنهم آمنوا بالله العزيز الحميد ﴿وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [البروج:٥].

فائدة: النية لها مكانة عالية في الشرع

النية لها مكان عظيم يحصل بها المسلم على أعلى المنازل أو أسفلها، فإن من لم يرزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً ويتمنى أن يكون مثل من لا يتقي بماله ربه، ولم يصل به رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًّا،

يكون إثمهما سواء، ومن رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا يقول: لو أن لي مالًا لاتقيت به ربي، ووصلت به رحمي، وأديت حقه، يكون أجرهما سواء، وقال رسول الله ﷺ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا» [البخاري:٢٩٩٦] ويقول: «إن بالمدينة لرجالًا ما سرتم مسيرًا، ولا قطعتم واديًا، إلا وهم معكم، حبسهم المرض» [مسلم:١٩١١] .

ويقول «إذا تواجه المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»[البخاري:٣١، ٦٨٧٥، ومسلم:٢٨٨٨] قالوا: هذا القاتل، فما بال المقتول؟ قال: «إنه كان حريصًا على قتل صاحبه» [المرجع السابق] ومن دل على خير فله مثل أجر فاعله، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه من الوزر مثل آثام من تبعه، ومن نوى القيام بالليل فلم يقم لعذر كتب له الأجر مثل القائم، ومن فاتته صلاة الجماعة لعذر كتب له أجرها، ومن سأل الله الشهادة بصدق كتبت له وبلغ منازل الشهداء، والمعذور عن الجهاد له أجر مثل أجر الشهداء، إذا تمنى الجهاد بصدق، فالنية تسبق العمل، وقال رسول الله ﷺ: «إنما الدنيا لأربعة نفر: عبد رزقه الله مالًا وعلمًا فهو يتقي فيه ربه، ويصل به رحمه، ويعلم لله فيه حقًا، فهذا بأفضل المنازل، وعبد رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالًا فهو صادق النية يقول: لو أن لي مالًا لعملت فيه بعمل فلان، فهو بنيته، فأجرهما سواء، وعبد رزقه الله مالًا ولم يرزقه علمًا، فهو يخبط في ماله بغير علم لا يتقي فيه ربه، ولا يصل فيه رحمه، ولا يعلم لله فيه حقًا، فهذا بأخبث المنازل، وعبد لم يرزقه الله مالًا ولا علمًا فهو يقول: لو أن لي مالًا لعملت بعمل فلان فهو بنيته، فوزرهما سواء»

[الترمذي: ٢٣٢٥ عن أبي كبشة الأنماري، وصححه الألباني].

فائدة: أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم

قال الله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَامَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٠] فأمة محمد ﷺ أفضل الأمم، وقد حصلوا على الأفضلية بسبب أمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر والإيمان بالله، وذلك بعد غضب الله على بني إسرائيل الذين اختارهم الله أولًا، ثم لما عتوا عما نهوا عنه قلبهم قردةً وخنازير، وغضب الله عليهم ولعنهم، قال الله تعالى عنهم قبل أن يغضب عليهم: ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [الدخان: ٣٢] وقال تعالى: ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] وقال: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنبِيَاءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَآتَاكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ﴾ [المائدة: ٢٠] وقال عنهم بعد أن بدلوا دينهم: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ [البقرة: ٥٩] وقال: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ [البقرة: ٦١] وقال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾ [البقرة: ٦٥] وقال: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤] وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا

مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًاۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة:٧٩] وقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُاْ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْأَخِرَةِۖ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ [البقرة:٨٦] وقال: ﴿أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ﴾ [البقرة:٨٧] وقال عنهم: ﴿قَالُواْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْۚ قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة:٩٣] وقال: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حَيَوٰةٍ﴾ [البقرة:٩٦] وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة:١٠١] ويتبين من هذه الآيات وغيرها الفرق بين أصحاب محمد ﷺ وبين أصحاب الأنبياء من بني إسرائيل، فقد كان أصحاب محمد ﷺ ورضي عنهم ثابتين على الدين غير متعنتين، يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم، قال تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣].

فائدة: من فوائد قصة يوسف عليه السلام

قصة يوسف عليه السلام من أحسن القصص، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ○ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ الآيات [يوسف:٣، ٤ وما بعدها] ومن فوائد هذه القصة أن تعبير الرؤى حق يؤتيه الله من يشاء من عباده، ومن فوائدها أن الله اجتبى يوسف عليه السلام وامتحنه، وحصل له الذل والسجن والرق، ثم المُلك والعز والرخاء وسعة

الرزق، ومن الفوائد أن على المرء أن يكتم بعض الأمور خوف الحسد والكيد، قال تعالى: ﴿لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥] ومن الفوائد أن الذنوب يجر بعضها بعضًا، والحسنات كذلك، وأن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ومنها أن ارتكاب أهون الضررين أخف، فإخوة يوسف عليه السلام اختاروا إلقاءه في الجب على قتله، ومنها ما يتبين من صفات يوسف عليه السلام من الحلم والعفو والحرص على الدعوة والبر والإحسان وغير ذلك، ومن ذلك أن يوسف عليه السلام صار رقيقًا، ثم بيع، والإثم على من اشتراه أولًا، أما من اشتراه بدون علم فلا إثم عليه، وكذلك المال الذي أصله حرام ثم تداوله الناس، ومن الفوائد أهمية عدم الخلوة بالنساء الأجنبيات، وأهمية الإيمان الذي يحمي به الله العبد، ومن ذلك اختيار يوسف عليه السلام للسجن على الوقوع في المعصية والفتنة، وأهمية الدعاء حيث دعا الله تعالى، فقال: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف:٣٣] وأهمية الدعوة إلى التوحيد كما دعا إليه يوسف عليه السلام في السجن، ولا بأس بأن يطلب المرء العون ممن يظن أنه يقدر على مساعدته، قال يوسف عليه السلام: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ﴾ [يوسف:٤٢] وأن الرؤيا فتوى لا يحل لامرئٍ أن يؤولها إلا بعلم، وجواز طلب الولاية إذا كان فيها نفع للمسلمين ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ﴾ [يوسف:٥٥] وجواز مدح المرء نفسه لمصلحة ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف:٥٥] وكرم وضيافة يوسف عليه السلام ﴿وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ﴾ [يوسف:٥٩] وأن على المؤمن أن يكون حذرًا ذكيًا لا يخدع، قال يعقوب عليه السلام: ﴿هَلْ ءَامَنُكُمْ

عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف:٦٤] وجواز عمل الأسباب التي تدفع العين ﴿لَا تَدْخُلُواْ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ﴾ [يوسف:٦٧] وجواز استعمال الحيل للوصول إلى الحقيقة، كما فعل يوسف عليه السلام بالصاع، وأن الشهادة يجب أن تكون عن علم ﴿وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾ [يوسف:٨١] وجواز الشكوى ﴿مَسَّنَا وَأَهْلَنَا ٱلضُّرُّ﴾ [يوسف:٨٨] ﴿يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يوسف:٨٤] وشكر النعمة ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾ [يوسف:١٠٠] وبيان لطف الله ﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾ [يوسف:١٠٠] وأهمية الدعاء بحسن الخاتمة ﴿تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [يوسف:١٠١].

فائدة: من أدعية إبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى عن دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ○ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ○ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ○ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ○ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ○ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ○ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٣-٨٩] هذا دعاء عظيم من إبراهيم عليه السلام، فقد طلب من ربه أن يهب له الحكمة، وهي كمال القوة العلمية ﴿وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الشعراء:٨٣] وهي كمال القوة العملية، فمن وفقه الله تعالى للعلم والعمل التحق بالصالحين، وطلب من الله أن يجعل له ﴿لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] أي ذكرًا صادقًا حسنًا في جميع الأمم إلى يوم القيامة، وذكرًا جميلًا في الدنيا، وآثارًا بينةً مستحسنةً، وهذا ذكره عليه السلام في الصلاة والحج والمشاعر، ومحمد ﷺ من نسله وذكره، قال عليه الصلاة والسلام: «أنا دعوة أبي إبراهيم عليه

السلام» [أحمد ٥/ ٢٦٢ ذكره الألباني في الصحيحة: ١٥٤٥، ١٥٤٦] وكان من دعاء إبراهيم عليه السلام: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩] وقوله: ﴿وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [الشعراء: ٨٥] فالعمل الصالح وإن كان سببًا في دخول الجنة فليس ثمنًا لها، ولا يدخل أحد الجنة بعمله، وإنما يدخلها برحمة ربه، وقوله: ﴿وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٨٦] أي وفِّقْه للتوبة والإيمان، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ﴾ [التوبة: ١١٤] وقوله: ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧] أي لا تعاتبني على تفريطي ونقصي يوم البعث يوم لا ينفع شيء من أمور الدنيا وزينتها ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ○ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩] من الشرك والنفاق والبخل والحسد ومن كل صفة قبيحة، قال رسول الله ﷺ لما قال بعض الصحابة: لو علمنا أي المال خير لاتخذناه: «أفضله لسان ذاكر، وقلب شاكر، وزوجة صالحة، تعين المؤمن على إيمانه» [أحمد ٥/ ٢٧٨، ٢٨٢، ٣٦٦، والترمذي: ٣٠٩٤، وابن ماجه: ١٨٥٦، وصححه الألباني].

فائدة: بيان بأهمية أداء الشهادة والتحذير من كتمها

قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَشْهِدُوا۟ شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ ۖ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ۚ وَلَا يَأْبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُوا۟ ۚ﴾ [البقرة: ٢٨٢] وقال: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾

[النساء:١٣٥] وقال: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦] وقال: ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف:١٩] وقال: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ﴾ [الحج:٣٠] وقال: ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] من هذه الآيات وغيرها يستفاد أنه لا يجوز كتم الشهادة، وأن من كتمها آثم قلبه، وأن شهادة الزور من كبائر الذنوب، وأنه يجب القسط في الشهادة والعدل فيها، وأن المسلمين وسط عدول شهداء على الناس، قوامون بالقسط شهداء لله، وأن شهادة المرأتين تعدل شهادة رجل واحد، فالمرأة على نصف الرجل في الشهادة والميراث والعقيقة والعتق، قال رسول الله ﷺ: «من أعتق امرءًا مسلمًا كان فكاكه من النار، يجزى كل عظم منه بكل عظم منه، ومن أعتق امرأتين مسلمتين كانتا فكاكه من النار، يجزى بكل عظمين منهما عظم منه» [ابن ماجه:٢٥٢٢، وأحمد ٤/ ٢٣٥ وأصله في الصحيحين: البخاري:٦٧١٥، ومسلم:١٥٠٩].

فائدة: امتنان الله تعالى على بني آدم بأن جعلهم خلفاء الأرض

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ الآيات [البقرة:٣٠ وما بعدها] في هذه الآيات امتنان الله على بني آدم بأن ذكرهم بالملأ الأعلى قبل خلقهم، وبيان أن بني آدم يخلف بعضهم بعضًا، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٦٥] وقال: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل:٦٢] وقال: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف:٦٠] وقال: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ﴾ [مريم:٥٩].

ومن فوائد هذه الآيات أن الملائكة فهموا من طبيعة خلق

الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، أن فيهم من يفسد في الأرض ويسفك الدماء.

ومن فوائدها أن الله حكيم يعلم مالا يعلمه الملائكة، وأن من الناس صالحين وشهداء وصدِّيقين وأنبياء وزهادًا وأولياء وعلماء وعاملين وخاشعين ورسلًا ومقربين ومتبعين ومصلين، ولهذا قال تعالى: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:٣٠]

وفيها أن بقاء الملائكة في السماء أحكم وأصلح، فهم يسبحونه ويحمدونه ويقدسونه، وبالآية استدل بعض العلماء على وجوب نصب الخلافة في الأرض، وفي الآيات فضل آدم عليه السلام على الملائكة، وفضل بعض أفراد الناس عليهم، وفيها أن الله تعالى تفضل بتعليم آدم عليه السلام، وجعل أبناءه قابلين للعلم والتعلم، وأنه تعالى علمه الأسماء كلها، وأن الملائكة لا علم لهم بهذه الأسماء، ولا علم لهم إلا بما علمهم الله، قال تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة:٣٢].

وفيها أن آدم عليه السلام وبنيه يتفاضلون بالعلم والإيمان، قال تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة:١١] وفيها أمره تعالى للملائكة بالسجود لآدم عليه السلام تكريمًا له، وفيها أن إبليس وإن كان من غير جنس الملائكة كان معهم، وأنه لم يسجد لآدم عليه السلام، بل فسق عن أمر الله مستكبرًا، واعتز بأصله لا بعلمه، وتكبر، قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة خردل من كبر» [مسلم:٩١، والترمذي:١٩٩٨، ١٩٩٩ وأبو داود:٤٠٩١، وابن ماجه:٥٩، ٤١٧٣] وفيها أن

مسكن آدم عليه السلام وذريته الأصلي الجنة، وأنهم إذا آمنوا بالله واتبعوا أوامره واجتنبوا نواهيه يرجعون إلى مساكنهم الأصلية، وفيها أن الله علم آدم عليه السلام كلمات التوبة ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] فتاب الله عليه، وأن من اتبع هدى الله فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون، قال تعالى: ﴿فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة:٣٨].

فائدة: دين الأنبياء واحد

قال الله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى:١٣] الدين الذي شرعه الله هو الدين الذي وصى به الأنبياء من نوح عليه السلام إلى محمد ﷺ، دين واحد فلا ينبغي التفرق فيه، ويجب الدعوة إليه والاستقامة عليه، وعدم اتباع الأهواء وعدم الفرقة، ويجب الإيمان بكل ما أنزل الله من الكتب، ويجب العدل، فالرب واحد، فلا خصومة ولا جدال إلا بالتي هي أحسن والحجج البينة الواضحة، وقد ظهر الحق المبين على لسان محمد ﷺ وفي القرآن المجيد، قال رسول الله ﷺ: «الأنبياء أولاد علات» [البخاري:٣٤٤٢، ومسلم:٢٣٦٥] فهم جميعًا متفقون على التوحيد وعبادة الله والإيمان به، وبملائكته وكتبه ورسله، دينهم واحد، أما شرائع الأعمال والمأمورات فتختلف، ومن لم يؤمن بواحد من الأنبياء، أو بواحد من الكتب السماوية المنزلة على رسله فهو كافر، وحيث إن محمدًا ﷺ خاتمهم، به نسخت الشرائع السابقة، فيجب الإيمان به واتباعه

وتصديقه، ولا يجوز لأحد أن يتخذ غير دينه، فهو رسول العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] وقال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكۡتُوبًا عِندَهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٦، ١٥٧] وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾ [آل عمران:٨٥] وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرَۢا بِرَسُولٖ يَأۡتِي مِنۢ بَعۡدِي ٱسۡمُهُۥٓ أَحۡمَدُۖ﴾ [الصف:٦] وقال عن الإسلام: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ﴾ [المائدة:٤٨] وجميع الأديان السابقة محرفة عن أصلها، أو اندرثت، قال تعالى: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٧٩] أما القرآن فقد تكفل الله بحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر:٩] ويجب على جميع الناس والجن اتباع شريعة محمد ﷺ، ولا يقبل من أحد إلا دين الإسلام منذ بعثة محمد ﷺ إلى أن تقوم الساعة.

فائدة: لا نجاة من الفتن إلا بالتقوى

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ [البروج:١٠] وقال: ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ [الذاريات:١٣] وقال: ﴿ذُوقُواْ فِتۡنَتَكُمۡ﴾ [الذاريات:١٤] الفتن كثيرة، منها فتنة الكافرين عند عرضهم على النار، وفتنتهم عند وقوفهم عليها، وفتنتهم عند دخولها،

وفتنتهم عند التعذيب بها، وفتنة الكفر، وفتنة أسبابه، وفتنة الحياة الدنيا وزينتها، وفتنة إرسال الرسل، وفتنة مخالفة المخالفين لهم وتكذيبهم، وفتنة عذاب الدنيا، وفتنة عذاب الموت، وفتنة القبر، وفتنة موقف القيامة، وفتنة الشهوات، وفتنة الشبهات، ولا نجاة من هذه الفتن إلا بالتقوى.

وفي آخر الدنيا تكثر الفتن، فيصبح الرجل مسلمًا ويمسي كافرًا، وهذا دليل على أن هذه الفتن التي كقطع الليل المظلم تسبب الكفر، فهي فتن شبهات، وليست فتن شهوات، لأن فتن الشهوات يمسي المرء فيها عاصيًا، وهنا قال رسول الله ﷺ: «يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعرض من الدنيا» [مسلم:١١٨، والترمذي:٢١٩٥، وأحمد ٢/ ٣٠٤، ٣٧٣، ٣٩٠] وهي متعاقبة متتابعة، كالعقد إذا انقطع خيطه يتبع بعضه بعضًا، نعوذ بالله منها، ونسأله الثبات على دينه.

فائدة: الرياء من أخطر الذنوب

قال الله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ﴾ [الماعون:٤-٦] وقال: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ [النساء:١٤٢] وقال: ﴿يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ﴾ [النساء:١٠٨] وقال: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] الرياء من أخطر الذنوب، بل هو أخطر من المسيح الدجال، فلا قبول لعمل إلا بالإخلاص لله، ومن سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به، ومن أرضى الناس بسخط الله سخط الله عليه وأسخط عليه الناس، ومن

قاتل أو قرأ القرآن أو تصدق لأجل الناس، لم يقبل عمله، وهؤلاء الثلاثة أول من تسعر بهم النار، وأثقل الصلاة على المنافقين المرائين صلاة الفجر وصلاة العشاء، ولو اجتمعت الأمة على نفعك لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولا يضروك إلا بشيء مكتوب عليك، فلا يزيد الرياء صاحبه إلا ذلًا ومقتًا وكراهيةً وحرمانًا من كل خير، نسأل الله الإخلاص في القول والعمل.

فائدة: أمة محمد ﷺ ثلثا أهل الجنة

قال الله تعالى عن أهل الجنة: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ○ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:٣٩،٤٠] وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أترضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟» قلنا: نعم، قال: «أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟» قلنا: نعم، قال: «أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة؟» قلنا: نعم: قال: «والذي نفس محمد بيده، إني لأرجو أن تكونوا نصف أهل الجنة، وذلك أن الجنة لا يدخلها إلا نفس مسلمة، وما أنتم في أهل الشرك إلا كالشعرة البيضاء في جلد الثور الأسود، أو كالشعرة السوداء في جلد الثور الأحمر» [البخاري:٦٥٢٨، ومسلم:٢٢١] وعن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة، وأربعون من سائر الأمم» [أحمد ٥/٣٤٧،٣٥٥، والترمذي:٢٥٤٦ وابن ماجه:٤٢٨٩ وصححه الألباني] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ○ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ [الواقعة:٣٩،٤٠] قال رسول الله ﷺ: «أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلاثا أهل الجنة» [الأصفهاني

في حلية الأولياء ٧/ ١٠١].

فائدة: من صفات المؤمنين العمل ثم الرجاء

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ [البقرة:٢١٨].

وقال: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ وَلَا يَجِدْ لَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء:١٢٣] فالرجاء يكون للمؤمنين بالله واليوم الآخر، الذين هجروا ما نهى الله عنه وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، أما من سواهم الذين رأس مالهم الأماني، المضيعون لأوامر الله، المرتكبون ما نهى الله عنه، المتبعون لسخط الله، فهؤلاء لا يدخلون في الراجين عفو ربهم ورضاه وجناته، وإنما يدخلون في أهل الأماني المفترين (والأماني رأس مال المفاليس) قال تعالى: ﴿قُلْ هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١] فهم حمقى عاجزون، ولو كانوا صادقين لعملوا ورجوا فضل الله، قال ﷺ: «الكيس من دان نفسه، وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها، وتمنى على الله الأماني» [أحمد ٤/ ١٢٤ والترمذي:٢٤٥٩، وابن ماجه:٤٢٦٠ والبيهقي ٣/ ٣٦٩، والحاكم ١/ ٥٧، ٤/ ٢٥١، والطبراني في الكبير ٧/ ٣٣٨، ٣٤١ وضعفه الألباني وغيره].

فائدة: من مكايد الشيطان

تخويفه المؤمنين من الكفار، وإلقاء الروع منهم في قلوبهم وتعظيمهم، وقد أمر الله تعالى بعدم الخوف منهم، فقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] ومن مكايده أنه يزين للمرء ما يضره، ويقبح له ما يفيده، ويفتنه بالشبهات والشهوات،

ويحول بينه وبين الخير، ويبهرج له هو وأعوانه من الجن والإنس الباطل، ويزخرف له القول، ويلبس عليه، ويتدرج به حتى يوصله إلى الشرك والكفر بالله وبصفاته تعالى، ويثبطه عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويجعله يخشى الناس أكثر من خشيته لله، قال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ [البقرة: ١٥٠].

فائدة: الوضوء التام يخرج المسلم من كل خطاياه نقيا

الوضوء يخرج الذنوب والخطايا إذا كان وفق سنة رسول الله ﷺ، ثلاثًا بدون إسراف ولا تعدٍ، ويكون بإسباغه، وتخليل الأصابع، والمبالغة في الاستنشاق إلا للصائم.

ومن فوائده ما ورد في الحديث الذي رواه النسائي وغيره عن عمرو بن عبسة رضي الله عنه الذي سأل الرسول ﷺ فقال: كيف الوضوء؟ قال: «أما الوضوء فإنك إذا توضأت فغسلت كفيك فأنقيتهما خرجت خطاياك من بين أظفارك وأناملك، فإذا مضمضت واستنشقت منخريك، وغسلت وجهك ويديك إلى المرفقين، ومسحت رأسك، وغسلت رجليك، اغتسلت من عامة خطاياك، فإن أنت وضعت وجهك لله عز وجل خرجت من خطاياك كيوم ولدتك أمك» [مسلم: ٨٣٢، النسائي: ١٤٧ واللفظ للنسائي].

وسأله أعرابي عن الوضوء فأراه ثلاثًا ثلاثًا، ثم قال: «هكذا الوضوء، فمن زاد على هذا، فقد أساء وتعدى وظلم» [أحمد ٢/ ١٨٠ والنسائي: ١٤٠، وأبو داود: ١٣٥ وقال الألباني: حسن صحيح] وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه، خرج من وجهه كل خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء، أو

مع آخر قطر الماء، فإذا غسل يديه خرج من يديه كل خطيئة كانت بطشتها يداه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء، حتى يخرج نقيًا من الذنوب» [مسلم: ٢٤٤].

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رجلان من أمتي يقوم أحدهما من الليل يعالج نفسه إلى الطهور، وعليه عُقَد فيتوضأ، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الرب عز وجل للذي وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه، ما سألني عبدي هذا فهو له» [أحمد ٤/ ١٥٩، ٢٠١ قال محققو المسند: حديث صحيح].

فائدة: الحكمة في إ فراد المشارق والمغارب وجمعها

قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ [المعارج: ٤٠] بالجمع في سورة المعارج، وقال: ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ [الرحمن: ١٧] بالتثنية في سورة الرحمن، وقال: ﴿رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩] بالإفراد في سورة المزمل، فبالجمع المراد مشارق الشمس ومغاربها في أيام السنة، وهي متعددة، وبالتثنية مشرقا صعود الشمس والقمر وهبوطهما ومغرباهما، وبالإفراد أفقا المشرق والمغرب.

وفي هذا التنوع يحصل الخريف والشتاء والربيع والصيف والنبات والثمار والليل والنهار والحر والبرد والأمطار والثلوج والرياح والنور والظلام وغير ذلك، فسبحانه من خالق عليم عظيم.

فائدة: لا يوجد في الدنيا مما في الجنة إلا الاسماء

قال الله تعالى: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ○ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ○ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقعة:٢٨-٣٠] فالمخضود الذي ليس فيه شوك، كما في سدر الدنيا، قال الإمام عبدالله بن المبارك: أنبأنا صفوان بن عمر عن سليم بن عامر قال: (كان أصحاب رسول الله ﷺ يقولون إن الله لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي يومًا فقال: يارسول الله ذكر الله في الجنة شجرةً مؤذيةً، وما كنت أرى في الجنة شجرةً تؤذي صاحبها، فقال رسول الله ﷺ: «وما هي؟» قال: السدر، فإن له شوكًا مؤذيا، قال: «أليس الله يقول: ﴿فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ أخضد الله شوكه، فجعل مكان كل شوكة ثمرة» [الحاكم ٢/٤٧٦، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه] فالمخضود الذي لا يقعر اليد، ولا يرد اليد عنه شوك، ولا أذى فيه.

أما الطلح المنضود فهو شجر الموز نضد بالثمر مكان الشوك.

وأما الظل الممدود الذي في الجنة فقد جاء في البخاري ومسلم من حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائةَ عام لا يقطعها، فاقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾» [الواقعة:٣٠] [البخاري:٤٨٨١، ومسلم:٢٨٢٦].

فائدة: صفات تعد أشرف الطاعات وأعظم الواجبات

محبة الله تعالى والشوق إليه ومعرفته بمعرفة أسمائه وصفاته وأفعاله وعبادته والأنس به ومدحه وتمجيده والثناء عليه، وكونه أحب إلى المسلم من نفسه وأهله وماله وأولاده، وتعظيمه، ومحبة من يحب، وبغض من يبغض، وذكره والتقرب إليه والرغبة والرهبة منه،

والرضا بقضائه وقدره، هذه الصفات هي أشرف الطاعات، وأصل الدين، وأجله وأساسه، وأعظم الواجبات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] ومن أحب الله تعالى عظمه، وأحب من يحبه، وجاهد في سبيله وعبده، فليست المحبة بالقول باللسان، وإنما هي بالعمل والإخلاص والصدق، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣] وقال: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠] وقال: ﴿قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ﴾ [الزخرف:٢٤] ولا يحصل الأنس في الدنيا إلا بمحبة الله وإيثار عبادته، قال أحد العباد: (مساكين أهل الدنيا خرجوا من الدنيا وماذاقوا أطيب ما فيها) وقال آخر: (إنه ليمر بالقلب أوقات يهتز فيها طربًا وأنسةً بالله وحبًا له) وقال آخر: (لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من السعادة لجالدونا على ذلك بالسيوف) وقال آخر: (إنه ليمر بالقلب أوقات أقول فيها. إن كان أهل الجنة في مثل هذا إنهم لفي عيش طيب) قال الله تعالى: ﴿طه ○ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه:١،٢] وقال: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨] وقال: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ○ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ○ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧-٣٠] فهي مطمئنة في الدنيا ومرضي عنها وداخلة في الجنة، قال ابن القيم رحمه الله: (من لم يدخل جنة الدنيا لم يدخل جنة الآخرة).

فائدة: وسطية الإسلام

الإسلام دين الوسطية والحق بين الغالي والجافي، قالت عائشة رضي الله عنها: (ما أمر الله عباده بأمر إلا وللشيطان فيه نزغتان، فإما إلى غلو، وإما إلى تقصير) فالإنفاق المحمود كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمۡ يُسۡرِفُواْ وَلَمۡ يَقۡتُرُواْ وَكَانَ بَيۡنَ ذَٰلِكَ قَوَامٗا﴾ [الفرقان:٦٧] وقال: ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ يَدَكَ مَغۡلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبۡسُطۡهَا كُلَّ ٱلۡبَسۡطِ فَتَقۡعُدَ مَلُومٗا مَّحۡسُورًا﴾ [الإسراء:٢٩] وقال: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا﴾ [الإسراء:٢٦] وهكذا في جميع الأمور.

فائدة: الفرق بين الوسوسة والورع

يظن بعض الناس أن عمله المخالف للسنة ورعٌ أو احتياطٌ، وهو وسوسة أو بدعة، كمن يغسل أعضاء وضوئه أكثر من ثلاث مرات، زاعمًا أن ذلك احتياط، أو من يتلفظ بالنية، أو يغسل ثيابه بدون تيقن نجاستها، زاعمًا أن هذا الفعل احتياط، أو يتورع من أمور مباحة طيبة ليس فيها شبهة، أو من لا يصلي بالنعلين خوفًا من نجاستها وهي طاهرة، وهذا الفعل وسواس وليس ورعًا، فالورع هو اتباع الرسول ﷺ وتحليل الحلال وتحريم الحرام، أما تحريم الحلال ففيه التغليظ الشديد على مرتكبه، وكذا تحليل الحرام، فالهدي السليم هو ما جاءت به السنة ﴿قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ قُلۡ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا خَالِصَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ﴾ [الأعراف:٣٢].

فائدة: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق

القرآن الكريم روح من أمر الله، ونور يهدي به الله من عباده من

يشاء، وهو كلام الله منزل غير مخلوق، شفاء لما في الصدور، وهدى وموعظة للمؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:٥٢] فالحياة الحقيقية والنور والإشراق يحصل بهذا القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ﴾ [الأنعام:١٢٢] ففي القرآن الهداية والرشد والإيمان والتوحيد والشريعة والخير والبصيرة والعلم، قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ۚ﴾ [العنكبوت:٤٩].

فائدة: فضل العلم وأهله

العلم وأهله هم عدول الناس وشهداء الله، فقد استشهد الله بهم وبالملائكة بأنه لا إله إلا هو، فقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ﴾ [آل عمران:١٨] فقرن شهادتهم بشهادته وبشهادة الملائكة، وجعلهم عدولًا يستشهد بهم، فهم المختصون بالعلم، وهم خيار الخلق عنده، وأعظم مشهود به هو شهادة التوحيد، وهم الحجة على الكفار المنكرين للتوحيد، فقد أنطقهم بالشهادة، وأقروا واعترفوا وصدقوا وآمنوا بها مؤدين الحق، وكل من سار على منوالهم له الأجر مثل أجرهم دون أن ينقص من أجورهم شيئ، فلا مساواة بين أهل العلم وغيرهم، لا يستوي العلماء والجاهلون ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ﴾ [الزمر:٩] ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ﴾ [الرعد:١٩] فهم أحق الناس بالثناء والمدح والشهادة والرؤية الحقة، قال تعالى: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟

ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ﴾ [سبأ:٦] وهم الذين يسألون عند اشتباه الأمور، قال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] وقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ﴾ [النساء:٨٣] وهم حملة الدين، قال رسول الله ﷺ: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» [البيهقي ٢٠٩/١٠، والخطيب في شرف أصحاب الحديث ص ١٤،٥٢،٥٣،٥٥،٥٦، ونقل الألباني عن الإمام أحمد بن حنبل تصحيحه، انظر: مشكاة المصابيح ١٦٣/١ بتحقيق الألباني] مدحهم الله بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف:٨٦] وقال: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد:١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

فائدة: لا رهبانية في الإسلام

قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحديد:٢٧] فالرهبانية ابتدعوها ولم يشرعها الله لهم، ومع ذلك لم يرعوها حق رعايتها، فقد أخطأوا في العلم والعمل، وأخطأوا في النقل والرواية والدراية والرعاية، وهذا شأن المبتدعة.

فائدة: حياة القلب الطاهر

القلب الطاهر حياته ومحبته في استماع الحق، والتغذي بنور القرآن، ومجالسة العلماء، ومحبة كل طيب، قال الله تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر:٧٣] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل:٣٢] أما القلب النجس فإنه يحب سماع الكذب والأغاني

والباطل، يصغي إليه ويرغب فيه، قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ﴾ [المائدة:٤١] وقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ﴾ [المائدة:٤١].

فائدة: نهاية الخلق إلى الله

قال الله تعالى في سورة النجم: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ○ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم:٤٢،٤٣] الله تعالى ليس له نهاية، فهو الأول الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، وأهل الجنة لا نهاية لرزقهم، فهو بزيادة دائمًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص:٥٤] وعطاء ربنا لا نهاية له، وفي الحديث الصحيح «ياعبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته، ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر» [مسلم:٢٥٧٧] ونهاية الخلق كلهم إلى الله، لا يفلت أحدًا منهم، وهو المضحك والمبكي، قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ﴾ [النجم:٤٣] فهو يضحك الأرض بالنبات، ويبكي السماء بالمطر، ويضحك العبد ويبكيه، فالعبد ضاحك باك، فسبحان من بيده كل شيء.

فائدة: للمؤمن زادان ولباسان وسفران

للمؤمن زادان: زاد التقوى وزاد السفر والإقامة، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧] وله لباسان: لباس يواري العورة، ولباس التقوى، قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا ۖ وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ

لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٢٦].

وله سفران: سفر إلى الله تعالى، وسفر في هذه الحياة الدنيا إلى الأماكن غير مقر إقامته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ○ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ○ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾ [الزخرف:١٢-١٤].

فائدة: لا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى

الله تعالى يحب أن يعبد، ويحب أن يمدح، وهو الغني عن خلقه، وقد خلقهم ليعبدوه، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ○ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ﴾ [الذاريات:٥٦،٥٧] وقال: ﴿وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ﴾ [محمد:٣٨] وقال: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [الإسراء:٧] وعن الأسود بن سريع قال: قلت لرسول الله ﷺ: يارسول الله إني حمدت ربي بمحامد، فقال: «إن ربك يحب أن يحمد» [أحمد ٣/ ٤٣٥ والحاكم ٣/ ٦١٤، والطبراني في الكبير ١/ ٢٥٨] وفي الحديث الصحيح «لا أحد أحب إليه المدح من الله، ولذلك مدح نفسه» [البخاري:٤٦٣٤، ٥٢٢٠، ٧٤٠٣، ومسلم:٢٧٦٠].

فائدة: قلة غيرة عزيز مصر

عزيز مصر زوج المرأة التي راودت يوسف عليه السلام عن نفسه، قليل الغيرة، يطيع امرأته، فهو لما اطلع على مراودتها ليوسف عليه السلام ما زاد أن قال: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٩] فلم يعاقبها ولم يفرق بينها وبين يوسف عليه السلام حتى لا تتمكن من مراودته، وأمر يوسف

عليه السلام أن لا يذكر ما جرى لأحد ﴿أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا﴾ [يوسف:٢٩] وقد استمرت هذه المرأة في مراودة يوسف عليه السلام عن نفسه بدليل أنها جمعت النساء، وأمرت أن يخرج يوسف عليه السلام عليهن ليعذرنها في مراودته عن نفسه، قال تعالى: ﴿أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً وَآتَتْ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ اخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُ أَكْبَرْنَهُ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ○ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾ [يوسف:٣١،٣٢] واستمرت في مراودته مع علم زوجها، كما استمرت في الخلوة به، وقد ترك يوسف عليه السلام الفاحشة واعتصم بالله تعالى، لخوفه منه سبحانه، لا خوفًا من زوجها، لأن زوجها لم يكن ينكر، فقد درى بالمراودة والخلوة فلم ينكر، وهذا من دياثته، ومن نقص عقول النساء على العموم، قال ﷺ: «ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن» [البخاري:٣٠٤، ومسلم:٨٠] وقال: «إنكن صواحب يوسف» [البخاري:٣٣٨٥، ومسلم:٤٢٠].

فائدة: عظمة النجوم تدل على عظمة صانعها

قال الله تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ○ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ [الواقعة:٧٥،٧٦] يقسم الله تعالى بما يشاء من خلقه، ومن أعظم المخلوقات هذه النجوم ومواقعها التي في السماء، قال تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم:١] وقال: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ﴾ [المعارج:٤٠] وقال: ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ﴾ [الطور:٤٩] ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ﴾ [الأعراف:٥٤] وقد اكتشف علماء هذا العصر شيئًا

قليلًا من عظمة هذه النجوم التي يكبر بعضها عن الأرض بملايين المرات، وبعضها لا يصل إلينا ضوءها إلا بعد ملايين السنين، لبعدها وضخامتها، وهذه المخلوقات العظيمة تدل على عظمة خالقها سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ○ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير: ١٥، ١٦] وفي هذه النجوم عبرة لمن اعتبر، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فصلت: ٥٣] وقال: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ إِنِ ٱسۡتَطَعۡتُمۡ أَن تَنفُذُواْ مِنۡ أَقۡطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ فَٱنفُذُواْۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلۡطَٰنٖ ○ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ○ يُرۡسَلُ عَلَيۡكُمَا شُوَاظٞ مِّن نَّارٖ وَنُحَاسٞ فَلَا تَنتَصِرَانِ﴾ [الرحمن: ٣٣-٣٥].

فائدة: معنى قول الله تعالى ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾

قال الله تعالى: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ [الانشقاق: ١٩] قيل في معناها عدة أقوال: القول الأول: لتركبن سماء بعد سماء حتى تنتهي إلى حيث يصعدك الله، وهو قول ابن عباس، والقول الثاني: لتصعدن درجة بعد درجة، ومنزلة بعد منزلة، ورتبة بعد رتبة، حتى تنتهي إلى محل القرب والزلفى من الله، والقول الثالث: لتركبن حالًا بعد حال من الأحوال المختلفة التي نقل الله فيها رسوله ﷺ من الهجرة والجهاد والنصر والغنى والفقر، والقول الرابع: حالًا بعد حال من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى جنين إلى مولود إلى رضيع إلى فطيم إلى صحيح إلى مريض إلى غني إلى فقير إلى معافىً إلى مبتلى إلى موت إلى برزخ إلى بعث إلى جنة أو نار، والله أعلم.

فائدة: لا أجر للمصلي إلا بقدر حضور قلبه

قال الله تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ

فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم:٥٩] وقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون:٤،٥].

أثبت الله لهم الصلاة فهم يصلون، ولكنهم ساهون عنها، لا يصلونها بوقتها، ولا يعملونها بطمأنينة وخشوع، فهم كالمنافقين لا يذكرون الله فيها إلا قليلًا، ينقرونها كالغراب، يأتيهم الوسواس والشرود، قد توعدهم الله بالويل - وهو واد في جهنم - فلا أجر للمصلي إلا بقدر حضور قلبه، وإن برأت ذمته منها، فما دام يصلي فهو غير تارك لها، ولكن ليس للإنسان من صلاته إلى ما عقل، وسنن الرواتب تجبر نقص الفرائض، قال النبي ﷺ: «إن العبد لينصرف من صلاته، وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها» [أبو داود:٧٩٦ وحسنه الألباني].

فائدة: الامر بالإعراض عن المنافقين

قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة:٩٥] أي فلا تعاتبوهم ولا تلوموهم، والإعراض عنهم واجتنابهم، لأنهم أرجاس لا تقبل التطهير، فاتركوا المعاملة معهم، واجتنبوهم وامقتوهم، فهم من أهل النار، وهي كافية في عتابهم وعقابهم، جزاءً بما كانوا يكسبون من المعاصي والسيئات.

فائدة: أعظم العقوبات الحجاب عن رؤية الله في الآخرة

قال الله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥] قال ابن قيم الجوزية رحمه الله: (الحجاب بين القلب وبين الله تعالى أربعة: النفس والشيطان والدنيا والهوى، وهي تفسد القول والعمل

والقصد والطريق) انتهى كلامه.

ولا شك أن أعظم العقوبات الحجاب عن رؤية الله في الآخرة، والتلذذ بكلامه، وعبادته في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ○ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾ [المطففين: ٢٢، ٢٣] أي ينظرون إلى وجه ربهم سبحانه وتعالى، وهذا أعظم النعيم وأجله، أما الفجار فمحجوبون عن رؤيته تعالى في الآخرة، وعن التلذذ بعبادته، وكلامه في الدنيا.

فائدة: النصارى لا يؤمنون بعيسى عليه السلام

المسلمون هم الذين يؤمنون بعيسى ابن مريم عليه السلام وجميع الأنبياء، ويقولون: إنه رسول جاء من عند الله بالهدى، وهو عبدالله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ومن لم يؤمن بعيسى عليه السلام فهو كافر، ويعتقدون بنزوله من السماء واتباعه لدعوة النبي محمد ﷺ، أما النصارى فهم لا يؤمنون بعيسى عليه السلام، وإنما يؤمنون برجل دعا إلى عبادة نفسه وأمه، وأنه ثالث ثلاثة، وأنه الله، أو ابن الله، وهذه صفات ليست لعيسى عليه السلام، فعيسى منها براء، وهم واليهود مشتركون في الإيمان بالمسيح الدجال ينتظرونه ويتبعونه، قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ﴾ [التوبة: ٣٠] وقال تعالى: ﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَـٰنًا عَظِيمًا ○ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ○ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٥٦-١٥٨].

فائدة: مراحل خلق الإنسان

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل: ٧٨] وقال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ [الروم: ٥٤].

فهو أولًا نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم جنين في البطن، ثم وليد إلى سبعة أيام، ثم رضيع، ثم فطيم، ثم دارج إذا مشى، ثم خماسي إذا بلغ طوله خمسة أشبار، فإذا سقطت أسنانه فهو مثغور، فإذا أنبتت الأسنان فهو مثغر، فإذا بلغ سبعًا فهو مميز، فإذا بلغ العشر فهو ناشىء، فإذا قارب الحلم فهو يافع، فإذا بلغ فهو بالغ، فإذا جمعت قوته فهو غلام، فإذا اخضر شاربه فهو باقل، فإذا اكتملت لحيته صار فتى، ثم إلى الأربعين رجل ثم كهل ثم شيخ ثم هرم، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤].

فائدة: تفاضل الناس في الدرجات

التفاضل بين الناس كبير، ليس كالتفاضل بين غيرهم، ففضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، وكفضل محمد ﷺ على أدنى الصحابة، والتفاضل بين المسلم والكافر كبير، وكذا بين المتقي لله وغيره، وبين المجاهد في سبيل الله والقاعد، قال الله تعالى: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُو۟لِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ○ دَرَجَٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ٩٥، ٩٦] وقال: ﴿أَفَمَنِ

﴿ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ○ هُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:١٦٢،١٦٣] وقال: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ﴾ [الحشر:٢٠] وقال: ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ○ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ○ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ○ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ﴾ [فاطر:١٩-٢٢] فالعالم لا يستوي هو والجاهل، والكافر لا يستوي هو والمؤمن، والحي لا يستوي بالميت، والجنة لا تستوي بالنار، والظل لا يستوي بالحرور، وحامل القرآن لا يستوي مع من ليس معه منه شيء، قال النبي ﷺ: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة: اقرأ واصعد، فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» [أحمد ٢/١٩٢، ٣/٤٠ واللفظ له، والترمذي:٢٩١٤، وأبو داود:١٤٦٤، والبيهقي ٢/٥٣، قال الألباني: حسن صحيح] فالجنة درجات كثيرة، قال ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة، لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم» [الترمذي:٢٥٣٢، وضعفه الألباني] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس، فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة» [البخاري:٢٧٩٠] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم» قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا

المرسلين» [البخاري: ٣٢٥٦، ٦٥٥٦، ومسلم: ٢٨٣١].

فائدة: شكر الله لأهل طاعته

الله تعالى شكور، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١٧] وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء: ١٤٧] وقال: ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢] وقد شكر الله تعالى لمن حج بيته الحرام أو اعتمر تطوعًا، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨] وشكر الله سليمان عليه السلام لما قال: ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣] وتصدق بلحمها على الفقراء والمساكين فعوضه الله مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، وشكر للشهداء بأن عوضهم أن أرواحهم ترد أنهار الجنة وتأكل من ثمارها، وجعل مقر أرواحهم طيرًا خضرًا تتعلق في عرش الرحمن، وترد وتأكل من الجنة، وشكر أنبياءه ورسله بأن صلى عليهم هو وملائكته الكرام، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ ۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] وشكر للمرأة البغي لما أسقت الكلب، وأخرج من النار من في قلبه مثقال ذرة من خير، وشكر لصاحب (يس) وغير ذلك.

فائدة: إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرا بإذن الله تعالى وبالعكس

قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ○ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ [الشورى: ٤٩، ٥٠] هذه أربعة أصناف من النساء: منهن من تلد إناثًا، ومنهن من تلد ذكورًا، ومنهن

من تلد ذكورًا وإناثًا، ومنهن العقيم، عن ثوبان رضي الله عنه قال: كنت قائمًا عند النبي ﷺ، فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يامحمد، فدفعته دفعة كاد يصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يارسول الله، فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ: «إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي» فقال اليهودي: جئت أسألك، فقال رسول الله ﷺ: «أينفعك شيء إن حدثتك» قال: أسمع بأذني، فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «سل» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات؟ فقال رسول الله ﷺ: «هم في الظلمة دون الجسر» قال: فمن أول الناس إجازة؟ قال ﷺ: «فقراء المهاجرين» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ فقال ﷺ: «زيادة كبد النون» قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال ﷺ: «ينحر لهم ثور الجنة الذي يأكل من أطرافها» قال: فما شرابهم عليه؟ قال ﷺ: «من عين فيها تسمى سلسبيلا» قال: صدقت، قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال: «ينفعك إن حدثتك» قال: أسمع بأذني، قال: جئت أسألك عن الولد، قال: «ماء الرجل أبيض، وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا، فعلا مني الرجل مني المرأة أذكرا بإذن الله، وإن علا مني المرأة مني الرجل آنثا بإذن الله» قال اليهودي: صدقت، وإنك لنبي ثم انصرف فذهب. [مسلم: ٣١٥].

فائدة: خلق الله الإنسان على أربعة أضرب

الله تعالى لا يخفى عليه شيء، صوَّر في الأرحام عباده كيف

يشاء، وخلقهم في أي صورة شاء، خلقهم من ماء دافق، وخلق الناس من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة، وأقر في الأرحام ما شاء إلى أجل مسمى، ثم يكونون أطفالًا، ثم يبلغون الأشد، ثم يردون إلى أرذل العمر، ومنهم من يتوفى من قبل، وتصوير الإنسان في أحسن صورة، وهداه إلى الطريقين: طريق الخير وطريق الشر، وهو في هذه الحياة الدنيا ممتحن مختبر، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾ [الحج:٥] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ○ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ○ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٦-٨] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [آل عمران:٦] وقال: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ○ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ○ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ [الطارق:٥-٧].

خلق الله الإنسان على أربعة أضرب: أحدها لا من ذكر ولا من أنثى، كآدم عليه السلام، والثاني من ذكر بلا أنثى، كحواء عليها السلام، والثالث من أنثى بلا ذكر، كالمسيح عليه السلام، والرابع من ذكر وأنثى كسائر الناس، أحكم صنعته ونفخ فيه من روحه، قال تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذايات:٢١] وقال: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ﴾ [القيامة:٤] فسبحانه من خالق قادر عظيم حكيم.

فائدة: نصاب قطع يد السارق

السارق إذا سرق ربع دينار تقطع يده، مع أن دية اليد خمسمائة دينار، وذلك لحفظ الأموال، وجعل ديتها خمسائة دينار حفظًا لها، قال أبو العلاء المعري معترضًا على هذا الحكم:

يدٌ بخمسِ مِئى من عَسْجدٍ وُدِيتْ
ما بالُها قُطعتْ في ربعِ دينارِ

تناقض مالنا إلا السكوتُ له
وأن نعوذ بمولانا من النار

[سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣١ وتفسير ابن كثير]

فأجابه القاضي عبدالوهاب المالكي بقوله:
لما كانت أمينةً كانت ثمينةً، فلما خانتْ هانتْ.
وأجابه آخر بقوله:
يدٌ بخمس مِئى من عَسْجَدٍ وُدِيتْ
لكنها قُطِعتْ في ربعِ دينارِ

حمايةً لدمٍ أغلاها، وأرخصها
خيانة المال، فانظر حكمة الباري

وأجابهم آخر بقوله:
هناك مظلومة غالت بقيمتها
وههنا ظلمت هانت على الباري

وأجابهم آخر بقوله:

قل للمعري عار أيما عار
جهل الفتى وهو عن ثوب التقى عار

لا تقدحن زناد الشعر عن حكم
شعائر الشرع لم تقدح بأشعار

فقيمة اليد نصف الألف من ذهبٍ
فإن تعدَّتْ فلا تسوى بدينار

فائدة: قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع ضيوفه

في قصة إبراهيم عليه السلام مع ضيوفه التي ذكرها الله في عدة مواضع من القرآن ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ﴾ [الذاريات:٢٤] عدة فوائد، منها إكرام إبراهيم عليه السلام لضيوفه، وإكرام الله لهم ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء:٢٦] وإكرام الله لإبراهيم عليه السلام بأن جعل الملائكة ضيوفًا له، ورد إبراهيم عليه السلام عليهم أبلغ ﴿فَقَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [الذاريات:٢٥] فقد رد عليهم بجملة اسمية مرفوعة متضمنة الدوام والثبوت والاستقرار واللزوم، وهذا من حسن المخاطبة للضيوف، وقوله: ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الذاريات:٢٥] ولم يقل: أنتم قوم منكرون أدبًا منه، ومن ذلك سرعة ذهابه إلى أهله لإحضار الطعام ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات:٢٦] وإخفاؤه ومبادرته في إكرامهم، ويدل على أن كرامة الضيوف لدى إبرهيم عليه السلام موجودة ومعدة وحاصلة عنده في كل وقت، وكان إكرامه للضيوف بنفسه، فهو الذي يخدمهم ﴿فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ﴾ [الذاريات:٢٦] وليس العجل هزيلًا،

وتقديمه لهم وعرضه عليهم للأكل بأدب ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ [الذاريات:٢٧] وجعل الطعام بين أيديهم قريبًا منهم، وليس في مكان آخر، نوع من الإكرام.

فائدة: معاني الوسطية

المطلوب من المسلم الاستقامة وعدم الغلو أو التكاسل والتفريط، والوسطية هي الاستقامة على المنهج الصحيح والعقيدة السليمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت:٣٠] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [الأحقاف:١٣] وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓاْ إِلَيْهِ﴾ [فصلت:٦] وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ﴾ [هود:١١٢] وقال: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ [الجن:١٦] وعن سفيان بن عبدالله رضي الله عنه قال: قلت: يارسول الله قل لي في الإسلام قولًا لا أسأل عنه أحدًا غيرك، قال «قل: آمنت بالله، ثم استقم» [مسلم:٣٨] فالاستقامة هي السداد، ولن ينجو أحد بعمله، وهي إصابة الحق في القول والعمل والنية.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قاربوا وسددوا، واعلموا أنه لن ينجو أحد منكم بعمله» قالوا: ولا أنت يارسول الله، قال: «ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل»[البخاري:٦٤٦٣ ومسلم:٢٨١٦] وليست بكثرة العمل بدون إتقان وحسن، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢].

فائدة: أبو البشر الأول والثاني

أبو البشر آدم عليه السلام، والأب الثاني نوح عليه السلام، وكل من في الأرض بعده من ذريته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات:٧٧] أما أبو الأنبياء وعمود العالم وإمام الحنفاء فإبراهيم عليه السلام، الذي اتخذه الله خليلًا، وجعل النبوة والكتاب من ذريته، فهو شيخ الأنبياء حسب تسمية رسول الله محمد ﷺ له، لما دخل الكعبة ووجد المشركين قد صوروا فيها صورته وصورة إسماعيل عليه السلام وهما يستقسمان بالأزلام، قال: «قاتلهم الله، لقد علموا أن شيخنا لم يكن يستقسم بالأزلام» [البخاري:١٦٠١، وأحمد ١/ ٣٣٤، والبيهقي ٥/ ١٥٨، والبغوي في السنة ١٢/ ١٢٨، وأبو داود:٢٠٢٧] ولم يأمر الله نبيه محمدًا ﷺ أن يتبع ملة أحد من الأنبياء غيره، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٣] وأمرنا بذلك، فقال: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج:٧٨] فسماه الله أبانا، عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام.

فائدة: فضل الصلاة في مسجد رسول ﷺ ومسجد قباء

بنى المنافقون مسجدًا ضرارًا وكفرًا ولتفريق المسلمين الذين في مسجد قباء حسدًا وبغيًا ومؤامرةً، فنزلت الآية الكريمة ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ○ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ [التوبة:١٠٧، ١٠٨] وكان ذلك البناء بمشورة رجل يقال له أبو حنظلة والد غسيل الملائكة، وكان هذا الرجل راهبًا تنصر

في الجاهلية، وأغاظه الإسلام، سماه الناس أبا عامر الكذاب، وسماه الرسول ﷺ (الفاسق) وبعد انهزام هوازن ولى إلى الشام، أما مسجد قباء ومسجد رسول الله ﷺ فقد بنيا على التقوى وطاعة الله ورسوله ﷺ وبأمره ﷺ، لهذا فإن الصلاة في مسجد رسول الله ﷺ بألف صلاة فيما سواه، عدا المسجد الحرام، والصلاة في مسجد قباء عن عمرة، قال الرسول ﷺ: «صلاة في مسجد قباء كعمرة» [ابن ماجه: ١٤١١، والحاكم ١/ ٤٨٧، وصححه الألباني].

ولا شك في أفضلية مسجد الرسول ﷺ على غيره عدا المسجد الحرام الذي تضاعف فيه الصلاة إلى مائة ألف صلاة، أما مسجد بيت المقدس فتضاعف فيه الصلاة إلى خمسمائة ضعف، وقد مدح الله أهل قباء بالطهارة، فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨] فقد كانوا يجمعون بين الاستنجاء والغسل بالماء، وأسسوا مسجدهم على التقوى من أول يوم، أما مسجد المنافقين فقد قال الله تعالى عنه: ﴿أَمَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩] وقد أمر رسول الله ﷺ بهدمه، وصار ذلك ريبةً في قلوب أهله، حيث فضحوا، وبان حسدهم، وذهبت أموالهم التي أنفقوها في بنائه سدى، ونزلت آيات في ذمهم، وهدم الرسول ﷺ مسجدهم الذي بنوه ضرارًا وتفريقًا بين المؤمنين وإرصادًا لمن حارب الله ورسوله ﷺ، وهكذا كل عمل لم يخلص العبد فيه النية لله تعالى، نسأل الله العافية، وأن يجعل أعمالنا صالحةً خالصةً لوجهه الكريم.

فائدة: أهمية التدرج في الدعوة

في سورة آل عمران ذكر الله تعالى موافاة مريم رزقها في غير وقته وغير أوانه، ثم ذكر أن زكريا عليه السلام طلب الولد بعد ما شاب، لما رأى معجزة مريم، ثم ذكر ما هو أعظم وأغرب من هذين، وهو أن مريم حملت بعيسى عليه السلام بدون أب، وهذه الأمور تبين أهمية التدرج قبل ذكر الأمر المستغرب، وأن على الداعية ألا يفاجيء الناس، وأن يلاطفهم بالحكمة، ولا يفاجئهم بالغريب حتى يوطيء له، قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُۥ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِن لَّدُنكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ﴾ [آل عمران:٣٨].

فائدة: إقسام الله بخمسة أشياء في أول سورة الطور

قال الله تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ○ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ○ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ○ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ○ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ○ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ○ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ○ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾ [الطور:١-٨] هذه خمسة أشياء أقسم الله تعالى بها لعظمتها، ولأنها من مظاهر آياته وقدرته وحكمته وربوبيته ووحدانيته ﴿وَٱلطُّورِ﴾ وهو الجبل الذي كلم الله عليه نبيه موسى بن عمران عليه السلام.

﴿وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾ هو القرآن على الأرجح، قال تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ○ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ○ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ○ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾ [عبس:١٣-١٦] .

﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ هو البيت الذي في السماء رآه النبي ﷺ ليلة الإسراء والمعراج، يدخله كل يوم من الملائكة سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، وهو حيال بيت الله الحرام بمكة الذي هو معمور بالطائفين والقائمين والركع السجود.

﴿وَٱلسَّقۡفِ ٱلۡمَرۡفُوعِ﴾ السماء.

﴿وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ قيل: هو البحر الذي عليه العرش بين أعلاه وأسفله مسيرة خمسمائة عام، وعليه عرش الرحمن.

أقسم الله بهذه المخلوقات العظيمة على ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ○ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾.

فائدة: فعل الأسباب لا ينافي التوكل

لما ألقي إبراهيم الخليل عليه السلام في النار قال: (حسبي الله ونعم الوكيل) ولما قيل لرسولنا محمد ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [آل عمران:١٧٣] قال هو وأصحابه: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] فالله حسبُ المتوكلين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣] وقال: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [المائدة:١١] ولا بد من فعل الأسباب والتوكل، قال رسول الله ﷺ: «إن الله يلوم على العجز، ولكن عليك بالكيس، فإذا غلبك أمر فقل: حسبي الله ونعم الوكيل» [أبو داود:٣٦٢٧ وابن ماجه:١٣٦٧، وأحمد ٦/ ٢٥، والبيهقي ١٠/ ١٨١، وضعفه الألباني] فالذي يعتمد على الأسباب وحدها، ولا يتوكل على الله، وكذا الذي يتوكل على الله، ولا يعمل الأسباب، كلاهما مخطئان، فلابد من فعل الأسباب والتوكل على الله معًا، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «اعقلها وتوكل» [ابن حبان:٢٥٤٩].

فائدة: الرزق رزقان

قال الله تعالى: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾ [الواقعة:٨٢] الرزق رزقان: رزق البدن، وهو الطعام والشراب، ورزق القلب، وهو

الإيمان والعلم، ولا حياة للبدن إلا بالطعام والشراب، ولا حياة للقلب إلا بالإيمان والعلم، وكلما زاد العلم والإيمان ارتفع الإنسان، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] فمن الناس من وسع الله له رزقه بالطعام والشراب، ومنهم من وسع الله رزقه بالعلم والإيمان، ومنهم من أعطاه الله الرزقين، ومنهم من حرمه منهما، ولا يتم الرزق ولا يكمل إلا بالشكر، فهو سبب حفظه وبقائه، وهؤلاء المذكورون بالآية الكريمة جعلوا شكر رزقهم التكذيب والكفر، فهم مشابهون لمن قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا، كما قال رسول الله ﷺ عن ربه: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا، فهذا كافر بي ومؤمن بالكوكب» [البخاري:٨٤٦، ١٠٣٨، ومسلم:٧١].

فائدة: نقض العهد من علامات النفاق

الذي ينقض العهد ولا يفي بالوعد، خاصة إذا كان عهده أو نذره مع الله تعالى، يعاقب بالنفاق، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ ○ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [التوبة:٧٥-٧٧] ومن ذلك الذين قالوا: ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:٢٤٦] قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [البقرة:٢٤٦] وقال تعالى عن اليهود: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَل طَبَعَ ٱللَّهُ

عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء:١٥٥] ومن كانت نيته غير صالحة لم يبارك الله له في عمله ولا قوله، ومن كانت نيته صالحة يبارك الله له، فالنية لها تأثير كبير، قال رسول الله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرىء ما نوى» [البخاري:١، ٥٤، ٢٥٢٩، ومسلم:١٩٠٧] انظر إلى بركة المسجد الحرام الذي رفع بناءه إبراهيم عليه السلام، وبركة مسجد رسول الله الذي بناه محمد رسول الله ﷺ، وبركة المسجد الأقصى، وبركة مسجد قباء، وكل مسجد بني على التقوى يكون أبرك من غيره، وكل عمل أخلص المسلم فيه يبارك فيه، لهذا فعلى المرء أن يخلص عمله لله ويحسن العمل، قال تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك:٢] ولم يقل: أكثر عملًا، لأن العبرة بحسن العمل، والاتباع للرسول ﷺ، والإخلاص لله تعالى، لهذا يجازي الله المجاهد في سبيله المخلص في ذلك بالجنة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١١١] ثم انظر إلى صفاتهم ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١١٢].

فائدة: من حقق التوحيد صَلحَ حالُه

قال الله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ○ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [فصلت:٦، ٧] تزكية القلوب تكون بالتوحيد، وإخلاص العبادة لله،

وتحقيق لا إله إلا الله، ونفي ما سوى الله من القلب وطهارته، وفي ذلك البركة والزيادة والطهارة والنماء والفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الشمس:١٤] وقال: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم:٣٢] ومن حقق التوحيد صلحت جميع أعماله وزكا قلبه وأفلح، ومن لم يحقق التوحيد فله من النقص قدر نقصه في التوحيد، مهما كان عنده من العبادات.

فائدة: من نعيم أهل الجنَّة

من نعيم أهل الجنة أن آنيتهم من ذهب، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍۖ﴾ [الزخرف:٧١] وأن خدمهم ولدان مخلدون ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَۢ ○ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة:١٧،١٨] وأنهم يتكؤون ويطلبون ما يشتهون، قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ○ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ [ص:٥٠،٥١] وأنهم آمنون، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ﴾ [الدخان:٥٥] وأن فاكهتهم كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة، قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ○ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ﴾ [الواقعة:٣٢،٣٣] وأن الجنة عالية، قطوفها قريبة في متناول أيديهم، قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ○ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ○ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ [الحاقة:٢١-٢٣] وأن الأنهار تجري من تحتهم، قال تعالى: ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَاۚ﴾ [الرعد:٣٥] وأن فيها لحمًا مما يشتهون، وخمرًا لا لغو فيه، قال تعالى: ﴿وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ○ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ [الطور:٢٢،٢٣] وقال: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ○ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌۚ﴾ [المطففين:٢٥،٢٦]وأنهم لا

يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح، قوة أحدهم في الأكل والشرب والجماع والشهوة، كقوة مائة رجل، حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، تخر إليهم الطيور إذا اشتهوها مشوية، لديهم الحور العين، لباسهم الإستبرق والحرير، فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

فائدة: أضرار الإختلاف

الاختلاف شر، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ [آل عمران:١٠٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٥٩] وقال: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال:٤٦] وقال: ﴿فَتَقَطَّعُوٓا۟ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ زُبُرًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون:٥٣] وقال الرسول ﷺ: «لا تختلفوا فتختلف قلوبكم» [مسلم:٤٣٢، وأبو داود:٦٦٤، ٦٧٥، وأحمد ٤/ ١٤٤، والحاكم ١/ ٥٧٣، ٨/٢، وابن خزيمة:١٥٥٦، ١٥٥٧] وقال: «اقرؤوا القرآن ما ائتلفت عليه قلوبكم، فإذا اختلفتم فقوموا عنه»[البخاري:٥٠٦٠، ٥٠٦١، ومسلم:٢٦٦٧] وكان الناس في عهد رسول الله ﷺ وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه متفقين، وحصل شيء من الاختلافات اليسيرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأقر بعضهم بعضًا على اجتهادهم من غير طعن ولا ذم، وفي عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه حصلت الاختلافات والفتن والتنازع، وفي عهد علي رضي الله عنه حصلت الفرقة والقتال، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾ [هود:١١٨، ١١٩] وعصم الله من تمسك بحبله المتين بالقرآن الحكيم.

فائدة: وعد الله المنفقين بالمغفرة والفضل والإخلاف

قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨] يحض الله المسلمين على الإنفاق، ويحذر من البخل، ويُبيِّنُ داعي الإنفاق وداعي البخل، فالله سبحانه يعد المنفقين المغفرة والفضل والإخلاف في الدنيا والآخرة، والشيطان يخوف المنفقين من الفقر، ويأمرهم بالفحشاء، ويكذب بوعده، ويغرر ويورد إلى المهالك، ويخوف ويدعو إلى سوء الظن بالله تعالى، والله تعالى واسع عليم، يوسع العطاء، ويعلم من يستحق الفضل والزيادة في الخير بالدنيا والآخرة، وهو بكل شيء عليم، إن أعطى فبفضله، وإن منع فبعدله، ولا يسأل عما يفعل، فهو الحكيم العليم.

فائدة: أهل الجنة يعرفون منازلهم فيها لا يخطئونها

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ○ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ○ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ﴾ [محمد:٤-٦] أهل الجنة عندما يدخلونها يهتدون إلى منازلهم فيها، ويعرفونها لا يخطؤون في شيء منها، كما يعرف الواحد منا منزله في الدنيا، ويعرفون ما أعد الله لهم من الحور والزوجات، روى البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قوله: «والذي نفس محمد بيده، لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا» [البخاري:٦٥٣٥].

فائدة: النفس المطمئنة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ○ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ○ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر:٢٧-٣٠] نفس المؤمن مطمئنة

ساكنة مستقرة، سكنت إلى خالقها، واطمأنت لعبادته وقضائه وقدره ولقائه ووعده ومحبته وعبوديته وأمره ونهيه وخيره وحقائق صفاته وأسمائه، ترجع إليه عند الشدائد، وتستعين به وحده عند الكربات، وفي كل حال، ليست أمارة بالسوء ولا شاكة ولا لوامة متذبذبة، ولا تتبع الشبهات ولا الشهوات، ولا ظالمة جاهلة، تخرج هذه النفس المطمئنة من جسد صاحبها راضيةً مرضيةً مطمئنةً إلى روح وريحان ورب غير غضبان، تبشرها الملائكة بالجنة عند خروجها من الدنيا، وعند لقاء ربها في يوم القيامة، تفتح لها أبواب السماوات إلى الرفيق الأعلى، ترجع إلى ربها راضيةً بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، موحدة لربها منيبة إليه، معظمة لربها، راجية ثوابه مجلة له، ظاعنة إليه، طالبة المقام عنده، وهذه النفس المطمئنة أقل النفوس عددًا، وأعظمها أجرًا، وأجلها قدرًا، قال الله تعالى: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ○ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ○ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ [الفجر:٢٨-٣٠].

فائدة: العلم من أعظم نعم الله تعالى

الدين الإسلامي دين العلم، وأول آية نزلت على محمد ﷺ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق:١] وقد امتن الله تعالى على عباده بأن علمهم مالم يكونوا يعلمونه ﴿عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾ [العلق:٤] وهذا التعليم بالقلم من أعظم نعم الله، فبه تخلد العلوم وتثبت الحقوق، وتحفظ الأوقاف والوصايا والشهادات، وتضبط المعاملات، وتكتب الكتب والحسابات، وهو سبب للحفظ من النسيان، وتعلم القرآن والسنة، واللسان يترجم ما يكتب القلم من الحكم والرسائل والخطب والشعر والنثر والمسائل، فسبحان من علم بالقلم، علم الإنسان مالم يعلم.

فائدة: تكليم الله لموسى عليه السلام

لقد كلم الله تعالى موسى عليه السلام تكليمًا، قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء:١٦٤] وقال: ﴿إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾ [الأعراف:١٤٤] وقال: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ الآية [الأعراف:١٤٣] وقال: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم:٥٢] فقد خص الله موسى عليه السلام بالكلام والمناجاة والنداء، واصطفاه به وقربه إليه نجيًّا، وناداه من جانب الطور الأيمن.

فائدة: إسناد الرحمة والخير إلى الله

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ مِّنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ مَسَّتۡهُمۡ﴾ [يونس:٢١] الرحمة أسندت لله تعالى، أما الضراء فأسندت إلى نفس الضراء التي تمسهم، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ [الشعراء:٨] أسند المرض إلى نفس إبراهيم عليه السلام، وأسند الشفاء إلى الله تعالى، ومنه الدعاء «الخير كله في يديك، والشر ليس إليك» [مسلم:٧٧١] ومثله ما في سورة الكهف: ﴿فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] وقوله: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبۡلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسۡتَخۡرِجَا كَنزَهُمَا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ [الكهف:٨٢] وقوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا﴾ [الكهف:٨٠] وهذا في القرآن والسنة كثير، يسند الشر للنفس أو الشيطان، ويسند الخير لله تعالى، ومنه قول الرسول ﷺ: «أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء

كذا وكذا، فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب» [البخاري:٨٤٦، ١٠٣٨، ومسلم:٧١] فالكواكب ليس لها تأثير اختياري ذاتي، وإنما هي أسباب، إن شاء الله أثرت، وإن شاء لم تؤثر، هذا هو مذهب أهل السنة والجماعة.

فائدة: إقسام الله بالخيل العاديات

أقسم الله تعالى - وهو سبحانه يقسم بما يشاء من خلقه - بالعاديات ضبحًا، وهي الخيل التي تعدو في سبيل الله للجهاد، والضبح صوت أجوافها عند جريها ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾ [العاديات:٢] التي توري النار بحوافرها، فتثير الغبار، ويتولد من ذلك قدح النار بسبب اصطدامها بالحجارة ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾ [العاديات:٣] الخيل تغير على العدو في الصباح، وتتوسط جمعه، وخص الخيل التي يركبها المجاهدون في سبيل الله، لأنها أشرف الأنواع، يحصل بها النصر والظفر وخوف الأعداء، وهذه نعمة من نعم الله تعالى أن خلق للناس هذا الحيوان السريع القوي، وخص إغارة الصبح لبركة الغزو في الصباح، حيث إن الأعداء في محلاتهم لم ينتشروا، وكان النبي ﷺ إذا أراد الغارة صبر حتى يطلع الفجر، فإذا سمع مؤذنًا أمسك، وإلا أغار.

أقسم الله تعالى بهذه الأمور على أن الإنسان لربه لكنود، أي كفور جحود لنعم ربه ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ○ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات:٧، ٨] فهو ينكر الحق ويُشهد الله على ذلك، ويجحد نعم الله عليه ويكفرها، قال تعالى: ﴿شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمُ بِٱلْكُفْرِ﴾ [التوبة:١٧] والإنسان يحب المال حبًا شديدًا على وجه العموم، فمنهم من يمنع

الماعون، ومنهم من يأمر بالبخل، ومنهم من يكتم ما آتاه الله من فضله، ومنهم من يقول: ﴿هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ [فصلت: ٥٠] ومنهم الهمزة واللمزة الذي يجمع المال ويعدده ولا ينفق منه، قال الله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ١-٣] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾ [النساء: ٣٨].

فائدة: سوء الظن بالله

الظن السيء بالله تعالى ذنب عظيم من كبائر المعاصي، توعد الله مرتكبه بالخزلان والخسران والغضب واللعن والعذاب في النار وسوء العاقبة، قال تعالى: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [الفتح: ٦] وقال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣].

فائدة: ما حُرم أكله من الحيوانات

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة: ٣].

الميتة: ما مات حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد، عدا السمك والجراد.

والدم المسفوح: عدا الكبد والطحال.

ولحم الخنزير: حتى شحمه، فإنه رجس.

وما أهل لغير الله به: أي ما ذكر عند ذبحه اسم غير اسم الله.

والمنخنقة: التي تموت بالخنق.

والموقوذة: التي تضرب حتى تموت.

والمتردية: التي تقع من شاهق فتموت.

والنطيحة: التي ماتت بسبب نطح غيرها لها.

وما أكل السبع: أي ما عدا عليها أسد أو فهد أو ذئب أو كلب، فأكل بعضها وماتت، إلا ما أمكن تداركه فذكي قبل أن يموت.

وما ذبح على النصب: أي ما ذبح على الأصنام والأنصاب والقبور والأموات.

وأن تستقسموا بالأزلام: وهي عبارة عن قداح ثلاثة، أحدها مكتوب عليه: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث: ليس عليه شيء، ونحو ذلك من القمار والاستخارات وغيرها مما يشبه ذلك.

فائدة: فاحشة الزنا

من كبائر الذنوب الزنا، ولهذا نهى الله عن ذلك، فقال: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢] فهو فاحشة عظيمة وسبيل سيء، ومقيل أهله الجحيم، ومستقر أرواحهم في البرزخ تنور من نار، يأتيهم منها لهيبها، ويضجون وترتفع أصواتهم، وكذا في الآخرة، كما رأى ذلك رسول الله ﷺ أنهم في تنور من نار، وأعظم الإثم منه أن يزني الرجل بحليلة جاره، أو أن يزني بزوجة رجل مسلم فيفسدها عليه، يرسل الله تعالى ريحًا منتنةً يوم القيامة يتأذى منها كل بر وفاجر، هي ريح فروج الزناة، مالم يتوبوا، فهو يذهب البهاء، ويسبب الفقر، وقصر العمر، وسخط الله، وسوء الحساب، ودخول النار، والزاني كعابد الوثن، كما قال أنس بن

مالك رضي الله عنه، وقد أخبر الرسول ﷺ أن أعظم إثم عند الله الزنا بحليلة الجار، فصدقه ربه، ونزلت الآية الكريمة ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ○ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ○ إِلَّا مَن تَابَ﴾ [الفرقان:٦٨-٧٠] وقد ورد أن الله تعالى لا ينظر يوم القيامة إلى الزناة، ويقول لهم: ادخلوا النار مع الداخلين، وفي الصحيح: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولا ينظر إليهم، ولهم عذاب أليم: شيخ زان، وملك كذاب، وعائل مستكبر» [مسلم:١٠٧] وكل الشرور في الزنا، فهو يذهب الورع، ويفسد الدين، ويذهب الغيرة والصدق والوفاء بالعهد والأمانة والحياء ومراقبة الله، والعفة، والعدالة والبر والإيمان، وهو من أسباب غضب الله تعالى، وظلمة الوجه والقلب، وسبب من أسباب الفقر، كما ورد أن الله مفقر الزناة، قال الله تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ﴾ [النور:٢٦] وقال رسول الله ﷺ: «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» [البخاري:٢٤٧٥، ومسلم:٧٥] ولا تجد زانيًا إلا متوحشًا خائفًا قلقًا، مظلم الوجه والروح، مكروهًا لدى الله، مبغضًا عند الخلق.

فائدة: الحكم بغير ما أنزل الله لا يكون كفراً أكبر دائماً

قال الله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة:٤٤] الحكم بغير ما أنزل الله إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله، وعدل عنه عصيانًا، مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة، فهو كفر أصغر غير مخرج من الملة، وإن اعتقد أنه غير

واجب، وأنه مخير بين الحكم بما أنزل الله وغيره، مع تيقنه أنه حكم الله، فهو كفر أكبر، وإن جهله وأخطأ فهو مخطىء.

والكفر الأكبر:

إما تكذيب مثل كفر فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: ١٤].

وإما كفر عناد واستكبار، مثل كفر إبليس، كقول الكفار: ﴿مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ﴾ [يس: ١٥] وإما كفر إعراض، بأن يعرض بسمعه وقلبه عن الحق، ولا يلتفت إليه، وإما كفر شك فلا يجزم بصدقه ولا كذبه.

وإما كفر نفاق، بأن يظهر خلاف ما يبطن من التكذيب، ومعظم الكفر ناتج عن الاستكبار، مثل كفر إبليس، فإنه لم يجحد ما أمر الله به ولم ينكره، وإنما تكبر وأبى.

ومثل كفر فرعون، حيث قال: ﴿أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ﴾ [المؤمنون: ٤٧]

ومثل كفر الأمم السابقة، حيث قالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [إبراهيم: ١٠].

ومثل كفر اليهود، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨٩] وقال: ﴿يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] ومثل كفر أبي طالب الذي صدق بالرسول ﷺ ولم يشك فيه، ولكن أخذته العزة والحمية بالإثم، وعظم ما كان عليه آباؤه، ولم يرغب عن ملتهم، ولم يشهد عليهم بالكفر، فهو يقول:

ولقد علمت بأن دين محمد

من خير أديان البرية دينًا

لولا الملامة أو حذار مسبة
لرأيتني سمحًا بذاك مبينًا

فائدة: محبة الله تعالى لعبده غاية مقصود العباد

محبة الله تعالى وحبه لعبده غاية مقصود العباد، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٣١] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] فإذا أحب الله المرء، وأحب المرء ربه، وجد حلاوة الإيمان، ولا يذوق هذه الحلاوة إلا من كان الله ورسوله ﷺ أحب إليه مما سواهما، كما قال رسول الله ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يرجع في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه، كما يكره أن يلقى في النار» [البخاري:٢١، ٦٠٤١، ومسلم:٤٣] وقال: «والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» [البخاري:١٤، ١٥، ومسلم:٤٤].

فائدة: إقسام الله بمخلوقاته العظيمة في أول سورة الذاريات

قال الله تعالى: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ۝ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ۝ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات:١-٤] أقسم الله تعالى بالرياح وبالسحاب وبالنجوم وبالملائكة، وهذه الأربعة من أعظم خلق الله تعالى، فالرياح آية دالة على عظمة الرب وقدرته، والسحاب الذي في الجو

يحمل الماء والبرد ويسير به حيث أمر بين السماء والأرض، ويفرغه حيث أمره الله تعالى، والجاريات، وهي السفن التي تجري على وجه الماء، سخرها الله آية عظيمة، قال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ○ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٢، ٣٣] وكذا الجاريات من الكواكب والشمس والقمر هداية في البر والبحر، والمقسمات، وهي الملائكة الموكلون بالخلق، يفعلون ما يأمرهم الرحمن، روى الإمام الترمذي والإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «لما خلق الله الأرض جعلت تميد، فخلق الجبال فقال بها عليها، فاستقرت، فعجبت الملائكة من شدة الجبال، قالوا: يارب فهل من خلقك شيء أشد من الجبال؟ قال: نعم الحديد، قالوا: يارب هل من خلقك شيء أشد من الحديد؟ قال: نعم النار، قالوا: يارب هل من خلقك أشد من النار؟ قال: نعم الماء، قالوا: يارب هل من خلقك شيئ أشد من الماء، قال: نعم الريح، قالوا: يارب فهل من خلقك أشد من الريح؟ قال: نعم، ابن آدم، تصدق بصدقة بيمينه يخفيها عن شماله» [الترمذي: ٣٣٦٩، وضعفه الألباني].

فائدة: فضائل سورتي البقرة وآل عمران

عن عبدالله بن بريدة عن أبيه قال: كنت جالسًا عند النبي ﷺ فسمعته يقول: «تعلموا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» [أحمد ٥/ ٣٥٢ قال محققو المسند: صحيح لغيره] ثم قال: «تعلموا سورة البقرة وآل عمران، فإنهما الزهراوان يُظِلَّان صاحبهما يوم القيامة، كأنهما غمامتان، أو غيايتان، أو فرقان من طير صواف، وإن القرآن يلقى صاحِبَه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره

كالرجل الشاحب، فيقول له: هل تعرفني؟ فيقول: ما أعرفك، فيقول: أنا صاحبك القرآن الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وإن كل تاجر من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارة، فيعطى المُلْكَ بيمينه والخُلْدَ بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، ويكسى والداه حلتين لا يقوم لهما أهل الدنيا، فيقولان: بما كُسينا هذا؟، فيقال: بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال: اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها، فهو في صعود ما دام يقرأ هذًّا كان أو ترتيلًا» [أحمد ٥/ ٣٤٨، وابن ماجه بعضه رقم: ٣٧٨١، وحسنه ابن كثير في التفسير وحسن إسناده محققو المسند ٣٨/ ٤٢]

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرؤوا القرآن فإنه شافع لأهله يوم القيامة، إقرؤوا الزهراوين: البقرة وآل عمران، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان، أو كأنهما فرقان من طير صواف يحاجان عن أهلهما» ثم قال: «اقرؤوا البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» [روى بعضه مسلم: ٨٠٥، وأحمد ٥/ ٢٤٩، واللفظ له، والبغوي في شرح السنة: ١١٩٣، وصححه محققو المسند] وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يؤتى بالقرآن يوم القيامة وأهله الذين يعملون به، تقدمه سورة البقرة وآل عمران» وقال رسول الله ﷺ في وصف سورتي البقرة وآل عمران: «كأنهما غمامتان، أو ظلتان سوداوان بينهما شرق، أو كأنهما حزقان من طير صواف، تحاجان عن صاحبهما»[مسلم: ٨٠٥ واللفظ له، وأحمد ٤/ ١٨٣].

فائدة: من اتقى الله ثَبَّتَ اللهُ قلبَه

قال الله تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وقال عن إبليس: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ○ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص: ٨٢، ٨٣] وقال: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] وقال عن امرأة العزيز: ﴿قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠].

وقال عن دعاء يوسف عليه السلام: ﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣] وقال عن نبينا محمد ﷺ: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال سبحانه: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] وقال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّىٓ ۚ﴾ [يوسف: ٥٣] وقال عن يوسف عليه السلام: ﴿وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف: ٥١] وقال: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ○ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣] وقال: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ﴾ [يوسف: ١٠٠].

من هذه الآيات يتبين أن من كان قلبه فارغًا من ذكر الله، ولم يخلص في عبادته لربه، وأحب غير الله، ولم يكثر الدعاء والالتجاء إليه، وخان الأمانة، واتبع هواه، ونفسه الأمارة بالسوء، وكذب في عبادته، ولم يتق الله، واستسلم للشيطان، انزلق في المخاطر من عشق النساء والولدان والنظر المحرم والفساد، قال الشاعر:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى
فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا

وإذا تمكن حب غير الله في قلب المرء شقي، وصارت حياته تعاسةً وعذابًا، قال الشاعر:

فما في الأرض أشقى من محب
وإن وجد الهوى حلو المذاق

والإنسان ممتحن في هذه الدنيا بالجمال، وربما العشق وكيد النساء، وإذا وقع في الفخ ارتكب الموبقات، حال الله بينه وبين قلبه، وصبا إلى النساء، وكان من الجاهلين الخائنين، وصار الشيطان قرينه، وتعلق قلبه بمحبوبه ومعشوقه، وخلا عن ذكر ربه، نسأل الله العافية.

فائدة: أسلوب الحكيم

إذا عدل المفتي عن جواب المستفتي بما هو أنفع له، وأولى بالسؤال، يسمى هذا (أسلوب الحكيم) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢١٥] فسألوه عن المنفق، وأجابهم عن وجوه الصرف، لأهمية ذلك، وأنه كان ينبغي السؤال عنها، ومثل قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾ [البقرة:١٨٩] فسألوه عن سبب ظهور الهلال خفيًا، ثم يتزايد، وأجابهم عن حكمة ذلك، وهي ظهور مواقيت الناس والحج، لأن ذلك أنفع لهم وأهم.

فائدة: أمة محمد ﷺ هم أرحم الناس بالنَّاس

قال الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ﴾ [البقرة:١٥٧] فالصلاة عليهم من الله تعالى نالوا بها الكرامة، وبالرحمة نجوا من الشقاء، وبالهداية تخلصوا من الضلالة، فمن صفات المؤمنين أنهم يرحمون، قال تعالى: ﴿مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ﴾ [الفتح:٢٩] ورسول الله ﷺ رحمة للعالمين ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] وأبو بكر رضي الله عنه يقول فيه رسول الله ﷺ: «أرحم أمتي بأمتي أبو بكر» [الترمذي:٣٧٩٠، ٣٧٩١، وصححه الألباني] وكلما اتسع علم المرء وإيمانه اتسعت رحمته، قال الله تعالى عن الخضر: ﴿فَوَجَدَا عَبۡدٗا مِّنۡ عِبَادِنَآ ءَاتَيۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف:٦٥] وأنفع الناس للناس هو أرحمهم، ومن الدعاء القرآني ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةٗ﴾ [الكهف:١٠] والله سبحانه وتعالى أرحم الراحمين، فهو الرحمن الرحيم، ورحمته وسعت كل شيء، قال الله تعالى: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلۡأُمِّيَّ﴾ [الأعراف: ١٥٦، ١٥٧] فأمة محمد ﷺ هم أرحم الناس بالناس.

فائدة: مدة الحمل والرضاع

قال الله تعالى: ﴿وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ﴾ [الأحقاف:١٥] وقال: ﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾ [لقمان:١٤] فإذا ولدت المرأة لتسعة أشهر كفاها من الرضاع أحد وعشرون شهرًا، وإذا وضعت لسبعة أشهر كفاها من الرضاع ثلاثة وعشرون شهرًا، وإذا وضعت لستة أشهر

كفاها من الرضاع أربعة وعشرون شهرًا، روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أتي بامرأة ولدت لستة أشهر فهم برجمها، فبلغ ذلك عليًا رضي الله عنه فقال: ليس عليها رجم، فأرسل إليه عمر رضي الله عنه فسأله، فقال: قال الله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة:٢٣٣] وقال: ﴿وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف:١٥] [سنن البيهقي ٧/ ٤٤٢] فستة أشهر حمله، وحولان تمام الرضاعة، فلا حد عليها، فأمر عمر رضي الله عنه بالإفراج عنها.

فائدة: جواز الحَلِف على الخبر لتأكيده عند الحاجة

الحلف على الخير الديني لتأكيده مستحب، وقد حلف الرسول ﷺ على مثل ذلك في مواضع كثيرة، ذكر ابن القيم رحمه الله أنها تزيد عن ثمانين موضعًا، وقد أمره الله تعالى بالحلف على تصديق ما أخبر به.

قال تعالى: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾ [يونس:٥٣] وقال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ:٣] وقال تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [التغابن:٧].

فائدة: من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها

قال الله تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢] التشبيه في هذا

له دلالات، منها:

الأولى: أن كلًا منهما (قاتل النفس الواحدة وقاتل الناس جميعًا) عاص لله ورسوله ﷺ.

الثانية: أن كلًا منهما يسمى قاتلًا.

الثالثة: إنهما سواء في استحقاق إزهاق النفس بغير حق.

الرابعة: أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم وتواصلهم كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى، فإذا أتلف القاتل واحدًا فقد أتلف جزءًا من الجسد الواحد.

الخامسة: أن ابن آدم القاتل هو أول من سن القتل، ومن سن سنة سيئة فعليه إثمها وإثم من عمل بها إلى يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِۦ﴾ [البقرة:٤١] فأول كافر يقتدي الناس به سن سنة سيئة، ولهذا فقد ورد عن رسول الله ﷺ أنه رأى عمرو بن لُحي الخزاعي يعذب أعظم العذاب في النار، لأنه أول من غيَّر دين إبراهيم عليه السلام، وأول من سن الشرك.

قال رسول الله ﷺ: «لا تقتل نفس ظلمًا بغير حق إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها، لأنه أول من سن القتل» [البخاري: ٣٣٣٥، ومسلم: ١٦٧٧].

فائدة: دار البرزخ أول دار الجزاء

إذا فارقت الروح الجسد ومات الإنسان انتقل إلى دار البرزخ، وهي بعث أولي وقيامة صغرى، يجازى المحسن على إحسانه، والمسيء على إساءته، تنعم أبدان أوليائه وأرواحهم، وتعذب فيه

أبدان أعدائه وأرواحهم، وهذه أول دار للجزاء، قال رسول الله ﷺ: «وافتحوا له بابًا إلى الجنة، فيأتيه من روحها وطيبها» أما الفاجر «وافتحوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها» [أبو داود: ٤٧٥٣، وأحمد ٤/ ٢٨٨، والحاكم ١/ ٣٧، ٣٨ وصححه الألباني] قال الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۖ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۖ﴾ [آل عمران: ١٨٥] ففي القبر عندما يفتح للعبد باب من الجنة أو النار يحس بالنعيم أو العذاب، إلى أن تقوم الساعة، فيدخل من بابه إلى الجنة إن كان من أهل السعادة، أو إلى النار، نعوذ بالله منها.

فائدة: وجوب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَـٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال الرسول ﷺ: «من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة، ومن أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة» [أحمد ٥/ ٤٢، ٤٨، ٤٩ بتمامه، وابن أبي عاصم في السنة رقم: ١٠١٧، ١٠١٨ الشطر الثاني منه، وكذلك الترمذي: ٢٢٢٤، وحسنه الألباني في الصحيحة: ٢٢٩٧].

والإمام العادل يظله الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، ولا يصلح الناس إلا بأمير، ولو لم يوجد الأمير لصار الناس فوضى، روى أبو داود عن رسول الله ﷺ قوله: «إذا خرج ثلاثة في سفر فليؤمروا أحدهم» [أبو داود: ٢٦٠٨، وقال الألباني: حسن صحيح].

وعلى المسلمين طاعة إمامهم مالم يأمر بمعصية، وعليهم عدم

إثارة الفتن أو زعزعة الأمن، وعليهم الدعاء له، وتوقيره واحترامه وتعزيره، والتقيد بالأنظمة والقوانين بالمعروف، ومناصحته بالتي هي أحسن، وأن يكونوا أعوانًا له في العسر واليسر والمنشط والمكره والأثرة، وإن فسقوا وجاروا وظلموا، ومن أهانهم أهانه الله، وقد أمر الله موسى وهارون عليهما السلام أن يقولا لفرعون قولًا لينًا، وإذا أراد المسلم نصيحة السلطان فليكن ذلك بالسر والخلوة واللين، ومن خرج على الحاكم المسلم فهو من البغاة الذين يجب قتالهم، كما يجب الصبر على جورهم واستئثارهم بأمور دنيوية، وسبهم حالق للدين، وبغضهم غش للمسلمين، ويجب عدم منازعتهم الأمر، والكذب عليهم كبيرة من كبائر الذنوب، ويجب ترك ما أنيط إليهم من أمر الجهاد، فالجهاد دون إذن الإمام خروج عن الطاعة، ومن الهوى الدعاء على الأئمة وإن جاروا، ويجب كتم أسرارهم، والثناء عليهم بما فيهم من خير، ويحرم قتالهم وإشاعة ما لديهم من أخطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال النبي ﷺ: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات، إلا مات ميتة جاهلية» [البخاري: ٧٠٥٤، ومسلم: ١٨٤٩] وقال ﷺ: «الفتنة راقدة لعن الله من أيقظها» [الرافعي، وقال الألباني: ضعيف (ضعيف الجامع: ٤٠٢٤)].

فائدة: كفى بالله شهيداً

شهادة الله تعالى جاءت في القرآن الكريم في عدة مواضع، قال تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ﴾ [الأنعام: ١٩] وقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الرعد: ٤٣] وقال:

﴿لَّكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ﴾ [النساء:١٦٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب:٥٥] وقال: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران:١٨] ﴿كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأحقاف:٨] ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٦٦] وقال: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح:٢٨] فقد شهد سبحانه على صدق رسالة محمد ﷺ، وشهد على أن القرآن الكريم أنزله بعلمه، وهو شهيد بين محمد ﷺ وقومه، وشهد على كلمة التوحيد لا إله إلا الله.

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:١٠٧] وقال: ﴿وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون:١] وقال: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ﴾ [الأنبياء:٧٨] وقال: ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس:٦١] وقال: ﴿وَٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران:٩٨] وقال: ﴿وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة:١١٧] وقال: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:٤٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [الحج:١٧] وقال: ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ:٤٧] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣] وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المجادلة:٦، البروج:٩] وقال: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾ [العاديات:٧] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب:٥٥] وقال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩] وقال: ﴿فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ [يونس:٢٩] وقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾ [الإسراء:٩٦] وقال: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ [العنكبوت:٥٢].

فائدة: الطريق إلى معرفة الله تدبر كتابه

إذا عرف العبد مولاه وسيده، وعرف أسماءه وصفاته ونعمه على عباده، وإيجادهم من العدم، ورحمته بهم، أحبه وآثره واشتاق إلى لقائه وأناب إليه، وأنس بعبادته وتلاوة كتابه، وأثنى عليه بما يستطيع من ثناء «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» [مسلم:٤٨٦ وغيره] وتأمل في مخلوقاته وتفكر فيها، وسعى في إصلاح نفسه، وتحصيل رضا ربه، وأحب لحبه، وأبغض من أجله، وعادى أعداءه، وجاهد في سبيله، ووحده في ألوهيته وربوبيته وأسمائه وصفاته وأفعاله، واجتنب معاصيه، وتخلق بالأخلاق الحميدة التي يحبها ربه، قال تعالى عن المؤمنين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] وقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران:٣١] ولا طريق إلى ذلك إلا بتدبر آياته، والنظر في كلامه، وتلاوة كتابه، والعمل به، والتفكر في مخلوقاته، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النساء:٨٢] وقال: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ○ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران:١٩٠،١٩١] وقال: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون:٦٨] وقال: ﴿قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١] وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف:٢] وقال: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت:٣] وقال: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [غافر:٢١] وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم:٢٢] وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم

مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١] وقال: ﴿قُلْ سِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُواْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ [الروم:٤٢] وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم:٢٤].

فائدة: منة الله على عباده بالإيمان

قال الله تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١٧] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران:١٦٤] وقال: ﴿فَلِلَّهِ ٱلْحُجَّةُ ٱلْبَٰلِغَةُ﴾ [الأنعام:١٤٩] فكل توفيق لعمل الطاعات، وكل سبب يوصل إلى ذلك، فهو منَّة من الله تعالى، وكل فراغ سبب في اشتغال بما يرضي الله فهو منَّة، وما هو سبب في الاشتغال بما يغضبه، أو عدم استفادة من الوقت، فهو حجة على العبد، وكذا الجاه إما أن يكون منَّة، إذا صار سببًا في خضوع العبد لله، وبذل النصيحة للخلق، وإلا فهو حجة عليه، وكل تذكير وموعظة إذا كانت سببًا في عبادة الله فهي منَّة، وإلا فهي حجة على العبد.

والقرآن الكريم منَّة من الله على العبد المسلم إذا تمسك به، وحجة عليه إذا لم يتبعه، قال رسول الله ﷺ: «القرآن حجة لك أو عليك» [مسلم:٢٢٣، والترمذي:٣٥١٧، والنسائي:٢٤٣٧، وابن ماجه:٢٨٠، وأحمد ٥/ ٣٤٢، ٣٤٣].

فائدة: تشبه المؤمن بالبصر والسمع وتشبه الكفار بالأعمى والأصم

قال الله تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٤] شبه الله تعالى حال المؤمنين

بالبصير السميع، وحال الكافرين بالأعمى والأصم، ثم أنكر أن يتشابها، فقال: ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٤] فالذي جمع بين العمى والصمم هم الكفار الذين يتعامون عن آيات القرآن، ولا يسمعون سماع قبول، ولا تنفعهم عبارة ولا إشارة، أما المؤمنون العاملون للصالحات فهم المنتفعون بأسماعهم وأبصارهم، المهتدون المستضيؤون بالنور الذي نزَّل الله، قال تعالى: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصَمِّ وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [هود:٢٤] وقال عن المنافقين: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ﴾ [البقرة:١٨] وقال سبحانه عنهم: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة:٧] وقال: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ [هود:١٧] والشاهد وضح في قوله تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾ [الأحقاف:١٠] وهو عبدالله بن سلام رضي الله عنه، وقال تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴾ [القلم:٣٥] وقال: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ﴾ [ص:٢٨].

فائدة: الجن مثل الإنس في التكليف

الجن مكلفون مثل الإنس، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾ إلى آخر الآيات [الأحقاف:٢٩-٣٢] فقد صرفهم الله إلى الرسول ﷺ ليستمعوا، ثم ذهبوا ينذرون قومهم، وقد سمعوا القرآن وفهموه، وطلبوا من قومهم أن يجيبوا داعي الله، وأن يؤمنوا به ليغفر لهم ويجيرهم من العذاب ﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءُ﴾ [الأحقاف:٣٢] ودليل ذلك أيضًا قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ أَلَمْ

يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام:١٣٠] وقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦] وغير ذلك.

فائدة: الصفات العامة للإنسان

هذه أربع صفات من صفات الإنسان، في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَئُوسٌ كَفُورٌ ○ وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ○ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:٩-١١] فاليأس والكفر والفرح والفخر صفات عامة للإنسان، ومعنى (يؤوس) شديد اليأس كثيره، مقطوع الرجاء، ومعنى (كفور) كثير الكفران للنعم، ومعنى (فرح) أي يبطر بالنعمة ويغتر بها، ومعنى (فخور) متعاظم على الناس.

فهذه صفات عامة للإنسان: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:١١] فهؤلاء الذين صبروا على ما أصابهم من الضراء، وشكروا الله بالعمل بالصالحات، يستثنون من أهل الصفات السابقة، وقد ورد بالأثر (الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر) ﴿أُولَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:١١].

فائدة: قصة هلاك قوم لوط عليه السلام

لما بشر الملائكة إبراهيم عليه السلام بالبشرى بالولد، وأخبروه أنهم مرسلون إلى قوم لوط عليه السلام ابن أخيه، أخذ إبراهيم عليه السلام يجادلهم في قوم لوط عليه السلام، مع أنه حليم راجع إلى الله تعالى، ولكنه شفيق رقيق القلب أواه منيب، قال الله تعالى: ﴿يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ آتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾

[هود:٧٦] ولما جاءت الملائكة إلى لوط عليه السلام ذهبت زوجته وأخبرت قومها، بأن لدى لوط ضيوفًا غلمانًا مردًا حسان الوجوه، وقد حصل من لوط عليه السلام الخوف من اعتداء قومه عليهم، وضاق بهؤلاء الضيوف ذرعًا ﴿وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ [هود:٧٧] وبعد علم قومه بهم جاؤوه يهرعون إليه طمعًا في الفاحشة، وكانوا من قبل لا يأتون إلى لوط عليه السلام، وإنما ﴿يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [لوط:٧٨] من إتيان الذكور وإتيان النساء في أدبارهن بدون حياء ولا خوف ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [لوط:٧٨] فتزوجوهن، وكانت شريعة لوط عليه السلام تجيز تزويج الكافر على قول، وقول آخر: (أسلموا وتزوجوا بناتي وبنات قومي) لأن لوطًا أب لهم، وأزواجه أمهاتهم، وهو أولى بالمؤمنين من أنفسهم ﴿هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ﴾ [لوط:٧٨] طهارة حسية ومعنوية، ونصحهم بأن يتقوا الله ولا يخزوه في ضيفه، فما كان جوابهم إلا أن قالوا: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩] قال: ﴿لَوۡ أَنَّ لِي بِكُمۡ قُوَّةً أَوۡ ءَاوِيٓ إِلَىٰ رُكۡنٖ شَدِيدٖ﴾ [هود:٨٠] أي آوي إلى الله وألتجيء به وأستعيذ به من شركم، فأخبره الضيوف بأنهم رسل ربه، وأنهم لن يصلوا إليه، وطلبوا منه أن يسري بأهله، وألا يلتفت منهم أحد إلا امرأته ﴿إِنَّهُۥ مُصِيبُهَا مَآ أَصَابَهُمۡۚ إِنَّ مَوۡعِدَهُمُ ٱلصُّبۡحُۚ أَلَيۡسَ ٱلصُّبۡحُ بِقَرِيبٖ﴾ [هود:٨١] فجاء العقاب على قوم لوط عليه السلام ﴿جَعَلۡنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ○ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ﴾ [هود:٨٢،٨٣] واسم القرية (سدوم) عدد سكانها أربعة آلاف نسمة، وقيل أكثر من ذلك، وكانت قرية إبراهيم عليه السلام لا تبعد عن قرية لوط عليه السلام أكثر من أربعة

فراسخ، وقيل: ثمانية أميال، والله أعلم.

فائدة: كلما زاد علم الإنسان بفضل الله عليه كلما زادت محبته له

في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ: «أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله» [الترمذي: ٣٧٨٩، والحاكم ٣/ ١٤٩، وضعفه الألباني] فمن نظر إلى منن الله وإحسانه وكرمه وجوده، وقبوله توبة التائبين، وفرحه بتوبة عباده أحبه أكثر من حبه لنفسه وأهله وماله والناس أجمعين، حبًا يجعله يعبده عبادة محب له، وكلما زاد علم الإنسان بفضل الله تعالى عليه، كلما زادت محبته له، فهو الذي أوجده من العدم، ووفقه للإسلام، واستعمل ملائكته بالاستغفار لأهل الأرض، واستعمل حملة عرشه ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَاتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ○ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ○ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [غافر: ٧-٩] فهو سبحانه ذو الإحسان والعطف والتحبب لعباده واللطف بهم، أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، وتعرف إليهم بأسمائه وصفاته وآلائه، ينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا فيقول: هل من سائل فأعطيه؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ وحتى الذين فعلوا أعظم الفواحش والكفر والظلم إذا تابوا يتوب الله عليهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠] فهو الكريم ذو النعم المتجددة في كل نفس من الأنفاس، وفي كل لحظة من اللحظات، لا أحد أعظم منه إحسانًا، ولا شيء

أكمل منه ولا أجمل، فكل كمال وجمال وإحسان في المخلوقين من آثار صنعه سبحانه وتعالى، لا يحد كماله، ولا يوصف جلاله، ولا يحصى الثناء عليه «لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك» [مسلم:٤٨٦ وغيره] فهو يود أولياءه ويودونه ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة:٥٤] فهو الودود الغفور الرحيم، ذو الجلال والإكرام والمجد والحمد، فسبحانه ما أكرمه، وسبحانه ما ألطفه، نحمده حمدًا يكافيء نعمه، ويوافي مزيده حمد الشاكرين المستغفرين التائبين، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه، ملء السموات وملء الأرضين وملء ما بينهما وملء ما هو خالق إلى يوم الدين.

فائدة: الغناء من لهو الحديث

من لهو الحديث الغناء، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ○ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [لقمان:٦،٧].

إن الاستماع إلى الأغاني والمزامير، واستبدالها عن القرآن الكريم، وسماع الباطل واللهو، واستبداله عن الكلام الحق المستقيم، سبب من أسباب العذاب الأليم، وكل كلام باطل فهو من لهو الحديث، والغناء من أشده، فهو سبب من أسباب النفاق، ودخول الشيطان في عروق الإنسان، وسكرة العقل، ولا تجتمع مع القرآن في قلب رجل واحد، وهو سبب الضلال والفتنة والزنا واللواط ونجاسة القلب والكذب والمسخ والخسف والمكر والفسق وسواد القلب وظلمة الوجه، وهو من مكايد الشيطان، وسبب العشق،

وولاية الشياطين، قال رسول الله ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير، والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جانب عَلَم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم لحاجة، فيقولون: ارجع إلينا غدًا، فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردةً وخنازير إلى يوم القيامة» [البخاري: ٥٥٩٠].

وفي آخر الزمان يستحل الغناء، كما قال رسول الله ﷺ: «ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير، والخمر والمعازف» [البخاري: ٥٥٩٠] وهو من اللغو الذي حذر الله تعالى منه ومن سماعه، ومدح من تركه وأعرض عنه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغۡوِ مَرُّواْ كِرَامٗا﴾ [الفرقان: ٧٢] وقال: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [القصص: ٥٥] وقال: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة: ٤٢] وقال: ﴿وَفِيكُمۡ سَمَّٰعُونَ لَهُمۡۗ﴾ [التوبة: ٤٧] فليحرص المسلم على أن يكون سماعه للقرآن والخير والمعروف دون الكذب واللغو والغناء وفاحش القول.

فائدة: فوائد من قصة الخضر مع موسى عليه السلام

من قصة الخضر مع موسى عليه السلام نستنبط الفوائد الآتية:

أهمية العلم، وحرص موسى عليه السلام على تعلمه والرحيل إليه، وأن التعلم أهم من التعليم، وأن من وسع الله عليه في الرزق يجعل له خادمًا يساعده، ومن الفوائد إخبار المرء عن مقصده في السفر، فذلك أكمل من كتمانه، وأن الشر يضاف إلى الشيطان، والخير من الله، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيۡطَٰنُ أَنۡ أَذۡكُرَهُۥۚ﴾ [الكهف: ٦٣] ومن الفوائد عدم التكبر على الخدم والأكل معهم، كما

فعل موسى عليه السلام إذ قال لخادمه: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾ [الكهف:٦٢].

ومن ذلك الأدب مع المعلم، ومخاطبته بالأسلوب الحسن، قال موسى عليه السلام للخضر: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦].

ومن الفوائد: أهمية الصبر، فهذا الخضر يقول لموسى عليه السلام: ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ○ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا﴾ [الكهف:٦٧،٦٨] ومن أهمية الصبر أنه لو صبر موسى عليه السلام لازددنا علمًا وخيرًا، ومن ذلك التأني وعدم العجلة، أو سؤال العالم قبل أن ينتهي، ولهذا اعتذر موسى عليه السلام لما استعجل في السؤال، فقال: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف:٧٣] ومن الفوائد: ارتكاب أخف الضررين، فالخضر خرق السفينة لمصلحة أهلها، وقتل الولد خوفًا أن يرهق أبويه طغيانًا وكفرًا، ومن الفوائد أن على المسلم أن يسند الخير إلى الله، قال الخضر: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [الكهف:٨٢] أما الشر فيسند إلى الشيطان أو إلى النفس، قال تعالى على لسان موسى عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ﴾ [الكهف:٦٣] وقال الخضر: ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف:٧٩] وقال: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف:٨٠] ومن الفوائد أن الله يعلِّم من يشاء من خلقه، فنسأله أن يزيدنا علمًا ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] ومن الفوائد أن الله يعين العبد على الطاعات، اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك.

فائدة: قوم لوط عليه السلام هم أول من بدأ بفاحشة اللواط

قال لوط عليه السلام لقومه: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِى نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ [العنكبوت:٢٨،٢٩] هذه الفعلة القبيحة (اللواط) معصية كبيرة بدأ بها قوم لوط، ولم يسبقهم بها أحد ﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت:٢٨] فهي فعلة فاحشة تشمئز منها الطباع السليمة، وتنفر منها النفوس الكريمة، ولا يقدم عليها إلا من طمس على قلبه وانتكس عن الصراط السوي، فقد كانوا يأتون الرجال، ويقطعون السبيل، ويفعلون هذه الفعلة القبيحة بمن يمر عليهم إكراهًا، ويعرضون عن الحرث الذي أباحه الله، وهو إتيان النساء الذي أحله الله، وكانوا يأتون ذلك جهارًا في ناديهم ومجالسهم التي يجتمعون فيها، لا يردعهم حياء من هذا المنكر، وكان بعضهم يرى بعضًا وهو يفعل هذه الفاحشة القبيحة يجاهر بها ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [العنكبوت:٢٩] وقد كان لوط عليه السلام وعدهم العذاب، فما تركوا فعلتهم، وفي سورة النمل قال الله تعالى: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَخْرِجُوٓا۟ ءَالَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ ۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل:٥٦] انظر كيف انتكست قلوبهم، فأصبح الحق باطلًا عندهم، والطهارة عيبًا، صدرت هاتان مقولتان منهم، فما كان من لوط عليه السلام إلا أن دعا ربه: ﴿رَبِّ ٱنصُرْنِى عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [العنكبوت:٣٠] ولما جاءت رسل الله إلى إبراهيم عليه السلام: ﴿بِٱلْبُشْرَىٰ﴾ [العنكبوت:٣١] أي بالبشارة بالولد قالوا لإبراهيم عليه

السلام: ﴿إِنَّا مُهْلِكُوٓاْ أَهْلِ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ﴾ [العنكبوت:٣١] قرية سدوم، وهي أكبر قرى قوم لوط عليه السلام: ﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُواْ ظَٰلِمِينَ﴾ [العنكبوت:٣١] أي أهلها الذين نشأوا فيها، أما لوط عليه السلام فليس من أهلها، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ [العنكبوت:٣٢] لكمال شفقته على ابن أخيه، قالوا: ﴿نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٢] ولما جاءت الملائكة حسان الوجوه إلى لوط عليه السلام: ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [العنكبوت:٣٣] خوفًا عليهم من قومه المعتدين ﴿وَقَالُواْ لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا ٱمْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ﴾ [العنكبوت:٣٣] فأنزل الله عليهم رجزًا من السماء ﴿بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ﴾ [العنكبوت:٣٤] فقلب عليهم الأرض، وأمطرهم بحجارة من نار، وترك ذلك آية بينة لقوم يعقلون، وهي آثار وخراب ديارهم والماء الأسود شديد الملوحة، فهل من معتبر.

فائدة: قبول شهادة أمة محمد ﷺ على غيرهم من أهل الملل

قال الله تعالى: ﴿فَٱسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِّنكُمْ﴾ [النساء:١٥] تدل هذه الآية على أن نصاب الشهادة على الفاحشة أربعة، وعلى أن الشهداء بها على نساء المسلمين من المسلمين أنفسهم، لا من الكفار، ولا تقبل شهادة الكفار على المسلمين، أما شهادة بعضهم على بعض ففيه قولان، والصحيح قبولها، أما شهادة المسلمين على غيرهم من أهل الملل فتقبل، لقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣] وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «يدعى نوح

يوم القيامة، فيقال له: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيدعى قومه فيقال: هل بلغكم؟ فيقولون: ما جاءنا من بشير ولا نذير، فيقال لنوح: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته، فيؤتى بكم فتشهدون أنه بلغ» [البخاري: ٣٣٣٩، ٤٤٨٧، ٧٣٤٩].

وقد جاء في الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه في شهادة المسلمين على الجنازتين، حيث أثنوا خيرًا على واحدة، وعلى الأخرى شرًا، فقال رسول الله ﷺ: «أنتم شهداء الله في أرضه» [البخاري: ١٣٦٧، ٢٦٤٢، ومسلم: ٩٤٩] فأهل السنة والجماعة السلفيون الذين لم يشوهوا الدين، ولم يحرفوا ولم يؤولوا مالا يؤول، ولم ينتحلوا ولم يبتدعوا، فمقبولة شهادتهم على أهل البدع والفرق المنحرفة، كالخوارج والروافض وأهل الأهواء، لقول الرسول ﷺ: «يحمل هذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين» [البيهقي في السنن ١٠/ ٢٠٩، وكذا الخطيب في شرف أصحاب الحديث ٢/ ٣٥، ونقل الألباني في مشكاة المصابيح ١/ ١٦٣، حديث: ٢٣٩ عن الإمام أحمد تصحيحه].

أما شهادة أهل الذمة بعضهم على بعض فجائزة، ولا تجوز على المسلمين، إلا في الضرورة كالوصية في السفر، لأنه موضع ضرورة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَٰدَةُ بَيۡنِكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ حِينَ ٱلۡوَصِيَّةِ ٱثۡنَانِ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ أَوۡ ءَاخَرَانِ مِنۡ غَيۡرِكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٦].

فائدة: فوائد من قصص داود وسليمان عليهما السلام

في قصص داود وسليمان عليهما السلام فوائد كثيرة، منها أن الله جعل داود عليه السلام خليفة في الأرض، وأمره أن يحكم بين الناس

بالحق، ولا يتبع الهوى، فإن من اتبع الهوى أضله الله عن سبيله، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] ومنها ثناء الله تعالى على سليمان عليه السلام: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص:٣٠] وقد كانا عليهما السلام يتفقدان أحوال أمتهم ويحكمان بالعدل، وقد أعطاهما الله النبوة والملك، وعلّم داود عليه السلام الحكمة وفصل الخطاب والقوة وحسن الصوت والعبادة، إذ كان يقوم ثلث الليل، ويصوم يومًا ويفطر يومًا، وآلان له الحديد، وامتحن ونجح واستغفر وخر راكعًا وأناب، وغفر الله له، وغير ذلك من المزايا، وورثه سليمان عليه السلام فأعطاه الله النبوة، وعلمه مالم يكن يعلم، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء حيث أصاب، والشياطين كل بناء وغواص، وآخرين مقرنين في الأصفاد، وسخر له جنود الإنس والجن والطير، وسمع صوت النملة، فشكر الله على ذلك كله، فقال: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩] وفي قصته مع الهدهد، وملكة سبأ، وإحضار عرشها قبل أن يرتد طرفه، وقوله: ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل:٤٠] وفي إسلام الملكة بعدما شاهدت قوة سليمان عليه السلام حيث قالت: ﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [النمل:٤٤] وقصته مع جنوده من الجن الذين أخذوا يعلّمون الناس السحر، فأخذها سليمان عليه السلام منهم ودفنها، ثم استخرجوها بعد دفنه، ليغووا بها الناس، وفي ابتلاء الله

له حيث ألقى على كرسيه جسدًا، وعرف أن هذا ابتلاء فاستغفر ربه ثم أناب، وقصته مع أبيه إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم، ففهم الله سليمان عليه السلام الحكم، وفاق في العلم أباه في هذه المسألة، في هذه القصص تثبيت لقلب نبينا محمد ﷺ، ومدح لداود وسليمان عليهما السلام حيث جمعا بين القوتين: الروحية والمادية، وكثرة التسبيح والعبادة والصبر، حتى أن الجبال والطيور تسبح مع داود عليه السلام، وفيها بيان حلم سليمان عليه السلام إذ لم يغضب على الخصمين اللذين تسورا المحراب، وأن على الحاكم أن لا يحكم حتى يستمع إلى الخصمين معًا، ومنة الله على داود عليه السلام بأن رزقه الابن الصالح سليمان عليه السلام، ومن الفوائد أن الداعية عليه أن يقدم أمور الآخرة على أمور الدنيا، وأن لا تشغله عن طاعة الله، ومن ترك شيئًا ابتغاء مرضاة الله عوضه الله خيرًا منها.

فائدة: ما يتقى به شر الحاسد

قال الله تعالى: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ [الفلق:٥] هناك أمور تقي المسلم من شر الحاسد.

الأمر الأول: الاستعاذة بالله من شر الحاسد إذا حسد، قال تعالى: ﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [غافر:٥٦].

الأمر الثاني: تقوى الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران:١٢٠].

الأمر الثالث: التوكل على الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥ﴾ [الطلاق:٣].

الأمر الرابع: حفظ الله وحفظ محارمه، فمن حفظ الله حفظه،

قال رسول الله ﷺ: «احفظ الله يحفظك» [الترمذي: ٢٥١٦، والحاكم ٣/ ٥٤١، وأحمد ١/ ٢٩٣، ٣٠٧، وصححه الألباني].

الأمر الخامس: عدم التفكير في حسد الحاسد والخوف منه، فمن خاف من شيء ربما يضره ذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ﴾ [النحل: ١٠٠].

الأمر السادس: الصدقة، فإنها تطفىء الخطيئة، وتمنع البلاء والعين والحسد والأذى.

الأمر السابع: التوبة من الذنوب، فإن كل ما أصاب المسلم من شيء فهو بسبب نفسه، قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

الأمر الثامن: الدعاء وقراءة المعوذات وآية الكرسي وآخر سورة البقرة وغيرها من الأدعية.

الأمر التاسع: إطفاء حسد الحاسد بالإحسان إليه، قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

الأمر العاشر: توحيد الله تعالى، والبعد عن الشرك بأنواعه، قال تعالى: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ﴾ [يونس: ١٠٧].

فيجب على المرء المسلم أن يعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوه بشيء لم ينفعوه إلا بشيء قد كتبه الله له، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يضروه إلا بشيء قد كتبه الله عليه.

الأمر الحادي عشر: شكر الله تعالى، فإن الشكر سبب لبقاء النعمة، والله يزيد الشاكرين.

فائدة: الكوثر من أنهار الجنة

من أنهار الجنة الكوثر الذي قال الله تعالى فيه: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر:١-٣].

وقال رسول الله ﷺ: «أعطيت الكوثر، فإذا هو نهر يجري [ولم يشق شقًّا] وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى تربته، فإذا مسكة ذَفِرة، وإذا حصباه اللؤلؤ» [أحمد ٣/ ١٥٢، وأبو يعلى:٣٢٩٠، وقال محققو المسند: صحيح على شرط مسلم] وسئل ﷺ عن الكوثر فقال: «هو نهر أعطانيه ربي في الجنة، هو أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» قال عمر: يارسول الله إنها لناعمة، قال: «آكلها أنعم منها ياعمر» [النسائي في الكبرى:١١٧٠٣، واللفظ له، وأحمد ٣/ ٢٢٠ قال محققو المسند: إسناده صحيح].

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: (أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض، إحدى حافتيها اللؤلؤ، والأخرى الياقوت، وطينها المسك الأذفر) وروي هذا مرفوعًا إلى رسول الله ﷺ، وعن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أنزل الله من الجنة خمسة أنهار: سيحون، وهو نهر الهند، وجيحون، وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات، وهما نهرا العراق، والنيل، وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة، من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل عليه السلام، فاستودعها الجبال، وأجراها في الأرض، وجعل فيها منافع للناس

في أصناف معايشهم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨] [ابن حبان في المجروحين ٣/ ٣٤، ٣٥، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ١/ ٥٧، ٥٨ قال ابن عدي: وهذا حديث غير محفوظ، بل منكر المتن] وقال الرسول ﷺ: «إن في الجنة: بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد» [الترمذي:٢٥٧١ والهيثمي في موارد الظمآن:٢٦٢٣، وصححه الألباني] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركها في الدنيا، ومن سره أن يكسوه الله الحرير في الآخرة، فليتركه في الدنيا» [الطبراني في الأوسط:٨٨٧٩، وهو حسن بشواهده، قال الهيثمي ٥/ ٧٦: رواه الطبراني في الأوسط عن شيخه المقدام بن داود، وهو ضعيف، وبقية رجاله ثقات].

فائدة: الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات:١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات:٢] وقال: ﴿لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾ [النور:٦٢] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[الحجرات:٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾ [الحجرات:٣] ومن هذه الآيات تبين الفوائد العظيمة والآداب مع رسول الله ﷺ، فلا يتقدم المرء بين يديه بأمر ولا نهي، ولا إذن ولا تصرف، ولا فتوى، ولا رفع صوت، ولا رأي ولا دعاء، قال تعالى: ﴿وَإِذَا كَانُواْ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمۡرٖ جَامِعٖ لَّمۡ يَذۡهَبُواْ حَتَّىٰ يَسۡتَـٔۡذِنُوهُۚ﴾ [النور:٦٢].

ومن الفوائد عدم رفع الصوت عنده ووجوب غضه، قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لما تقدم للصلاة بغياب الرسول ﷺ: (ما كان ينبغي لابن أبي قحافة أن يتقدم بين يدي رسول الله ﷺ) فلا يجوز أن يقول أحد حتى يقول الرسول ﷺ، ولا يأمر حتى يأمر، ولا يقطع أمرًا حتى يكون الرسول هو الذي يحكم ويمضي، ولا يجوز أن يقول أحد شيئًا خلاف قوله، ولا يتكلم بين يديه بكلام، ولا يعجل بقول أو فعل قبل أن يسمع قوله في أي مسألة، فإن ذلك سبب من أسباب حبوط الأعمال، فمن قدم رأي أحد من الخلق، أو عقل شخص، أو ذوقه، أو سياسته، أو معرفته، على رسول الله ﷺ، فهو أولى بحبوط العمل ممن رفع صوته عنده، ولا يكون العمل مقبولًا حتى تتوفر فيه المتابعة للرسول ﷺ، ومن أحدث عملًا ليس عليه أمر الرسول ﷺ فقد ابتدع في دين الله «وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار» [مسلم:٨٦٧ وابن ماجه:٤٦، وأبو داود:٤٦٠٧، وأحمد ٤/ ١٢٨،٤٢٧ كلهم (الجملة الأولى) والنسائي:١٥٧٨ بتمامه] قال رسول الله ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» [البخاري:٢٦٩٧، ومسلم:١٧١٨].

فائدة: من دلائل التوحيد

من الأدلة على توحيد الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة:١٦٤].

فائدة: نعمة الإسلام

قال الله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ﴾ [الفاتحة:٧] هذه هي النعمة العظيمة نعمة الإسلام، فالحمد لله الذي أنعم علينا بأن جعلنا مسلمين، فالإسلام رحمة وإحسان من الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ [الأعراف:٤٣] وقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١٧] فهو شفاء القلوب، ودواؤها وغذاؤها وزينة الدنيا والآخرة، والظاهر والباطن، والقلب والبدن، وهو السرور والفرح والإنس والبهجة والنعيم وقرة العيون، فنعمة الدين أعظم من نعمة الصحة والمال والطعام واللباس والشراب، وأجل من نعم الشمس والقمر والمطر والنبات، فهو النعمة المسداة، ولو سجد الإنسان طوال حياته شكرًا لله تعالى على هذه النعمة لَمَا أدى حقها، فكم من ضال ومغضوب عليه ومخذول وجاهل في هذه الأرض، وهذه النعمة بفضل الله: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس:٥٨] ولولا الله تعالى أنقذ البشرية بالإسلام وببعثة رسول الأنام ﷺ لهلكت، ولما عرفوا معروفًا ولا أنكروا منكرًا، ولعاشوا في ظلمات الجهل والكفر والظلم والشرك والفساد كالبهائم،

بل أضل سبيلًا، ففي الإسلام صار الإنسان كريمًا على الله، وأدخله الجنة، وأعاذه من النار، وبالإسلام حصلت له السعادة في الدارين، ووقاه من الجحيم، فما أحسن أوامر الإسلام وأزكاها، لا يصلح الإنسان إلا بها، فهي الكمال والتمام والحكمة والمصلحة، ما من خير إلا دلت الشريعة الإسلامية عليه، ولا شر إلا حذرت منه، ولا مفسدة إلا نهت عنها، قال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ○ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة:٧،٨] فلا يتم عقله إلا بالإسلام، ولا يدخل جنة الدنيا وأنهار سرورها إلا بالتمسك به، ولا يدخل جنة الآخرة ونعيمها إلا بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ، ففي الإسلام السعادة الأبدية والكمال الحسي والمعنوي، وصلاح الروح والبدن، فالحمد لله الذي وفقنا إليه، وجعلنا مسلمين، ونسأله أن يحيينا عليه ويميتنا عليه، ويجعل آخر كلمة نقولها في هذه الحياة لا إله إلا الله، محمد رسول الله ﷺ ويختم لنا بخير، ويجعل خير أعمالنا خواتمها وخير أيامنا يوم لقائه، وخير أعمارنا أواخرها، إنه سميع مجيب الدعوات.

فائدة: فضل العشر من ذي الحجة

قال الله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ○ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ○ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ○ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ○ هَلْ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ﴾ [الفجر:١-٥] .

قيل: إن الفجر هو فجر ليالي العشر الذي قال الرسول ﷺ فيها: «ما من أيام العمل الصالح فيهن أحب إلى الله من الأيام العشر» قيل: يارسول الله ولا الجهاد في سبيل الله؟ قال: «ولا الجهاد في سبيل الله، إلا رجل خرج بنفسه وماله، ولم يرجع من ذلك بشيء»

[البخاري:٩٦٩] وقيل: صلاة الصبح، حيث أقسم بأول الصلوات، وأقسم بآخر الصلوات، فقال: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾ [الفجر:٤] وقيل: فجر يوم النحر الذي يأتي بعد ليلة عرفة، قال الرسول ﷺ فيه: «أفضل الأيام عند الله يوم النحر» [الهيثمي في موارد الظمآن:١٠٤٤] وهو يوم الحج الأكبر.

أما الشفع والوتر فهذه الشعائر، منها وتر ومنها شفع، فالصفا والمروة شفع، والبيت وتر، والجمرات وتر، وعرفة وتر، والطواف وتر، وركعتاه شفع، والسعي وتر، ورمي الجمار وتر، وصلاة الليل توتر بواحدة، وآدم عليه السلام وتر، وشفع بزوجته حواء، والله وتر، يحب الوتر، وعدد ركعات صلاة النهار وتر، سبع عشرة ركعة في خمس صلوات، وخلق الله من كل زوجين اثنين شفعًا، فالمخلوقات شفع، قال الله تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَا زَوۡجَيۡنِ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] أي تذكرون أن الله وتر واحد أحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، والأعداد منها شفع، ومنها وتر، والأيام كلها شفع، لأن لها ليالي، إلا يوم القيامة فإنه وتر، لأنه لا ليل بعده، فسبحان خالق الشفع والوتر، قال تعالى: ﴿وَٱلشَّفۡعِ وَٱلۡوَتۡرِ ○ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ ○ هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾ [الفجر:٣-٥].

فائدة: الاستخفاف والاستهزاء بالدين وأهله كفر

الاستهزاء بالله أو بالرسول ﷺ أو بالدين وأهله، كفر، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ○ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ [التوبة:٦٥،٦٦].

ومن يدعو غير الله من الأموات، ويستخف بأهل التوحيد، فهو

مشرك، قال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا﴾ [الفرقان:٤١].

ومن يستهزأ بمن يدعو إلى التوحيد والعقيدة الصحيحة، ويصفه بالضلال والسفه والجنون، سببه ما في قلبه من الشرك، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥] ومن أحب مخلوقًا مثل حبه لله فهو مشرك ضال، ومن يستغيث بأصحاب القبور، ويرى أن دعاء القبر للتوسط عند الله، ويبتغي عند الأموات الوسيلة والقربى من الله، فهو مشرك، قال تعالى عن المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر:٣] ومن يوقف الأوقات للشرك ودعاء غير الله وللقبور التي تعبد من دون الله، ويفضل ما يوقف لغير الله على الوقف لله، فهو داخل في المشركين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ الآية [الأنعام:١٣٦].

إن الموحد هو الذي يخشع لله، ويبكي عند دعاء ربه، أما من يخشع لأهل القبور أكثر من خشيته من الله، ويتضرع عندها، فحاله مشابهة لحال المشركين لا الموحدين.

ومن يخشع عند سماع الأشعار والأبيات والأغاني، ولا يخشع عند سماع القرآن، ففيه شبه من أولئك.

ومن إذا نزلت به مصيبة ذهب إلى شيخه، أو إلى القبر، وخاف من الولي أكثر من خوفه من الله، فهو مخالف لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا﴾ [البقرة:٢٠٠] فهؤلاء يفضلون الأموات ويعزونهم ويوقرونهم أشد من الله تعالى، قال تعالى عن شعيب عليه السلام: ﴿يَٰقَوْمِ أَرَهْطِى أَعَزُّ

عَلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [هود:٩٢] وقال: ﴿لَأَنتُمۡ أَشَدُّ رَهۡبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر:١٣].

فائدة: أهمية البداءة بالبسملة أو الحمدلة في كل أمر ذي بال

﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة:١] آية من آيات القرآن الحكيم في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠] أخرج ابن أبي حاتم عن يزيد بن رومان أنه قال: كتب سليمان عليه السلام بسم الله الرحمن الرحيم من سليمان بن داود إلى بلقيس ابنة ذي شرح وقومها: أن لا تعلوا علي وائتوني مسلمين. وكان نبينا محمد ﷺ يكتب البسملة في أول كتبه، وكان أهل الجاهلية يكتبون (باسمك اللهم) قيل: كان ﷺ يكتب بها أول الأمر حتى نزلت ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ مَجۡرِىٰهَا وَمُرۡسَىٰهَآۚ﴾ [هود:٤١] فكتب بسم الله: ثم نزلت: ﴿ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء:١١٠] فكتب بسم الله الرحمن، ثم نزلت آية النمل ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل:٣٠] فكتب بسم الله الرحمن الرحيم، أخرج ذلك عبدالرزاق وابن المنذر وغيرهما عن الشعبي، وكانت أول آية نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق:١] لهذا ينبغي أن يبدأ بالبسملة في الرسائل، وفي كل أمر ذي بال.

فائدة: ضرب الله أمثلة للناس بجملة من مخلوقاته

يضرب الله أمثلة للناس في كتابه العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ

وَٱلْمَطْلُوبُ ○ مَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الحج:٧٣، ٧٤] وقال: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت:٤١] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ○ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَا ۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ○ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ ٱجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ ٱلْأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ ○ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم:٢٤-٢٧] وقال: ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ۖ هَلْ يَسْتَوُۥنَ ۚ﴾ [النحل:٧٥] وقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:٧٦] وقال: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ الآية [الروم:٢٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ○ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [البقرة:٢٦، ٢٧] فهو سبحانه يضرب هذه الأمثلة، فلا يستحيي من الحق، يضرب بالذباب والبعوضة والعنكبوت، والعبد المملوك الذي لا يقدر على شيء،

ومن رزقه الله رزقًا حسنًا فهو ينفق منه سرًا وجهرًا، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبالأبكم الكل على مولاه، وبالشجرة الطيبة والخبيثة، فهو لا يستصغر شيئًا يضرب به مثلًا، مهما كانت حقارته وصغره، وبهذه الأمثال ﴿يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة:٢٦] قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد:١٩] وقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩] فسبحانه من خالق عليم.

فائدة: أهمية الصبر في الدين

الصبر على المصائب، وعلى طاعة الله، والصبر عن معاصيه من عزم الأمور، قال تعالى: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى:٤٣] ومن وصية لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧] وقد وعد الله الصابرين بالنصر والحسنى، قال سبحانه: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟ ۖ﴾ [الأعراف:١٣٧] وجعل الله محبته للصابرين، فقال: ﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِىٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦] والصابرون هم أهل الخير وأهل الحظ العظيم والثواب الجزيل، قال تعالى: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ [فصلت:٣٥] وقال: ﴿وَيْلَكُمْ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ۚ وَلَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ [القصص:٨٠] وهم الذين يستفيدون من آيات الله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ

فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥] وقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِي ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ○ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [الشورى:٣٢،٣٣] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان:٣١] والصبر واليقين سببان للإمامة في الدين، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤] وهو نصف الدين، والنصف الثاني الشكر، فالدين صبر وشكر، ومن صبر نصره الله في الدنيا والآخرة، وصارت له العاقبة الحسنة، والصابرون أهل الفلاح، وغيرهم أهل الخسران، قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ○ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِي خُسْرٍ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

فائدة: قصة هاروت وماروت

قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [البقرة:١٠٢] وقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ [البقرة:١٠٢].

روى ابن جرير بإسناده من طريق العوفي عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ﴾ الآية، قال: أنزل الله عليهما السحر، وكان اليهود يزعمون أن الله أنزل السحر على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود عليهما السلام، فأكذبهم الله بذلك، وأخبر نبيه محمدًا ﷺ أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر،

وبرأ سليمان عليه السلام مما نسبوه إليه، وأخبر أن السحر من عمل الشياطين، وأنها هي التي تعلم الناس السحر ببابل في إقليم العراق، وتعلم السحر كفر، قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ [البقرة:١٠٢] فإذا أتى هاروتَ وماروتَ أحد يريد السحر، نهياه عن ذلك، وقالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فإذا امتنع أمراه أن يأتي مكان كذا، فإذا أتاه عاين الشيطان فعلمه السحر، وكان الملكان يعلمان الناس أن هذا بلاء ابتليا به، ويطلبان من الذي يأتي إليهما أن لا يكفر، ويعظانه عن السحر، ولا يجترأ على السحر إلا كافر، قال رسول الله ﷺ: «من أتى كاهنًا أو ساحرًا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ» [البيهقي ٨/ ١٣٥، ١٣٦، ١٣٨، والحاكم ١/ ٨، وأحمد ٤/ ٦٨] ومن السحر ما يفرق به بين المرء وزوجه، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما عن النبي ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء، ثم يبعث سراياه، فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، ثم يجيء أحدهم فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين أهله، قال: فيدنيه منه ويقول: نعم أنت» [مسلم:٢٨١٣، وأحمد ٣/ ٣١٤] هذا قول، وقيل: إن قوله تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة:١٠٢] أن الملكين هما اللذان يعلِّمان هذا بعدما يعظانه ويقولان له: ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ والله أعلم.

فائدة: السابقون الأولون رضي الله عنهم

قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ

ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ﴾ [التوبة:١٠٠] في هذه الآية دليل على بطلان من يقدح بالصحابة والمهاجرين والأنصار، وأهل السنة والجماعة الذين رضي الله عنهم، واتبعوهم بإحسان، وأن من اتبعهم بإحسان يدخل معهم بفضل الله تعالى ورحمته، والمراد: اتبعوهم بكل خصلة حسنة، واقتدوا بهم في القول والعمل، ومن لازمِ ذلك محبتُهم وعدم ذكرهم بسوء، وكل عمل خير سبق إليه السابقون من المهاجرين والأنصار فلهم أجر من تبعهم بإحسان إلى يوم القيامة، لأن من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة، ودليل هذا الآيةُ التي في أول سورة الجمعة: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنۡهُمۡ لَمَّا يَلۡحَقُواْ بِهِمۡۚ﴾ [الجمعة:٣] وفي سورة الحشر ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠] قال رسول الله ﷺ: «آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار» [البخاري:٣٧٨٤، ومسلم:٧٤] وقال: «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار» [البخاري:٣٧٧٩] ومحبة المهاجرين الذين تركوا أموالهم، وأخرجوا من ديارهم، وجاهدوا مع رسول الله ﷺ، واجبة، فمن أبغض أحدًا من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان فقد عرض نفسه للعقوبة والنفاق، بدليل قول الله تعالى بعد هذه الآيات ﴿وَمِمَّنۡ حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡأَعۡرَابِ مُنَٰفِقُونَۖ وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡمَدِينَةِۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعۡلَمُهُمۡۖ نَحۡنُ نَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [التوبة:١٠١] وقوله في سورة الحشر بعد الثناء على المهاجرين والأنصار ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُواْ﴾ [الحشر:١١] ومن هؤلاء وغيرهم من يسب الصحابة الكرام من الفرق الضالة، يقول سماحة الشيخ

عبدالعزيز بن باز رحمه الله عنهم: (يعاملون معاملة المنافقين) ومن تاب من هؤلاء تاب الله عليه، فباب التوبة مفتوح، قال الله تعالى: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ○ خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ○ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة:١٠٢-١٠٤] أما الذين يحبون المهاجرين والأنصار، ولكنهم خلطوا عملًا صالحًا وآخر سيئًا، فيقول الله في حقهم بعد هذه الآيات: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة:١٠٢] وعسى من الله تعالى لتحقق توبة الله لهم ما داموا على منهج السلف الصالح، ويحبون الله ورسوله ﷺ والمهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، ومن هذه الآيات نعرف أهمية المنهج السلفي الصحيح.

فائدة: ما يعصم به العبد من الشيطان

يعتصم العبد من الشيطان - بعد إعانة الله له - بأمور، منها:

الأمر الأول: الاستعاذة بالله من الشيطان، قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت:٣٦].

الأمر الثاني: قراءة سورتي الفلق والناس، قال ﷺ: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما» [مسلم:٨١٤، والنسائي: ٥٤٣٨].

الأمر الثالث: قراءة آية الكرسي، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتى آت فجعل يحثو

من الطعام، فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ إلى آخر الحديث، الذي فيه أن الشيطان قال له: إذا آويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنه لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فقال النبي ﷺ «صدقك وهو كذوب» [البخاري: ٣٢٧٥].

الأمر الرابع: قراءة سورة البقرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة» [مسلم: ٧٨٠].

الأمر الخامس: قراءة خاتمة سورة البقرة، عن أبي موسى الأنصاري رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه» [البخاري: ٥٠٥١، ومسلم: ٨٠٨].

الأمر السادس: قول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» مائة مرة، لما ثبت في [الصحيحين: البخاري: ٣٢٩٣، ومسلم: ٢٦٩١] أنها حرز من الشيطان يومه حتى يمسي.

الأمر السابع: قراءة أول سورة حم (غافر) إلى قوله: ﴿إليه المصير﴾ [غافر: ١-٣] لما روي أنها حرز من الشيطان. [الترمذي: ٢٨٧٩، وضعفه الألباني].

الأمر الثامن: كثرة الذكر، لما ثبت أن مثل الذاكر كمثل رجل خرج العدو في أثره سراعًا، حتى أتى على حصن حصين فأحرز نفسه منهم.

الأمر التاسع: الوضوء والصلاة، روي عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إن الشيطان خلق من نار، وإنما تطفأ النار بالماء» [أبو

داود: ٤٧٨٤، وأحمد ٤/ ٢٢٦ وضعفه الألباني] وروى الترمذي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «ألا وإن الغضب جمرة في قلب ابن آدم، أما رأيتم إلى حُمرة عينيه وانتفاخ أوداجه؟ فمن أحس بشئ من ذلك فليلصق بالأرض» [الترمذي٢١٩١، وأحمد ٣/ ١٩، ٦١، وضعفه الألباني].

الأمر العاشر: إمساك فضول النظر والكلام والطعام والمخالطة، فالنظرة سهم من سهام إبليس، وكثرة الكلام تفتح أبواب الشر والمعاصي، وكثرة الأكل سبب من أسباب الشر، وكثرة المخالطة ضياع للنفس.

فائدة: إخلاص العمل لله تعالى شرط من شروط قبول العبادة

الإخلاص لله تعالى شرط من شروط قبول العبادة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥] وقال: ﴿فَٱعۡبُدِ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر: ٢] وقال: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحۡيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ○ لَا شَرِيكَ لَهُۥۖ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]وكل عمل لم يرد به وجه الله مردود على صاحبه، قال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

ومن عمل عملًا صالحًا أراد به وجه الله ازداد خيرًا، وارتفع عند الله درجة، ومن قاتل في سبيل الله يطلب من الناس الثناء، أو قرأ القرآن ليقال: قارئ، أو تصدق ليقال: كريم، فهو أول من تسعر بهم النار، وفي الحديث الصحيح عن الله تعالى يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملًا أشرك فيه معه غيري تركته وشركه»

[مسلم:٢٩٨٥] فالنية روح العبادة، وهي تختلف بين شخص وآخر، وكما أن النية الخالصة شرط في قبول العمل، فالمتابعة للنبي ﷺ وعدم الابتداع شرط ثانٍ لقبول العمل، فلا يقبل أي عمل مبتدع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠] اللهم اجعل أعمالنا صالحةً خالصةً لوجهك الكريم، ولا تجعل لأحد فيه شيئًا، إنك حميد مجيب الدعوات.

فائدة: الإسراء والمعراج

لقد أسري رسول الله محمد ﷺ بجسده من المسجد الحرام إلى بيت المقدس راكبًا هو وجبريل عليه السلام على براق، وصلى في بيت المقدس، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فاستفتح له جبريل عليه السلام ففتح له، فرأى آدم عليه السلام، وسلم عليه، فرد عليه السلام ورحب به، وأقر بنبوته، ورأى أرواح السعداء عن يمينه، وأرواح الأشقياء عن يساره، ثم عرج به إلى السماء الثانية، فرأى يحيى بن زكريا وعيسى ابن مريم عليهم السلام وسلم عليهما، وردا عليه السلام، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فرأى يوسف عليه السلام فسلم عليه، ورد عليه السلام، ثم عرج به إلى السماء الرابعة، فرأى إدريس عليه السلام، فسلم عليه، ورد عليه السلام، ثم عرج به إلى السماء الخامسة، فرأى هارون بن عمران عليه السلام، فسلم عليه، ورد عليه السلام، ثم عرج به إلى السماء السادسة، فلقي موسى بن عمران عليه السلام فسلم عليه، ورد عليه السلام، ثم عرج به إلى السماء السابعة، فلقي إبراهيم عليه السلام، فسلم عليه فرد عليه

السلام، ثم رفع إلى سدرة المنتهى، ورأى البيت المعمور، ثم عرج به إلى الجبار جل جلاله، فأوحى إليه وفرض عليه الصلاة، وكان كل نبي يمر عليه يرحب به ويقر بنبوته، ورأى نور ربه، ورأى جبريل عليه السلام على صورته التي خلقه الله عليها، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ○ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم:١٣، ١٤] ورأى الجنة والنار ،وفرضت على رسولنا ﷺ الصلاة، من خمسين إلى خمس صلوات في اليوم والليلة، سألت عائشة رسول الله ﷺ هل رأيت ربك؟ قال: «نور أنَّى أراه» [مسلم:١٧٨] أما رؤياه لجبريل عليه السلام فقد ورد في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رأى جبريل عليه السلام له ستمائة جناح مرتين: مرة في الأرض، ومرة عند سدرة المنتهى، وقد صح عنه ﷺ أنه رآى ربه، وكان ذلك في المنام، لما احتبس عن الصحابة في صلاة الصبح، رواه أحمد، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية مثل ذلك، ويروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رآه بفؤاده مرتين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ○ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ○ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ○ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ○ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ○ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم:١٣-١٨] والله أعلم.

فائدة: أكرم الناس عند الله أتقاهم لله تعالى

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣] وقال: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِى هَٰذَا﴾ [الحج:٧٨] فمن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم، وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، ولا فضل لعربي على عجمي، ولا أبيض على أسود، إلا بالتقوى، ولا

يجوز أن يمتحن الناس بأسماء ليست من الدين، فأكرم الناس عند الله أتقاهم، ولا يجوز عقد الموالاة إلا باسم الإسلام، ولا اتخاذ رسم دون رسم الإسلام، فالإنسانية واحدة، يفضل بعضهم على بعض بالتقوى والعمل والعلم، لا بالشكل والنسب، وما أخر العرب إلا تفاخرهم بالأنساب والأجداد ونسيانهم العمل، فالناس من آدم، وآدم من تراب، ولما قال المهاجرون: يالله للمهاجرين، وقال الأنصار: ياللأنصار، أنكر عليهم الرسول ﷺ فقال: «أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم، دعوها فإنها منتنة» [البخاري:٣٥١٨، ٤٩٠٥، ومسلم:٢٥٨٤] فلا تعصب في الإسلام للمذاهب ولا للطوائف ولا للمشايخ، فكل ذلك نقص في عقيدة المسلم، ولما قال أبو ذر رضي الله عنه لرجل: يا ابن السوداء، غضب رسول الله ﷺ وجمع الناس، وقال لأبي ذر: «إنك امرؤ فيك جاهلية» [البخاري:٣٠، ٦٠٥٠، ومسلم:١٦٦١] ومن أيقظ هذه الفتنة فهو ملعون «الفتنة راقدة، لعن الله من أيقظها» [الرافعي، وقال الألباني في ضعيف الجامع:٤٠٢٤ ضعيف] قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة:١١] وقال: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ○ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد:١، ٢].

قال الله تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ○ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ○ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ○ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ○ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل:١٧-٢١].

المتقي لله تعالى ينبغي أن لا يترك لأحد عليه نعمةً تستحق الجزاء، وإذا أنعم عليه أحد بنعمة فليبادر إلى جزائها بمثلها أو أحسن منها، لتكون النعم التي يرفل بها، من الله ولله وحده، ولتتحقق

عبوديته الكاملة، وتوحيده لله وحده لا شريك له، ومن هؤلاء أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي أحسن في الإسلام وللمسلمين، لا يرجو من وراء ذلك إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى، فوعده الله تعالى بالرضا عنه، وأعظم النعم النعمة التي جاء بها ربنا، وبلغها رسولنا محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه: نعمة الإسلام، فلا يمكن للمنعَم بها أن يجزيها، فهي النعمة العظمى، فالحمد لله على نعمة الإسلام، ونسأله أن يحيينا عليه ويميتنا عليه، أما نعم المخلوقين ومننهم فيمكن جزاؤها، وينبغي ذلك، حتى يتحقق توحيد العبد لله تعالى، وأن تكون النعم له سبحانه وحده، وهذا من كمال الإخلاص أن لا يكون للعبد عليه منة لأحد من الناس، وتكون معاملته لله ابتغاء وجهه الكريم وحده.

وقد أقسم الله تعالى بالضحى والليل إذا سجى على إنعامه على رسوله ﷺ، وإكرامه وإرضائه وتصديقه، وأنه لم يودعه ولم يتركه، كما أن من نعم الله على عباده أنه لم يتركهم سدى، ولم يدعهم هملًا، بل أنزل عليهم النور المبين والوحي والخير العميم، وأرسل لهم رسوله الكريم الذي تركهم على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، وأنه سبحانه سوف يعطي رسوله ما يرضيه ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى:٥] فقد وجده يتيمًا فآواه، وضالًا فهداه، وعائلًا فأغناه، وشرح له صدره، ووضع عنه وزره، الذي أنقض ظهره، ورفع ذكره، ويسره لليسرى، وجنبه العسرى، وأمره أن لا يقهر اليتيم، وأن لا ينهر السائل، وأن يحدث بنعمة الله عليه: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ○ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ○ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ

فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ٩-١١] فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: فوائد مستنبطة من غزوة أحد

الفوائد المستنبطة من غزوة أُحد، هذه خلاصتها:

١- إذا شرع بالجهاد لا يجوز الرجوع عنه.

٢- جواز سلوك الإمام بالعسكر في بعض أملاك رعيته.

٣- من لا يطيق القتال لا يأذن له الإمام فيه كالأطفال.

٤- جواز مشاركة النساء في الغزو.

٥- جواز الانغماس في العدو.

٦- جواز الصلاة للإمام قاعدًا لحاجة، ويصلي المأمومون كذلك.

٧- يجوز للمرء أن يسأل الله أن يقتل في سبيله.

٨- إذا قتل المسلم نفسه فهو في النار.

٩- لا يغسل الشهيد بالمعركة، ولا يصلى عليه، ويكفن في ثيابه، إلا إذا كان جنبًا.

١٠- يدفن الشهداء في مصارعهم.

١١- يجوز دفن الرجلين والثلاثة في قبر واحد.

١٢- من عذره الله لمرض أو عرج يجوز له الخروج للجهاد.

١٣- إذا قتل المسلمون مسلمًا يظنونه كافرًا، فعلى الإمام ديته.

١٤- المعاصي والتنازع سبب من أسباب الهزيمة.

١٥- المسلمون يغلبون أحيانًا، وينهزمون أحيانًا، وتكون العاقبة لهم، والحرب سجال بينهم وبين عدوهم.

١٦- لهزيمتهم أحيانًا حكمة ليتميز من يطيعهم للحق، لا لغلبتهم.

١٧- يظهر المنافقون عند هزيمة المسلمين، ويتميزون عند المحن،

ويتبين الصادق من الكاذب.

١٨- من فوائد الهزيمة استخراج عبودية أوليائه وحزبه في السراء والضراء.

١٩- لو نصر المسلمون دائمًا لطغت نفوسهم وشمخت، ولا يصلحهم إلا السراء والضراء حينًا بعد حين.

٢٠- الهزيمة توجب الذلة لله والانكسار بين يديه والخضوع له.

٢١- البلاء والمحن تزيد علو المسلم وترفعه عند الله.

٢٢- النصر والغنى المستمر سبب من أسباب الطغيان والركون للدنيا.

٢٣- الشهادة أعلى المراتب، ومن حكمته تعالى في الهزيمة من غيرها أن يتخذ من المؤمنين شهداء.

٢٤- الطغيان والظلم والتسلط سبب هزيمة الكفار.

٢٥- اتخذ الله الشهداء لنفسه، وأعد لهم أعلى المنازل وأفضلها.

٢٦- المصائب تمحيص للذنوب.

٢٧- لا يدخل إنسان الجنة حتى يمتحن فينجح، وكل حسب إيمانه.

٢٨- غزوة أُحد مقدمة وإرهاص بين يدي موت رسول الله ﷺ، وقد وبخهم الله على انقلابهم على أعقابهم إذا مات أو قتل.

٢٩- جعل الله لكل نفس أجلًا لابد من وقوعه في وقته.

٣٠- يُدال على المؤمنين إذا أذنبوا، والشيطان يستزلهم ويؤزهم ويفتنهم.

٣١- الله مولى المؤمنين، وهو خير الناصرين.

٣٢- يلقي الله الرعب في قلوب الكافرين.

٣٣- لقد عفا الله عن المؤمنين، ولم يستأصلهم جميعًا.

٣٤- جازى الذين فروا عن رسول الله ﷺ بالغم بعد الغم.

٣٥- أمرهم الله بأن لا يحزنوا على ما فاتهم ولا ما أصابهم.
٣٦- لا يليق بمسلم أن يعتقد أن الله يسلم رسوله للقتل.
٣٧- هذه المصائب بقضاء الله وقدره، يجب الإيمان بذلك وعدم الجزع.
٣٨- الظن السيء من أمر الجاهلية.
٣٩- لا يجوز أن يظن المسلم أن الله لا ينصر دينه ونبيه.
٤٠- الله تعالى لا يعذب أولياءه مع إحسانهم وإخلاصهم، ولا يسوي بينهم وبين أعداء الإسلام.
٤١- الله تعالى لا يبطل عمل المحسنين بدون سبب.
٤٢- ما وقع في غزوة أحد ابتلاء وامتحان.
٤٣- الذين قتلوا هم أحياء عند ربهم يرزقون، وذلك خير لهم.
٤٤- منن الله تعالى على المسلمين أعظم وأكبر وأكثر من هذه المصيبة.
٤٥- تمحيصهم وتهذيبهم.
٤٦- من حكمته تعالى أن يجعل الأيام دولًا بين الناس ليعلم المؤمنين من المنافقين علم ظهور.
٤٧- استخراج عبودية المسلمين وذلهم لله.
٤٨- لو كان المسلمون منصورين دائمًا لدخل بينهم من يريد النصر والغنيمة، ولا يريد الإسلام.
٤٩- الله تعالى يحب من عباده المؤمنين تكميل عبوديتهم في السراء والضراء.
٥٠- من الفوائد حصول عبودية الصبر وتحمل الأذى والرضا عنه في السراء والضراء، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: من نعيم الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ﴾

[الطور: ٢٤] وقال: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ۝ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ [الواقعة: ١٧، ١٨] وقال: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾ [الإنسان: ١٩] هؤلاء الولدان يخلقهم الله من الجنة كما يخلق الحور العين خدمًا لهم وهم غير أولادهم لأن أولادهم مخدومون لا خدم ولقول الرسول ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير، يُرَدّون أبناء ثلاثين في الجنة، لا يزيدون عليها أبدًا، وكذلك أهل النار» [الترمذي: ٢٥٦٢ م١ وقال: هذا حديث غريب، وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث ضعيف، انظر ضعيف الجامع الصغير ٥٨٥٢].

فائدة: من صفات رسول الله ﷺ

من صفات رسول الله محمد ﷺ اللين والرحمة والعفو عمن أساء إليه، وحسن الخُلق والاستغفار لمن أذنب، والمشاورة في الأمور، والتوكل على الله، وعدم الغل، واتباع رضوان الله، والحرص على الدعوة إلى الله، والحرص على المؤمنين، والرأفة والأمانة، قال الله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وقال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ﴾ [آل عمران: ١٦١] وقال: ﴿أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٢] وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤] وقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وقد شاورهم الرسول ﷺ في مواطن كثيرة، منها

مشاورته لهم يوم بدر في الذهاب إلى العير، فقالوا: يارسول الله! لو استعرضت بنا عرض البحر لقطعناه معك، ولو سرت بنا إلى برك الغماد لسرنا معك، ولا نقول لك كما قال قوم موسى لموسى عليه السلام: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن نقول: اذهب فنحن معك، وبين يديك وعن يمينك وعن شمالك مقاتلون، وشاورهم أين يكون المنزل، فأشار عليه المنذر بن عمرو بالتقدم إلى الأمام، وجعل الآبار خلفه، وشاورهم يوم أُحد، فأشاروا عليه بالخروج إليهم، وشاورهم يوم الخندق في مصالحة الأحزاب بثلث ثمار المدينة عامئذٍ، فأبى سعد بن معاذ وسعد بن عبادة، وشاورهم يوم الحديبية، فأشار عليه الصديق بعدم القتال، وقال في قصة الإفك: «أشيروا عليَّ في أناس أَبَنُوا أهلي» [البخاري:٤٧٥٧] وغير ذلك كثير.

فائدة: سعة رحمة الله بعباده

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة:٣٧] وقال: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:٢٢٦] وقال: ﴿فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ﴾ [الأنعام:١٤٧] والآيات في هذا كثيرة، فرحمة الله واسعة، ولطفه عظيم، ورأفته بخلقه لا يحيط الإنسان بها علمًا، فهو الحنان، مفرج الكربات، غافر الزلات، رحمته عامة لجميع خلقه، ومن رحمته تشريعه لهم وقبول توبتهم وعفوه عن العاصين منهم، قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء:١١٠] ومن رحمته جمع الناس للحساب، فهو أرحم من الوالدة بولدها، ورحمته تسبق غضبه، وقد خلق الله يوم خلق السموات والأرض مائة رحمة، كل رحمة طباق ما بين السماء

والأرض، فجعل منها في الأرض رحمة واحدة، وليوم القيامة تسع وتسعون رحمة، كما ورد في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم ٢٧٥٣ عن سلمان الفارسي رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ وأمة محمد ﷺ مرحومة، فالله تعالى رحيم بعباده، بإيجادهم أولًا، وهدايتهم إلى الإيمان، وإسعادهم في الدار الآخرة، والإنعام عليهم برؤية وجهه الكريم، وإرسال رسله إليهم وإنزال كتبه عليهم، وإسكانهم وحملهم في البر والبحر، ورزقهم من الطيبات، ومعافاتهم ونفعهم وتعليمهم، هداهم وآواهم، وأنظرهم إذا أذنبوا حتى يتوبوا ويرجعوا إليه، كتب على نفسه الرحمة، قال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ كَتَبَ رَبُّكُمۡ عَلَىٰ نَفۡسِهِ ٱلرَّحۡمَةَ أَنَّهُۥ مَنۡ عَمِلَ مِنكُمۡ سُوٓءَۢا بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الأنعام:٥٤] أنزل سكينته على المؤمنين، وأمدهم بجنود من الملائكة، فهو الرؤوف الرحيم الغفور، ذو الرحمة الواسعة، لو يؤاخذ الناس بما كسبوا لعجل لهم العذاب، قال تعالى: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ لَمَسَّكُمۡ فِي مَآ أَفَضۡتُمۡ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور:١٤] وقال: ﴿وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ أَبَدٗا﴾ [النور:٢١] فمن أقام الصلاة وآتى الزكاة وأطاع الرسول رحمه أرحم الراحمين، قال سبحانه: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [النور:٥٦] فالرسول ﷺ رحمة للعالمين، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء:١٠٧] رحمة لقوم يوقنون، قال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية:٢٠].

فائدة: عبر عظيمة من غزوة أحد

في غزوة أُحد عبر عظيمة:

منها إنه لما أصيب المسلمون، وقتل منهم سبعون رجلًا، بيَّن الله تعالى أن الأمم التي قبلهم من أتباع الرسل قتل منهم الكثير، وصارت العاقبة لهم، فقال: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ﴾ [آل عمران:١٣٧].

ومنها: أن الله تعالى قال مُسلِّيًا للمؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] وبيَّن أن الجراح التي أصيب بها المسلمون أصيب المشركون مثلها ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [آل عمران:١٤٠] وبيَّن تعالى أن الأيام يداولها بين الناس لحكمة عظيمة، من ذلك أن يعلم علم ظهور المؤمنين من المنافقين، وأن يتخذ ممن يحب الشهادة، وليمحص الذين آمنوا ويكفر عنهم ذنوبهم، ويمحق الكافرين الباغين، وأن القتال والشدة سبب دخول الجنة ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾ [البقرة:٢١٤] وليعلم الله علم ظهور المجاهدين ويعلم الصابرين، وقد كان المسلمون يتمنون الموت في سبيل الله، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ [آل عمران:١٤٣] وتمني الموت غير جائز، كما قال رسول الله ﷺ: «لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف» [البخاري:٢٩٦٦ ومسلم:١٧٤٢].

ومن ذلك: بيان موقف المسلم من الإشاعات حيث أشيع موت

محمد ﷺ في هذه الغزوة، ونادى الشيطان ألا إن محمدًا قد قتل، فصدق ذلك بعض المسلمين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ ۚ﴾ [آل عمران:١٤٤] فالموت بقدرة الله وإذنه كتاب مؤجلٌ، ثم بيَّن الله تعالى أن كثيرًا من الأنبياء ﴿قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا۟ وَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ○ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران:١٤٦،١٤٧] ثم بين الله تعالى أسباب الهزيمة في أُحد، وهي عدم امتثالهم لأمر رسول الله ﷺ في بقائهم على الجبل ولو شاهدوا الغنائم، ونهى عن التنازع، فقال: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٢].

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال لقينا المشركين يوم أُحد، وأجلس النبي ﷺ جيشًا من الرماة وأمر عليهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه وقال: «لا تبرحوا، وإن رأيتمونا ظهرنا عليهم فلا تبرحوا، وإن رأيتموهم ظهروا علينا فلا تعينونا» [البخاري:٤٠٤٣] قال البراء رضي الله عنه: فلما لقيناهم هربوا، حتى رأينا النساء يشتددن في الجبل رفعن عن سوقهن، قد بدت خلاخلهن، فأخذوا يقولون: الغنيمة الغنيمة. قال عبدالله بن جبير رضي الله عنه عهد إليَّ النبي ﷺ أن لا تبرحوا، فأبوا، فلما أبوا صُرِف وجوههم، فأصيب سبعون قتيلًا، وأشرف أبو سفيان فقال: أفي القوم محمد؟ فقال ﷺ: «لا تجيبوه» فقال: أفي القوم ابن أبي قحافة؟ فقال: «لا تجيبوه» فقال:

أفي القوم ابن الخطاب؟ فقال: إن هؤلاء قد قُتلوا، فلو كانوا أحياء لأجابوا، فلم يملك عمر رضي الله عنه نفسه، فقال: كذبتَ ياعدو الله! قد أبقى الله عليك ما يحزنك، فقال أبو سفيان: اعل هبل، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله أعلى وأجل» فقال أبو سفيان: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبي ﷺ: «أجيبوه» قالوا: ما نقول؟ قال: «قولوا: الله مولانا ولا مولى لكم» قال أبو سفيان: يوم بيوم بدر، والحرب سجال. [البخاري:٤٠٤٣] وفي هذا اليوم أصابت المسلمين هزيمة عظيمة، وهرب الكثير لا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم، ويقول: «إلي عباد الله، إلي عباد الله» [تفسير الطبري:٨٠٥٣] وثبت مع الرسول ﷺ البعض منهم طلحة بن عبيدالله وسعد بن أبي وقاص، وقتل في ذلك اليوم أُبي بن خلف، وجرح وجه رسول الله ﷺ، وكسرت رباعيته، وهشمت البيضة رأسه، وسال الدم من جرحه، فغسلته فاطمة رضي الله عنها، ثم أحرقت قطعة حصير، حتى صارت رمادًا، فألصقته بالجرح فاستمسك الدم، وأصاب المسلمين الغم، ثم أنزل الله عليهم من بعد الغم أمنة من نعاس ﴿يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٤] ثم عفا الله عنهم، كما قال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران:١٥٥] أما المنافقون فقالوا: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ﴾ [آل عمران:١٥٤] قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ﴾ [آل عمران:١٥٤] وقال: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ [الفتح:١٢].

فائدة: المؤمن الحق لا يخاف إلا من الله

﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ إِيمَٰنٗا وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾ [آل عمران:١٧٣] [البخاري:٤٥٦٣] ومن توكل على الله، وقالها انقلب بنعمة من الله وفضل لم يمسسه سوء واتبع رضوان الله، وزيد في إيمانه، ومن مكايد الشيطان أن يخوف أولياءه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٧٥] والمؤمن الحق لا يخاف إلا من الله، ولا يخاف من أحد سواه، قال تعالى: ﴿أَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبۡدَهُۥۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦۚ﴾ [الزمر:٣٦] وقال: ﴿حَسۡبِيَ ٱللَّهُۖ عَلَيۡهِ يَتَوَكَّلُ ٱلۡمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر:٣٨] وقال: ﴿إِنَّ كَيۡدَ ٱلشَّيۡطَٰنِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦] وقال: ﴿أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩] وقال: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [المجادلة:٢١] وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ﴾ [الحج:٤٠] وقال: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ○ يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر:٥١،٥٢] روى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: لما رجع المشركون من أُحد قالوا: لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب أردفتم، بئس ما صنعتم، ارجعوا، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فندب المسلمين، فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد أو بئر أبي عتبة، فقال المشركون: نرجع من قابل، فرجع رسول الله ﷺ فكانت تعد غزوة، فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ

أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] [تفسير ابن أبي حاتم: ٤٥١٠].

وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْاْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢] قلت لعروة: يا ابن أختي! كان أبواك منهم، الزبير وأبو بكر رضي الله عنهما، لما أصاب رسول الله ﷺ ما أصاب يوم أُحد، وانصرف المشركون خاف أن يرجعوا فقال: «من يذهب في أثرهم» فانتدب منهم سبعون رجلًا، قال: كان فيهم أبو بكر والزبير رضي الله عنهما [البخاري: ٤٠٧٧] قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] أي الذين توعدهم الناس وخوفوهم، فما همهم ذلك، ولا خافوا من كثرة عدد الكفار، بل توكلوا على الله تعالى.

فائدة: التعريف بالله ببعض آياته

من آيات الله تعالى أنه فالق الحب والنوى، وأنه يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي، وأنه يحيي الأرض بعد موتها، يخرج منها الحب الذي نأكله، وأنه فالق الإصباح، وجعل الليل سكنًا والشمس والقمر حسبانًا والنجوم لنهتدي بها في ظلمات البر والبحر، وأنه أنشأنا من نفس واحدة، فمستقر ومستودع، وأنه ينزل الماء من السماء، ويخرج به النبات والأشجار من النخيل والأعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه، وأنه بديع السموات والأرض، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ○ فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ

وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ○ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ○ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ○ وَهُوَ ٱلَّذِى أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۗ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ٩٥-٩٩]

فسبحانه الذي يفلق الحب والنوى، ويشقه في الأرض، وينبت الزروع والحبوب والثمار، ويخرج النبات الحي من الجماد الميت، وأخرج إبراهيم عليه السلام من أبيه آزر، مؤمن من كافر، وأخرج من نوح عليه السلام ابنه الكافر من المؤمن، وأخرج الدجاجة من البيضة، والبيضة من الدجاجة، خلق النور والظلام والليل والنهار، يغشي الليل النهار يطلبه حثيثًا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره، جعل الليل سكنًا، وكل يسبح في هذا الكون بحساب مقدر، كل له منازل في الصيف والشتاء، جعل الشمس ضياء والقمر نورًا، لا يخفى عليه خافية، يسلخ من الليل النهار، والشمس تجري لمستقر لها، زين السماء الدنيا بالمصابيح، وجعل النجوم هداية في البر والبحر، وهذه الأناس خلقهم من نفس واحدة، أنزل من السماء الماء فأنبت به النبات، وخلق الجبال ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٤] فسبحانه من حكيم عليم.

فائدة: خلق آدم عليه السلام

خلق الله آدم عليه السلام من دون أب ولا أم، وشرفه وأدخله الجنة، وأمر الملائكة أن تسجد له، فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر، وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦] قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ○ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ○ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ○ إِلَّآ إِبْلِيسَ﴾ [الحجر:٢٨-٣١] فسأل الله إبليس ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ﴾ [الأعراف:١٢] قال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص:٧٦] افتخر بأصله لا بعمله، فأخرجه الله من الجنة، ولعنه وغضب عليه وجعله من المرجومين الصاغرين، وأنظره إلى يوم يبعثون، فقال: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ○ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٦،١٧] هكذا توعد عدو الله أبناء آدم بالتشكيك في الآخرة والبعث، وإلقاء الشبه في الدين، وإيقاعهم بالمعاصي والذنوب، وصدهم عن طرق الخير، وتحبيبه لهم طرق الشر، ولكنه لا يستطيع أن يأتيهم من فوقهم، لأن رحمة الله تنزل من فوقهم، فقال: ﴿ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ ۖ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَٰكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧] فتوعد الله إبليس ومن تبعه قائلًا: ﴿ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا ۖ لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الأعراف:١٨] وأسكن الله آدم عليه السلام في الجنة، وقال له: ﴿وَيَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ○ فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِىَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا

عَنْ هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ○ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:١٩-٢١] فأكلا من الشجرة، فلما أكلا منها بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة، وعاتبهما ربهما وأهبطهما إلى الأرض، وتابا من ذنبهما ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] وتاب الله عليهما، وكرم الله بني آدم، وصار ذلك خيرًا عظيمًا لهما ولمن اتبع رضوان الله، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: أول الرسل نوح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ○ قَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ○ قَالَ يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِى ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:٥٩-٦٢] نوح عليه السلام أول الرسل، وهو نوح بن لامك بن متوشلح بن خنوخ بن يرد بن مهليل [مهلائيل] بن قينن بن يانش [أنوش] بن شيث بن آدم، هكذا نسبه محمد بن إسحاق، وفي عهده عبدت الأصنام حيث مات أناس من الصالحين، فبنوا على قبورهم مساجد، وصوروا صورهم، ليتذكروا حالهم وعبادتهم، فيتشبهوا بهم، فلما طال الزمان جعلوا أجسادًا على تلك الصور، فلما طال الزمان عبدوهم وسموهم ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا، فبعث الله نوحًا عليه السلام، ودعاهم إلى عبادة الله وحده، وترك الإشراك به، وحذرهم من عذاب يوم القيامة، فهاجمه السادة والكبراء والقادة ومعهم الجماهير، وقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

[الأعراف:٦٠] فرد عليهم قائلًا: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ○ أَوَ عَجِبْتُمْ أَن جَآءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُواْ وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف:٦١-٦٣] ولكن القوم كذبوه وخالفوه إلا القليل منهم، فأوغل الدعوة لهم، واستمر ألف سنة إلا خمسين عامًا وهو يدعوهم، فلما لم يستجيبوا، وعرف أنه لن يؤمن من قومه إلا من قد آمن، دعا عليهم، فأغرقهم الله، وأدخلهم النار، وأنجى نوحًا عليه السلام ومن معه في الفلك، قال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٰٔتِهِمْ أُغْرِقُواْ فَأُدْخِلُواْ نَارًا فَلَمْ يَجِدُواْ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا﴾ [نوح:٢٥] وقال سبحانه: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ فِي ٱلْفُلْكِ﴾ [الأعراف:٦٤] وقال: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾ [العنكبوت:١٥] وصارت ذريته هم الباقين، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: قوم هود عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۚ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف:٦٥] أرسل الله تعالى هودًا عليه السلام إلى قومه عاد، وهم ولد عاد بن عَوْص بن إرم بن سام بن نوح، وكانوا أشداء أقوياء مستكبرين، بنو إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد، وقالوا: ﴿مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] وكانوا في الأحقاف الصحراء ذات الرمال الكثيفة الحمراء بين عُمان واليمن، أرسل الله لهم نبيًّا من أشرافهم هودًا عليه السلام، فدعاهم إلى عبادة الله وحده وترك ما يعبد من دونه، فقالوا له: ﴿إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [الأعراف:٦٦] فرد عليهم قائلًا: ﴿يَٰقَوْمِ

لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾ [الأعراف:٦٧،٦٨] وبيَّن لهم أنه من أنفسهم، وذكرهم بقوم نوح الذين هلكوا بالغرق، وأن الله زادهم في الخلق بسطة، وذكرهم بنعم الله عليهم، فتعصبوا وقالوا: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا ۖ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:٧٠] فأنزل الله عليهم الرجس والعذاب والغضب، وكانوا يعبدون أصنامًا سموها (صُداء وصمود والهباء) فأخذوا يجادلون هودًا عليه السلام عليها، فرد عليهم بقوله: ﴿أَتُجَٰدِلُونَنِي فِيٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ﴾ [الأعراف:٧١] فأرسل الله عليهم ريحًا صرصرًا عاتيةً ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا ۖ فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة:٧] بعد أن أكثروا في الأرض الفساد، وقهروا الناس وبنوا بكل ريع آية يعبثون، واتخذوا المصانع، وبطشوا وتجبروا، واتهموا نبيهم هودًا عليه السلام بالجنون، وأنه اعتراه بعض آلهتهم بسوء، فتبرأ هود عليه السلام منهم قائلًا: ﴿وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ○ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ○ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦] فأنجى الله هودًا عليه السلام والذين معه برحمة منه، وقطع دابر الذين كذبوا بآيات الله، يقال في المثل: (كوافد عاد) وذلك أن عادًا قحطوا فبعثوا وافدًا لهم يقال له: (قَيْل) فمر بمعاوية ابن بكر فأقام عنده شهرًا، يسقيه الخمر، وتغنيه جاريتان، يقال لهما: الجرادتان، فلما مضى الشهر خرج إلى جبال مهرة فقال: اللهم إنك

تعلم أني لم أجئ إلى مريض فأداويه، ولا إلى أسير فأفاديه، اللهم اسق عادًا ما كنت تسقيه، فمرتْ به سحابات سود، فنودي منها اختر، فأومأ إلى سحابة منها سوداء فنودي منها، خذها رمادًا رِمْدَدًا ولا تُبقِ من عاد أحدًا، فجاءتهم الريح فأهلكوا، فصار الناس إذا بعثوا وافدًا قالوا له: (لا تكن كوافد عاد) روى مثل ذلك أحمد ٣/ ٤٨٢ والترمذي:٣٢٧٣ والنسائي في الكبرى:٨٦٠٧ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث حسن.

فائدة: قوم صالح عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِىٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأعراف:٧٣].

ثمود أخو جديس من العرب العاربة، ونسبه ثمود بن عاثر بن إرم بن سام بن نوح وهو بعد عاد يسكنون وادي القرى بين الحجاز والشام جهة تبوك، وفي أرضهم آبار استقى الصحابة منها، وعجنوا عجينهم، ونصبوا قدورهم للطبخ فيها، فأمرهم النبي ﷺ أن يريقوا القدور، ويعلفوا العجين إبلهم، ثم ارتحل عنهم حتى نزل إلى البئر التي كانت الناقة تشرب منها، ونهاهم أن يدخلوا مساكن القوم الذين عذبوا وقال: «إني أخشى أن يصيبكم مثل ما أصابهم، فلا تدخلوا عليهم» [البخاري:٤٤١٩، ٤٤٢٠، ومسلم:٢٩٨٠] وفي رواية لأحمد ٢/ ٩: «إلا أن تكونوا باكين». وقد بدأهم نبيهم صالح عليه السلام بالأمر بعبادة الله وحده، وجميع الرسل يبتدؤون قومهم بذلك، وقد كان قوم

صالح عليه السلام قد طلبوا من نبيهم أن يأتيهم بآية، وطلبوا أن تخرج لهم ناقة من صخرة عينوها، واشترطوا أن تكون ناقة عشراء تمخض، وأخذ عليهم صالح عليه السلام العهود والمواثيق أن يؤمنوا إذا أجابهم الله، فدعا صالح عليه السلام ربه، فاستجاب له، وانصدعت الصخرة وخرجت الناقة التي طلبوها، فآمن رئيس القبيلة جندع بن عمرو ومن معه، وكان من أشرافهم ورؤسائهم من أنكروا عليه، منهم ذؤاب بن عمر بن لبيد والحباب صاحب أوثانهم ورباب ابن جلهس وشهاب بن خليفة بن لبيد بن جواس، وقال شاعر المؤمنين واسمه مهوش بن الدميل رحمه الله:

وكانت عصبة من آل عمرو
إلى دين النبي دعوا شهابا

عزيز ثمود كلهم جميعًا
فهم بأن يجيب فلو أجابا

لأصبح صالح فينا عزيزًا
وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا

ولكن الغواة من آل حجر
تولوا بعد رشدهم ذئابا

قال تعالى: ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس:١٤] وحاول بعضهم قتل صالح عليه السلام فأنجاه الله منهم، قال تعالى: ﴿تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ○ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ

لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ٤٩، ٥٠].

فائدة: قوم شعيب عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ٨٥] هو شعيب بن ميكيل بن يشجر، مدينته مدين بقرب معان من طريق الحجاز، قال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ النَّاسِ يَسْقُونَ﴾ [القصص: ٢٣] وهم أصحاب الأيكة أرسل الله شعيبًا عليه السلام إليهم، وبلغ رسالة ربه فيهم، وأمرهم أن يعبدوا الله وحده ولا يشركوا به أحدًا، ثم وعظهم في المعاملة بأن يوفوا المكيال والميزان، ولا يبخسوا الناس أشياءهم، ولا يخونوهم ويبخسوهم أموالهم، وكان شعيب عليه السلام خطيبًا مفوَّهًا فصيح العبارة جزل الموعظة، يقال له: خطيب الأنبياء، يقول لهم في خطبته: ﴿وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ○ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٦، ٨٧] وكان من أفعال قومه قطع الطريق، وقتل الناس، ونهب أموالهم، وتوعد من آمن مع شعيب عليه السلام، والصد عن سبيل الله، وقد استعلوا في الأرض بعدما كانوا قلة فكثرهم، ولكنهم لم يرعوا ولم يسمعوا لشعيب عليه السلام،

وقالوا له: ﴿لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [الأعراف:٨٨] قال لهم شعيب عليه السلام: ﴿أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ○ قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَٰتِحِينَ﴾ [الأعراف:٨٨،٨٩] فتمردوا وعتوا وضلوا وأضلوا وخالفوا أوامر الله وأوامر نبيهم ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾ [الأعراف:٩١] ونجى الله شعيبًا عليه السلام والذين آمنوا معه برحمة منه، والرجفة التي أخذتهم صيحة أرجفوا منها، كما أرجفوا شعيبًا عليه السلام ومن معه، وفي سورة الشعراء قال الله تعالى عنهم: ﴿فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ ٱلظُّلَّةِ إِنَّهُۥ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء:١٨٩] قيل: إنها سحابة أظلتهم فيها شرر من نار ولهب ووهج وصيحة من السماء ورجفة من الأرض أزهقت أرواحهم وخمّدت أبدانهم ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ شُعَيْبًا كَانُواْ هُمُ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٢] ولم ييأس شعيب عليه السلام عليهم، بل قال: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف:٩٣].

فائدة: قوم لوط عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [الأعراف:٨٠،٨١] لوط عليه السلام هو ابن هاران ابن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل عليه السلام، آمن مع إبراهيم عليه السلام وهاجر معه إلى الشام، فبعثه الله رسولًا إلى أهل سدوم وما حولها من القرى، يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له،

ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن الفاحشة التي يرتكبونها، والتي لم يسبقهم بها أحد من العالمين (فاحشة إتيان الذكور دون الإناث) وفي هذا إسراف واعتداء، وكان لوط عليه السلام يقول لهم: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ﴾ [الحجر:٧١] ويقول: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطۡهَرُ لَكُمۡۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [هود:٧٨] فيجيبونه بقولهم: ﴿لَقَدۡ عَلِمۡتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنۡ حَقّٖ وَإِنَّكَ لَتَعۡلَمُ مَا نُرِيدُ﴾ [هود:٧٩] فراودوه في ضيوفه من الملائكة الذين أتوا إلى نبي الله لوط عليه السلام بصورة شباب حسان الوجوه، وانعكست المفاهيم لديهم، فصارت الطهارة نجاسةً عندهم، وطلبوا إخراج المؤمنين بلوط من قريتهم لأنهم يتطهرون ﴿وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوۡمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخۡرِجُوهُم مِّن قَرۡيَتِكُمۡۖ إِنَّهُمۡ أُنَاسٞ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف:٨٢] فأنجى الله لوطًا عليه السلام ومن معه من المؤمنين، إلا امرأته كانت من الغابرين الذين لم يؤمنوا، وكانت تعلم قومها بمن يقدم عليه من الضيوف، فأخرج الله من كان في القرية من المؤمنين، فما وجد فيها إلا بيتًا من المسلمين، كما قال سبحانه: ﴿فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ○ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [الذاريات:٣٥،٣٦] وأمطر الله عليهم مطرًا من الحجارة النارية المنضودة المسومة، قال تعالى: ﴿وَأَمۡطَرۡنَا عَلَيۡهَا حِجَارَةٗ مِّن سِجِّيلٖ مَّنضُودٖ ○ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٖ﴾ [هود:٨٢،٨٣] وهذه الفعلة القبيحة من كبائر الذنوب، قال رسول الله ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به» [الترمذي:١٤٥٦ وأبو داود:٤٤٦٢ وابن ماجه:٢٥٦١ وأحمد في مسنده ١/٣٠٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث صحيح].

فائدة: قصة موسى عليه السلام مع فرعون

قصة موسى عليه السلام مع فرعون تكررت في القرآن الكريم، قال الله تعالى في سورة الأعراف: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَظَلَمُواْ بِهَاۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٠٣] أي بعث الله تعالى موسى عليه السلام بعد الأنبياء الذين قص الله تعالى علينا قصصهم مع أقوامهم: نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وقد جاء موسى عليه السلام بحجج بينة ودلائل واضحة إلى فرعون مصر وملئه، فجحدوا وكفروا وظلموا وعاندوا، مع أن نفوسهم مستيقنة من صدق موسى عليه السلام، ولكن الكبر منعهم من الإيمان، قال تعالى: ﴿وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّاۚ﴾ [النمل:١٤] وكان موسى عليه السلام يقول لفرعون: ﴿يَٰفِرْعَوْنُ إِنِّى رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ○ حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّۚ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِىَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف:١٠٤،١٠٥] لقد أرسلني الله خالق كل شيء ومليكه وربه بالحق المبين والحجة القاطعة والبينة الواضحة فأطلق أسر بني إسرائيل ولا تعذبهم، فقال له فرعون: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [الأعراف:١٠٦] فما كان من موسى عليه السلام إلا أن ألقى عصاه، فإذا هي حية عظيمة فاغرة فاها، فلما رآها فرعون خاف وفزع، ثم إن موسى عليه السلام ﴿نَزَعَ يَدَهُۥ فَإِذَا هِىَ بَيْضَآءُ لِلنَّٰظِرِينَ﴾ [الأعراف:١٠٨] أي بيضاء من غير برص ولا مرض ولا سوء، فاتهمه الملأ الذين مع فرعون بالسحر، وعارضه السادة والجماهير وقالوا: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ﴾ [الأعراف:١٠٩] فقال القوم لفرعون:

﴿أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَٱبْعَثْ فِي ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ○ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٣٦،٣٧] فجمع فرعون السحرة ليأتوا بسحرهم، لعله يغلب موسى عليه السلام، فلما حضروا قالوا لفرعون: ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ○ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ [الأعراف:١١٣،١١٤] فكانت غايتهم قبل إيمانهم المال والأجر والقرب من فرعون، ثم لما جمعوا ما لديهم من السحر والتمويه والحبال والعصي جاؤوا إلى المكان المخصص للمبارزة، فقالوا: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ○ قَالَ أَلْقُوا۟ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف:١١٥،١١٦] فلما ألقوا بهرجتهم وسحرهم، ورأى الناس عظمته، وسحروا أعينهم واسترهبوهم خاف موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ﴾ [طه:٦٧] فقال الله تعالى له: ﴿لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ○ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَٰحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه:٦٨،٦٩] ﴿فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء:٤٥] ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١١٨] عند ذلك آمن السحرة وسجدوا، وجعلت عصا موسى عليه السلام تبلع تلك الحبال والعصي، فغضب فرعون وقال: ﴿ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا۟ مِنْهَآ أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٢٣] وتوعدهم بقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل، ولكن الإيمان إذا باشر القلوب لا يهمه أي تهديد، ولهذا قالوا: ﴿إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ○ وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا ۚ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ﴾ [الأعراف:١٢٥،١٢٦] وفي آية أخرى بين الله قولهم:

﴿فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍۖ إِنَّمَا تَقۡضِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَآ ○ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِۗ وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ○ إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ○ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ﴾ [طه:٧٢-٧٥] فسبحان موقظ القلوب ومقلبها، كانوا أول النهار سحرة همهم المال، وفي آخر النهار شهداء مؤمنين، وبعد انتصار موسى عليه السلام حرض قوم فرعون على قتل موسى عليه السلام ومن معه، وقالوا: ﴿أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوۡمَهُۥ لِيُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَۚ﴾ [الأعراف:١٢٧] فأجابهم فرعون ﴿سَنُقَتِّلُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَنَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ وَإِنَّا فَوۡقَهُمۡ قَٰهِرُونَ﴾ [الأعراف:١٢٧] فما كان من موسى عليه السلام إلا أن طلب من المؤمنين معه من بني إسرائيل أن يستعينوا بربهم ويصبروا، ووعظهم وبين لهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين، وهكذا صارت العاقبة لموسى عليه السلام ومن معه، وأورثهم الأرض، وأخذ الله فرعون وقومه بالسنين ونقص من الثمرات والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم، ففزعوا إلى موسى عليه السلام بأن يدعو لهم فدعا، فكشف الله عنهم الرجز، ثم نكثوا العهود والمواثيق، فأغرقهم الله باليم، وأورث الله بني إسرائيل المستضعفين في الأرض مشارق الأرض ومغاربها التي بارك الله فيها، بما صبروا، ودمر ما كان ﴿يَصۡنَعُ فِرۡعَوۡنُ وَقَوۡمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧] فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: من آداب الدعاء

الدعاء من أعظم أسباب دفع الضر وجلب الخير، قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا

دَعَانِۖ﴾ [البقرة:١٨٦] ولولا رجاء الله وعبادته ودعاؤه ما عبأ الله بالخلق، قال تعالى: ﴿قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ﴾ [الفرقان:٧٧] والله تعالى يستجيب للداعين، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر:٦٠] وأفضل الدعاء الدعاء بتضرع وخفية، قال تعالى: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] وأفضله أن يكون بإخلاص، قال تعالى: ﴿فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر:١٤] وكون الدعاء بخفية وإخلاص من دلالات الإيمان، لأن الداعي يعلم أن الله يسمعه، ولو كان دعاؤه خفيًّا، ولأنه أعظم في الأدب والتعظيم لله، فالملوك لا تُرفع الأصوات عندهم، كما أن الدعاء بتضرع وخفية أقرب للخشوع والذلة والانكسار والسكينة والضراعة والابتهال والإخلاص وجمعية القلب وتجريد الهمة والقصد وقرب الداعي من ربه، لهذا أثنى الله على زكريا عليه السلام فقال: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيّٗا﴾ [مريم:٣] وقال رسول الله ﷺ: «اربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته» [البخاري:٢٩٩٢ ومسلم:٢٧٠٤] وإخفاء الدعاء أسهل على الداعي وأقرب للمدعو، وهو الله تعالى، وأبعد عن الرياء والسمعة، وأسلم من عيون الحاسدين، وأفضل الدعاء الحمد لله، كما قال رسول الله ﷺ: «أفضل الذكر لا إله إلا الله، وأفضل الدعاء الحمد لله» [الترمذي:٣٣٨٣ وحسنه الألباني] ويجب على الداعي أن لا يعتدي في دعائه، فإن الله لا يحب المعتدين، وذلك بأن يسأل الله شيئًا لا يليق به، كمن يسأله منازل الأنبياء، أو يصف القصر الذي يسأله في الجنة، أو يرفع

صوته، أو يسأل تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله وهو غافل، ويكون الدعاء بين العبد وربه برغبة ورهبة، قال تعالى: ﴿وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾ [الأنبياء:٩٠] وقال: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة:١٦] ولا يجوز تمني الموت، وإن كان ولابد فليقل: «اللهم أحيني ما كانت الحياة خيرًا لي، وتوفني إذا كانت الوفاة خيرًا لي» [البخاري:٥٦٧١، ومسلم:٢٦٨٠] ومن أفضل الدعاء دعاء ذي النون عليه السلام ﴿لَّا إِلَٰهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] ودعاء آدم وزوجته حواء عليهما السلام: ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف:٢٣] ودعاء موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤] وقول: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير» [الترمذي:٣٥٨٥، والبغوي في شرح السنة:١٩٢٩، وحسنه الألباني] ودعاء محمد ﷺ الذي علمه أبا بكر رضي الله عنه: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم» [البخاري:٨٣٤ ومسلم:٢٧٠٤] ودعاء أيوب عليه السلام عند المصائب ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٣].

ودعاء موسى عليه السلام: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ﴾ [الأعراف:١٥٥] وقراءة القرآن والذكر أفضل من الدعاء، قال رسول الله ﷺ عن الله تعالى: «من شغله قراءة القرآن عن ذكري ومسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين» [الترمذي:٢٩٢٦ وقال: حديث حسن غريب، وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث ضعيف، انظر المشكاة (٢١٣٦)

والضعيفة (١٣٣٥)] ولكل وقت أفضلية، فهناك أوقات يستحب فيها الدعاء، وأوقات للذكر، وأوقات لقراءة القرآن، وأوقات لاستماعه ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤] والموفق من عبد ربه بعلم، قال تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ [محمد:١٩] وبالله التوفيق.

فائدة: لا يعلم وقت وقوع الساعة ملك مقرب ولا نبي مرسل

كان المشركون من قريش يسألون الرسول ﷺ عن الساعة استبعادًا لوقوعها، فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف:١٨٧] ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل:٧١] وقوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ [الشورى:١٨] إن من يقول: تقوم الساعة بعد كذا وكذا من السنين يخالف هذه الآيات، وقد قال رسول الله ﷺ لجبريل لما سأله عنها: «ما المسؤول عنها بأعلم من السائل» [البخاري:٥٠، ٤٧٧٧، ومسلم:٩] فلا الرسول ﷺ ولا جبريل عليه السلام يعلم عن وقوعها شيئًا، وإنما يرد علمها إلى الله تعالى، فهو الذي يجليها لوقتها بالتحديد، وقد ثقل علمها على أهل السماوات والأرض، وكبر ذلك عليهم، وإذا جاءت الساعة انشقت السماء، وانتشرت النجوم، وكورت الشمس، وسيرت الجبال، وهي تأتي بغتة وفي غفلة من الناس، روى الطبري أن رسول الله ﷺ قال: «إن

الساعة تهيج بالناس، والرجل يصلح حوضه، والرجل يسقي ماشيته، والرجل يقيم سلعته في السوق، ويخفض ميزانه ويرفعه» [الطبري ٩/ ٩٥] وروى أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: ﴿علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو﴾ ولكن سأخبركم بمشاريطها وما يكون بين يديها، إن بين يديها فتنةً وهرجًا» قالوا: يارسول الله! الفتنة قد عرفناها، فما الهرج؟ قال: «بلسان الحبشة القتل قال: ويلقى بين الناس التناكر، فلا يكاد أحد أن يعرف أحدًا» [أحمد ٥/ ٣٨٩ قال محققو المسند: صحيح لغيره] وروى الإمام أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «لقيت ليلة أسري بي إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، فتذاكروا أمر الساعة، فردوا أمرهم إلى إبراهيم عليه السلام، فقال: لا علم لي بها، وكذا قال موسى عليه السلام: فردوا أمرهم إلى عيسى عليه السلام فقال: أما وَجْبتُها فلا يعلمها أحد إلا الله عز وجل، وذلك فيما عهد إلي ربي عز وجل أن الدجال خارج، قال: ومعي قضيبان فإذا رآني ذاب كما يذوب الرصاص. قال: فيهلكه الله، حتى إن الشجر والحجر ليقول يامسلم! إن تحتي كافرًا فتعال فاقتله، فيهلكهم الله، ثم يرجع الناس إلى بلادهم وأوطانهم، قال: فعند ذلك يخرج يأجوج ومأجوج، وهم من كل حدب ينسلون، فيطأون بلادهم لا يأتون على شيء إلا أهلكوه ولا يمرون على ماء إلا شربوه، ثم يرجع الناس إليَّ، فأدعو الله عليهم فيهلكهم الله ويميتهم» [أحمد ١/ ٣٧٥ وقال محققو المسند: هذا إسناد ضعيف].

فائدة: فوائد وعبر من قصص سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس

أعطى الله سبحانه وتعالى سليمان عليه السلام علم منطق الطير والنمل، حيث استجاب الله دعاءه حين سأله مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعده، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] والنمل حشرات صغيرة لها ستة أرجل تسكن في شقوق من الأرض، ذكر بعضهم أن القائلة نملة أنثى، لأن الله تعالى قال: ﴿قالت﴾ ولم يقل: (قال) ورد ذلك عن أبي حنيفة رحمه الله. وقد ألهم الله هذه النملة بأن الجيش جيش سليمان عليه السلام، وقولها: ﴿لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ﴾ قيل: إن النمل كالزجاج ليس فيه دم، ولهذا عبر بالحطم، وهو الكسر لشيء صلب، وقد خلق الله لها علمًا علمت به أن المار بها يدعى سليمان عليه السلام، وقد أدرك سليمان عليه السلام كلامها فتبسم ضاحكًا من قولها، فشكر الله تعالى على هذه النعمة ﴿وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

أما الهدهد فقد فقده سليمان عليه السلام ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ ○ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ○ فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ ○ إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ ○ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ الآيات [النمل:٢٠-٢٤] هذا الهدهد اكتشف ملك سبأ، وأتى بالخبر اليقين لسليمان عليه السلام وبيَّن له أنهم يسجدون

للشمس من دون الله، واستنكر عليهم ذلك ﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [النمل:٢٥،٢٦] وقد عرف الهدهد مالم يعرفه سليمان عليه السلام ﴿فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل:٢٢] ولكن سليمان عليه السلام تصرف تصرف النبي الحاكم فقال للهدهد: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ [النمل:٢٨] ولما ألقى الهدهد هذا الكتاب عليها ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ۝ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾ [النمل:٢٩-٣١] وقد كان الكتاب كريمًا نفيس العبارة والخط، بهيج الشكل موجزًا مستوفيًا، وهي امرأة عاقلة استشارت قومها ثم قررت أن تهدي إلى سليمان عليه السلام هديةً ﴿فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل:٣٥] وقالت قولتها التي أقرها الله عليها: ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً﴾ [النمل:٣٤] قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل:٣٤] وأخيرًا أسلمت مع سليمان لله رب العالمين.

فائدة: من صفات المنافقين

الآيات التي نزلت تبيِّن صفات المنافقين، وتحذِّر من أفعالهم كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى في كثرة خلفهم واعتذارهم عن الخروج للجهاد ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ [التوبة:٤٢] فهم يعتذرون بالأعذار الكاذبة، وقال عن ترددهم وارتياب قلوبهم: ﴿وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾

[التوبة:٤٥] فهم حيارى هلكى، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، ولو كانت نيتهم في الخروج للجهاد لأعدوا العدة لذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة:٤٦] وقال عن الضرر لو خرجوا مع رسول الله ﷺ والمؤمنين: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ﴾ [التوبة:٤٧] فهم يفسدون الجنود، ويثيرون الفتن ﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٤٨] ومن المنافقين من يطلب من الرسول ﷺ الإذن بعدم الخروج مدعيًا خوفه من الفتنة بالنساء كالجد بن قيس الذي قال: يارسول الله! أوتأذن لي، ولا تفتني، وإني أخشى إن رأيت نساء بني الأصفر ألا أصبر عنهن، فأعرض عنه رسول الله ﷺ وقال: «قد أذنت لك» [الطبري في تفسيره:١٦٨٠٣] وكان يسوء المنافقين انتصار المسلمين، ويفرحهم خذلانهم، قال تعالى: ﴿إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ﴾ [التوبة:٥٠] وكانوا يتربصون الدوائر بالمؤمنين، فقال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة:٥٢] وكانوا يكسلون عن الصلاة ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى﴾ [التوبة:٥٤] وكانوا يكرهون الإنفاق، قال تعالى: ﴿وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة:٥٤] وقال عن كثرة حلفهم: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ○ لَوْ

يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَـٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة:٥٦، ٥٧] وكانوا يلمزون المطوعين في الصدقات، ويلمزون الرسول ﷺ في توزيعها، ويسخرون منهم، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَـٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة:٧٩] وكانوا يزعمون أن رسول الله ﷺ يصدق كل أحد، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة:٦١] وكانوا يحاولون إرضاء الصحابة بالحلف الكاذب، قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ﴾ [التوبة:٦٢] وكانوا يخافون من نزول آيات تفضحهم قال تعالى: ﴿يَحْذَرُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤] وكانوا يحيون الرسول ﷺ بما لم يحيه به الله، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول، قال الله تعالى: ﴿حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [المجادلة:٨] وقال: ﴿قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ﴾ [التوبة:٦٤] وقال: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَـٰنَهُمْ﴾ [محمد:٢٩] وقال: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ﴾ [محمد:٣٠] وكانوا يخوضون ويلعبون ويستهزؤون، ثم يأتون للنبي ﷺ ويعتذرون، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ○ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَـٰنِكُمْ﴾ [التوبة:٦٥، ٦٦] عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رجل في غزوة تبوك: (ما رأيت مثل قرائنا هؤلاء، أرغب بطونًا،

ولا أكذب ألسنًا، ولا أجبن عند اللقاء، فقال رجل من الصحابة رضي الله عنهم: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبدالله بن عمر رضي الله عنهما: أنا رأيته متعلقًا بحقب ناقة رسول الله ﷺ تنكبه الحجارة وهو يقول: يارسول الله! إنما كنا نخوض ونلعب، ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ﴾ [التوبة:٦٥] [الطبري في تفسيره: (١٦٩٢٨) ٦/٤٠٩] وكانوا ينهون عن المعروف ويأمرون بالمنكر ويقبضون أيديهم، قال تعالى: ﴿ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة:٦٧] وقد وعدهم الله بالنار هم والكفار، ولعنهم وطردهم من رحمته، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [التوبة:٦٨] وقد أمر الله بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ﴾ [التوبة:٧٣] ومن صفاتهم أنهم يحبون المال، ويكرهون الصدقة، وقد نهى الله رسوله ﷺ عن الصلاة عليهم، ونهاه من الاستغفار لهم، ونهاه عن قبولهم في الجهاد، فقال تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ۚ﴾ [التوبة:٨٠] وقال: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾ [التوبة:٨٤] وقال: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا ۖ﴾ [التوبة:٨٣].

فائدة: الصبر الجميل

الصبر على المصائب، والشكر لله تعالى على كل حال خير

عظيم للمؤمن، وكل قضاء يقضيه الله للمؤمن ويصبر، يكون ذلك القضاء خيرًا له، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [إبراهيم:٥] وقد ورد في مسند الشافعي أن النبي ﷺ لما مات سمعوا قائلًا يقول: (يا آل بيت رسول الله ﷺ إن في الله عزاء من كل مصيبة، وخلفًا من كل هالك، ودركًا من كل فائت، فبالله ثقوا، وإياه فارجو، فإن المصاب من حرم الثواب) وروى الشافعي أيضًا حديث (المصاب من حرم الثواب) فالمؤمن يرضى بقضاء الله وقدره، ويصبر ويتقي الله، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عمران:١٢٠] وقال: ﴿بَلَىٰ إِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾ [آل عمران:١٢٥] وقال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ [آل عمران:١٨٦] وأعلى أنواع الصبر الصبر الجميل، كما قال تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨] وهذا الصبر بدون شكوى إلا لله تعالى، كما فعل يعقوب عليه السلام حيث قال: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ [يوسف:٨٦] وكما قال محمد ﷺ: «اللهم إليك أشكو ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي إلى من تكلني» إلى آخر دعائه [ذكره ابن هشام في السيرة، موقف ثقيف من الرسول ﷺ] فالمؤمن الحق إذا سأل سأل الله، وإذا استعان استعان بالله، وإذا فرغ انصب لعبادة الله، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ○ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ [الشرح:٧،٨] وكان يوسف عليه السلام يقول: ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف:٩٠].

وهذا يحتاج إلى تدريب، فالإنسان بطبعه خلق هلوعًا، إذا مسه الشر جزوعًا، وإذا مسه الخير منوعًا، فإذا أدب الإنسان نفسه على تقوى الله وطاعته، واتباع أوامره لا يضيع الله عمله، كما قال: ﴿وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [هود:١١٥] وقال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُ﴾ [يونس:١٠٩] وقال: ﴿فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [غافر:٥٥] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٣] وقال: ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [البلد:١٧] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة:١٥٥] وقال: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟﴾ [فصلت:٣٥] وقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [هود:١١] وقال: ﴿فَٱصْبِرْ ۖ إِنَّ ٱلْعَٰقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود:٤٩] وقال: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم﴾ [الكهف:٢٨] وقد نهى رسول الله ﷺ عن لطم الخدود وشق الجيوب ولعن النائحة والحالقة والصالقة والشاقة. [البخاري:١٢٩٦، ١٢٩٧ ومسلم:١٠٣، ١٠٤]

فائدة: مصارف الزكاة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [التوبة:٦٠].

هذه مصارف الزكاة:

الفقراء: الذين لا يجدون قوت يومهم، قال رسول الله ﷺ: «لا تحل الصدقة لغني، ولا لذي مرة سوي» [أحمد في مسنده ٢/١٦٤ والترمذي:٦٥٢ وأبو داود:١٦٣٤ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث صحيح].

والمساكين: الذين لا يجدون قوت سنتهم، عن أبي هريرة رضي

الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ليس المسكين الذي يطوف على الناس ترده اللقمة واللقمتان، والتمرة والتمرتان، ولكن المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يفطن له، فيتصدق عليه، ولا يقوم فيسأل الناس» [البخاري: ١٤٧٩ واللفظ له، ومسلم: ١٠٣٩].

والعاملون عليها: هم الجباة والسعاة على جمع الصدقات.

والمؤلفة قلوبهم: لمن يُعطى ليسلم، ومن يعطى ليؤمن شره، ومن يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه، ومن يعطى لما يرجى من إسلام نظرائه ومن يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه، ومن يعطى ليدفع الضرر عن المسلمين وغير ذلك، وقد أعطى الرسول ﷺ صفوان بن أمية من غنائم حنين وكان مشركًا، وأعطى سادة الطلقاء مائة من الإبل، وقال: «إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكبه الله على وجهه في نار جهنم» [البخاري: ١٤٧٥ ومسلم: ١٥٠] وفي الصحيحين عن أبي سعيد رضي الله عنه أن عليًا رضي الله عنه بعث إلى النبي ﷺ بذهيبة في تربتها من اليمن، فقسمها بين أربعة نفر: الأقرع بن حابس وعيينة بن بدر وعلقمة بن علاثة وزيد الطائي، وقال: «إني أتألفهم» [البخاري: ٣٣٤٤ ومسلم: ١٠٦٤].

وفي الرقاب: المكاتبون، أو من يشتري رقبته فيعتقها، وقد ورد أن من يعتق رقبة يعتق الله من النار بكل عضو منه عضوًا حتى الفرج بالفرج، فالجزاء من جنس العمل وفي المسند عن البراء بن عازب قال: جاء رجل فقال: يارسول الله! دلني على عمل يقربني من الجنة، ويباعدني من النار، فقال: «أعتق النسمة، وفك الرقبة» فقال: يارسول الله! أو ليستا بواحدة؟ قال: «لا، إنما عتق النسمة أن تفرد

بعتقها، وفك الرقبة أن تعين في عتقها» [أحمد ٤/٢٩٩ وقال محققو المسند: إسناده صحيح ورجاله ثقات].

والغارمون: وهم من تحملوا حمالة، أو ضمن دينًا، أو غرم في أداء دينه.

وفي سبيل الله: وهم الغزاة المجاهدون بالسلاح، أو بالدعوة إلى الله، قال تعالى: ﴿وَجَٰهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان:٥٢].

وابن السبيل: وهو المسافر المجتاز في بلد ليس معه شيء، ولو كان غنيًّا في بلده إذا لم يستطع حصوله على ماله.

فائدة: افتراء الكفار على الله بتسييب السوائب

قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ○ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة:١٠٣، ١٠٤].

البحيرة: هي التي يمنع درها للطواغيت، فلا يحلبها أحد من الناس.

والسائبة: التي يسيبونها لآلهتهم، فلا يحمل عليها شيء.

والوصيلة: الناقة البكر تبكر في أول نتاج الإبل بأنثى ثم تثني بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر.

والحام: الفحل من الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه، ودعوه للطواغيت، ولا يُحمل عليه شيء.

وأول من سيب السوائب وعبد الأصنام منهم أبو خزاعة عمرو ابن عامر قال الرسول ﷺ: «وإني رأيته يجر أمعاءه في النار»

[أحمد: ١/٤٤٦] قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ نَصِيبًا فَقَالُوا۟ هَـٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَـٰذَا لِشُرَكَآئِنَا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

وقد كان المشركون في الجاهلية يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم بدون تعقل، ولهذا قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُوا۟ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [المائدة: ١٠٤].

فاتباع العادات الجاهلية وما عليه الآباء والأجداد من الضلال يدل على عدم العلم وعدم العقل، وهذا مسلك كل من لا يبحث عن الحق، فالأبناء أجهل من الآباء وأضل سبيلًا.

أما المؤمنون فيبحثون عن الحق، سواء كان الآباء عليه، أو لم يكونوا، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

فائدة: الله يضاعف الحسنات ويغفر الذلات

الله تعالى رؤوف رحيم غفور كريم، فلا يخاف المحسن ظلمًا ولا هضمًا ولا بخسًا ولا رهقًا ولا ضياعًا، وكل حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجرًا عظيمًا، ولو كان العمل الصالح قليلًا، ولو كان مثقال ذرة، ولو كان مثقال حبة من خردل، لا يضيعها، يجزي بالسيئة مثلها، ويذهبها بالتوبة والندم والاستغفار والحسنات والمصائب، ويجزي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، يتوب على المذنبين التائبين ويهدي الضالين، ويعلم الجاهلين، وينقذ الهالكين، ويذكر الغافلين، الدعاء يرد ما قضى من مصائب، ويبدل

سيئات التائبين حسنات، ويصلح الفاسدين، ومن تقرب إليه شبرًا تقرب الله إليه ذراعًا، ومن تقرب إليه ذراعًا، تقرب الله إليه باعًا، ومن أتاه يمشي أتاه هرولةً، يفرح بتوبة عبده، لا يظلم أحدًا، لا يعذب أحدًا إلا بسبب من نفسه، ويعفو عن كثير يزيد المتقين هدايةً، ويستر ذنوب العاصين، لا يضل من هداه حتى يُبَيِّنَ له ما يتقي، يقابل مكرهم السيء بالحسن، يعامل الناس برحمته وكرمه وفضله وإحسانه وبره وامتنانه، لا يعذب من لم تبلغه الدعوة على وجه تقوم فيه الحجة، ومن لم يشرك به شيئًا أتاه بقراب الأرض مغفرة، ويغفر لجميع التائبين، قال تعالى: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر:٥٣] وقال: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾ [الشورى:٣٠].

فائدة: تخاصم الضعفاء والمتكبرين يوم القيامة

يوم القيامة يتلاوم الكفار ويعترفون بظلمهم، ويحشرون إلى النار، كل جنس مع جنسه، الزناة مع الزناة، والمرابون مع المرابين، وهكذا قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ○ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ○ ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ○ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهۡدُوهُمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات:٢٠-٢٣] ثم يوقفون للسؤال عن أعمالهم وأقوالهم وجلسائهم، ثم يوبخون، فيتلاومون ويتخاصمون، قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ﴾ [الصافات:٢٤] ويستسلمون لأمر الله، قال تعالى: ﴿بَلۡ هُمُ ٱلۡيَوۡمَ مُسۡتَسۡلِمُونَ﴾ [الصافات:٢٦] لا يخالفونه ولا يحيدون عنه، وقال تعالى: ﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات:٢٧]

ويتخاصم الضعفاء والمتكبرون ويعترفون بأنه حق عليهم قول ربهم، ويشتركون في العذاب ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ [الصافات:٣٣] ويقول الله تعالى لهم: ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات:٣٩].

فائدة: أحسن القصص

أحسن القصص ما ذكر في القرآن الكريم، ومن ذلك قصة يوسف عليه السلام، قال تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ [يوسف:٣] فقد رأى يوسف عليه السلام في المنام أن أحد عشر كوكبًا والشمس والقمر يسجدون له، فأولها أبوه بسجود أولاده وأبيه وأمه ليوسف عليه السلام، ووقع تفسيرها، قال تعالى: ﴿وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ﴾ [يوسف:١٠٠] وقد اجتبى الله يوسف عليه السلام، وأتم نعمته عليه، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ﴾ [يوسف:٦] وقد حصلت الغيرة من إخوة يوسف عليه، لأنه يزاحمهم في محبة أبيه، فقال قائل منهم: ﴿ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ [يوسف:٩] وأضمروا التوبة ﴿وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف:٩] وقال أكبرهم: ﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [يوسف:١٠] وهذا الذنب الكبير من قطيعة الرحم، وعقوق والدهم، وعدم رأفتهم بأخيهم الصغير، وبوالدهم الكبير، لم يمنع يوسف عليه السلام من أن يدعو لهم بعد ذلك بقوله: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف:٩٢] ولم يمنع الأب من قوله: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف:٩٨]

ولم يمنع يوسف عليه السلام من الاعتذار لهم بالجهل، بقوله: ﴿هَلۡ عَلِمۡتُم مَّا فَعَلۡتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذۡ أَنتُمۡ جَٰهِلُونَ﴾ [يوسف:٨٩] مع أنهم فعلوا به ما فعلوا، ورموه بالسرقة، حيث قالوا: ﴿إِن يَسۡرِقۡ فَقَدۡ سَرَقَ أَخٞ لَّهُۥ مِن قَبۡلُۚ﴾ [يوسف:٧٧] الله أكبر على عفو يوسف وأبيه عليهما السلام وصبرهما.

وقد أجمعوا أن يجعلوه في غياهب الجب فجعلوه ﴿وَجَآءُوٓ أَبَاهُمۡ عِشَآءٗ يَبۡكُونَ ○ قَالُواْ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّا ذَهَبۡنَا نَسۡتَبِقُ وَتَرَكۡنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَٰعِنَا فَأَكَلَهُ ٱلذِّئۡبُۖ﴾ [يوسف:١٦، ١٧] ودللوا على فعلتهم بأن جاءوا على قميصه بدم كذب، ولكن أباهم عرف أن ذلك من تسويل نفوسهم، فقال: ﴿بَلۡ سَوَّلَتۡ لَكُمۡ أَنفُسُكُمۡ أَمۡرٗاۖ فَصَبۡرٞ جَمِيلٞۖ وَٱللَّهُ ٱلۡمُسۡتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف:١٨] فجاءت سيارة فوجدوا يوسف عليه السلام وحيدًا في البئر، فلما أدلوا دلوهم تشبث به وخرج، ففرحوا به، ولله الحكمة في ذلك حيث شروه بثمن بخس دراهم معدودة، أي باعوه على القوم على أساس أنه عبد لهم ﴿وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ ٱلزَّٰهِدِينَ﴾ [يوسف:٢٠] ولم يعلموا أنه سيكون نبيًّا، وذهب القوم به إلى مصر، فاشتراه عزيز مصر وأكرمه.

وقال لامرأته: ﴿أَكۡرِمِي مَثۡوَىٰهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗاۚ﴾ [يوسف:٢١] فتمكن يوسف عليه السلام في أرض مصر، وأعطاه الله تأويل الأحلام، ولما استكمل عقله وخُلُقه، وآتاه الله العلم راودته امرأة العزيز وشغفت بحبه وجماله، وحاولته على نفسه، وغلقت عليه الأبواب، ودعته إلى نفسها فامتنع، وقال: ﴿مَعَاذَ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحۡسَنَ مَثۡوَايَۖ﴾ [يوسف:٢٣] وهمت به وهم بها، ولكن الله أنقذه وصرف عنه

السوء والفحشاء، لأنه مخلص لله ومحسن، واطلع العزيز عليهما وهم يتسابقان إلى الباب، فبادرته امرأته باتهام يوسف عليه السلام بأنه يريد السوء بها، وطلبت سجنه، فأنكر يوسف عليه السلام، وقال: ﴿هِيَ رَٰوَدَتْنِي عَن نَّفْسِي ۚ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ○ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [يوسف:٢٦،٢٧] فرأوا قميصه قُدَّ من دبر، فقال العزيز: ﴿إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ ۖ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ○ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا ۚ وَٱسْتَغْفِرِي لِذَنۢبِكِ ۖ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ﴾ [يوسف:٢٨،٢٩] فعاتبها نساء في المدينة فدعتهن، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا، تقطع به الفاكهة، وأخرجت يوسف عليه السلام عليهن ﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف:٣١] فقالت امرأة العزيز لهن: ﴿فَذَٰلِكُنَّ ٱلَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ۖ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ فَٱسْتَعْصَمَ ۖ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُۥ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ ٱلصَّٰغِرِينَ﴾ [يوسف:٣٢] ففضل يوسف عليه السلام السجن على الفتنة بالنساء، وأخذ في السجن يدعو إلى الله، ويؤول الأحلام، فجاءه رجلان يستفسران عن حلم فبين لهما تأويله، وطلب من أحدهما أن يذكره عند سيده، فنسي وبقي في السجن بضع سنين، ثم إن الملك رأى حلمًا، ففسره يوسف عليه السلام وأخرجوه من السجن، وطلب من الملك أن يجعله على خزائن الأرض، فلما جاء تأويل حلم الملك، وجاءت سبع السنين العجاف، جاء إخوة يوسف عليه السلام، ومعهم بضاعة لشراء القمح، ثم حصل أن طلب يوسف عليه السلام منهم أن يحضروا أخاهم الصغير، ووضع الصواع في رحله، فكان جزاؤه أن أخذه

حسب فتوى إخوته، ثم لما زاد عليهم الجفاف والحاجة أتوا، فكشف يوسف عليه السلام عن نفسه، وطلب منهم إحضار أمه وأبيه، وأعطاهم قميصه فجاءوا جميعًا إليه وسجدوا، فقال يوسف عليه السلام: ﴿هَٰذَا تَأۡوِيلُ رُءۡيَٰيَ مِن قَبۡلُ قَدۡ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّٗاۖ وَقَدۡ أَحۡسَنَ بِيٓ إِذۡ أَخۡرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجۡنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلۡبَدۡوِ﴾ [يوسف:١٠٠] فالحمد لله رب العالمين على انتصار الحق.

فائدة: من أقام الصلاة سهل عليه الموقف بين يدي الله يوم القيامة

من قام بحق الموقف بين يدي الله في صلاته بخشوع وتذلل وسكينة، وأداها بأركانها وواجباتها وسننها هون الله عليه موقفه بين يديه يوم القيامة، ومن استهان بموقفه في الصلاة، شدد عليه الموقف يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ○ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا﴾ [الإنسان:٢٦،٢٧] وكذا قربه من الله يوم المزيد حسب قربه وتقدمه في الصلاة، وحضور خطبة الجمعة وصلاتها، والله أعلم.

فائدة: طعام وشراب أهل النار

شجرة الزقوم شجرة خبيثة تخرج في النار، وهي فتنة للظالمين، وقد استهزأ المشركون بها، وقالوا كيف تخرج شجرة من أصل الجحيم، والنار تأكل الأشجار. وقال أبو جهل استهزاءً: إنها التمر والزبد نتزقمه، وهي شجرة ملعونة في القرآن ﴿طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات:٦٥] يأكلون منها ويملؤون بطونهم منها مع سوء طعمها وريحها وقبحها، لا يجدون غيرها، كما قال تعالى: ﴿لَّيۡسَ لَهُمۡ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٖ ○ لَّا يُسۡمِنُ وَلَا يُغۡنِي مِن جُوعٖ﴾ [الغاشية:٦،٧] ثم يشربون

الحميم عليها، قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات:٦٧] يمزج الحميم بصديد أهل النار، وما يسيل من فروجهم وعيونهم، تختلس جلودهم ووجوههم، فيُصابون بالعطش فيسقون من المهل، الذي انتهى حره، يشوي وجوههم ولحومهم، ويصهر به ما في بطونهم والجلود، ولهم مقامع من حديد، تسيل امعاؤهم وتتساقط جلودهم، ومردهم إلى نار تتلظى، وجحيم تتأجج، وسعير تتوهج وتتوقد: ﴿يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن:٤٤] وهذا جزاء من وجد آباءه في ضلال مبين فاتبعه قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ ○ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات:٦٩،٧٠] وجزاء من لم يطع المرسلين الذين أنذروهم بهذا المصير المشين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ○ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ﴾ [الصافات:٧٢،٧٣] فقد أعذر الله الناس وأرسل الرسل وأنزل الكتب وبين آياته وتوعد، ولكن الكثيرين لم يستجيبوا، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الصافات:٧١] وقال: ﴿وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف:١٠٣] وقال: ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود:٤٠] وقال: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [الأنعام:١١٦].

فائدة: كثرة ذنوب العبد تغطي على بصيرته

إذا كثرت الذنوب على العبد أحاطت به وغطت على بصيرته، وران على قلبه، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين:١٤] ولا مفر من ذلك إلا بالاستغفار والتوبة والندم، قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة» [مسلم:٢٧٠٢ وأبو داود:١٥١٥] وهذا الحجاب قد يكون كثيفًا

يحبط بالقلب حتى لا يسمع ولا يرى، قال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ﴾ [البقرة:٨١] وعند ذلك يكون القلب أسود مربادًا كالكوزي مجخيًا، لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا، قال ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب سُقِل قلبه، وإن عاد زيد فيها، حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾» [المطففين:١٤] [الترمذي:٣٣٣٤ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث حسن] فالران: هو سواد القلب بسبب المعاصي، والطبع كما في قوله تعالى: ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [المنافقون:٣] أشد من الران، والإقفال كما في قوله تعالى: ﴿أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾ [محمد:٢٤] أشد من الطبع.

فائدة: عدة الشهور

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثۡنَا عَشَرَ شَهۡرٗا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوۡمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ مِنۡهَآ أَرۡبَعَةٌ حُرُمٞۚ﴾ [التوبة:٣٦].

الأشهر الحرم: هي ذو القعدة وذو الحجة ومحرم ورجب.

أما أشهر الحج: فهي شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة.

فائدة: دعاء إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت

دعاء إبراهيم عليه السلام لمكة ولأبنائه، حيث قال: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡ هَٰذَا ٱلۡبَلَدَ ءَامِنٗا وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ○ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم:٣٥،٣٦] استجابه الله، حيث قال: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ﴾ [العنكبوت:٦٧] وقال: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ

ءَامِنًا﴾ [آل عمران:٩٧] وفي دعاء إبراهيم عليه السلام الثاني: ﴿رَّبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ وَٱرۡزُقۡهُم مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَشۡكُرُونَ﴾ [إبراهيم:٣٧] وهذا الدعاء بعد بناء البيت، حيث قال عند بيتك المحرم، وقال: ﴿رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:٣٧].

وقوله: ﴿فَٱجۡعَلۡ أَفۡـِٔدَةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهۡوِيٓ إِلَيۡهِمۡ﴾ [إبراهيم:٣٧] فلو قال أفئدة الناس لازدحم عليه الفرس والروم وجميع الناس، وإنما خص المسلمين ودعا الله أن يرزق أهله من الثمرات ليكون ذلك عونًا لهم على عبادة الله، فرزقهم الله من الثمرات مع أنه واد غير ذي زرع، وفي الآية الأخرى قال: ﴿وَٱرۡزُقۡ أَهۡلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنۡ ءَامَنَ مِنۡهُم بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ﴾ [البقرة:١٢٦] فقال الله تعالى: ﴿وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلٗا ثُمَّ أَضۡطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:١٢٦] ودعا إبراهيم عليه السلام أن يجنبه وبنيه من عبادة الأصنام، فقال: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ ○ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [إبراهيم:٣٥،٣٦] كما دعا الله أن يجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم، ودعا أن يجعله مقيمًا للصلاة ومن ذريته، وأن يتقبل دعاءه، ويغفر له ولوالديه وللمؤمنين يوم يقوم الحساب، وهذا قبل أن يتبرأ من أبيه لما تبين له عداوته لله عز وجل، وقال: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ وَمَا يَخۡفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [إبراهيم:٣٨] وحمد الله أن رزقه على الكبر إسماعيل وإسحاق عليهما السلام، ولا شك أن إسماعيل عليه السلام هو الابن الأكبر، وهو ابن هاجر، وإسحاق عليه السلام هو الأصغر الذي بُشرت به

سارة، كما أنه لا شك في أن إسماعيل عليه السلام هو الذي فداه ربه بكبش عظيم، وطلب من الله تعالى أن يتقبل دعاءه، فقال: ﴿رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ﴾ [إبراهيم:٤٠] فتقبل الله تعالى منه.

فائدة: السبع المثاني

لقد امتن الله تعالى على نبيه وعلى المؤمنين أن أنزل عليهم السبع المثاني والقرآن العظيم، ولا شك أن هذه أعظم نعمة لمن تدبر واتعظ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ○ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ○ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ○ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ○ ٱلَّذِينَ جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٨٧-٩١] أي كما آتيناك القرآن العظيم فلا تنظر إلى هذه الدنيا الفانية ومتاعها الزائل وزينتها المضمحلة وفتنتها المغرية، وعليك أن تلين جناحك للمؤمنين، وتحرص على هدايتهم، أما السبع المثاني فقيل: إنها الفاتحة، حيث إنها سبع آيات، وقيل: السبع الطوال من القرآن، وهي: البقرة وآل عمران والنساء والمائدة والأنعام والأعراف ويونس، حيث بيَّن فيها الفرائض والحدود والقصص والأحكام والأمثال والأخبار والعبر، وقيل: القرآن بكامله سبع من المثاني، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ﴾ [الزمر:٢٣] فهو مثانٍ، وهو متشابه، ونهى الله تعالى رسوله ﷺ أن يمد عينيه إلى ما لدى غيره من ثروات وغيرها من أزواج، وأن يقول: ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الحجر:٨٩] نذير من عذاب الله الأليم في الدنيا والآخرة، عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل ما بعثني الله به، كمثل

رجل أتى قومًا، فقال: ياقوم! إني رأيت الجيش بعيني، وإني أنا النذير العريان، فالنجاء النجاء، فأطاعه طائفة من قومه، فأدلجوا، فانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم، فأصبحوا مكانهم، فصبحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم، فذلك مثل من أطاعني فاتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذب بما جئت به من الحق» [البخاري:٧٢٨٣ ومسلم:٢٢٨٣] أما المقتسمون فهم الذين تحالفوا على مخالفة الأنبياء وتكذيبهم وإيذائهم، قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهۡلَهُۥ﴾ [النمل:٤٩] وقال: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾ [الأعراف:٤٩] فقد جزأوا كتبهم المنزلة فآمنوا ببعض وكفروا ببعض، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلۡقُرۡءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر:٩١] فكما جزَّأه اليهود والنصارى جزَّءته قريش، فقالوا: قول كاهن، وقالوا: قول مجنون، وقالوا: قول شاعر، وقالوا: قول ساحر، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ○ عَمَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ○ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الحجر:٩٢-٩٤].

فائدة: يوم المزيد

يوم المزيد: هو اليوم الذي يجتمع فيه أهل الجنة في واد فسيح، وينصب لهم منابر من لؤلؤ ومن ذهب ومن زبرجد ومن ياقوت، وكثبان من مسك يتجلى لهم ربهم، فينظرون إليه سبحانه وتعالى، ويرونه عيانًا، أسرعهم وأقربهم من يذهب إلى المساجد مبكرًا، ومن يقرب من الإمام، يعطيهم الله الكرامة، ويزيدهم جمالًا، ويحصلون على الفرح العظيم بلقاء ربهم ومشاهدته، فيرجعون إلى نسائهم وقد ازدادوا جمالًا على جمالهم، وكرامة على كرامتهم، وأهل الجنة

يشتاقون إليه، ويكون يوم جمعة، وهو عيد أهل الجنة، نسأل الله من فضله .

فائدة: دنو الله تعالى من عباده يوم عرفة

يوم عرفة: هو اليوم الذي يدنو الله تعالى من الحجاج، فيباهي بهم ملائكته، ويقول: «ما أراد هؤلاء، أشهدكم أني قد غفرت لهم» ويستجيب دعاءهم ولا يرد سائلًا منهم يسأل خيرًا، ويقرب منهم، فيزدادون قوةً على قوتهم وفرحًا وسرورًا وابتهاجًا ورجاءً وكرامةً، وهو أفضل الأيام على خلاف في يوم النحر - وهو عيد أهل عرفة - يكره لهم صيامه، أكمل الله به الدين، ونزلت فيه الآية الكريمة ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة:٣] وهو موافق ليوم القيامة، وخير يوم طلعت فيه الشمس يوافق يوم المزيد في الجنة.

فائدة: الجمعة عيد الأسبوع

يوم الجمعة، وهو عيد الأسبوع، لا تطلع الشمس على يوم أفضل من يوم الجمعة، فيه ساعة مستجابة، وهي آخر ساعة بعد العصر، وقيل: غير ذلك، وفيه اجتماع المسلمين للخطبة والصلاة، نهى رسول الله ﷺ عن تخصيصه بالصيام، تكون القيامة في يوم جمعة، خلق فيه آدم عليه السلام، وأدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ففيه المبدأ والمعاد، كان رسول الله ﷺ يقرأ في فجره سورتي ﴿الٓمٓ ○ تَنزِيلُ﴾ [السجدة:١،٢] ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان:١] لأن فيهما ما كان وما يكون من ذكر آدم والمبدأ والمعاد والجنة والنار، فالطاعة فيه أجرها أعظم من غيره، وكذا ليلته، وهو يوافق يوم المزيد في الجنة.

فائدة: التقوى خير الزاد

أمر الله تعالى بالتقوى في القرآن الكريم في آيات كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ [الحديد:٢٨] وقال: ﴿هَٰذَا بَيَانٞ لِّلنَّاسِ وَهُدٗى وَمَوۡعِظَةٞ لِّلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران:١٣٨] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ تَذَكَّرُواْ فَإِذَا هُم مُّبۡصِرُونَ﴾ [الأعراف:٢٠١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا﴾ [الأحزاب:٧٠] وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ○ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق:٢،٣] وغير ذلك من الآيات، والتقوى هي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه، وهي خير الزاد، قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [البقرة:١٩٧] فالمتقي يدفع الله عنه الأضرار، ويرزقه من حيث لا يحتسب، ويجعل له مخرجًا من كل مكروه، ويحميه من كل ما يضره، ويبارك له في كل ما أعطاه، قال تعالى: ﴿وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذۡنَٰهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾ [الأعراف:٩٦] ويجعل الله له فرقانًا ونورًا يفرق به بين الحق والباطل، قال تعالى: ﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩] ويؤتيه كفلين من رحمته، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ﴾ [الحديد:٢٨] ويعلِّمه الله العلم النافع، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ﴾ [البقرة:٢٨٢] والتقي أكرم الناس، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ [الحجرات:١٣] وتكون العاقبة للمتقين، والقرآن موعظة للمتقين، يهرب منهم الشيطان

الرجيم، ويكون من الفائزين، قال تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَخۡشَ ٱللَّهَ وَيَتَّقۡهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ﴾ [النور:٥٢] ويمنح الله المتقين فراسة، قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله» [الترمذي:٣١٢٧ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث ضعيف، انظر الضعيفة:١٨٢١] ويجنب النار، قال سبحانه: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ۝ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ۝ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ تُجۡزَىٰٓ ۝ إِلَّا ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝ وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾ [الليل:١٧-٢١].

فائدة: من صفات أهل الأيمان

من صفات أهل الإيمان أنهم مع إحسانهم وإيمانهم يخافون أن لا يتقبل منهم، ويشفقون على أنفسهم، ويؤمنون بآيات الله، ويصدقون بكل ما ورد في كتبه، ولا يشركون بالله شيئًا، وقلوبهم وجلة، لأنهم يعلمون أنهم راجعون إلى الله ومحاسبهم، ويسارعون في الخيرات ويسابقون إليها، ويخشعون في صلاتهم، ويعرضون عن اللغو، ويفعلون الزكاة لتطهير أموالهم، ويحافظون على فروجهم ولا يعتدون، ويحافظون على أماناتهم، ويرعون عهودهم ويحافظون، ويداومون على صلواتهم، قال الله تعالى: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَنِ ٱللَّغۡوِ مُعۡرِضُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِفُرُوجِهِمۡ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَإِنَّهُمۡ غَيۡرُ مَلُومِينَ ۝ فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُمۡ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمۡ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون:١-٩] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ هُم مِّنۡ خَشۡيَةِ رَبِّهِم مُّشۡفِقُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ يُؤۡمِنُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ۝

وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَٰجِعُونَ ○ أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ﴾ [المؤمنون:٥٧-٦١] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ○ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ○ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ○ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ○ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ○ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ○ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ○ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ○ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ○ أُوْلَٰٓئِكَ فِي جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ [المعارج:٢٣-٣٥] وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [التوبة:١٨] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٤٩] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة:٣].

فائدة: الأمر بلزوم الصراط المستقيم والنهي عن الافتراق

قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣] وقال: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ [الشورى:١٣] في هاتين الآيتين وغيرهما الأمر بالجماعة، والنهي عن الفرقة والاختلاف، وأن الهالكين من الأمم السابقة بسبب الخلاف والمراء والجدال، وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: خط لنا رسول الله ﷺ خطًّا ثم قال: «هذه سبيل الله» ثم خط خطوطًا عن يمينه وعن شماله، ثم قال: «هذه سبل، على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه» ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ

عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام:١٥٣] [أحمد ١/ ٤٣٥ والحاكم ٢/ ٣١٨ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه] وعن النواس بن سمعان رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «ضرب الله مثلًا صراطًا مستقيمًا، وعن جنبتي الصراط سوران، فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: ياأيها الناس، ادخلوا الصراط جميعًا، ولا تتعرجوا، وداع يدعو من فوق الصراط: فإذا أراد أن يفتح شيئًا من تلك الأبواب قال: ويحك لا تفتحه، فإنك إن تفتحه تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط، كتاب الله، والداعي من فوق الصراط: واعظ الله في قلب كل مسلم» [أحمد في مسنده ٤/ ١٨٢، ١٨٣ والحاكم ١/ ٧٢ وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم] قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩] فكل من فارق دين الله وخالفه، وصار مع الشيع والفرق والملل والنحل والضلالات والأهواء، فقد خالف وافترق ونكب عن الصراط المستقيم، وتبرأ منه الرسول ﷺ والأنبياء قبله، ولهذا قال تعالى: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام:١٥٩].

فائدة: تزكية النفس

تحتاج النفس إلى تزكية حتى تكمل وتنمو وتزيد بركتها، وتهتدي للحق، وتصح من الأعراض وتصلح، وفي القرآن شفاء لها وزكاة وطهارة، وعلاج لأسقامها، ومن أسباب زكاتها:

التوحيد والإيمان، فإذا عرف العبد معنى لا إله إلا الله حق

المعرفة زكت نفسه وأفلح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩] وقال: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ﴾ [النساء:٤٩] وقال: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:١٤] وقال: ﴿قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس:٥٧] وقال: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت:٤١] وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢] وهذا من فضل الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور:٢١] وامتثال أوامر الله سبب من أسباب التزكية، قال تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور:٢٨] وغض البصر من أسباب الزكاة، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور:٣٠] والدعاء من أسباب زكاة النفس، قال تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة:٦] وقال: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾ [الفرقان:٧٧] وسلامة القلب من الاعتقادات الفاسدة سبب من أسباب زكاة القلب، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٩] واتباع هدى الله من أسبابه، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣] والصدقات من أسبابه، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] والتوبة من أسبابه، قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور:٣١] والإخلاص من أسبابه، قال تعالى عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الإسراء:٦٥].

فائدة: وجوب الإعراض عن مجالس السوء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَـٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ

يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَلَا تَقۡعُدۡ بَعۡدَ ٱلذِّكۡرَىٰ مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ○ وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٦٨،٦٩] لا يجوز الجلوس عند من يستهزأ بآيات الله أو يكذب بها أو يحرفها، قال تعالى: ﴿وَقَدۡ نَزَّلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أَنۡ إِذَا سَمِعۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكۡفَرُ بِهَا وَيُسۡتَهۡزَأُ بِهَا فَلَا تَقۡعُدُواْ مَعَهُمۡ حَتَّىٰ يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيۡرِهِۦٓۚ إِنَّكُمۡ إِذٗا مِّثۡلُهُمۡۗ﴾ [النساء:١٠٤] فمن أقرهم أو سكت عن الإنكار عليهم، فهو مثلهم، سواء بسواء، وفي الإعراض عنهم تذكير لهم عما هم فيه لعلهم يرجعون عن غيهم، ولا يعودون لمثله، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنۡ حِسَابِهِم مِّن شَيۡءٖ وَلَٰكِن ذِكۡرَىٰ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:٦٩] ويجب على المسلم أن يترك من اتخذ آيات الله لعبًا ولهوًا، ومن اغتر في الحياة الدنيا، قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمۡ لَعِبٗا وَلَهۡوٗا وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ وَذَكِّرۡ بِهِۦٓ أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ لَهُمۡ شَرَابٞ مِّنۡ حَمِيمٖ وَعَذَابٌ أَلِيمُۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡفُرُونَ﴾ [الأنعام:٧٠] فالاستهزاء بآيات الله كفر، ومن اتخذ الدين لعبًا ولهوًا توعده الله بالعذاب الأليم يوم القيامة، يفضحه الله بين الخلائق، ويجزى بما كسب من الإثم، ويرتهن، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡ رَهِينَةٌ﴾ [المدثر:٣٨] وليس لنفسه عدل ولا ولي ولا شفيع، قال تعالى: ﴿لَيۡسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيّٞ وَلَا شَفِيعٞ وَإِن تَعۡدِلۡ كُلَّ عَدۡلٖ لَّا يُؤۡخَذۡ مِنۡهَآۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أُبۡسِلُواْ بِمَا كَسَبُواْۖ﴾ [الأنعام:٧٠] وقال: ﴿أَن تُبۡسَلَ نَفۡسُۢ بِمَا كَسَبَتۡ﴾ [الأنعام:٧٠] قال الضحاك عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة

والحسن والسدي معنى ﴿تُبْسَلَ﴾ أي تسلم، وروي أيضًا عن ابن عباس رضي الله عنهما معناها تفتضح، وقال قتادة: تحبس، وقال ابن زيد: تؤاخذ، وقال الكلبي: تجزى،فهي محبوسة مرتهنة عن إدراك المطلوب وعن الخير.

ويجب على المسلم إذا رأى مثل ذلك أن ينصح، ويتحمل الأذى في سبيل الله، ولا تأخذه في الله لومة لائم، أو يعتزل هذه المجالس حتى ينجو بنفسه، وأن تكون دعوته بالرفق والحكمة والذكرى والموعظة والتخويف والترهيب.

فائدة: احكام المساجد

بيوت الله تعالى المساجد فيها النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٣٥] ثم قال: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور:٣٦] أذن الله برفعها حسيًّا ورفعها معنويًّا بذكر الله سبحانه وتعالى، وأمر بتعاهدها وتطهيرها من الأقوال الباطلة والأفعال القبيحة واللغو والغيبة والنميمة، وأوجب احترامها وتوقيرها وتطييبها وتبخيرها، قال رسول الله ﷺ: «من بنى مسجدًا يبتغي به وجه الله بنى الله له مثله في الجنة» [البخاري:٥٤٠ ومسلم:٥٣٣].

أما تشييدها وزخرفتها فلم يؤمر به، وإنما هو من علامات الساعة، قال رسول الله ﷺ: «ما أمرت بتشييد المساجد» [أبو داود:٤٤٨ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث صحيح] وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد» [أبو داود:٤٤٩ وابن ماجه:٧٣٩ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث صحيح] ولا يجوز البيع والشراء فيها، ولا إنشاد الضالة، ومن فعل

ذلك يقال له: لا أربح الله تجارتك، ولا ردها الله إليك، ولا يجوز رفع الصوت بها، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إذا رأيتم من ينشد ضالة في المسجد فقولوا: لا ردها الله عليك» [البيهقي ٢/٤٤٧] ولما سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجلين يرفعان أصواتهما في مسجد رسول الله ﷺ قال: من أين أنتما؟ قالا: من أهل الطائف، قال: (لو كنتما من أهل البلد لأوجعتكما، ترفعان أصواتكما في مسجد رسول الله ﷺ) [البخاري:٤٧٠] والصلاة في المسجد جماعة تفضل على صلاته في سوقه وبيته خمسًا وعشرين درجة، وفي رواية: سبعًا وعشرين درجة، ومن مشى للمسجد فله بكل خطوة رفع درجة وحط خطيئة، ويستحب أن يقدم رجله اليمنى في الدخول، واليسرى في الخروج، ويقول عند الدخول: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك» وفي الخروج يقول: «اللهم اغفر لي ذنوبي، وأسألك من فضلك» بعد الصلاة والسلام على النبي ﷺ، وروى ابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان في الصحيح «وإذا خرج فليسلم على النبي ﷺ، وليقل: اللهم اعصمني من الشيطان الرجيم» [ابن ماجه:٧٧٣ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث صحيح] قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ﴾ [الجمعة:٩] وقال: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ﴾ [النور:٣٧].

فائدة: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم

في القرآن آيات محكمات، وفيه آيات متشابهات، كما قال الله تعالى: ﴿مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي

﴿قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧] فالمحكمات هن أم الكتاب، وهن الواضحات البينات الدلالة، اللاتي لا التباس فيها، أما المتشابهات فإن كثيرًا من الناس أو بعضهم تتشابه عليهم معانيها، ويجب على المسلم رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه البين الدلالة، أما المتشابه فإن الراسخين في العلم يردونها إلى المحكمات ويؤمنون بها، وأما الذين في قلوبهم مرض وزيغ وضلال وبعد عن الحق فيأخذون بالمتشابه ويحرفون معانيه إلى مقاصدهم الفاسدة، غرضهم بذلك الفتنة والإضلال والانحراف والبدعة والتحريف، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ إلى قوله: ﴿أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران:٧] فقال: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه، فهم الذين عنى الله، فاحذروهم» [أحمد ٦/٤٨ وقال محققو المسند: حديث صحيح] فالذي يعلم تأويل المتشابهات هو الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران:٧] أما الراسخون في العلم فيؤمنون به، ويقولون كل من عند ربنا، وقد يفهمون تأويله، كما فهم ابن عباس رضي الله عنهما وقال: أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله، حيث دعا له الرسول ﷺ فقال: «اللهم فقهه في الدين، وعلمه التأويل» [أحمد في مسنده ١/٢٦٦ وقال محققو المسند: هذا حديث صحيح] والحقيقة الكاملة تأتي يوم المعاد، كما قال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُۥ﴾ [الأعراف:٥٣].

فائدة: نسخ الأديان السابقة بعد بعثة النبي ﷺ

بعد بعثة محمد ﷺ لا يقبل من أحد أي دين إلا دين الإسلام، قال الله تعالى: ﴿وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْأُمِّيِّـۧنَ ءَأَسْلَمْتُمْ ۚ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران:٢٠] وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨] وقال: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان:١] وقال: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٦،١٥٧] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «والذي نفس محمد بيده! لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار» [مسلم:١٥٣] وقال عليه الصلاة والسلام: «وبعثت إلى كل أحمر وأسود» [مسلم:٥٢١] وقال: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة، وبعثت إلى الناس عامة» [البخاري:٣٣٥، ومسلم:٥٢١] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ:٢٨] وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۗ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

فائدة: جوامع البر

قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

هذه جوامع البر فليس البر مظاهر فارغة، وإنما هو عمل في طاعة الله وامتثال لأوامره وشرعه وتقواه، وليس توجهًا إلى شرق أو غرب، وإنما هو استجابة لأمر الله، كما قال عن الأضاحي والهدايا: ﴿لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ﴾ [الحج: ٣٧] إن البر هو إيمان بالله، وإيمان بالملائكة الذين هم سفرة بين الله ورسله، وإيمان بالكتاب المنزل على رسوله، والكتب السابقة المنزلة على رسله، إنه إيتاء للمال على حبه وأنت صحيح شحيح، تأمل الغنى وتخشى الفقر، قال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ○ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٨،٩] إنه صلة للقرابات، وبر بالوالدين، وإحسان لليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب، إنه إقامة للصلاة وأمر بها، وبالزكاة وبذل لها، إنه وفاء بالعهود والمواثيق والنذور وعدم نقضها، وصبر وثبات في البأساء والضراء وحين البأس، وفي الفقر والمرض والأسقام والجهاد ومقارعة الأعداء، إنه صدق في القول والعمل، وتقوى لله في السر والعلن ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

إن الأبرار اتقوا المحرمات فتركوها، وفعلوا الطاعات التي ترضي ربهم، وإن تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة امتحان للاستجابة من عدمها، وليس البر تحويل الوجوه قبل المشرق والمغرب، ولا الدعاوى بغير برهان، ولا القول بدون عمل، ولا المظاهر بدون صدق وإحسان.

فائدة: دلائل تثبت التوحيد وتنفي عناد المشركين وحيلهم

قال الله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور:٣٥] هل يعقل أن يوجدوا من غير موجد؟! وهل يعقل أن يكونوا أوجدوا أنفسهم؟! لا يمكن أن يكونوا كذلك ﴿أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور:٣٦] وهذا إنكار عليهم في شركهم بالله الخالق للسموات والأرض، فعدم إيقانهم هو الذي دفعهم على ذلك ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور:٣٧] فهل يتصرفون في ملك الله؟ وهل بيدهم مفاتيح الخزائن؟، وهل هم المحاسبون للخلق؟ إن الله هو المالك المتصرف الفعال لما يريد، وهم غير قادرين على ذلك، وهل عندهم مرقاة وسلالم يصعدون منها إلى الملأ الأعلى فيستمعون ما يقولون؟، إنه ليس لديهم قدرة على ذلك ولا سبيل ولا دليل ﴿أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ [الطور:٣٩] إنه افتراء على الله أن جعلوا الملائكة إناثًا، واختيارهم الذكور لأنفسهم، وهل أنت يامحمد تسألهم أجرا على ما تحملت من البلاغ المبين والجهاد في سبيله، وهل عندهم غيب السموات والأرض؟ فهم لا يعلمون ذلك، إنما الله عالم غيب السموات والأرض ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ○ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾ [الطور:٤١،٤٢] فكيدهم باطل راجع

عليهم ﴿فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ○ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الطور:٤٢،٤٣] من الأصنام والأنداد فسبحان الله تعالى عما يشركون، وهذه الأمور عندهم تدل على عنادهم، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور:٤٤] وقال: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّواْ فِيهِ يَعْرُجُونَ ○ لَقَالُوٓاْ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ﴾ [الحجر:١٤،١٥] وقال تعالى تسلية لرسوله ﷺ: ﴿وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور:٤٨] وتحت كلاءتنا وحفظنا وعصمتنا، وعليك بالصلاة والتسبيح والحمد والذكر حين قيامك من الليل، ومن كل مجلس، قال رسول الله ﷺ: «من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: اللهم اغفر لي أو دعا، استجيب له، فإن توضأ وصلى، قبلت صلاته» [البخاري:١١٥٤] قال رسول الله ﷺ: «من جلس في مجلس فكثر فيه لغطه، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» [الترمذي:٣٤٣٣ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث صحيح].

فائدة: أعظم آية في القرآن

آية الكرسي أعظم آية في القرآن الكريم، عن أُبي بن كعب رضي الله عنه أن النبي ﷺ سأله أي آية أعظم في كتاب الله؟ قال: الله ورسوله أعلم، فرددها مرارًا، ثم قال أُبي: آية الكرسي، قال: «ليهنك العلم أبا المنذر، والذي نفسي بيده إن لها لسانًا وشفتين، تقدس الملك

عند ساق العرش» [أحمد ٥/ ١٤٢ وأبو داود: ١٤٦٠ ومسلم: ٨١٠].

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: وكلني رسول الله ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فأتاني آت، فجعل يحثو من الطعام، فأخذته وقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فقال: دعني، فإني محتاج وعلي عيال، ولي حاجة شديدة، قال: فخليت عنه فأصبحت، فقال النبي ﷺ: «ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قال: قلت: يارسول الله! شكا حاجةً شديدةً وعيالًا فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فعرفت أنه سيعود، لقول رسول الله ﷺ «إنه سيعود» فرصدته فجعل يحثو من الطعام فأخذته فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال: دعني فإني محتاج وعلي عيال، لا أعود، فرحمته فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ياأبا هريرة ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يارسول الله! شكا حاجةً وعيالًا فرحمته فخليت سبيله، قال: «أما إنه قد كذبك وسيعود» فرصدته الثالثة فجعل يحثو من الطعام فأخذته، فقلت: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، وهذا آخر ثلاث مرات، إنك تزعم لا تعود ثم تعود، فقال: دعني، أعلمك كلمات ينفعك الله بها، قلت: ما هن؟ قال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥] حتى تختم الآية، فإنك لن يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخليت سبيله، فأصبحت، فقال لي رسول الله ﷺ: «ما فعل أسيرك البارحة؟» قلت: يارسول الله! زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: «ما هي» قلت: قال لي: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، وقال لي: لن يزال

عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، قال النبي ﷺ: «أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ياأبا هريرة؟» قلت: لا، قال: «ذلك شيطان» [البخاري:٢٣١١] ففي هذه السورة اسم الله الأعظم (الحي القيوم) كما ورد في أحاديث عدة، وفيها أنه تعالى المتفرد بالإلهية، وأنه لا يعتريه نقص، وأن كل شيء تحت قهره وملكه، وأنه لا يتجاسر أحد على أن يشفع لأحد إلا بإذنه، وأنه يعلم كل شيء، ولا يحاط بعلمه، وأن كرسيه وسع السموات والأرض، ولا يؤده حفظهما، وهو العلي العظيم.

فائدة: ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة

الله تعالى له الفضل العظيم والمنة الكبرى والكرامة العظمى، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ تَدْعُونَهُۥ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَىٰنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ○ قُلِ ٱللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام:٦٣، ٦٤] فهو سبحانه المنجي من ظلمات البر والبحر عندما يهيم الإنسان في البرية، أو في لجج البحار، أو في عواصف الرياح، وهو الذي يسير في البر والبحر، وفي الفلك والطائرات والسيارات والمراكب والأمواج والظلمات في البر والبحر والكروب، فسبحانه من كريم.

﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ﴾ [الأنعام:٦٥] فهو سبحانه القادر على أن ينزل عليكم العذاب من فوقكم، أو يبعثه من تحتكم، أو يسلط بعضكم على بعض بالقتل والتعذيب، عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال: لما

نزلت هذه الآية ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ [الأنعام:٦٥] قال رسول الله ﷺ: «أعوذ بوجهك» فلما نزلت: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «أعوذ بوجهك» فلما نزلت: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «هذه أهون وأيسر» [أحمد في مسنده ٣/ ٣٠٩ وقال محققو المسند إسناده صحيح على شرط الشيخين].

وعن سعد بي أبي وقاص رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ أقبل ذات يوم من العالية، حتى إذا مر بمسجد بني معاوية، دخل فركع فيه ركعتين وصلينا معه، ودعا ربه عز وجل طويلًا، ثم انصرف إلينا، فقال ﷺ: «سألت ربي ثلاثًا: فأعطاني ثنتين ومنعني واحدة، سألت ربي أن لا يهلك أمتي بالسنة، فأعطانيها، وسألته أن لا يجعل بأسهم بينهم فمنعنيها» [مسلم:٢٨٩٠].

ومعنى ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا﴾ أي فرقًا متخالفين أهل أهواء، قال ﷺ: «ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة» [أبو داود:٤٥٩٦، ٤٥٩٧ وابن ماجه:٣٩٩٢، وأحمد ٢/ ٣٣٢، والبيهقي ١٠/ ٢٠٨، وقال الألباني: حسن] فالفرقة الناجية هي من كانت على مثل ما عليه رسول الله ﷺ وأصحابه، وهم أهل الحديث السلفيون، المتبعون لهدي السلف الصالح من الصحابة والتابعين.

فائدة: الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً من لوازم الإيمان

الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا من لوازم الإيمان، تدل عليه الآيات الكريمات الآتية: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام:١٦٤] وقوله: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام:١٤] وقوله: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ

﴿إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام:١١٤] وقوله: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران:٨٥] وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ﴾ [الأعراف:١٥٧].

ومن الرضا بالله ربًّا أن يسكن العبد إلى تدبيره تعالى، وينزل حوائجه به، ولا يبتغي ربًّا غيره، ويتخذه إلهه وناصره ومعينه، ويلجأ إليه في جميع أموره، ويتحاكم إلى كتابه، ولا يشرك به أحدًا، ولا يوالي من دونه أولياء ليقربوه إلى الله، ويحب أنبياءه وعباده المؤمنين، وأن يبغض عباده من دونه.

ومن الرضا بالإسلام دينًا أن يعلم ويعتقد أنه لا دين غير دين الإسلام، وأن الأديان الأخرى كلها نسخت بالقرآن.

ومن الرضا بمحمد نبيًّا ورسولًا - صلوات الله وسلامه عليه - أن يعلم ويعتقد أنه خاتم الأنبياء والمرسلين، ويتبعه في أوامره ويجتنب نواهيه، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ [الأعراف:٣].

فائدة: أسماء الله الحسنى لا تنحصر بعدد

قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف:١٨٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن لله تسعًا وتسعين اسمًا مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» [البخاري:٦٤١٠، ومسلم:٢٦٧٧] وأسماؤه الحسنى لا تنحصر بعدد، كما ورد بالحديث «أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو

استأثرت به في علم الغيب عندك . . .» الحديث [أحمد ١/ ٣٩١ وقال محققوه: إسناده ضعيف] ومن عدل عن اسم الله الحقيقي فهو من الذين يلحدون في أسمائه، وكذا من حرفها، ومن سمى اللات من أسماء الله تعالى، واشتق العزى من العزيز، ومن قصد بها غير وجهها، وإنما الواجب إثباتها من غير تحريف ولا تمثيل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا تكييف، ليس كمثله شيء، وهو السميع العليم.

فائدة: نعم الله على الإنسان كثيرة

نعم الله تعالى على الإنسان عظيمة، خلقه من العدم، وحمله في البر والبحر، ورزقه من الطيبات، وسخر له الشمس والقمر دائبين، وسخر له الليل والنهار، وآتاه من كل ما سأل، وأنزل عليه الكتب وأرسل له الرسل، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ○ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ○ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ○ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ○ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ○ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٦٤-٦٩] ومن النعم الجنات من النخيل والأعناب، وتفجير العيون، والثمرات، والزوجات، قال تعالى: ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [النحل: ٧١] وقال: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ﴾ [النحل: ٧٢] ومن نعمه تعالى السمع والبصر

والعقول، قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النحل:٧٨] ومن نعمه البيوت والأثاث والثياب، قال تعالى: ﴿تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾ [النحل:٨٠] ومن نعمه الجبال والظلال والحديد، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل:٨١] ومن نعمه العسل، قال تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ﴾ [النحل:٦٩] وأعظم النعم أن هدانا للإسلام، قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات:١٧] ولا نستطيع تعداد نعم الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ﴾ [النحل:١٨] فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: زكاة النفس

زكاة النفس بالعمل في طاعة الله واجتناب معاصيه، وفي ذلك الفلاح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ○ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس:٩،١٠] وقال رسول الله ﷺ: «اللهم آت نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها» [مسلم:٢٧٢٢، وأحمد في مسنده ٤/٣٧١ عن زيد بن أرقم رضي الله عنه]. وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤] أي طهر نفسه من النجاسات والذنوب، ومن أسباب زكاة النفس الصلاة بخشوع، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون:١،٢] إلى آخر الصفات التي ذكرت بعد هاتين الآيتين، فالطاعة تنمي النفس وتطهرها، والمعصية تصغر النفس وتدنسها وتحقرها، قال تعالى: ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾

[الشمس:١٠] فالعز في طاعة الله تعالى، والذل في معصيته، وهذا كله من الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ [الشمس:٧،٨] عن عمران بن حصين رضي الله عنه أن رجلًا من مزينة أو من جهينة أتى النبي ﷺ فقال: يارسول الله! أرأيت ما يعمل الناس اليوم ويكدحون فيه، أشيء قضي عليهم ومضى عليهم من قدر ما سبق؟ أو فيما يستقبلون به مما أتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟ قال: «لا، بل شيء قضى عليهم ومضى فيهم» قال: فلم يعملون إذًا يارسول الله؟ قال: «من كان الله عز وجل خلقه لواحدة من المنزلتين يهيئه لعملها، وتصديق ذلك في كتاب الله عز وجل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ○ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾» [الشمس:٧،٨] [مسلم:٢٦٥٠، وأحمد ٤/٤٣٨] وإنما بين لهم الطريقتين فاختاروا أحدهما، وأقام عليهم الحجة، فأعذرهم، قال تعالى: ﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت:١٥] وقال: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت:١٧] وقال: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الأعراف:١٧٥] وقال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد:١٠] فالضلال بسبب العبد، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

فائدة: الصدق أصل الإخلاص والاعتقاد والأعمال الصالحة

قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء:٨٧] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩] وقال: ﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [الزمر:٣٣]

وقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾ [النساء:٦٩] وقال في إبراهيم عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ [مريم:٤١] وقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء:٦٩] وقال: ﴿لِّيَجۡزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدۡقِهِمۡ﴾ [الأحزاب:٢٤] وقال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ﴾ [يونس:٢] وقال: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ﴾ [القمر:٥٥] وقال: ﴿وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ لِسَانَ صِدۡقٍ عَلِيّٗا﴾ [مريم:٥٠] وقال: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدۡخِلۡنِي مُدۡخَلَ صِدۡقٖ وَأَخۡرِجۡنِي مُخۡرَجَ صِدۡقٖ وَٱجۡعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلۡطَٰنٗا نَّصِيرٗا﴾ [الإسراء:٨٠].

فالصدق طمأنينة للقلب، وهداية إلى البر والجنة، ويبارك الله لصاحبه، وهو أصل الإخلاص والاعتقاد والأعمال الصالحة والأحوال، وهو في الأقوال استواء اللسان، وفي العمل استواء الأفعال على الأوامر، وفي الأحوال استواء الإخلاص، والصديقون دون الأنبياء في الفضيلة، ورسولنا محمد ﷺ إمامهم، وأبو بكر رضي الله عنه صديقه، والصادق يثني عليه الناس، وقد أثنى الله تعالى على من يتصف بلسان الصدق وقدم الصدق ومدخل الصدق ومخرج الصدق ومقعد الصدق، وهو يهدي إلى البر، والبر يهدي إلى الجنة، فلسان الصدق بأن لا ينطق إلا بصدق، ومما يناله الصادق أن يثني عليه سائر الناس، وقدم الصدق الجنة، ومحمد ﷺ والأعمال الصالحة، ومقعد الصدق الجنة، ومدخل الصدق ومخرجه أن يكون دخوله وخروجه لمرضاة الله تعالى وبالله ولله وبأمر الله ولابتغاء مرضاة الله، والصادق محفوظ اللسان من التحريف والتبديل، وكان العرب

يعرفون محمدًا ﷺ بالصدق، وهو سبب النجاة، وقد أنجى الله الثلاثة الذين خلفوا بسبب صدقهم، والإيمان أساسه الصدق، كما أن النفاق أساسه الكذب، قال تعالى: ﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٤] والصادق يقيم الأمانة، ويتيقن من كل ما أخبر الله به أو أخبر به رسوله ﷺ، ولا يفتري الكذب ولا الإفك ولا البهتان، ولا يخون، ويفي بالموعد، ولا يشهد شهادة زور، ولا يغدر، فهو بَرٌّ وفيٌّ، يقم الشهادة لله، مستقيم في كل شيء، قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ﴾ [المائدة: ١١٩].

فائدة: الدخان من علامات الساعة

قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ○ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ○ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٠-١٣].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن قريشًا لما أبطأت عن الإسلام، واستعصت على رسول الله ﷺ، دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم من الجهد والجوع، حتى أكلوا العظام والميتة، وجعلوا يرفعون أبصارهم إلى السماء فلا يرون إلا الدخان [مسلم: ٢٧٩٨] وفي رواية: فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد، قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ○ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١] فأتي رسول الله ﷺ فقيل: يارسول الله! استسق الله لمضر، فإنها قد هلكت، فاستسقى لهم فسقوا، فنزلت: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ

عَآئِدُونَ﴾ [الدخان:١٥] قال ابن مسعود رضي الله عنه: فيكشف عنهم العذاب، فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان:١٦] يعني بذلك يوم بدر [مسلم:٢٧٩٨] قال ابن مسعود: مضى خمس: الدخان والروم والقمر والبطشة واللزام [البخاري:٤٨٢٠ ومسلم:٢٧٩٨] وقيل: ذلك أنه في آخر الزمان من علامات الساعة، لحديث أبي سريحة حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر الساعة، فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، والدخان، والدابة، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج عيسى ابن مريم، والدجال، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونارٌ تخرج من قعر عدن تسوق الناس - أو تحشر الناس - تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا» [مسلم:٢٩٠١].

وفي قوله تعالى: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ دليل على أن ذلك يغشى جميع الناس، وهذا يؤيد أنه من علامات الساعة، وليس خاصًّا بمضر، وما رواه ابن مسعود رضي الله عنه إنما هو خيال رأوه بأعينهم من شدة الجوع والجهد، وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لابن صياد: «إني قد خبأت لك خبيئًا» قال: هو الدُّخ، قال رسول الله ﷺ: «اخسأ فلن تعدو قدرك» قال: وخبأ له رسول الله ﷺ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾ [الدخان:١٠] [البخاري:٣٠٥٥ ومسلم:٢٩٣٠] وهذا يدل على أنه من المنتظر المرتقب، فهو دخان بين واضح يراه الناس بأعينهم، وهو من علامات قيام الساعة، ولو كشف الله عنهم

العذاب لعادوا إلى ما نهوا عنه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [المؤمنون: ٧٥].

فائدة: أقسام الكفار

الكفار ينقسمون إلى ثلاثة أقسام: أهل صلح وهدنة، وأهل حرب، وأهل ذمة، فيجب إتمام العهد لأهل العهد والهدنة والصلح، ما استقاموا على العهد، قال تعالى: ﴿فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ﴾ [التوبة: ٤] فإن خيف خيانتهم نبذ إليهم عهدهم، ولا يقاتلون حتى يعلموا بذلك، وينبذ إليهم على سواء، ومن نقض العهد يقاتل.

أما الكفار المحاربون والمنافقون فيجاهد الكفار بالقوة، ويحارب المنافقون بالحجة والبيان، وأمر الإسلام بقبول علانيتهم، وتوكل سرائرهم إلى الله.

أما أهل الذمة فيبرون ويقسط إليهم ولا يقاتلون، قال تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

فائدة: صفات نبينا محمد ﷺ وأمته

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ○ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

من صفات النبي محمد ﷺ: أنه شاهد ومبشر ونذير، وداع إلى الله، وسراج منير، وحرز للأميين، وعبدالله ورسوله المتوكل، ليس فظًا ولا غليظًا ولا سخابًا في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، يعفو ويصفح ويغفر، يقيم الله به الملة العوجاء، يفتح به أعينًا عميًا، وآذانًا صمًّا وقلوبًا غلفًا، ومن صفاته: أنه أمي ذو سكينة ووقار، لا

يقول الخنا، مسدد الرأي، خلوق كريم، السكينة لباسه، والبر شعاره، والتقوى ضميره، والحكمة منطقه، والصدق والوفاء طبيعته، والعفو والمعروف خلقه، والحق شريعته، والعدل سيرته، والهدى إمامه، والإسلام ملته، وأحمد اسمه، هدى الله به بعد الضلال، وعلم به بعد الجهالة، ورفع به بعد الخمالة، وعرف به بعد النكرة، وأكثر به بعد القلة، وأغنى بعد العيلة، وجمع به بعد الفرقة، وألف الله به الأمم المتفرقة والقلوب المختلفة والأهواء المتشتتة، وأنقذ الله به الفئام من الناس من الهلكة، أمته خير أمة أخرجت للناس، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، موحدين مؤمنين مخلصين مصدقين بالرسل أجمعين، ألهم الله أمته التسبيح والتحميد والثناء والتكبير والتوحيد، يصلون ويقاتلون في سبيل الله صفوفًا، ويهاجرون ابتغاء وجه الله، ويتطهرون، لا يجرون الثياب ولا يختالون، يتقربون إلى الله بالدماء، أناجيلهم في صدورهم، رهبان بالليل، ليوث بالنهار، منهم الصديقون والشهداء والصالحون، يهدون بالحق وبه يعدلون، أعز الله من نصرهم، وجعل دائرة السوء على من خذلهم، يؤتون الزكاة، ويوفون بالعهود، يكون الرسول ﷺ شاهدًا بالوحدانية، وشاهدًا على الناس بأعمالهم يوم القيامة، مبشرًا للمؤمنين بالثواب الجزيل،وللكافرين بالعقاب، داعيًا للخلق إلى عبادة ربهم، أمره كالشمس، لا يجحد أمره إلا من يعاند.

فائدة: صفات بني إسرائيل الحسنة والسيئة

من صفات بني إسرائيل صفات حسنة أخذ بها بعضهم، وأنصفهم الله بها، فقال: ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ أُمَّةٌ قَآئِمَةٌ يَتْلُونَ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران:١١٣] وقال: ﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ

يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف:١٥٩] وقال: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَمَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَٰشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [آل عمران:١٩٩] وقال: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ﴾ [آل عمران:٧٥] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ ○ وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦٓ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّنَآ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِۦ مُسْلِمِينَ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا۟ وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [القصص:٥٢-٥٤] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ○ وَيَقُولُونَ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ○ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء:١٠٧-١٠٩] ومن صفاتهم السيئة التي ارتكبها أكثرهم عدوانهم في السبت، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا۟ مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا۟ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ [البقرة:٦٥] وقد كانوا ممنوعين من صيد السمك يوم السبت فتحايلوا على ذلك، ووضعوا الأشباك قبله، ليأخذوا السمك بعده، قال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْسُقُونَ﴾ [الأعراف:١٦٣].

ومن ذلك أنهم لا يتناهون عن منكر فعلوه، ومنها ذلتهم الدائمة إلى يوم القيامة، وإن الله تأذن ﴿لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۗ﴾ [الأعراف:١٦٧].

ومن ذلك أن خلوفهم أخذوا عرض الدنيا وتركوا الآخرة، قال

تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ﴾ [الأعراف: ١٦٩].

ومن ذلك أن الله قطعهم في الأرض أممًا، وكتب عليهم من يسومهم سوء العذاب إلى يوم القيامة.

ومن ذلك خيانتهم، وقد أخذ الله عليهم الميثاق، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

فائدة: قصة ذي النون عليه السلام

قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

لقد بُعث يونس بن متى عليه السلام إلى أهل قرية نينوى في العراق، فدعاهم إلى الله تعالى، فأبوا وكفروا وكذبوا، فغضب عليهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاثة أيام، وخرج عنهم مغاضبًا، فخرجوا إلى الصحراء هم وأطفالهم ونساؤهم وأنعامهم، وتضرعوا إلى الله، فرفع الله عنهم العذاب، قال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨].

أما يونس عليه السلام فركب في سفينة هاربًا من قومه، فكادت السفينة أن تغرق، فاقترعوا على واحد منهم يلقونه حتى يخف

حملها، فوقعت القرعة عليه ثلاث مرات، فألقى نفسه في البحر فجاء حوت كبير فالتقمه، ولم يأكل له لحمًا ولم يهشم له عظمًا ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] وهذه الظلمات الثلاث: ظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، وظلمة الليل، فأخذ يسبح وهو في بطن الحوت، فاستجاب الله له، وأخرجه من بطن الحوت ومن الظلمات الثلاث، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنبياء:٨٨] وقال: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ﴾ [الأنبياء:٨٨] قال رسول الله ﷺ: «دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت: لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين، لم يدع بها رجل مسلم ربه في شيء قط إلا استجاب الله له» [الترمذي:٣٥٠٥ وقال الألباني رحمه الله: هذا حديث صحيح، وانظر تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٦٥ (١٣٧١٢)] وروى ابن أبي حاتم عن سعد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من دعا بدعاء يونس استجيب له» [تفسير ابن أبي حاتم ٨/ ٢٤٦٥ (١٣٧١٣)] وفي الطبري ١٨/ ٥١٨ أن يونس عليه السلام سجد في بطن الحوت لله تعالى، وقال: (يارب اتخذت لك مسجدًا في موضع لم يبلغه أحد من الناس) فاستجاب الله دعاءه.

فائدة: قصة سبأ

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ:١٥] سبأ هم ملوك اليمن، منهم بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام، كانوا في نعمة عظيمة في بلادهم، لسعة رزقهم، فأمرهم الله على لسان رسله أن يشكروه على نعمه، ويأكلوا من رزقه ويحمدوه، ولكنهم

أعرضوا عن ذلك، فعاقبهم الله بالسيل العرم، قال تعالى: ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ [سبأ:١٦] وسموا سبأ نسبة إلى جدهم، فهو أول من سبأ من العرب، وأول من غنم في الغزو، وهم من العرب العاربة الذين كانوا قبل الخليل إبراهيم عليه السلام من سلالة سام بن نوح، ومنهم الأنصار (الأوس والخزرج) الذين نزلوا في يثرب (المدينة) لما تفرقت سبأ في البلاد بسبب سيل العرم، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه:

إما سألت فإنا معشر نجب
الأزد نسبتنا، والماء غسان

فهم الأزد، وسموا غسان لماء نزلوا عليه، روى ابن جرير عن فروة بن مسيك الغطيفي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لما سأله رجل عن سبأ هل هو أرض أم امرأة؟: «ليس بأرض ولا امرأة، ولكنه رجل ولد له عشرة من الولد، فتيامن ستة، وتشاءم منهم أربعة، فأما الذين تشاءموا فلخم وجذام وعاملة وغسان، وأما الذين تيامنوا فكندة والأشعريون والأزد ومَذْحِج وحمير وأنمار» فقال رجل: وما أنمار؟ قال ﷺ: «الذين منهم خثعم وبجيلة» [الترمذي:٣٢٢٢ قال الألباني: حسن صحيح] فأصول القبائل القحطانية اليمنية من سبأ، ولما جاءهم سيل العرم منهم من بقي في اليمن، ومنهم من خرج منها يمينًا وشمالًا، ومنهم قبيلتا الأوس والخزرج.

وهذا السد العظيم سد مأرب بناه ملوك اليمن بين جبلين يحجز الأمطار، فيسقون ويزرعون الثمار والنبات والأشجار، قيل: إن المرأة

تمشي تحت الأشجار على رأسها مكتل أو زنبيل فيتساقط من الأشجار ما يملؤه من غير أن يحتاج إلى كلفة ولا قطاف، وقيل: إنه لم يكن في بلادهم ذباب ولا بعوض ولا براغيث ولا هوام لاعتدال الجو وصحته وعناية الله تعالى، ولهذا قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍۖ﴾ [سبأ:١٥] أي من ناحية الجبلين اليمين منها والشمال، ولما أعرضوا وتوقف المطر جاءت الفئران فخربت السد، قال الشاعر:

لا تحتقر كيد الضعيف فربما
تموت الأفاعي من سموم العقارب

لقد هد قِدَمًا عرش بلقيس هدهد
وخرب بعض الفأر سد مآرب

ثم جاء سيل العرم فانهدم السد فانسابت المياه وأغرقت وخربت الأشجار والمباني، وذهبت المياه التي في السد عقابًا لهم على كفرهم، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُواْۖ وَهَلْ نُجَٰزِيٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ﴾ [سبأ:١٧].

فائدة: الوعيد الشديد لمن صدَّ عن المسجد الحرام

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلْنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِۚ وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج:٢٥].

في هذه الآية الوعيد الشديد عمن صد المؤمنين عن إتيان المسجد الحرام وعن الحج والعمرة، فإن المسجد الحرام للناس

سواء العاكف فيه والباد، لا فرق فيه بين المقيم فيه والنائي عنه، ومنى لمن سبق إليها، أما تملك البيوت وتأجيرها ففيه خلاف، يظهر أن قول الشافعي قريب من الصحة، وهو جواز التمليك بمكة والتأجير والتوريث، لحديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: قلت: يارسول الله! أتنزل غدًا في دارك بمكة؟ فقال: «وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دور؟» [البخاري: ١٥٨٨، ٣٠٥٨ ومسلم: ١٣٥١] وقال: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» [البخاري: ٦٧٦٤، ومسلم: ١٦١٤] كما أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اشترى بمكة من صفوان بن أمية دارًا للسجن بأربعة آلاف درهم.

ومن أراد الذنب أو هم به في مكة أذاقه الله من عذاب أليم، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] فمن استحل في الحرم ما حرم الله وجب له العذاب الأليم، قال عبدالله ابن مسعود رضي الله عنه: لو أراد رجل في الحرم بإلحاد بظلم وهو في عدن (أبين) لأذاقه الله من العذاب الأليم، ومن ذلك الاحتكار بمكة، قاله حبيب بن أبي ثابت، وقد نزلت هذه الآية في عبدالله بن أنيس حيث بعثه الرسول ﷺ مع رجلين أحدهما مهاجري والآخر أنصاري فافتخروا في الأنساب، فغضب عبدالله بن أنيس فقتل الأنصاري، ثم ارتد عن الإسلام، وهرب إلى مكة، فنزلت هذه الآية ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] ولما هم أصحاب الفيل بتخريب البيت أرسل الله عليهم ﴿طَيْرًا أَبَابِيلَ ○ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ○ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل: ٣-٥] وفي الحديث الصحيح قال رسول الله ﷺ: «يغزو جيش

هذا البيت، فإذا كانوا في بيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم» الحديث [البخاري:٢١١٨] فهذه البقعة المباركة والحرم الشريف أسس من أول يوم على توحيد الله لا شريك له، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران:٩٦] وقال: ﴿وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [البقرة:١٢٥] وقال: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم:٣٧] وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحج:٣٠] وقال: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢] وقال: ﴿وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج:٢٩].

فائدة: من لم يعبد الله يعبد الشيطان

من ترك الحق وقع في الباطل، قال الله تعالى: ﴿فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ [يونس:٣٢] وقال: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق:٥] وقال: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ﴾ [محمد:٢٢] ومن لم يعبد الله عبد الشيطان وهواه ورأيه ونفسه الأمارة بالسوء ودنياه، وأفسد في الأرض، والتبس عليه أمره، نسأل الله العافية.

فائدة: الأغنياء هم أعداء المرسلين والدعاة في الغالب

المترفون والأغنياء والملأ الأكابر هم الذين يقفون ضد دعوة الأنبياء والمرسلين والدعاة إلى الله تعالى في الغالب، قال تعالى عنهم: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء:١١١] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ○ وَقَالُوا۟ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٤،٣٥] وقال: ﴿قَالَ

﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [الأعراف:٧٦] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ﴾ [الأنعام:٥٣] وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُواْ فِيهَا﴾ [الأنعام:١٢٣] وقال: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ﴾ [فصلت:٥١] وقال: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦] وقال: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ [سبأ:٣٤] وقال: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبأ:٣٥] وقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم بِهِۦ مِن مَّالٍ وَبَنِينَ ۝ نُسَارِعُ لَهُمْ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ بَل لَّا يَشْعُرُونَ﴾ [المؤمنون:٥٥،٥٦] وقال: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [التوبة:٥٥] وقال: ﴿ذَرْنِى وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ۝ وَجَعَلْتُ لَهُۥ مَالًا مَّمْدُودًا ۝ وَبَنِينَ شُهُودًا ۝ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمْهِيدًا ۝ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ۝ كَلَّآ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا﴾ [المدثر:١١-١٦] وبين الله تعالى قصة الرجلين: صاحب الجنتين من النخل والأعناب والزرع، والفقير المؤمن، وبين أن هذه الأموال والأولاد لا تقرب إلى الله ﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ [سبأ:٣٧] وبين رسول الله ﷺ: «إن في الجنة غرفًا ترى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها» فقام أعرابي فقال: لمن هي يارسول الله؟ فقال: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» [الترمذي:١٩٨٤ وأحمد ١/١٥٦ وقال الألباني رحمه الله: حسن] وبيَّن أن تميز الغني إذا أنفق الكثير، وفي الحديث: «اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكًا

تلفًا» [البخاري:١٤٤٢ ومسلم:١٠١٠] وقال رسول الله ﷺ لبلال رضي الله عنه: «أنفق بلال ولا تخش من ذي العرش إقلالًا» [الطبراني في الكبير ١٠/ ١٩٢ والبزار:٣٦٥٤، ٣٦٥٥، وأبو يعلى:٦٠٤٠ قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣/ ١٢٦: رواه الطبراني في الكبير، وفيه مبارك بن فضالة، وهو ثقة وفيه كلام، وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه في الأوسط بإسناد حسن] وثبت في الحديث الصحيح: «قال الله تعالى: أنفق أنفق عليك» [البخاري:٤٦٨٤ ومسلم:٩٩٣] فإذا كان العبد الغني ينفق أمواله، وإذا كان القوي ينفع الإسلام بقوته وجاهه، فإن أفضليته متعددة المنافع، وله جزاء الضعف عند الله تعالى، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

فائدة: يُحشر المتقون إلى الجنة وفداً ويساق المجرمون إلى جهنم ورداً

الكفار يساقون إلى جهنم زمرًا بعنف وشدة وتهديد وزجر ووعيد ودفع، وهم عطاش صم بكم عمي، منهم من يمشي على وجهه، وبمجرد وصولهم إليها تفتح لهم أبوابها ويعجل لهم العذاب، وتقول لهم خزنتها الغلاظ الشداد: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ [الزمر:٧١] فيعترفون بذلك ويقولون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] فيندمون حين لا ينفع الندم، ويعترفون بالخطأ.

أما المؤمنون فيساقون وفدًا إلى الجنة جماعة بعد جماعة، يقدمهم المقربون، ثم الأبرار، ثم الذين يلونهم، الأنبياء أولًا، ثم الصديقون، ثم الشهداء، ثم العلماء، فإذا وصلوا إلى أبواب الجنة بعد اجتيازهم الصراط حبسوا على قنطرة يقتص بعضهم من بعض المظالم، وبعد تنقيتهم من الذنوب والخطايا، يؤذن لهم بالدخول،

بعد أن يستفتح رسولنا محمد ﷺ فيؤذن له بالدخول، فهو أول شفيع إليها، وأول من يقرع بابها، قال رسول الله ﷺ: «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، قال: فيقول: بك أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك» [مسلم:١٩٧ وأحمد ٣/١٣٦] فيدخلون الجنة زمرًا على صورة القمر ليلة البدر، لا يبصقون ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، يسبحون الله، لا يبولون ولا يتفلون، أزواجهم الحور العين على صورة أبيهم آدم عليه السلام، ستون ذراعًا في السماء [البخاري:٣٣٢٧] منهم سبعون ألفًا يدخلونها بغير حساب، خالدين فيها، يدعى بعضهم من أبواب الجنة الثمانية، ومنهم من يدعى من باب الصلاة، ومنهم من يدعى من باب الصدقة، ومنهم من يدعى من باب الجهاد، ومنهم من يدعى من باب الصيام، واسمه (الريان) سعة مصراعي الباب ما بين مكة وهجر أو مكة وبصرى، مسيرة أربعين سنة، يكتظ من الزحام، وبعد دخولهم يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ [الزمر:٧٤] تراب الجنة المسك، قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الزمر:٧٥] نسأل الله تعالى بمنه وكرمه وجوده وإحسانه ورحمته وفضله أن يجعلنا ممن يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب، وينادى عليه من أبوابها الثمانية ويستقر في أعلى درجات جنة الفردوس مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، إنه جواد كريم، وصلى الله على نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

فائدة: بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنال أمة محمد ﷺ الخيرية

بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنال أمة محمد ﷺ الخيرية، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران:١١٠] وكان ﷺ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف:١٥٧] وهو من صفات المؤمنين والمؤمنات، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة:٧١] فالذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أفضل الناس وأنفعهم وأعظمهم إحسانًا وأكملهم دينًا، وهو واجب وجوب كفاية، قال تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:١٠٤] بل هو أعظم الواجبات والمستحبات، ولا يكون أمرًا بمعروف ونهيًا عن منكر إلا إذا كانت المصلحة منه راجحة على المفسدة، وليس على الآمر والناهي أن يصلح الناس، وإنما عليه البلاغ، ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨] وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ [المائدة:١٠٥] وأعلى الأمر والنهي باليد لمن يقدر عليه، ثم اللسان لمن يقدر عليه، وأقله القلب، وذلك أضعف الإيمان، وليس وراء ذلك حبة خردل من إيمان، والذي لا يعرف معروفًا ولا ينكر منكرًا ميِّت القلب مفتون، وفي الحديث: «إن الناس إذا رأوا المنكر لا يغيرونه أوشك أن يعمهم

الله بعقابه» [أحمد ٥/١ وابن ماجه:٤٠٠٥ وحسنه الألباني] قال رسول الله ﷺ: «ائتمروا بالمعروف، وتناهوا عن المنكر، حتى إذا رأيت شحًّا مطاعًا، وهوًى متبعًا، ودنيًا مؤثرةً، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، ورأيت أمرًا لا يدان لك به فعليك بنفسك، ودع عنه أمر العوام، فإن من ورائكم أيام الصبر» [أبو داود:٤٣٤١ وابن ماجه:٤٠١٤ واللفظ له، وضعفه الألباني] ومن واجبات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إخلاص النية، وأن لا يترتب عليه مفسدة أكبر، والاستطاعة والحكمة والعلم وعدم الهوى والرفق والصبر، قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ﴾ [لقمان:١٧] وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ﴾ [المزمل:١٠] وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ﴾ [الطور:٤٨] وقال: ﴿فَٱصۡبِرۡ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلۡعَزۡمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف:٣٥] وقال: ﴿وَٱصۡبِرۡ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [هود:١١٥].

فائدة: الإحسان جزاء المحسنين

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحۡمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ مِّنَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ الآية [الأعراف:٥٦] وقال: ﴿وَرَحۡمَتِي وَسِعَتۡ كُلَّ شَيۡءٖۚ فَسَأَكۡتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤۡمِنُونَ ○ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية [الأعراف:١٥٦،١٥٧] وقال: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠] هذه الآيات تدل على قرب رحمة الله للمحسنين، وأن جزاء الله للمحسنين الإحسان، فالجزاء من جنس العمل، فمن أحسن إلى نفسه بالإيمان والتوحيد، وأحسن إلى الناس بعمل الخيرات، وعبدالله كأنه يراه، رحمه الله وأحسن إليه، ومن اتقى الله، وآتى الزكاة، وآمن بآيات الله، واتبع محمدًا ﷺ، فهو من أهل رحمة الله

ومن أهل الإحسان، وفي الحديث: لما قرأ رسول الله ﷺ ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠] قال: «هل تدرون ما قال ربكم؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: يقول: «هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة» [البغوي في معالم التنزيل، رقم:٢٠٩٤].

فائدة: تطير أعداء الرسل بالرسل وأصحابه ودينهم

أعداء الرسل يتطيرون بالرسل وأصحابهم ودينهم، فإذا أتى الخصب والنماء والصحة والعافية والسعة قالوا: هذه لنا، وإذا أصابتهم مصيبة وضيق وقحط وبلاء تشاءموا بالرسل وما جاءوا به، قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۗ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١] وقال تعالى: ﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۖ﴾ [يس:١٩] وقال: ﴿قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:٧٨] وقال: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمۡ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف:١٣١] وقال: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِي عُنُقِهِۦۖ﴾ [الإسراء:١٣] وقال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ حَسَنَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء:٧٨] وقال: ﴿طَٰٓئِرُكُمۡ عِندَ ٱللَّهِۖ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تُفۡتَنُونَ﴾ [النمل:٤٧] فكل شيء بقضاء الله وقدره، أما قوله تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنۡ حَسَنَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٖ فَمِن نَّفۡسِكَۚ﴾ [النساء:٧٩] فالمعنى أن السيئات بسبب الإنسان، ولا علاقة للتطير والشؤم فيها، فالرزق والأجل والسعادة والشقاوة كلها مقدرة على الإنسان، ومكتوبة في اللوح المحفوظ، و﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [الرعد:٣٩].

فائدة: حرمة قتل الصيد للمحرم

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡتُلُواْ ٱلصَّيۡدَ وَأَنتُمۡ حُرُمٞۚ وَمَن قَتَلَهُۥ مِنكُم مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآءٞ مِّثۡلُ مَا قَتَلَ مِنَ ٱلنَّعَمِ يَحۡكُمُ بِهِۦ ذَوَا عَدۡلٖ مِّنكُمۡ هَدۡيَۢا بَٰلِغَ ٱلۡكَعۡبَةِ أَوۡ كَفَّٰرَةٞ طَعَامُ مَسَٰكِينَ أَوۡ عَدۡلُ ذَٰلِكَ صِيَامٗا لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمۡرِهِۦۗ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَۚ وَمَنۡ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنۡهُۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٞ ذُو ٱنتِقَامٖ﴾ [المائدة: ٩٥].

قتل الصيد للمحرم حرام، ويجوز قتل خمس فواسق في الحرم، كما في الحديث: «خمس فواسق يقتلن في الحرم: الفأرة والعقرب والحديا والغراب والكلب العقور» [البخاري: ٣٣١٤] ويلحق بذلك الحية والذئب والسبع والنمر والفهد، لأنها أشد ضررًا، والعامد والناسي سواء في وجوب الكفارة، ويكون العامد آثمًا، والناسي والمخطىء لا إثم عليه، وقد حكم العلماء العدول في النعامة بدنةً، وفي بقر الوحش بقرةً، وفي الغزال عنزًا، وبالمثل مثله، يذبح في مكة، ويفرق لحمه على مساكين الحرم، وإذا لم يجد المحرم مثل ما قتل من النعم، أو لم يكن الصيد المقتول من ذوات الأمثال، فعليه كفارة طعام مساكين، أو عدل ذلك صيامًا إطعام ستة مساكين في الحرم، فإن لم يجد صام ثلاثة أيام في الظباء ونحوه، فإن قتل أيلًا أو نحوه فعليه بقرة، فإن لم يجد أطعم عشرين مسكينًا، فإن لم يجد صام عشرين يومًا، وإن قتل نعامةً أو حمارَ وحشٍ أو نحوهما فعليه بدنة من الإبل، فإن لم يجد أطعم ثلاثين مسكينًا، فإن لم يجد صام ثلاثين يومًا.

وقد ابتلى الله المؤمنين بشيء من الصيد تناله أيديهم ورماحهم ليعلم من يخافه بالغيب، وسمى من قتل الصيد وهو محرم معتديًا،

ووعده بالعذاب الأليم، وقال تعالى: ﴿لِّيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِۦ عَفَا ٱللَّهُ عَمَّا سَلَفَ ۖ وَمَنْ عَادَ فَيَنتَقِمُ ٱللَّهُ مِنْهُ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ﴾ [المائدة: ٩٥] أما صيد البحر فحلال، قال تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ ٱلْبَحْرِ وَطَعَامُهُۥ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ ۖ﴾ [المائدة: ٩٦].

فائدة: صلاة العصر

قال الله تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

الصلاة الوسطى هي على الأرجح صلاة العصر، للأدلة الآتية:

١- عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ يوم الأحزاب «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر، ملأ الله قلوبهم وبيوتهم نارًا» [مسلم: ٦٢٧ وأحمد ١/ ١١٣].

٢- ما رواه الإمام أحمد عن سمرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة الوسطى صلاة العصر» [الترمذي: ١٨١، ١٨٢ وأحمد ٥/ ٢٢ وصححه الألباني رحمه الله].

٣- قول الرسول ﷺ: «من فاتته صلاة العصر، فكأنما وتر أهله وماله» [النسائي: ٤٧٨ والترمذي: ١٧٥ وصححه الألباني رحمه الله] وقوله: «بكروا بالصلاة في اليوم الغيم، فإنه [من فاتته صلاة العصر فقد حبط عمله]» [ابن ماجه: ٦٩٤ وأحمد ٥/ ٣٦١ وضعفه الألباني رحمه الله، ما عدا بين المعقوفتين فهو صحيح].

وهذا القول قال به أكثر الصحابة والتابعون وأهل الحديث وجمهور الناس، وهو محكي عن عمر وعلي وابن مسعود وأبي أيوب الأنصاري وعبدالله بن عمر وسمرة بن جندب وأبي هريرة وأبي سعيد

وحفصة وأم حبيبة وأم سلمة وعائشة وابن عباس وعبيدة وإبراهيم النخعي ورزين وزر بن حبيش وسعيد بن جبير وابن سيرين والحسن وقتادة والضحاك والكلبي ومقاتل وعبيد بن أبي مريم والترمذي والبغوي والقاضي الماوردي والحافظ أبي عمر ابن عبد البر وأبي محمد بن عطية والحافظ أبي محمد عبدالمؤمن بن خلف الدمياطي وغيرهم كثير.

روى الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «صلاة الوسطى صلاة العصر» [الترمذي: ١٨١، ١٨٢ وصححه الألباني رحمه الله] وروى أبو حاتم ابن حبان في صحيحه عن عبدالله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «صلاة الوسطى صلاة العصر» [ابن حبان: ١٧٤٦].

فائدة: مضاعفة حسنات المنفقين في سبيل الله

يضاعف الله حسنات المنفقين في سبيل الله إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، قال سبحانه: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

روى الإمام أحمد عن أبي مسعود أن رجلًا تصدق بناقة مخطومة في سبيل الله، فقال رسول الله ﷺ: «لتأتين يوم القيامة بسبعمائة ناقة مخطومة» [أحمد ٤/ ١٢١] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى ما شاء الله، يقول الله: إلا الصوم، فإنه لي، وأنا أجزي به، يدع طعامه وشهوته من أجلي، وللصائم فرحتان:

فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه، ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك، الصوم جنة» [مسلم:١١٥١].

وشرط مضاعفة الحسنات للمنفقين أن لا يتبعوا ما أنفقوا منًّا ولا أذى، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ○ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٢،٢٦٣] ومن شروط المضاعفة للحسنات أن يكون الإنفاق خالصًا لوجه الله الكريم، لا رياء فيه ولا سمعة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤] والتحدث بالصدقة والتفاخر فيها قد يبطلها، أو ينقص من أجرها، وإنفاقها بعزيمة وثبات ورغبة وكلمة طيبة ودعاء ومغفرة يضاعف أجرها، قال تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٣] وقال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة، ولا ينظر إليهم، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: المنان بما أعطى، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» [مسلم:١٠٦].

وقال الله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة:٢٦٥] ومن أتبع حسناته وصدقاته بالسيئات مثله الله تعالى بقوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ

فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة:٢٦٦] ومن أسباب المضاعفة الإنفاق من المال الحلال الطيب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنفِقُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾ [البقرة:٢٦٧] ومن ذلك عدم الوسواس، أو الخوف من الفقر، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيْطَٰنُ يَعِدُكُمُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِٱلْفَحْشَآءِ وَٱللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:٢٦٨] ومن ذلك إخفاء الصدقة، قال تعالى: ﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة:٢٧١] وقد يكون إبداؤها وإظهارها أفضل حسب نية العبد والمصلحة، وإذا وقعت الصدقة في موقعها الأفضل كأن تعطي لمن لا يسأل الناس إلحافًا صارت المضاعفة أكبر، قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ [البقرة:٢٧٣] وإذا كانت على قريب صارت المضاعفة أكبر، نسأل الله تعالى التوفيق لعمل الطاعات، والصدقات على الوجه الأكمل، إنه سميع مجيب الدعوات.

فائدة: من فوائد قصة موسى عليه السلام مع الخضر

في قصة موسى عليه السلام مع الخضر ومصاحبته له فوائد عظيمة، فقد خص الله الخضر بعلم لم يطلع عليه موسى عليه السلام، كما أعطى الله موسى عليه السلام من العلم الكثير مما لم يطلع عليه الخضر، فليس الخضر بأعلم، ولا أفضل من موسى عليه السلام، وفي سؤال موسى عليه السلام للخضر في قوله: ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن

تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا﴾ [الكهف:٦٦] سؤال تلطف وأدب، وهكذا يكون سؤال العلماء، وفي قصته عندما خرق الخضر السفينة بعدما اشترط عليه أن لا يسأله عن شيء أنكره، حتى يكون الخضر هو الذي يبتدؤه من تلقاء نفسه، فيبينه له، وعدم صبر موسى عليه السلام وقوله للخضر: ﴿لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف:٧١] أي منكرًا وعجبًا، وفي قول موسى عليه السلام للخضر: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ﴾ [الكهف:٧٣] دلالة على أن ما حصل من موسى عليه السلام كان نسيانًا، وفي قصة الغلام الذي قتله الخضر، واستنكار موسى عليه السلام في قوله: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا﴾ [الكهف:٧٤] دليل على عدم تحمل موسى عليه السلام هذا الأمر من قتل النفس الزكية بغير نفس، قال رسول الله ﷺ: «رحمة الله علينا وعلى موسى، لو صبر لرأى من صاحبه العجب، ولكنه قال: ﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا﴾» [الكهف:٧٦][البخاري:١٢٢ ومسلم:٢٣٨٠ وأبو داود:٣٩٨٤ واللفظ له] وفي استضافتهم لأهل القرية وعدم تضييفهما دليل على بخل أهل القرية، قال ابن سيرين: (هي الأيلة) قال موسى عليه السلام: كان ينبغي ألا نعمله لهم مجانًا، ماداموا لم يضيفونا ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف:٧٧] وكانت بعد ذلك الفرقةُ بين موسى عليه السلام والخضر، لعدم تحمل موسى عليه السلام، ثم إن الخضر بيَّن لموسى عليه السلام تأويل هذه الأمور، فقال: ﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف:٧٩] أي كل سفينة صالحة، ﴿وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ

فَخَشِينَآ أَن يُرۡهِقَهُمَا طُغۡيَٰنٗا وَكُفۡرٗا ○ فَأَرَدۡنَآ أَن يُبۡدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيۡرٗا مِّنۡهُ زَكَوٰةٗ وَأَقۡرَبَ رُحۡمٗا﴾ [الكهف:٨٠،٨١] فهذا الغلام طبع على الكفر، فخشي أن يحمل أبويه على الكفر لحبهما له، قال رسول الله ﷺ: «عجبت للمؤمن، إن الله لم يقض له قضاء إلا كان خيرًا له» [أحمد ١١٧/٣، والضياء في المختارة ١٨/٥، وأبو يعلى ٤٢١٧،٤٢١٨، والبيهقي في الشعب:٩٩٥١ وقال محققو المسند: حديث صحيح] وقال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة:٢١٦] فلا ينبغي للمؤمن أن يعترض على قضاء الله وقدره.

فائدة: معاني الاستغفار

الاستغفار طلب المغفرة من الله، وطلب محو الذنوب والوقاية من شرها، وطلب الستر على العبد، وطلب رحمة الله، وحقيق بالمؤمن ملازمته حتى لا يهلكه الذنب، وهو يغضب الشيطان، ويرضي الرحمن، قال الله تعالى عن نوح عليه السلام: ﴿فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ○ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا﴾ [نوح:١٠،١١] وقال: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [البقرة:١٩٩] وقال: ﴿ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا﴾ [هود:٣] وقال: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود:٦١] وقال: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾ [الأنفال:٣٣] وكان ﷺ يستغفر ثلاثًا بعد كل صلاة، وسيد الاستغفار: «اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك علي، وأبوء بذنبي، فاغفر لي، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت» [البخاري:٦٣٢٣ ابن ماجه:٣٨٧٢] ومن

أدعية الصلاة في التشهد الأخير: «اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، ولا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرةً من عندك، وارحمني، إنك أنت الغفور الرحيم» [البخاري: ٨٣٤ ومسلم: ٢٧٠٥ وابن ماجه: ٣٨٣٥ والترمذي: ٣٥٣١ وأحمد ١/ ٤].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ○ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠٠، ٢٠١].

فائدة: بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ

قال الله تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦] فالإنجيل بَشَّر بمحمد ﷺ النبي الأمي العربي المكي، المسمى أحمد ومحمدًا خاتم الأنبياء والمرسلين، لا رسالة بعده ولا نبوة، عن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا العاقب الذي ليس بعده أحد» [مسلم: ٢٣٥٤] وروى محمد بن إسحاق عن خالد بن معدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا: يارسول الله! أخبرنا عن نفسك، قال: «دعوة أبي إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منه قصور الشام» [أحمد ٥/ ٢٦٢ انظر الصحيحة: ١٥٤٦] وعن العرباض بن سارية قال: قال رسول الله ﷺ: «إني عند الله لخاتم النبيين، وإن آدم لمجندل في طينته، وسأنبئكم بأول ذلك دعوة أبي إبراهيم، وبشارة

عيسى بي، ورؤيا أمي التي رأت، وكذلك أمهات المؤمنين يرين» [أحمد ٤/ ١٢٧ وابن حبان: ٦٤٠٤ وقال محققو المسند: حديث صحيح لغيره، دون قوله: (وكذلك أمهات النبيين ترين) انظر مجمع الزوائد ٨/ ٢٢٣] وقد صدق ذلك النجاشي وبعض من علماء أهل الكتاب لمطابقة أوصافه بما عندهم.

فائدة: أقسام الناس يوم القيامة

الناس على ثلاثة أقسام يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾ [الواقعة: ٧] قوم سابقون بين يدي الله عز وجل، وهم الرسل والأنبياء والصديقون والشهداء، وقوم أصحاب اليمين يؤتون كتبهم بأيمانهم، ويؤخذ بهم ذات اليمين، وهم جمهور أهل الجنة، وأصحاب الشمال عن يسار العرش، يؤتون كتبهم بشمالهم، ويؤخذ بهم ذات الشمال، وهم عامة أهل النار، نعوذ بالله من فعلهم، قال تعالى: ﴿فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ○ وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ○ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ [الواقعة: ٨-١٠] وقال تعالى عن السابقين: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ○ وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ ○ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ○ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ○ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ○ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ○ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ○ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ○ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ○ وَحُورٌ عِينٌ ○ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ○ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ○ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ○ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا﴾ [الواقعة: ١٣-٢٦].

وهؤلاء هم المسارعون إلى عمل الخيرات، السابقون لمغفرة الله وجنته، العاملون بالأسباب الموصلة إلى ذلك، وأكثرهم من الأولين وقليل منهم من الآخرين، قال رسول الله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم

الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» [البخاري:٢٦٥٢] وقال ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» [مسلم:١٩٢٠] وأكثر المقربين من أمة محمد ﷺ، ومنهم سبعون ألفًا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب.

أما أصحاب اليمين فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ○ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ○ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ○ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ○ وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ○ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ○ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ○ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ○ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ○ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ○ عُرُبًا أَتْرَابًا ○ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ○ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ○ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْءَاخِرِينَ﴾ [الواقعة:٢٧-٤٠].

ومنزلة هؤلاء دون المقربين، قال رسول الله ﷺ عن الظل الممدود: «إن في الجنة شجرةً يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، اقرؤوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾» [الواقعة:٣٠][البخاري:٤٥٥١ ومسلم:٢٨٢٧].

أما أصحاب الشمال فقال الله تعالى عنهم: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ○ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ○ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ○ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ○ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ○ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ○ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ○ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ [الواقعة:٤١-٤٨] نسأل الله تعالى العافية.

وأحوالهم عند الاحتضار ومصيرهم على ثلاثة أحوال، فالمقربون الذين فعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ [الواقعة:٨٩] تبشرهم الملائكة بذلك، تقول لهم عند الاحتضار: «اخرجي إلى روح وريحان

ورب غير غضبان» [النسائي:١٨٣٣، وابن ماجه:٤٢٦٢، وأحمد ٢/ ٣٦٤، ٦/ ١٤٠، وصححه الألباني] أي راحة ومستراحة وفرح ورخاء ورحمة وجنة ورزق وسرور، يحب الله لقاءه وهو يحب لقاء الله لما بشرته الملائكة بالنعيم.

أما أصحاب اليمين فيقال لهم: سلام لك من أصحاب اليمين، لا بأس عليك، لا تخف ولا تحزن، أبشر بالجنة، لك فيها ما تشتهي، ولك فيها ما تدعي، نزلٌ من غفور رحيم.

﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ○ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ○ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة:٩٢-٩٤] يكره الله لقاءه ويكره لقاء ربه، تصهر بطونهم بالحميم المذاب، وتغمره النار من جميع جهاته، هذه ضيافته وهذه بشارته، وقال رسول الله ﷺ: «إن أرواح الشهداء في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوي إلى تلك القناديل» [مسلم:١٨٨٧] وعنه ﷺ: «من أحب لقاء الله، أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه» [البخاري:٦٥٠٧ ومسلم:٢٦٨٣].

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ○ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ○ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ [فصلت:٣٠-٣٢] وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ○ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ○ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ○ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ○ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ○ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ○ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ○

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ﴾ [الواقعة: ٨٨-٩٥].

هذه أقسام الناس، وهذه بشاراتهم، نسأل الله تعالى أن يجعلنا من المقربين المبشرين بالروح والريحان والرب الراضي عنا، إنه سميع مجيب الدعوات.

فائدة: البخل والجبن متلازمان

البخل والجبن متلازمان، كما أن الكرم والشجاعة متلازمان، فالبخيل جبان، والكريم شجاع، والله تعالى لا يحب الاختيال ولا الكبر ولا الفخر ولا البخل، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ○ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ [النساء: ٣٦، ٣٧] وكما أن البخل بالمال، يكون البخل بالعلم وبنفع الناس، وبالدعوة إلى الله، فالله تعالى وملائكته وحيتان البحر والطير في الهواء يصلون على معلم الناس الخير، قال رسول الله ﷺ: «من سيدكم يابني سلمة؟» قالوا: الجد بن قيس على أنا نَزُنّه بالبخل، فقال: «وأي داء أدوأ من البخل؟» قالوا: فمن سيدنا يارسول الله؟ قال: «بشر بن البراء بن معرور» [الطبراني في الكبير ١٩/ ٨١، قال الهيثمي في المجمع ٩/ ٣١٥: رواه الطبراني بإسنادين ورجالهما رجال الصحيح غير شيخي الطبراني ولم أر من ضعفهما] وكان ﷺ أكرم الناس وأشجعهم، قال عمر ابن الخطاب رضي الله عنه: قسم رسول الله ﷺ قسمًا، فقلت: يارسول الله! والله لغير هؤلاء كان أحق به منهم، فقال: «إنهم خيروني أن يسألوني بالفحش، أو يبخلوني، ولست بباخل» [مسلم: ١٠٥٦ وأحمد ١/ ٢٠، ٣٥] وقال تعالى: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾ [التوبة: ٧٦] وقال: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ

مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُواْ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِۗ﴾ [آل عمران:١٨٠] وقال: ﴿وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون:٧] وقال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦۚ﴾ [محمد:٣٨] وقال عن الشجاعة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِۚ﴾ [التوبة:٣٨] وقال عن الشجاعة والكرم: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَـٰتَلَۚ أُوْلَـٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَـٰتَلُواْۚ﴾ [الحديد:١٠] فالشجاعة والكرم إذا كانا لوجه الله لا رياء فيهما ولا سمعة، ينال بهما المؤمن أعلى المنازل عند الله تعالى، والمؤمن القوي خير من المؤمن الضعيف.

فائدة: المصابرة والمرابطة من أعظم ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات

الصبر والمصابرة والمرابطة والثبات عند السراء والضراء والشدة والرخاء، والمداومة على العبادات، من أعظم ما يمحو الله بها الخطايا، ويرفع بها الدرجات، قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران:٢٠٠] وتكون المرابطة في الجهاد في سبيل الله وفي الصلاة، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «ألا أخبركم بما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات؟ إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط» [مسلم:٢٥١، والنسائي:١٤٣] وعن سهل ابن سعد الساعدي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «رباط يوم في سبيل الله خير من الدنيا وما عليها» [البخاري:٢٨٩٢] وعن سلمان

الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه، وإن مات، جرى عليه عمله الذي كان يعمله، وأجري عليه رزقه، وأمن الفتان» [مسلم:١٩١٣] وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار: عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» [الترمذي:١٦٣٩ وصححه الألباني] وعن فضالة بن عبيد رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كل ميت يختم على عمله إلا الذي مات مرابطًا في سبيل الله، فإنه ينمى له عمله إلى يوم القيامة، ويأمن فتنة القبر» [أحمد ٦/ ٢٠ وأبو داود:٢٥٠٠، والترمذي:١٦٢١ وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح] وروى البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ: «طوبي لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله أشعث رأسه، مغبرةٍ قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع» [البخاري:٢٨٨٧] وأرسل عبدالله بن مبارك رحمه الله إلى الفضيل بن عياض رحمه الله وكان قد اختار السكنى بمكة هذه الأبيات:

يا عابد الحرمين لو أبصرتنا
لعلمت أنك في العبادة تلعب

من كان يخضب خده بدموعه
فنحورنا بدمائنا تتخضب

أو كان يتعب خيله في باطل

فخيولنا يوم الصبيحة تتعب

ريح العبير لكم ونحن عبيرنا
رَهجُ السنابك والغبارُ الأطيبُ

ولقد أتانا من مقال نبينا
قول صحيح صادق لا يكذب

لا يستوي وغبارُ خيل الله في
أنف امرىء ودخانُ نار تلهب

هذا كتاب الله ينطق بيننا
ليس الشهيد بميت لا يكذب

[سير أعلام النبلاء ٨/ ٤١٢]

فائدة: الإنفاق الواجب والمستحب

الواجب على المسلم إخراج الزكاة، وله أن يخرج كلما فضل عن نفقة أهله، قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ﴾ [البقرة:٢١٩] أي ما فضل عن أهلك، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رجل: يارسول الله! عندي دينار، قال: «أنفقه على نفسك» قال: عندي آخر، قال: «أنفقه على أهلك» قال: عندي آخر، قال: «أنفقه على ولدك» قال: عندي آخر، قال: «فأنت أبصر» [الطبري ٢/ ٣٧٨ (٤١٧٣)].

وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل: «ابدأ بنفسك، فتصدق عليها، فإن فضل شيء فلأهلك، فإنه فضل شيء عن أهلك، فلذي قرابتك، فإن فضل شيء عن ذي

قرابتك، فهكذا و هكذا» [مسلم:٩٩٧].

وقال ﷺ: «يابن آدم إنك أن تبذل الفضل خير لك، وأن تمسكه شر لك، ولا تلام على كفاف» [مسلم:١٠٣٦].

وقد أخرج أبو بكر رضي الله عنه جميع ماله، وأخرج عمر رضي الله عنه نصف ماله، والأفضل أن يخرجه وهو قوي صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر.

فائدة: لا نشهد لمعين بجنة ولا نار إلا بدليل من الكتاب والسنة

لقد خلق الإنسان في كبد، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤] وأصدق أسمائه (حارث وهمام) ولا بد له من تحمل المشاق، وإذا التزم التسبيح والتهليل والعبادة سهلت عليه الشدائد، قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ﴾ [الحجر:٩٩] فاليقين هو الموت، وعن أم العلاء - امرأة من الأنصار - أن رسول الله ﷺ لما دخل على عثمان بن مظعون رضي الله عنه وقد مات، قالت أم العلاء: رحمة الله عليك يا أبا السائب، فشهادتي عليك، لقد أكرمك الله، فقال رسول الله ﷺ: «وما يدريك أن الله قد أكرمه؟» فقلت: بأبي أنت يارسول الله، فمن يكرمه الله؟ فقال: «أما هو فقد جاءه اليقين، والله إني لأرجو له الخير» [البخاري:١٢٤٣] قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد:٢٨].

فائدة: حرم الله مكة يوم خلق السموات والأرض

مكة المكرمة حرمها الله يوم خلق السموات والأرض، ولم يحرمها الناس، وظهر تحريمها على لسان إبراهيم عليه السلام، حيث قال رسول الله محمد ﷺ: «إن إبراهيم حرم مكة، ودعا لأهلها، وإني

حرمت المدينة كما حرم إبراهيم مكة» [البخاري:٢٦٢٩ ومسلم:١٣٦٠] أما المدينة فقد حرمها رسول الله ﷺ بأمر الله تعالى، وقد اختصت مكة بأن لا يسفك بها دم، ولا يعضد بها شجر، ولا يختلى خلاها، إلا الإذخر، ولا تلتقط لقطتها.

فائدة: الامر بالجهاد حتى يكون الدين كله لله

أمر الله تعالى المؤمنين بالقتال حتى لا تكون فتنة، ويكون الدين كله لله، فقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال:٣٩] الفتنة: الشرك والكفر، فيجب على المسلمين قتال المشركين حتى يكون دين الله هو الظاهر العالي على سائر الأديان، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: سُئل النبي ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعةً، والرجل يقاتل حميةً، والرجل يقاتل رياءً، أيُّ ذلك في سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله» [البخاري:٧٤٥٨، ومسلم:١٩٠٤] وقال: «أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مني دماءهم وأموالهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله تعالى» [البخاري:٢٥، ومسلم:٢١].

وقال سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة:١٩٣] أي فإن لم يعتدوا على المؤمنين، وكفوا أيديهم، فقتالهم حينذاك ظلم، فلا يقاتل من لم يقاتل المسلمين، ومن اعتدى يعتدى عليه، قال تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [البقرة:١٩٤] وقال: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ فَعَاقِبُواْ بِمِثۡلِ مَا عُوقِبۡتُم بِهِۦۖ﴾ [النحل:١٢٦] ومن أساء يساء إليه، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى:٤٠].

ولا يقاتل المعاهد ولا الذمي، وللجهاد شروط منها الاستطاعة، والراية التي ترفع توحيد الله، وإذن الحاكم المسلم المبايع.

فائدة: ما يدرك به المرء طعم الإيمان

الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ رسولًا، سبب من أسباب إحساس المرء بطعم الإيمان، قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان، من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا» [مسلم: ٣٤].

فالرضا به ربًّا توحيده وعبادته والتوكل عليه ورجاؤه والخوف منه والصبر له وبه، والشكر على نعمائه والإنابة إليه، قال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا﴾ [الأنعام: ١١٤].

والرضا بمحمد ﷺ رسولًا الإقرار برسالته وطاعته واتباعه.

والرضا بالإسلام دينًا، التزام العمل بأوامره والانتهاء عن نواهيه، وحبه، وإذا حصل ذلك اطمأنت النفس ورضيت، ورضي الله عنها، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ○ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ○ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ○ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ [الفجر: ٢٧-٣٠].

فائدة: من فوائد الزيتون

أقسم الله تعالى بالزيتون، فقال: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ﴾ [التين: ١] وهو من الثمار التي تفضل على غيرها لأمور كثيرة، منها: أن الله وصفه بالبركة، فقال: ﴿مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ [النور: ٣٥] ومن بركته أنه شراب وغذاء وإضاءة وعلاج ودهن يدهن به، ويستعمله معظم أهل الأرض، وينبت في الشام المباركة، وقد تجلى نور الله عندما كلم موسى عليه السلام على شجرة الزيتون،

وقيل: إن ذلك سبب بركته، وهو صبغ للآكلين، وطيب، وتبقى شجرته طويلًا، وقد مثل الله تعالى نوره بقوله: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِىٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ ۚ يَهْدِى ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَٰلَ لِلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

فائدة: صفات أصحاب محمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩] هذه صفات أصحاب رسول الله ﷺ أن يكون أحدهم شديدًا عنيفًا على الكفار، رحيمًا برًّا بالأخيار المؤمنين، غضوبًا عبوسًا في وجه الكافر، ضحوكًا بشوشًا في وجه أخيه المؤمن، قال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا۟ فِيكُمْ غِلْظَةً ۚ﴾ [التوبة: ١٢٣] وقال رسول الله ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» [البخاري: ٦٠١١ ومسلم: ٢٥٨٦] وقال: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» وشبك بين أصابعه [البخاري: ٤٨١ ومسلم: ٢٥٨٥] ومن صفاتهم: كثرة العمل، وكثرة الصلاة، والإخلاص لله، والاحتساب

عنده، وابتغاء مرضاته، ومن صفاتهم: السمت والخشوع والتواضع، منيرة وجوههم، مضيئة قلوبهم، يحب بعضهم بعضًا، قال النبي ﷺ: «إن الهدي الصالح والسمت الصالح والاقتصاد جزء من خمسة وعشرين جزءًا من النبوة» [أبو داود: ٤٧٧٦، وأحمد ١/ ٢٩٦ وحسنه الألباني رحمه الله] نياتهم حسنة، وأعمالهم جميلة، معظمون في الكتب المتقدمة، منوه بذكرهم، وأخبارهم كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ وشب وطال واستوى على سوقه ﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾ [الفتح: ٢٩] مدحهم الله في التوراة والإنجيل والقرآن.

أما من أبغض الصحابة وغاظ المؤمنين، وتعرض لمساوئهم، ولفق الكذب عليهم، فليس ممن مدحه الله وأثنى عليه، بل إن الإمام مالكًا رحمه الله كفَّر من عمل ذلك، مستدلًا بهذه الآية الكريمة، فللصحابة ومن تبعهم الفضل والسبق والكمال وجنات الفردوس في الآخرة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده! لو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا، ما أدرك مُد أحدهم، ولا نصيفه» [مسلم: ٢٥٤٠].

فائدة: من فضائل الأنصار وصفاتهم

قال الله تعالى في الأنصار رضي الله عنهم: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

هذه الصفات للأنصار سكنوا دار الهجرة من قبل المهاجرين،

وآمنوا قبل الكثير منهم، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أوصي الخليفة بعدي بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم كرامتهم، وأوصي الخليفة بالأنصار خيرًا، الذين تبوأوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ أن يقبل من محسنهم، ويعفو عن مسيئهم) [البخاري: ٤٨٨٨].

ومن صفاتهم وكرمهم أنهم يحبون من هاجر إليهم، ويواسونهم بأموالهم، ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم فقر وحاجة، عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: يارسول الله! ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساةً في قليل، ولا أحسن بذلًا في كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله، قال: «لا، ما أثنيتم عليهم، ودعوتم الله لهم» [أحمد ٣/ ٢٠٠ وقال محققوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين] وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دعا النبي ﷺ الأنصار أن يقطع لهم البحرين، قالوا: لا، إلا أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها، قال: «إمَّا لا، فاصبروا حتى تلقوني، فإنه سيصيبكم بعدي أثرة» [البخاري: ٣٧٩٤]. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قالت الأنصار: اقسم بيننا وبين إخواننا النخيل، قال: «لا» فقالوا: تكفونا المؤونة ونشرككم في الثمرة، قالوا سمعنا وأطعنا [البخاري: ٢٣٢٥]، ومن صفاتهم: عدم الحسد، قال تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ [الحشر: ٩] فهم لا يحسدون المهاجرين فيما فضلهم الله به من المنزلة والرتبة ولو أعطوا الكثير لم يحسدوهم بل كانوا ﴿يُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] يقدمون غيرهم عليهم،

كانوا يطعمون الطعام على حبه، روى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: أتى رجل رسول الله ﷺ، فقال: يارسول الله: أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئًا، فقال النبي ﷺ: «ألا رجل يضِّيفه هذه الليلةً يرحمه الله» فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يارسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله ﷺ، لا تدخريه شيئًا، فقالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبيةُ العشاء فنوميهم، وتعالي فأطفئي السراج، ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ، فقال: «لقد عجب الله عز وجل - أو ضحك - من فلان وفلانة» فأنزل الله عز وجل ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩] [البخاري: ٤٨٨٩ ومسلم: ٢٠٥٤].

فائدة: تجاوز المولى سبحانه عن هذه الأمة

من فضل الله تعالى ورحمته بعباده أنه لا يحاسبهم على ما أخفوه في صدورهم، مع أنه يعلمه، فهو يعلم السر وأخفى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٩] وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ۖ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤] فاشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ، ثم جثوا على الركب، وقالوا: يارسول الله! كلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد نزلت عليك هذه

الآية ولا نطيقها، فقال رسول الله ﷺ: «أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا، بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير» فقالوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير. فلما أقر بها القوم، وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [البقرة:٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ﴾ إلى آخر الآية [البقرة:٢٨٦] [أحمد ٢/ ٤١٢ وقال محققوه: هذه حديث صحيح].

وروى مسلم نحوه، وروى الجماعة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها مالم تعمل أو تتكلم» [البخاري:٥٢٦٩ ومسلم:١٢٧].

وهذا من فضل الله علينا وكرمه وجوده وإحسانه ومنه ومعروفه وعطائه، فإن العبد إذا همَّ بسيئة لم تكتب عليه، إلا إذا عملها، وإذا هَمَّ بحسنة كتبت له حسنة وإن لم يعملها، فإن عَمِلها كتبت له عشر حسنات، وإذا ترك العبد السيئة خوفًا من الله تعالى كتب له أجر عظيم، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: لا يهتدي العبد بعقله وحده إلى الإيمان

الرسول ﷺ أعقل الخلق، ومع ذلك لم يهتد إلى الإيمان بمجرد عقله، وإنما اهتدى إليه بالوحي، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن

نَشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ﴾ [الشورى:٥٢] وقال: ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ○ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ○ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾ [الضحى:٦-٨] وقال: ﴿قُلۡ إِنِ ضَلَلۡتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفۡسِيۖ وَإِنِ ٱهۡتَدَيۡتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٞ قَرِيبٞ﴾ [سبأ:٥٠] فالعقول لوحدها لا تكفي للاهتداء إلى حقائق الإيمان، وما دام عقل النبي ﷺ لم يهده إلى ذلك، فمن باب أولى عقول غيره الناقصة، لقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ﴾ [الضحى:٧].

فائدة: لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

الأمن من مكر الله من كبائر الذنوب، ولا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون، وهو سبب هلاك العبد وتيسيره للعسرى، وإذا رأى الإنسان أنه استغنى عن الله تعالى خسر الخسارة العظمى، قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ○ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾ [العلق:٦،٧] ولو بلغ الإنسان ما بلغ من طاعة الله، فيجب عليه الحذر والخوف من الله تعالى، والافتقار بين يديه، وهكذا كانت الأنبياء عليهم السلام، قال شعيب عليه السلام: ﴿عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلۡنَاۚ﴾ [الأعراف:٨٩] وقال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ [الأنعام:٨٠] وقال موسى عليه السلام: ﴿إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ﴾ [القصص:٢٤] وقال يونس عليه السلام: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء:٨٧] وقال تعالى عن الأنبياء عليهم السلام: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء:٩٠] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء:٤٩].

فائدة: قصة ولادة مريم وإكرام الله لها

مريم عليها السلام ابنة عمران نذرت أمها ﴿ٱمۡرَأَتُ عِمۡرَٰنَ﴾ [آل عمران:٣٥] أن يكون حملها خالصًا محررًا مفرغًا للعبادة وخدمة بيت المقدس، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرۡتُ لَكَ مَا فِي بَطۡنِي مُحَرَّرٗا فَتَقَبَّلۡ مِنِّيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [آل عمران:٣٥] ولم تكن تعلم هل الذي في بطنها ذكر أم أنثى ﴿فَلَمَّا وَضَعَتۡهَا قَالَتۡ رَبِّ إِنِّي وَضَعۡتُهَآ أُنثَىٰ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا وَضَعَتۡ وَلَيۡسَ ٱلذَّكَرُ كَٱلۡأُنثَىٰۖ وَإِنِّي سَمَّيۡتُهَا مَرۡيَمَ وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران:٣٦] فهي تعلم أن الذكر أجلد على العمل من الأنثى وأقوى ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٖ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنٗا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران:٣٧] فصارت نذيرة أمها، وجعل شكلها ومنظرها جميلًا، ويسر لها القبول ومجالسة الصالحين، فحصلت على العلم والدين ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّاۖ﴾ فأخذت منه العلم والعمل الصالح، وكان زوج خالتها، وكان يحيى وعيسى عليهما السلام ابني خالة، والخالة بمنزلة الأم، وكان رزقها يأتيها ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيۡهَا زَكَرِيَّا ٱلۡمِحۡرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزۡقٗاۖ قَالَ يَٰمَرۡيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ قَالَتۡ هُوَ مِنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [آل عمران:٣٧] وقد خاطبتها الملائكة: ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ○ يَٰمَرۡيَمُ ٱقۡنُتِي لِرَبِّكِ وَٱسۡجُدِي وَٱرۡكَعِي مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [آل عمران:٤٢،٤٣] فهي كثيرة العبادة والزهد، وهي طاهرة شريفة جليلة على نساء العالمين، قال ﷺ: «خير نساء العالمين مريم بنت عمران، وخديجة بنت خويلد»

[البخاري: ٣٤٣٢، ٣٨١٥ ومسلم: ٢٤٣٠] وقال: «كمل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران، وآسيا امرأة فرعون» [البخاري: ٣٤١١، ٣٤٣٣ ومسلم: ٢٤٣١] وفي البخاري: «وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» [البخاري: ٣٤١١ ومسلم: ٢٤٣١] وقد كانوا متنازعين في كفالتها، فألقوا أقلام القرعة، فوقعت لزكريا عليه السلام، وبشرها الله بعيسى عليه السلام الذي جاء من غير أب ﴿وَجِيهًا فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ○ وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ٤٥، ٤٦].

فائدة: الفرار من الموت أو الجهاد لا يؤخر الآجل ولا يقربه

الفرار من الموت عند نزول المرض في بلد، أو الفرار من الجهاد خوفًا من الموت، لا يقرب الأجل ولا يبعده، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣] وقال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُوا۟ ۖ﴾ [البقرة: ٢٤٦] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٨] وقال: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ﴾ [الجمعة: ٨] وقال: ﴿وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ﴾ [النساء: ٧٨].

وهذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يموت على فراشه، وقد شهد الكثير من المواقف، يقول: (ما من عضو من أعضائي إلا وفيه رمية

أو طعنة أو ضربة، وها أنا ذا أموت على فراشي، كما يموت البعير، فلا نامت أعين الجبناء).

وعن عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تقدموا عليه، وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فرارًا منه» [البخاري:٥٧٣٠ ومسلم:٢٢١٩] فلا ملجأ من الله إلا إليه، ولا ينجي حذر من قدر.

وفي قصة الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت، فقال لهم الله موتوا، ثم أحياهم، عبرةٌ لمن اعتبر، فقد روي أن هؤلاء القوم كانوا أهل بلدة في زمان بني إسرائيل، استوخموا أرضهم وأصابهم بها وباء شديد، فخرجوا فرارًا من الموت إلى البرية، فنزلوا واديًا أفيح، فملؤا ما بين عدوتيه، فأرسل الله إليهم ملكين ... فصاحا بهم صيحةً واحدةً فماتوا جميعًا، وبعد دهر طويل مر عليهم نبي من أنبياء الله، فسأل الله أن يحييهم، فأجابه ربه إلى ذلك، فقاموا أحياء ينظرون ويقولون: سبحانك لا إله إلا أنت، فكان ذلك عبرةً ودليلًا على المعاد، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ﴾ [البقرة:٢٤٣][تفسير ابن كثير].

فائدة: الغفلة والكسل سبب الحرمان من الخير

الحرمان من الخير بسبب الغفلة أو الكسل، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] وقال: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا﴾ [الكهف:٢٨].

ويكون الخير بذكر الله والعزيمة، قال الله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الجمعة:١٠] وقال: ﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾

[الأحزاب:٣٥] وقد سمى الله تعالى من رزق العزيمة من الأنبياء الكرام ﴿أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ﴾ [الأحقاف:٣٥] وسمى من لم يذكر الله تعالى بالموتى فقال: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [النمل:٨٠] وسمى من رزق العزيمة والإرادة بالمتبعين لمن أنعم الله عليهم، فقال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ○ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء:٦٩، ٧٠].

فائدة: درجات أهل الجنة

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ [النساء:٦٩] فهذه أربعة أصناف:

النبيون: وهم أعلى الدرجات وأفضلهم، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وبعدهم الصديقون، يقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾ [الحديد:١٩] وقال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم» قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء، لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» [البخاري:٣٢٥٦، ٦٥٥٦ ومسلم:٢٨٣١].

أما الشهداء فقال عنهم رسول الله ﷺ: «أرواح الشهداء في حواصل طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح في الجنة حيث شاءت، ثم تأدي إلى تلك القناديل، فاطلع إليهم ربهم اطلاعةً،

فقال: هل تشتهون شيئًا؟ قالوا: أي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا؟ ففعل ذلك بهم ثلاث مرات، فلما رأوا أنهم لن يتركوا من أن يسألوا، قالوا: يارب! نريد أن ترد أرواحنا في أجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة أخرى، فلما رأى أن ليس لهم حاجة تركوا» [مسلم:١٨٨٧] وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الشهداء أربعة: رجل مؤمن جيد الإيمان، لقي العدو فصدق الله فقتل، فذاك الذي ينظر الناس إليه هكذا» فرفع رأسه حتى سقطت قلنسوة رسول الله ﷺ أو قلنسوة عمر رضي الله عنه، «والثاني مؤمن لقي العدو فكأنما يُضرَب ظهرهُ بشوك الطلح، جاءه سهم غرب فقتله، فذاك في الدرجة الثانية، والثالث رجل مؤمن خلط عملًا صالحًا وآخر سيئًا، لقي العدو، فصدق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الثالثة، والرابع رجل مؤمن أسرف على نفسه إسرافًا كثيرًا لقي العدو، فصدق الله حتى قتل، فذاك في الدرجة الرابعة» [أحمد ١/٢٣ وقال محققو المسند: إسناده ضعيف].

فائدة: التهلكة في ترك الجهاد والإمساك عن الإنفاق

قال الله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥] التهلكة هي عدم النفقة، قال ذلك ابن أبي حاتم وابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير وعطاء والضحاك والحسن وقتادة والسدي ومقاتل بن حيان وغيرهم، وقال أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه التهلكة: هي الإقامة في الأهل والمال، وترك الجهاد، وبين أنها نزلت في الأنصار، لما أعز الله دينه وكثر ناصروه، قالوا: لو أقبلنا على أموالنا وأصلحناها [أبو داود:٢٥١٢، وصححه الألباني] وقال

أبو بكر بن عياش عن أبي إسحاق السبيعي قال قال رجل للبراء بن عازب رضي الله عنه: إن حملتُ على العدو وحدي فقتلوني، أكنتُ ألقيتُ بيدي إلى التهلكة؟ قال: لا، قال الله لرسوله: ﴿فَقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء:٨٤] إنما هذه في النفقة، وقال أبو إسحاق عن البراء رضي الله عنه قال: التهلكة أن يذنب الرجل الذنب، فيلقي بيده إلى التهلكة ولا يتوب. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس ذلك في القتال، إنما هو النفقة، أن تمسك بيدك عن النفقة في سبيل الله. ومن أهم الإنفاق: الإنفاق في سبيل الله، وقتال الأعداء، وبذل المال في تقوية المسلمين على الأعداء، وجاء بعد هذا الأمر بالإنفاق قولهُ تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة:١٩٥] فالإحسان أعلى المقامات وأزكاها، قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٤].

فائدة: الإنسان يجازى يوم القيامة بما عمل من خير أو شر

في يوم القيامة تنشق السماء، وتستمع إلى ربها، وتطيع أمره فيما أمرها به من الانشقاق، وحق لها أن تطيع لأمر الله، فهو القاهر يذل له كل شيء، وتنبسط الأرض وتوسع وتفرش، وتلقي ما في بطنها من الأموات، وتتخلى عنهم.

والإنسان يسعى في هذه الدنيا، ويكدح ويعمل، ثم يلاقي ربه بما عمل من خير أو شر، ومصيره الموت، ثم البعث، وسيفارق من يحب، شاء أم أبى، وسيجازى بما عمل من خير أو شر ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ○ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق:٧،٨] سهلًا، ويستر الله خطاياه، ومن نوقش الحشاب عذب، وحوسب حسابًا

عسيرًا، نسأل الله العافية، وسوف يرجع، إما إلى الجنة مسرورًا هو وأهله المؤمنون فرحين مغتبطين، أو إلى النار لمن أوتي كتابه وراء ظهره بشماله ﴿فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا﴾ [الانشقاق:١١] بالخسارة والهلاك، ويصلى نارًا تتلظى، وسعيرًا لا تطاق، بعد أن كان فرحًا في الدنيا، منكرًا للبعث والجزاء، يظن أن لن يرجع إلى ربه ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق:١٥] وهذه الأمور أقسم الله تعالى على تحققها، فقال: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ○ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ○ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ○ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشاق:١٦-١٩] أقسم سبحانه بحمرة الشفق قبل طلوع الشمس أو بعد غروبها إلى وقت العشاء الآخرة، قال ﷺ: «وقت المغرب مالم يغب الشفق» [مسلم:٦١٢] عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما ﴿وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشاق:١٧] أي جمع من نجوم ودواب، وما ساق من ظلمة وغيرها ﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ [الانشاق:١٨] أي اجتمع واستوى وامتلأ واستدار وتكامل نوره وأبدر ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشاق:١٩] أي حالًا بعد حال: رضيعًا ففطيمًا فطفلًا فشابًا فكهلًا فشيخًا، وحالًا بعد حال من الرخاء والشدة والغنى والفقر والصحة والمرض، فإذا كانت الحالة هذه ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ○وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ﴾ [الانشقاق:٢٠،٢١] ما يمنعهم من الإيمان بالله ورسوله ﷺ واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين؟ ما يمنعهم من السجود لله إعظامًا وتكريمًا واحترامًا ومهابةً وعبوديةً، إن الذي يمنعهم هو التكذيب والعناد والكبر والذنوب، وسوف يلاقون جزاءهم المشين، أما المؤمنون بالله العاملون للصالحات فإن لهم أجرًا غير ممنون ولا مقطوع ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود:١٠٨] ولا منقوص، نسأل

الله من فضله.

فائدة: وجوب المداومة على شكر النعمة

إذا كان الإنسان بنعمة اختارها الله له من نعم الدنيا والآخرة، فليدم عليها، ولا يملها، ولا يتركها، زاعمًا أن غيرها خير منها بدون علم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١] وقال: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الأنفال:٥٣] وعلى المرء أن يشكر الله تعالى على نعمه، ويستمر فيها، ولا يدفعها، فإن الشيطان حريص على حرمانه منها، وعلى المرء أن ينتهز هذه النعمة، ولا يضيع الفرص، فربما تفوته فيتأسف عليها، والحياة فرص، قال الشاعر:

وعاجز الرأي مضياع لفرصته
حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فائدة: حرمةُ الجلوس مع المستهزئين بالدين والعلماء

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام:٦٨] لا يجوز الجلوس مع من يخوض في آيات الله، أو يكذب بها، أو يحرفها ويضعها في غير موضعها، أو يسب العلماء والدعاة إلى الله وهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو يثني على المنافقين والعلمانيين، وقال الله تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء:١٤٠] ويجب على المسلم أن يعرض عنهم

ويتركهم ويذكِّرهم ويحذِّرهم، عند ذلك يسلم، أما إذا لم ينكر عليهم فهو مثلهم في الإثم، ولهذا عاقب الله من بني إسرائيل الذين يجالسون الكافرين والمنافقين، ويخالطونهم ويواكلونهم، ولا ينكرون عليهم، ولم ينجُ إلا الآمرون بالمعروف الناهون عن المنكر، كما قال تعالى: ﴿أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ﴾ [الأعراف:١٦٥] لقد أخذ الله الظالمين، وهم كل من لم ينكر، سواء شاركهم، أو لم يحذرهم، أو جلس في الصوامع ولم يقم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وسماهم كلهم ظالمين، ثم قال الله تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأنعام:٧٠] فأمر أن يترك محمد ﷺ ومن اتبعه هؤلاء اللاعبين اللاهين المغرورين بالحياة الدنيا.

فائدة: ابتلى الله كفار مكة كما ابتلى أصحاب الجنة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ○ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ○ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ○ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ○ فَتَنَادَوْا۟ مُصْبِحِينَ ○ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ○ فَٱنطَلَقُوا۟ وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ○ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ [القلم:١٧-٢٤].

هذا مثل ضربه الله تعالى لكفار مكة، فقد أهدى إليهم الرحمن من رحمته وجوده وعطائه ونعمه بعثة أفضل الخلق وأزكاهم محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب ﷺ، فكذبوه ولم يشكروا نعمة ربهم، وحاربوه، فهم مثل أصحاب الجنة التي تشتمل على أنواع الفواكه والثمار، فلم يؤدوا زكاتها، ولم يشكروه، ولم يعطوا المساكين منها، وأقسموا فيما بينهم ليجذن ثمرها بالليل، أو في الصباح الباكر قبل

قيام الناس، لئلا يعلم بهم الفقراء والمساكين والسائلون، فأصابتها آفة من السماء، فأصبحت كالليل الأسود هشيمًا يابسًا، فلما ذهبوا لجذاذها يتخافتون ويتناجون بحيث لا يسمعهم أحد من المساكين، وظنوا أنهم قادرون على ذلك، ولكن قدرة الله غالبة، احترقت قبل وصولهم، وصارت سوداء مدلهمة، فظنوا أنهم أخطأوا الطريق، وقالوا: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم:٢٦] أي سالكون غير الطريق إليها فَتُهنا عنها، ولما تيقنوا أنها هي، قالوا: ﴿بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [القلم:٢٧] لا حظ لنا ولا نصيب منها، فقال أعقلهم وأعدلهم وخيرهم: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:٢٨] حيث لم يقولوا: إن شاء الله، وهموا بجدادها قبل أن يأتي المسكين والفقير، ولم يشكروا نعمة الله عليهم بهذه المزرعة اليانعة الثمار عند ذلك، لما أيقنوا بأنها محترقة قالوا: ﴿سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم:٢٩] وهنا لا ينفع الندم، ولا الاعتراف بالذنب، وأخذ بعضهم يلوم بعضًا على منع المساكين من حقهم، واعترفوا باعتدائهم وظلمهم وبغيهم وطغيانهم ﴿قَالُواْ يَوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾ [القلم:٣١] ﴿قَالُواْ سُبْحَانَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾ [القلم:٢٩] وهذا عذاب الدنيا ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم:٣٣] فمن خالف أمر الله، وبخل بما آتاه الله وما أنعم به عليه، ومنع حق المسكين والفقير وأصحاب الحاجات، وبدل نعمة الله كفرًا، ولم يؤد الزكاة والصدقات، عاقبه الله في الدنيا، أو في الآخرة، أو بهما معًا.

فائدة: بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليهما السلام

بشرت الملائكة مريم عليها السلام بعيسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾ [آل

عمران:٤٥] وأنه مصدق بكلمة من الله، وأن اسمه عيسى ابن مريم، وأنه وجيهٌ في الدنيا والآخرة ومن المقربين، وأنه يكلِّم الناس في المهد وكهلًا ومن الصالحين، ومن وجاهته أنه من أولي العزم من الرسل، وأن الله علَّمه الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل، وأنه رسول إلى بني إسرائيل، وأنه يخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وهذه معجزة تدل على أنه رسول من عند الله، وأنه يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى بإذن الله، وهذه المعجزات تناسب زمانه المنتشر فيه السحر والطب وعلماء الطبيعة، وأنه يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وأنه مصدق لما بين يديه من التوراة ومقر لها، وأنه يحل لبني إسرائيل بعض الذي حرم عليهم، ينسخ بعض شرائع التوراة، ويبين لهم ما اختلفوا فيه، وأنه بشرٌ عبد لله، وطلب عيسى عليه السلام منهم النصرة، فقال: ﴿مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الصف:١٤] فاستجاب له الحواريون وقالوا: ﴿نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۚ﴾ [الصف:١٤] فآمنوا به وصدقوه وأسلموا له، ثم مكروا: ﴿وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤] ثم هَمَّ اليهود بقتله وتمالؤوا عليه، ووشوا به إلى ملكهم ورموه بالكذب، وأنه يفرق بين الأب وابنه، وأنه يضل الناس، وأنه ولد زنا، فبعث الملك بطلبه ليصلبه، فأحاطوا بمنزله، فنجاه الله تعالى منهم، ورفعه إلى السماء، وألقى الله شبهه على رجل كان عنده في المنزل، فأخذوا ذاك الرجل وأهانوه وصلبوه، ووضعوا الشوك على رأسه، فقست قلوبهم ﴿وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ﴾ [آل عمران:٥٤] قال الله تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ

كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [آل عمران:٥٥] عند ذلك تفرق أصحابه، فمنهم من آمن بما بعثه الله به، وأقر أنه عبدالله ورسوله وابن أمته، ومنهم من غلا فيه فجعله ابن الله، ومنهم من قال: هو الله، ومنهم من قال: هو ثالث ثلاثة، وبدَّلوا دين المسيح وحرَّفوا تعاليمه، وزادوا ونقصوا في الإنجيل، فأحلوا لحم الخنزير، ثم بعث الله نبينا محمدًا ﷺ، فكل من آمن به صار من أتباعه، فهذه الأمة أولى بعيسى عليه السلام من اليهود، وأولى بكل نبي، قال تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ [آل عمران:٥٩] عيسى عليه السلام خلق من غير أب، وآدم عليه السلام خلق من غير أب ولا أم.

فائدة: صفات الرابحين في سورة العصر

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ○ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر:١-٣].

هذه السورة يقول الإمام الشافعي عنها: لو ما أُنزل على الناس إلا هذه السورة لكفتهم، ويروى أنه كان الرجلان من الصحابة إذا التقيا لم يفترقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، ثم يسلم أحدهما على الآخر.

والعصر هو الزمان الذي يقع فيه حركات وأعمال الناس من خير وشر، أقسم الله تعالى به على أن الإنسان في خسارة وهلاك، إلا من جمع بين الصفات الأربع:

أولًا: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره.

ثانيًا: العمل الصالح بالجوارح، فلا إيمان لمن لم يعمل الصالحات.
ثالثًا: التواصي بالحق والطاعات، وترك المحرمات، وأداء الواجبات والنوافل.
رابعًا: الصبر على أقدار الله المؤلمة، والصبر على الطاعات، والصبر عن المعاصي.

ولا شك أن من يتواصى بالحق، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، سيناله الأذى والمشقة، ولهذا لا يأتي ذلك إلا أتبع بالصبر.

قال لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ [لقمان:١٧].

ويروى أن مسيلمة الكذاب لما قرأ عليه عمرو بن العاص رضي الله عنه هذه السورة قال: نزل عليّ مثلها، فقال له عمرو: وما هو؟ فقال: ياوبر ياوبر، إنما أنت أذنان وصدر، وسائرك حفز نقر. ثم قال: كيف ترى ياعمرو؟ فقال له عمرو رضي الله عنه: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب (كتاب مساوئ الأخلاق لأبي بكر الخرائطي الجزء الثاني رقم:١٧٥). نسأل الله تعالى الثبات على الحق وعدم الزيغ عنه.

فائدة: إبراهيم عليه السلام يكسر الأصنام

أعطى الله إبراهيم عليه السلام رشده وهو صغير، كما أعطاه الحجة البالغة والحكمة، وكان أهلًا لذلك، فأنكر على قومه عبادة الأصنام، وتعصبهم لما كان عليه آباءهم، وأنكر على أبيه صناعة هذه التماثيل وعبادتها، وكسر الأصنام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ○ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيَ

أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ ○ قَالُواْ وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا لَهَا عَٰبِدِينَ ○ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنبياء:٥١-٥٤] فسفَّه أحلامهم وضلَّل آباءهم، واحتقر آلهتهم التي يعبدونها من دون الله، وقال: ﴿بَل رَّبُّكُمْ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾ [الأنبياء:٥٦] فالذي خلق هذا الكون هو الذي يستحق العبادة، لا هذه المخلوقات التي لا تملك شيئًا، ولا تنفع ولا تضر، ثم كسرها وجعلها جذاذًا إلا كبيرها، فرجعوا إليها فوجدوها مكسرة إلا الكبير منها، فتساءلوا عمن كسرها، فقيل لهم: إنه فتى يقال له إبراهيم، فأتوا به على أعين الناس وحضورهم، فسألوه ﴿ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ○ قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٢،٦٣] وكان قد وضع القدوم في يد كبير الأصنام، ليظهر أنه هو الذي كسرها، وأنف أن تعبد معه هذه الصغار، وهذا من ذكائه وقدرته على الحجة وحكمته، في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات: ثنتين في ذات الله عز وجل قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات:٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء:٦٣] قال: وبينما هو يسير في أرض جبار من الجبابرة ومعه سارة، إذ نزل منزلًا، فأتى الجبار رجل فقال: إنه قد نزل ههنا رجل بأرضك معه امرأة أحسن الناس، فأرسل إليه فجاءه، فقال: ما هذه المرأة التي معك؟ قال: هي أختي، قال: فاذهب فأرسل بها إلي، فانطلق إلى سارة، فقال: إن هذا الجبار قد سألني عنك، فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني عنده، فإنك أختي في كتاب الله، وإنه ليس في الأرض مسلم غيري وغيرك، فانطلق بها إبراهيم، ثم قام يصلي،

فلما دخلت عليه فرآها أهوى إليها فتناولها فأخذ أخذًا شديدًا، فقال: ادعي الله لي ولا أضرك، فدعت له، فأرسل ثلاث مرات، ثم دعا أدنى حجابه إنك لم تأتني بإنسان، ولكنك أتيتني بشيطان، أخرجها وأعطها هاجر، فأخرجت وأعطيت هاجر فأقبلت، فلما أحس إبرهيم بمجيئها انفتل من صلاته، وقال: مهيم، قالت: كفى الله كيد الفاجر وأخدمنى هاجر» قال ابن سيرين فكان أبو هريرة رضي الله عنه إذا حدث بهذا الحديث قال: (تلكم أمكم يابني ماء السماء) [البخاري:٣٣٥٨ ومسلم:٢٣٧١] فهذه التي يراها إبراهيم عليه السلام كذبات، كلها مؤولة بالصحيح، وما كان جواب قوم إبراهيم إلا أن رجعوا إلى أنفسهم بالملامة من عدم إيجاد حارس لآلهتهم، ثم ردوا على إبراهيم عليه السلام بقولهم: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَٰٓؤُلَآءِ يَنطِقُونَ﴾ [الأنبياء:٦٥] وهنا قامت حجة إبراهيم عليه السلام عليهم، فقال: ﴿أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكُمْ شَيْـًٔا وَلَا يَضُرُّكُمْ ○ أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنبياء:٦٦،٦٧] قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ﴾ [الأنعام:٨٣] ولما دحضت حجتهم، وبان عجزهم، وظهر الحق وبطل الباطل، قالوا: ﴿حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمْ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء:٦٨] فجمعوا حطبًا، وحفروا حفرةً في الأرض، وأضرموا النار، وجعلوا إبراهيم عليه السلام في كفة المنجنيق، وألقوه بالنار، وهو يقول: (حسبي الله ونعم الوكيل) روى ابن عباس أن (حسبي الله ونعم الوكيل) قالها إبراهيم عليه السلام حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ

﴿ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] [البخاري: ٤٥٦٣].

فقال الله تعالى للنار: ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] قال ابن عباس رضي الله عنهما وأبو العالية: (لولا أن الله قال: وسلامًا لآذى إبراهيم بَرْدُها) [الطبري ١٨/ ٤٧٧] ﴿فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ﴾ [الأعراف: ١١٩] ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٠] فنجاه الله من النار ومن شرهم، وهاجر إلى الشام ومعه ابن أخيه لوط عليهما السلام، ووهب له إسحاق ويعقوب نافلة، بعد أن سأل ربه ﴿رَبِّ هَبْ لِى مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [الصافات: ١٠٠] وجعلهم أئمة يهدون بأمر الله، وأوحى الله إليهم فعل الخيرات وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لله عابدين، وجعل من ذريته الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ومن ذريته أفضلهم نبي العالمين محمد بن عبدالله بن عبد المطلب الذي ينتسب إلى إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام من جهة الأب، وإلى هاجر من جهة الأخوال، وهكذا انتصر الحق، وصار إبراهيم عليه السلام خليل الله، قال تعالى: ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧] قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤].

فائدة: حشر الوحوش والطيور والدواب يوم القيامة

قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقال: ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [التكوير: ٥] وقال: ﴿يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: ٤٠] فهذه الآيات

دالة على أن الوحوش والطير وجميع الدواب تحشر يوم القيامة، وقد ورد أن بعضها يقتص من بعض، ثم يقال لها: كوني ترابًا فتكون، فعندها يقول الكافر: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ:٤٠].

فائدة: رفع الله تعالى ذكر نبينا محمد ﷺ

قال الله تعالى: ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾ [الشرح:٤] لقد رفع الله تعالى ذكر نبيه محمد ﷺ، فلا يذكر الله تعالى إلا ذكر، يذكر في خطبة الجمعة وفي التشهد وفي خطبة النكاح وفي الأذان، ويصلى عليه عند ذكره وعند الدعاء، قال رسول الله ﷺ: «كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجزماء» [أبو داود:٤٨٤١ وصححه الألباني].

فائدة: من معاني الشكر وفوائده

قال الله تعالى: ﴿مَّا يَفۡعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمۡ إِن شَكَرۡتُمۡ وَءَامَنتُمۡۚ﴾ [النساء:١٤٧] وقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه «يامعاذ! والله إني لأحبك، والله إني لأحبك، أوصيك يامعاذ! لتدعن في دبر كل صلاة تقول: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» [أبو داود:١٥٢٢ وصححه الألباني].

قال ابن القيم: (الشكر ظهور أثر نعمة الله على لسان عبده ثناءً واعترافًا، وعلى قلبه شهودًا ومحبةً، وعلى جوارحه انقيادًا وطاعةً) [مدارج السالكين ٢/ ٢٤٤].

فالشكر هو الرضا بما قسم الله والثناء عليه، وعرفان إحسانه وطاعته، ومحبته في الرخاء والبلاء في القلب واللسان والعمل، قال تعالى: ﴿ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ﴾ [سبأ:١٣] وقال: ﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ [لقمان:١٤] ويتضمن الصبر على الطاعة والصبر عن المعصية،

وإذا أنعم الله على العبد بنعمة يؤدي حقها ولا يصرفها في الحرام، قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ﴾ [النحل:١٢١] وقال عن نوح عليه السلام: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء:٣] وهو من صفات الله تعالى، قال سبحانه: ﴿وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن:١٧] وقال: ﴿وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة:١٥٨].

فائدة: ذم الغفلة عن الله وحب التكاثر والانهماك في الملذات

حب الدنيا والتعلق بها، والغفلة عن الله، والانهماك في الملذات والنعيم والترف، وعدم طلب الآخرة وابتغائها، وحب التكاثر حتى يأتي الموت، ويزور الإنسان القبر، لهو وغفلة، قال تعالى: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ○ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾ [التكاثر:١،٢] وقال: ﴿أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الحديد:٢٠] عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن أُبي بن كعب رضي الله عنه قال: (كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت ألهاكم التكاثر) [البخاري:٦٤٤٠] يعني «لو كان لابن آدم واد من ذهب».

إن ابن آدم لو كان له وادٍ من ذهب لأحب أن يكون له واديان «يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأمضيت» [مسلم:٢٩٥٨ والترمذي:٣٣٥٤ وأحمد ٤/٢٤] إن المرأ سيذهب، لا يتبعه إلا عمله، وكلما كبر ازداد حرصه وأمله، وما سوى العمل فذاهب وتاركه، وقد توعد الله من ألهته الدنيا عن طاعة ربه، فقال: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ○ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ○ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ○ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ○ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ○ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر:٣-٨] إن رؤية

النار ووروودها شيء محقق، وإن السؤال عن النعيم والصحة والأمن والرزق وغير ذلك أمر محقق، ومن استغل حياته وما أعطاه الله من مال وصحة وجاه في عبادة ربه والتقرب إليه، فاز فوزًا عظيمًا، وذهب بالأجور والثواب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ» [البخاري: ٦٤١٢ والترمذي: ٢٣٠٤ وابن ماجه: ٤١٧٠].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: ياابن آدم حملتك على الخيل والإبل، وزوجتك النساء، وجعلتك تربع وترأس فأين شكر ذلك» [أحمد ٢/٤٩٢] ولو كانت الدنيا تعادل عند الله جناح بعوضة ما سقى منها كافرًا شربة ماء، وقد شبه الله الدنيا فقال: ﴿كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا﴾ [الحديد: ٢٠] ومثلها رسوله ﷺ براكب: «استظل تحت شجرة ثم راح وتركها» [الترمذي: ٢٣٧٧، وابن ماجه: ٤١٠٩، وأحمد ١/ ٢٠١ وصححه الألباني].

فائدة: من صفات طالوت

قال الله تعالى على لسان نبي من أنبياء بني إسرائيل: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

من صفات طالوت أن الله اختاره لأن يكون ملكًا على قومه من بني إسرائيل، وأنه كان جنديًا من الأجناد، ولم يكن من بيت

الملوك، لأن ملوك بني إسرائيل من سبط يهوذا، ومن صفاته أنه فقير لا مال له، ولا نسب كبير قيل: كان سقاءً، وقيل: دباغًا، ومن صفاته أن الله اختاره واصطفاه على قومه، وأنه زاده في العلم والجسم والنبل والقوة البدنية والصبر والشكل والقامة، وكان مباركًا، رد الله عليه التابوت الذي أخذ من بني إسرائيل، والذي فيه سكينة من الله ووقار وجلالة ورحمة، وفيه بقية مما ترك آل موسى وآل هارون تحمله الملائكة، فيه عصا موسى عليه السلام ورضاض الألواح والتوراة، وقفيز من منّ، والنعلان تحمله الملائكة بين السماء والأرض، حتى وضعته بين يدي طالوت والناس ينظرون، فأصبح بدار طالوت، وفي ذلك دليل على صدقه وصدق نبيهم الذي أخبرهم بذلك، وقد اختبر الله من أطاع طالوت وخرج معه بالنهر الذي اعترض طريقهم وهم عطاش، فأمرهم الله ألا يشربوا منه إلا غرفة واحدة، فشربوا منه إلا قليلًا منهم، وكان عددهم كما قيل ثمانين ألفًا، تخاذل أكثرهم، ولم يسيروا مع طالوت، وهؤلاء اليسير لما جاوزوا النهر وقابلوا عدوهم جالوت وجنوده تخاذل أيضًا أكثرهم، وقالوا: ﴿لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ﴾ [البقرة:٢٤٩] ولم يبق مع طالوت إلا القليل من الجنود وفيهم داود عليه السلام، وطلبوا من الله أن يفرغ عليهم الصبر، ويثبت أقدامهم، فهزموا جالوت وجنوده الكثيري العدد والعدة، وقتل داود جالوت، وآتاه الله الملك والحكمة، وعلمه مما يشاء.

فائدة: الإخلاص شرط من شروط صحة العمل

الإخلاص وحسن القصد والإرادة للخير والأجر والثواب من الله

تعالى، شرط من شروط صحة العمل، ولا يقبل أي عمل إلا بنية خالصة لله تعالى، ولا عبرة بمظاهر الأعمال ما لم تكن النية لله وحده لا شريك له، ولهذا فالذي سافر مع المهاجرين إلى المدينة لغرض الزواج، لا للهروب من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، لم تقبل منه الهجرة، قال ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه» [البخاري:١ ومسلم:١٩٠٧] قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة:٥] وقال: ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعۡبُدُ مُخۡلِصٗا لَّهُۥ دِينِي﴾ [الزمر:١٤] وقال: ﴿قُلۡ إِنِّيٓ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ ٱللَّهَ مُخۡلِصٗا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ [الزمر:١١] وقال تعالى عن المنافقين والمرائين: ﴿وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢] وقال: ﴿كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة:٢٦٤] وقال: ﴿فَوَيۡلٞ لِّلۡمُصَلِّينَ ○ ٱلَّذِينَ هُمۡ عَن صَلَاتِهِمۡ سَاهُونَ ○ ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ ○ وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾ [الماعون:٤-٧] وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ﴾ [النساء:٣٨] وقال: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ﴾ [التوبة:١٨].

وتكون النية بالقلب، ومن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، رجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه .

وقد مدح الله تعالى يوسف عليه السلام فقال: ﴿إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤] ومن أخلص في عبادة الله لا يستطيع الشيطان إغواءه، كما قال تعالى: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ○ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ

ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [ص:٨٢،٨٣] وهذا معنى قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة:٥] وقد بين الله تعالى محق أعمال المنفقين مع المن والأذى والكراهة والرياء وابتغاء مدح الناس وثنائهم، وأشاد بأعمال المخلصين الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وتثبيتًا من أنفسهم، ولا يتبعون ما أنفقوا منًا ولا أذى.

فائدة: أمر الله لنبيه ﷺ وأمته للإقتداء بإبراهيم عليه السلام

قال الله تعالى عن إبراهيم عليه السلام في ثنائه لله تعالى، ودعائه وتبرئه مما يعبد قومه، ووعظه لهم: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَٰهِيمَ ○ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَا تَعْبُدُونَ ○ قَالُوا۟ نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَٰكِفِينَ﴾ [الشعراء:٦٩-٧١].

أمر الله تعالى نبينا محمدًا ﷺ أن يتلو على أمته هذا الموقف العظيم من إبراهيم عليه السلام، حيث أنكر عليهم ما يعبدون، وتبرأ من الشرك وأهله، إذ قال لهم: ﴿مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء:٧٠] ﴿مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِىٓ أَنتُمْ لَهَا عَٰكِفُونَ﴾ [الأنبياء:٥٢] ﴿قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ ○ أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ﴾ [الشعراء:٧٢،٧٣] ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّىٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء:٧٧] ﴿إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ○ مِن دُونِهِۦ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ○ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود:٥٤-٥٦] ولم يخف من هذه الآلهة، حيث آتاه الله رشده وهو فتى صغير، قال تعالى عنه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا ۚ فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ ۖ﴾ [الأنعام:٨١] وتبرأ عليه السلام منهم ومن أصنامهم، فقال: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾

[الزخرف:٢٦] وأمر تعالى أن نقتدي به في ذلك، وتبرأ من أبيه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُۚ﴾ [التوبة:١١٤] قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤].

وجعل كلمة التوحيد والبراءة من الشرك ﴿كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] فهو لا يعبد إلا الذي يهدي الخلائق، ويطعمُ ويسقي ويشفي ويميت ويحيي ويغفر ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ○ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ○ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ○ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ○ وَٱلَّذِىٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِى خَطِيٓـَٔتِى يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشعراء:٧٨-٨٢] فهو سبحانه الخالق الرازق الشافي المميت المحيي، الغفار للذنوب، وهذه الأصنام لا تملك شيئًا، ثم سأل ربه فقال: ﴿رَبِّ هَبْ لِى حُكْمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّٰلِحِينَ ○ وَٱجْعَل لِّى لِسَانَ صِدْقٍ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ○ وَٱجْعَلْنِى مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ○ وَٱغْفِرْ لِأَبِىٓ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ○ وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء:٨٣-٨٧] فطلب من ربه العلم والصلاح، واللحاق بالصالحين، والذكر الجميل، والقدوة الحسنة في الخير، فاستجاب الله دعاءه، فهو يذكر في الصلاة والحج إلى يوم القيامة، ويذكر في النسك وغيره، وأعطاه الله الحلم والقلب السليم والأسوة الحسنة ﴿إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الصافات:٨٤] ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤] ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الممتحنة:٤].

فائدة: من صفات عيسى عليه السلام وأعماله بعد نزوله

قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ وَيَوْمَ

﴿ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [النساء:١٥٩] أي يؤمنون بعيسى عليه السلام عند نزوله وقبل موته، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة خيرًا من الدنيا وما فيها» [البخاري:٣٤٤٨].

وعنه عن رسول الله ﷺ: «ليهلّن ابن مريم عليه السلام بفج الروحاء حاجًا أو معتمرًا، أو ليثنينهما» [مسلم:١٢٥٢ وأحمد ٢/ ٢٤٠، ٢٧٢، ٥٤٠] ومن أوصافه أنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان ممصران، كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل، كما ورد في الحديث الذي رواه أحمد وأبو داود عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ. [أبو داود:٤٣٢٤ وأحمد ٢/ ٤٠٦، ٤٣٧ وصححه الألباني].

ومن صفات أعماله وزمانه أنه يدق الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية [البخاري:٣٤٤٨] ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك الله في زمانه جميع الملل إلا الإسلام، ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال، ويعم الأمن حتى ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، ويلعب الأولاد بالحيات لا تضرهم، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون، كما ورد في الحديث الذي رواه أبو داود وأحمد عن رسول الله ﷺ. [أبو داود:٤٣٢٤ وأحمد ٢/ ٤٠٦ وصححه الألباني].

ومن صفات عيسى عليه السلام أنه عريض الصدر [البخاري: ٣٤٤٨] له لمة تضرب بين منكبيه [مسلم:١٦٩] رَجِل الشعر - وفي رواية

سَبْط الشعر - [البخاري:٣٤٤١ ومسلم:١٦٩] ينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، لا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونفسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، يتبعه المسلمون ويحرزهم إلى الطور، ويقتل يأجوج ومأجوج، يبارك الله في ثمرات الأرض، وفي عهده تأكل العصابة من الرمانة الواحدة، ويستظلون بقحفها، وتكفي اللقحة من الإبل الفئام من الناس، واللقحة من الغنم تكفي الفخذ من الناس، وشبهه الرسول ﷺ بعروة بن مسعود [مسلم:١٧٢] وفي حديث المعراج قال ﷺ: «ولقيت عيسى رَبْعَة أحمر كأنه خرج من دِيماسٍ» يعني من الحمَّام [البخاري:٣٤٣٧ ومسلم:١٦٨].

فائدة: العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم

العهد والميثاق أخذه الله على عباده كلهم أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا، فمن خالف هذا العهد والميثاق بعد عقده وتوكيده فقد ضل ضلالًا مبينًا، قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف:١٧٢] وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَـٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَـٰقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب:٧] وقال عن النصارى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰٓ أَخَذْنَا مِيثَـٰقَهُمْ فَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ﴾ [المائدة:١٤] وقال عن اليهود: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ ٱثْنَىْ عَشَرَ نَقِيبًا ۖ﴾ [المائدة:١٢] وقد عاهد الأنصار رضي الله عنهم رسول الله وبايعوه ليلة العقبة، وكان فيهم اثنا عشر نقيبًا:

ثلاثة من الأوس، وهم: أسيد بن الحضير وسعد بن خيثمة ورفاعة بن عبدالمنذر، وتسعة من الخزرج، وهم: أبو أسامة أسعد بن زرارة وسعد بن الربيع وعبدالله بن رواحة ورافع بن مالك بن العجلان والبراء بن معرور وعبادة بن الصامت وسعد بن عبادة وعبدالله بن عمرو بن حرام والمنذر بن عمر بن خنيس رضي الله عنهم.

ومن نقض الميثاق والعهد قسا قلبه، وحرف الكلم عن مواضعه، ونسي الذي ذكر به، وخان، ولعنه الله وطرده من باب رحمته، وحجب قلبه عن الاهتداء بوحيه، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ وَنَسُوا۟ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣].

فائدة: وعظ إبراهيم عليه السلام ومناظرته لأبيه وقومه

كان إبراهيم الخليل عليه السلام قوي الوعظ والمناظرة مع أبيه وقومه، نهى أباه عن عبادة الأصنام، فقال له: ﴿أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٧٤] وقال له: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ○ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ○ يَٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ عَصِيًّا ○ يَٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَٰنِ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٢-٤٥] ثم أخذ يستغفر لأبيه ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة: ١١٤] كما حاج إبراهيم عليه السلام قومه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ ٱلَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ ○ فَلَمَّا رَءَا ٱلْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ ○ فَلَمَّا رَءَا

ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ ○ إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٦-٧٩] وهذه الانكشافات لإبراهيم عليه السلام بيَّنت وحدانية الله تعالى في ملكه وخلقه، وأنه لا إله غيره، ولا رب سواه، فالله تعالى لا يغيب كما تغيب النجوم، وإبراهيم عليه السلام لا يحب الأفلين، فبطلت عبادة النجوم والقمر والشمس الآفلة، وعرّى إبراهيم عليه السلام عبادتهم للنجوم والشمس والقمر، وخطَّأهم وبيَّن ضلالهم، وأنها لا تصلح للعبادة، لأنها مسخرة مقدرة بسير معين لا تزيغ عنه يمينًا ولا شمالًا، ولا تملك لنفسها تصرفًا، وتبرأ من عبادتها، فقال: ﴿إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨] وأعلن أنه يعبد خالق هذه المخلوقات ومخترعها ومسخرها ومدبرها، الذي بيده ملكوت كل شيء، فقال عليه السلام: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام:٧٩] واستنكر عليهم المحاجة في الله، فقال تعالى: ﴿وَحَآجَّهُۥ قَوۡمُهُۥۚ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشۡرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيۡـٔٗاۗ﴾ [الأنعام:٨٠] فهذه الأصنام لا يخاف منها مسلم لله تعالى، فما أنزل الله بها من سلطان، فالذي يشرك بالله يخاف من كل شيء، أما الموحد لله تعالى فله الأمن ﴿فَأَيُّ ٱلۡفَرِيقَيۡنِ أَحَقُّۚ بِٱلۡأَمۡنِۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ○ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُۖ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام:٨١،٨٢].

فائدة: ملة إبراهيم عليه السلام

ملة إبراهيم عليه السلام التوحيد والحنيفية، وعدم الشرك بالله، والبراءة من كل معبود سواه، حتى من أبيه وقومه، قال تعالى:

﴿يَٰقَوۡمِ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام:٧٨] وقال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٧٩] وقال: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ○ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ﴾ [الزخرف:٢٦، ٢٧] وقال عن أبيه: ﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوّٞ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنۡهُۚ إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٞ﴾ [التوبة:١١٤] وقال: ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةٗ قَانِتٗا لِّلَّهِ حَنِيفٗا وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [النحل:١٢٠] وقال: ﴿قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وقال: ﴿مَا كَانَ إِبۡرَٰهِيمُ يَهُودِيّٗا وَلَا نَصۡرَانِيّٗا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفٗا مُّسۡلِمٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [آل عمران:٦٧] وقال: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣١] وقال: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبۡرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعۡقُوبُۖ يَٰبَنِيَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٢] وقال: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف:٢٨] وقد وصى بالتوحيد ابنه يعقوب عليه السلام من بعده وكل الأنبياء بعده من سلالة إبراهيم عليهم السلام، قال تعالى: ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِي قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة:١٣٣] وقال تعالى عن إبراهيم عليه السلام: ﴿قُلۡ بَلۡ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِـۧمَ حَنِيفٗاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [البقرة:١٣٥] وملة إبراهيم التوحيد والاستقامة والحنيفية، وتصديق الرسل والكتب المنزلة، وعدم التفريق بينهم، والاتباع ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصۡطَفَيۡنَٰهُ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ○ إِذۡ

قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:١٣٠، ١٣١] اللهم اجعلنا على ملة إبراهيم عليه السلام ودين محمد ﷺ.

فائدة: عمارة المساجد

قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلۡمُشۡرِكِينَ أَن يَعۡمُرُواْ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلۡكُفۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ وَفِي ٱلنَّارِ هُمۡ خَٰلِدُونَ﴾ [التوبة: ١٧].

المساجد لا يعمرها المشركون، ولا النصارى ولا اليهود ولا المنافقون ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ [التوبة:١٨] فالذي يعمر المساجد العمارة المعنوية هم المقيمون للصلاة، المؤتون الزكاة، الخائفون من الله، الراجون لثوابه، فهؤلاء هم المفلحون.

أما سقاية الحاج وعمارة المساجد العمارة الحسية فلا تساوي الإيمان بالله، قال تعالى: ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ كَمَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسۡتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:١٩] روى عبدالرزاق عن النعمان بن بشير رضي الله عنه أن رجلًا قال: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام، إلا أن أسقي الحجاج، وقال آخر: ما أبالي أن لا أعمل عملًا بعد الإسلام إلا أن أعمر المسجد الحرام، وقال آخر: الجهاد في سبيل الله أفضل مما قلتم، فزجرهم عمر رضي الله عنه، وقال: لاترفعوا أصواتكم عند منبر رسول الله ﷺ وذلك يوم الجمعة، ولكن إذا صلى الجمعة دخلنا عليه فنزلت ﴿أَجَعَلۡتُمۡ سِقَايَةَ ٱلۡحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلۡمَسۡجِدِ

﴿ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ﴾ [التوبة:١٩][مسلم:١٨٧٩ والطبري في تفسيره:١٦٥٧١ وعبدالرزاق في تفسيره ٢/ ٢٦٨] فالمساجد بيوت الله، وحق على الله تعالى أن يكرم من زاره فيها، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: إن المشركين قالوا: عمارة بيت الله، وقيام على السقاية خير ممن آمن وجاهد، وكانوا يفاخرون بذلك ويتكبرون، ويقولون: نحن أهل الحرم وعمَّاره وسقاته ويسمرون بذلك، قال تعالى عنهم ﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ﴾ [المؤمنون:٦٧] وقال: ﴿لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة:١٩] فمن زعم أنه أهل العمارة للمسجد الحرام، وهو مصر على الكفر والشرك والمعاصي، لا تغنِ عنه العمارة الحسية شيئًا، وكانوا يفخرون بأنهم يعمرون المسجد الحرام، ويفكون العاني، ويمنعون من يعتدي على البيت والحجاج، ويسقون الحجيج ويكسونهم، فقال الله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ○ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة:١٧، ١٨].

فائدة: أفضل الدعاء ما كان تضرعاً وخفية

أفضل الدعاء ما كان تضرعًا وخفيةً بلا صوت، وهذا من الأدب والتعظيم، قال تعالى: ﴿ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ﴾ [الأعراف:٥٥] وقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ [مريم:٣] وقال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ﴾ [البقرة:١٨٦] ودعاء الخفية يدل على الإيمان بأن الله يسمع السر وأخفى، وفيه من الأدب مالا يخفى، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾

[الحجرات:٤] وفيه من الخشوع والإخلاص وجمعية القلب والقرب من الله تعالى، وفي الحديث: «اربعوا على أنفسكم، إنكم لا تدعون أصَمَّ ولا غائبًا، إنكم تدعون سميعًا قريبًا وهو معكم» وفي رواية لمسلم «والذي تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلة أحدكم» [البخاري:٤٢٠٥ ومسلم:٢٧٠٤] والدعاء بخفية أدعى إلى الدوام والاستمرار، وعدم الملل والتعب، وأبعد عن المشوشات والقواطع، وحسد الناس وتسلط الشياطين، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأعراف:٢٠٥] وفي الدعاء الخفي من التذلل لله تعالى والتمسكن والانكسار وإقبال القلب على الله، والخوف منه، والرجاء والمحبة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ [الإسراء:٥٧] وقال: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ﴾ [الأعراف:٢٠٥] وقال: ﴿وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف:٥٦] وقال: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف:٥٥] وقال رسول الله ﷺ: «إنه سيكون في هذه الأمة قوم يعتدون في الدعاء والطهور» [أبو داود:٩٦ وصححه الألباني رحمه الله] قال ابن جريج: (من الاعتداء رفع الصوت في الدعاء، والنداء في الدعاء والصياح) وفي الدعاء خفية من الإجلال لله، والمهابة والحياء والخشية والمحبة والإحسان، والعلم بقربه منك وسماعه ما تقول، والرغبة والرهبة ما يتبين لكل ذي لب.

فائدة: سورتا الكافرون والإخلاص وما تضمنتا من الأحكام

كان رسول الله ﷺ يقرأ بسورتي ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ في ركعتي الفجر [مسلم:٧٢٦] وركعتي الطواف [مسلم:

١٢١٨] والركعتين بعد المغرب. [مسلم:١٢١٨، وأحمد ٢/٤، ٥٨، ٩٩].

وسورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن [البخاري:٥٠١٥ ومسلم:٨١١] أما سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ فتعدل ربع القرآن [الترمذي:٢٨٩٤ والحاكم ١/٥٦١ وصححه] وفي هذه السورة البراءة من المشركين وأعمالهم، والإخلاص لله تعالى في العبادة، وقد كان المشركون يطلبون من النبي ﷺ أن يعبد آلهتهم سنةً، ويعبدون إلهه سنةً، فأنزل الله هذه السورة التي تتبرأ من عبادة ما يعبده المشركون من الأصنام والأنداد، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وهذا السؤال من المشركين يدل على سفاهتهم وجهلهم، قال تعالى: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ [النجم:٢٣] فالمسلم يعبد الله تعالى بما شرعه الله، وبما جاء عن رسوله ﷺ، ولا يسلك الطرق المعوجة، ولا يقتدي بالمنحرفين، وتكون عبادته على وجه يحبه الله ويرضاه، ويتبرأ من الكفار أجمعين، قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة:٤] وقال: ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون:٦] وقال: ﴿وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [يونس:٤١] وقال: ﴿لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ﴾ [الشورى:١٥] عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (رمقت النبي ﷺ أربعًا وعشرين مرةً أو خمسًا وعشرين مرةً، يقرأ في الركعتين قبل الفجر وركعتين بعد المغرب بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾) [أحمد ٢/٩٩

وقال محققوه: إسناده على شرط الشيخين].

وعنه قال: رمقت النبي ﷺ شهرًا، فكان يقرأ في الركعتين قبل الفجر بـ ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾) [أحمد ٢/ ٩٤ والترمذي: ١٤١٧، وابن ماجه: ١١٤٩ وصححه الألباني].

فائدة: من اتبع هواه وأعجب بنفسه أذله الله

من اتبع هواه أطاحه الله، ومن أعجب بنفسه أذله الله، ولما أعجب إبليس بنفسه وتكبر عن السجود لآدم عليه السلام وقال: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [ص: ٧٦] أخرجه الله من العز إلى الذل، ولما عصى آدم عليه السلام واتبع شهوته، فأكل من الشجرة أخرجه الله من الجنة، وكذا حصل لأقوام الأنبياء، فقوم نوح عليه السلام أغرقوا في الدنيا، ويدخلون نار الآخرة، وكذا أقوام هود وصالح ولوط وشعيب وموسى وغيرهم عليهم السلام، أما أهل السبت فقد مسخهم الله قردةً، لمخالفتهم لأمر الله، واحتيالهم في صيد الحوت، والذي آتاه الله العلم فانسلخ منه أتبعه الشيطان فكان من الغاوين، قال تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٥] فكل من اتبع هواه، وعصى مولاه، حصل له عقاب مجانس لذنبه، فمحقت بركة عمره ورزقه وعلمه وعمله وطاعته ودينه ودنياه، وغضب الله عليه، روى ابن أبي شيبة عن ابن منبه قال: أوحي إلى عزير: ياعزير! لا تحلف بي كاذبًا، فإني لا أرضى عمن يحلف بي كاذبًا، ياعزير! والديك، فإنه من بر والديه رضيت عنه، وإذا رضيت باركت، وإذا باركت بلغت النسل الرابع... الحديث [ابن أبي شيبة: ٣٥١٦١] نسأل الله العافية والبركة في

العمر والرزق والأهل والولد والعلم والعمل والدين والدنيا.

فائدة: سماع الانتفاع

قال الله تعالى عن الكفار: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣] ليس المراد سلبهم السمع الذي تقوم به الحجة عليهم، وقال تعالى: ﴿مَا كَانُوا۟ يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا۟ يُبْصِرُونَ﴾ [هود:٢٠] ليس المراد به البصر المادي، وكذا قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠] فهم لبغضهم الحق، ونفرتهم منه، لا يعقلونه ولا يستطيعون ذلك، فالله تعالى لم يعلم فيهم خيرًا حتى يسمعهم ويبصرهم، كما قال سبحانه: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال:٢٣] فلا خير فيهم حتى يستفيدوا من السمع، وقد منعهم الكبر عن الفهم والاستجابة، فهم شر الدواب عند الله ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال:٢٢] وسوف يعترفون بذلك حينما يقولون: ﴿لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ○ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك:١٠،١١] كما قالوا ذلك في الدنيا: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ﴾ [فصلت:٥] أما الكذب فهم سماعون له، مستجيبون إليه، قابلون لأهله، كما قال تعالى: ﴿سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ﴾ [المائدة:٤٢] يبغونه ﴿يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ﴾ [التوبة:٤٧].

فائدة: تقديم أمر الله ورسوله ﷺ على هوى النفس

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:٣٦].

سبب نزول هذه الآية ما رواه الإمام أحمد عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: إن جليبيبًا كان امرءًا يدخل على النساء، يمر بهن ويلاعبهن، فقلت لامرأتي: لا يدخلن اليوم عليكن جليبيب، فإنه إن دخل عليكن لأفعلن ولأفعلن، قال: وكانت الأنصار إذا كان لأحدهم أيم، لم يزوجها حتى يعلم: هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا، فقال النبي ﷺ لرجل من الأنصار «زوجني ابنتك» قال: نعم وكرامة يارسول الله! ونعمة عيني فقال ﷺ: «إني لست أريدها لنفسي» قال: فلمن يارسول الله؟ قال ﷺ: «لجليبيب» فقال: يارسول الله! أشاور أمها، فأتى أمها فقال: رسول الله ﷺ يخطب ابنتك، فقالت نعم، ونعمة عيني، فقال: إنه ليس يخطبها لنفسه، إنما يخطبها لجليبيب، فقالت أجليبيب [إنيه] أجليبيب [أنيه] لا لعمر الله، لا نزوجه، فلما أراد أن يقوم ليأتي رسول الله ﷺ فيخبره بما قالت أمها، قالت البنت: من خطبني إليكم؟ فأخبرتها أمها، قالت: أتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعوني إليه، فإنه لن يضيعني، فانطلق أبوها إلى رسول الله ﷺ فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيبًا، قال: فخرج رسول الله ﷺ في غزوة له، فلما أفاء الله عليه قال لأصحابه رضي الله عنهم: «هل تفقدون من أحد؟» قالوا: نفقد فلانًا ونفقد فلانًا، قال ﷺ: «انظروا هل تفقدون من أحد؟» قالوا: لا، قال: «ولكني أفقد جليبيبًا» قال ﷺ: «فاطلبوه في القتلى» قال: فطلبوه فوجدوه إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فقالوا: يارسول الله! ها هو ذا إلى جنب سبعة قد قتلهم، ثم قتلوه، فأتاه رسول الله ﷺ فقام عليه، فقال: «قتل سبعة وقتلوه، هذا مني وأنا منه» مرتين أو ثلاثًا، ثم وضعه رسول الله ﷺ

على ساعديه، وحفر له، ماله سرير إلا ساعدا رسول الله ﷺ، ثم وضعه في قبره، قال ثابت رضي الله عنه: فما كان في الأنصار أيم أنفق منها، حيث دعا لها رسول الله ﷺ: «اللهم صب عليها الخير صبًا، ولا تجعل عيشها كدًّا كدًّا» [مسلم:٢٤٧٢ والنسائي في الكبرى ٨٢٤٦ وأحمد ٤/٤٢٢] وهذه القصة سبب نزول الآية، ويستفاد من ذلك أنه إذا قضى الله ورسوله ﷺ بشيء فليس لأحد مخالفته، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥] وقال: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور:٦٣] وقد عاتب الله رسوله ﷺ في قصة زيد وزينب القرشية رضي الله عنهما، وتزويجه إياها بعد الطلاق والعدة، حيث قال: ﴿وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب:٣٧] وقال: ﴿لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ﴾ [الأحزاب:٣٧].

فائدة: الرضا بقضاء الله وقدره

الرضا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًّا ورسولًا، سبب لذوق طعم الإيمان، كما قال رسول الله ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًّا» [مسلم:٣٤ والترمذي:٢٦٢٣ وأحمد ١/٢٠٨] فالمؤمن الحق يرضى بقضاء الله وقدره، ويرضى بفعل ما أمر الله به، ويرضى بترك ما نهى الله عنه، قال الله تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ﴾ [التوبة:٥٨] وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟

مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَقَالُواْ حَسۡبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤۡتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ﴾ [التوبة:٥٩] كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه (أما بعد فإن الخير كله في الرضا، فإن استطعت أن ترضى، وإلا فاصبر).

وسُئل أبو عثمان النيسابوري عن قول النبي ﷺ: «أسألك اللهم الرضا بعد القضاء» [أحمد ٥/١٩١ وقال محققوه: إسناده ضعيف لانقطاعه] فقال: لأن الرضا بعد القضاء هو الرضا.

وعلم المسلم أن يعمل الأسباب، ويدعو الله أن يعافيه، ولا يتمنى الموت ولا المصائب، ولا شك أن الراضي بالله يفعل ما يرضاه ربه، ويترك ما يسخطه.

ولا يجوز الرضا بما يسخط الله، ولا الرضا بالشر والكفر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ﴾ [محمد:٢٨] وقال النبي ﷺ: «إذا عملت الخطيئة في الأرض كان من شهدها فكرهها - وقال مرة: أنكرها - كان كمن غاب عنها، ومن غاب عنها فرضيها كان كمن شهدها» [أبو داود:٤٣٤٥ وحسنه الألباني رحمه الله] وقال: «سيكون بعدي أمراء تعرفون وتنكرون، فمن أنكر فقد برىء، ومن كره فقد سلم، ولكن من رضي وتابع» [مسلم:١٨٥٤ وأبو داود:٤٧٦٠ والترمذي:٢٢٦٥ وأحمد ٦/٢٩٥] كما لا يجوز الرضا بالحياة الدنيا دون الآخرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَٱطۡمَأَنُّواْ بِهَا﴾ [يونس:٧] ولا يجوز الرضا بالكفر والمعاصي، بل الواجب أن تحب ما يحبه الله، وتبغض ما يبغضه، وتكره ما يكرهه، وتسخط ما يسخطه، وتوالي من يواليه، وتعادي من يعاديه،

وتحب من يحبه.

فائدة: فضل سورة الملك

سورة تبارك شفعت لصاحبها حتى غفر له [أبو داود:١٤٠٠ والترمذي:٢٨١٩ وابن ماجه:٣٧٨٦ وحسنه الألباني رحمه الله] وخاصمت عنه حتى أدخلته الجنة [الطبراني في الأوسط:٣٦٦٧ وإسناده قوي وله شواهد] فيها تمجيد الله تعالى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك:١] وفيها الإشارة بأنه خلق الموت والحياة ليختبر الناس أيهم أحسن عملًا، قال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة:٢٨] وفيها أن الله يبلو ويختبر الناس أيهم أحسن عملًا، فالعبرة بالحسن، ولم يقل: أكثر عملًا، فهو سبحانه العظيم المنيع الجناب، الغفور لمن تاب، فهو عزيز ومع ذلك يغفر ويرحم ويصفح ويتجاوز، خلق سبع سماوات طبقة بعد طبقة، ليس فيها اختلاف ولا نقص ولا عيب ولا خلل ولا فطور ولا شقوق ولا خروق، زيِّنت بالكواكب السيارات والثوابت، وجعلت الكواكب رجومًا للشياطين الذين يسترقون السمع ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾ [الصافات:٧] وعلامات يهتدى بها، وزينة للسماء، وقد أعد الله للذين كفروا بربهم عذاب جهنم، وبئس المصير، تغلي بهم، وتكاد تتميز من الغيظ عليهم، وكلما ألقي فيها فوج استنكر الملائكة ذلك، ووبخوهم ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ○ قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ﴾ [الملك:٨،٩] فلو كانوا يسمعون أو يعقلون لما كانوا كذلك، فهذا اعتراف منهم وَسحقٌ لهم، وحقت عليهم كلمة العذاب، قال رسول الله ﷺ: «لن يهلك الناس حتى

يعذروا من أنفسهم» [أحمد ٥/٢٩٣ وقال محققوه: إسناده صحيح] أما المؤمنون الخاشعون لله فقد وعدهم الله مغفرةً وأجرًا كبيرًا، فالله تعالى يعلم ما يقولون، وما يجهرون به وما يسرون، فهو عالم بذات الصدور، وهو خالقهم ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤] وهو الذي أنعم عليهم في تسخير الأرض لهم، وجعلها ذلولًا، وأمرهم أن يمشوا في مناكبها وأقاليمها وأرجائها، ويعملوا ويتكسبوا بالتجارة، وكل شيء بتيسير الله، وأمرهم بالسعي وعمل الأسباب، والأكل من رزقه والتوكل عليه، فالمرجع إليه يوم القيامة، كما أنه أمرهم بأن لا يأمنوا عذابه، فهو قادر على أن يخسف بهم الأرض، أو يرسل عليهم حاصبًا، كما أرسل على المكذبين قبلهم، وكيف يأمنون عذابه وهو القادر على كل شيء؟ وعلى أن يخسف بهم، أو يرسل عليهم عذابًا من السماء أو من الأرض، كما أرسل على المكذبين قبلهم، ومن تأمل قدرة الله علم أنه تعالى بصير بخلقه، لا ينصر أحدًا إلا الله، ولا يرزق إلا هو، ولا ينشئ إلا هو، فهو الذي جعل لنا السمع والبصر، وذرأنا في الأرض، وإليه النشور، وهذه القدرة دليل على المعاد، فليفكر العاقل في خلاصه، ويتذكر نعمه.

فائدة: نساء النبي ﷺ من آل البيت

نساء النبي ﷺ من آل البيت، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ○ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤] فهذه الآية نزلت في نساء النبي ﷺ خاصة، عن يزيد ابن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد

ابن أرقم رضي الله عنه، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يازيد! خيرًا كثيرًا، رأيت رسول الله ﷺ، وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يازيد! خيرًا كثيرًا، حدثنا يازيد ما سمعت من رسول الله ﷺ قال: ياابن أخي، والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله، فما حدثتكم فاقبلوا، ومالا فلا تكلفونيه، ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ يومًا خطيبًا بماء يدعى خُمًّا بين مكة والمدينة، فحمد الله تعالى وأثنى عليه ووعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد، ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين: أولهما كتاب الله تعالى، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به» فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه، ثم قال: «وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي» فقال له حصين: ومن أهل بيته يازيد؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حُرِمَ الصدقةَ بعده، قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس رضي الله عنهم، قال: كل هؤلاء حُرِمَ الصدقة بعده؟ قال: نعم [مسلم:٢٤٠٨] ونساء النبي لهن فضل عظيم، فلسن كعامة النساء، فلقد اخترن الله ورسوله ﷺ، ولو وقع الذنب منهن لكان مغلظًا، قال تعالى: ﴿مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾ [الأحزاب:٣٠] أي في الدنيا والآخرة، وقال: ﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٣١] أي في أعلى الجنان مع رسول الله ﷺ في أقرب منازل

الجنة إلى العرش، وقد أمرهن الله تعالى بأن لا يخضعن بالقول ويرققن الكلام إذا خاطبن الرجال، وأمرهن بأن يقلن قولًا معروفًا، ويقررن في بيوتهن، ولا يتبرجن، ويقمن الصلاة ويؤتين الزكاة، ويطعن الله ورسوله، وهذه خاصة بهن، وعامة للنساء كافة، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ○ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾ [الأحزاب:٢٨، ٢٩] وقد صبرن وأردن الله ورسوله والدار الآخرة، رضي الله عنهن، فأعطاهن الله الثواب في الدنيا والآخرة، والسعادة في الدارين، وكانت نساؤه التسع خير النساء، وهن: عائشة وحفصة وأم حبيبة وسودة وأم سلمة، وهن من قريش، وصفية من بني النضير، وميمونة الهلالية، وزينب الأسدية، وجويرية من بني المصطلق رضي الله عنهن.

فائدة: تشبيه من ترك العلم والهدى بالكلب

قال الله تعالى: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ○ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِۖ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ○ سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمۡ كَانُواْ يَظۡلِمُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥-١٧٧].

قيل: إن المقصود بذلك رجل من بني إسرائيل، اسمه بلعم بن باعوراء (والعبرة بعموم المعنى، لا بخصوص السبب) وهذا الرجل أعطاه الله من العلم والآيات الكثير، فبعثه موسى عليه السلام إلى

ملك مدين، ليدعوه إلى الدين، فأقطعه وأعطاه مالًا فتبع دينه، وترك دين موسى عليه السلام، وانسلخ عن الآيات، فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين، وقيل: إنه يحفظ التوراة والذين يحفظونها قلة ﴿وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ﴾ [الأعراف:١٧٦] ومال إلى زينة الحياة الدنيا وزهرتها ولذاتها ونعيمها، وغره زخرفها فافتتن بها، وصار كالكلب دالع لسانه ﴿إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ﴾ [الأعراف:١٧٦] إن حملت عليه أو تركته يلهث في الحالين، ولا ينتفع بالموعظة والدعوة إلى الخير، قلبه فارغ من الهدى، يقول الله تعالى لنبيه: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:١٧٦] أي لعلهم يتفكرون ويتعظون بهذه القصة، ولا يكونون مثله، فإن الله قد أعطاهم علمًا، وميَّزهم على من عداهم، وأرسل الله محمدًا ﷺ وهم أحق الناس وأولاهم باتباعه ومناصرته ومؤازرته، ثم قال تعالى في صفة بلعم وأمثاله: ﴿سَآءَ مَثَلًا ٱلۡقَوۡمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [الأعراف:١٧٧] فقد شبهوا بالكلاب التي لا هم لها إلا تحصيل الأكل والشهوة، وهكذا كل من ترك العلم إلى الشهوة والهدى صار كالكلب، قال رسول الله ﷺ: «العائد في هبته كالكلب، يقيء ثم يعود في قيئه» [البخاري:٢٥٨٩ ومسلم:١٦٢٢ والترمذي:١٢٩٨ وابن ماجه:٢٣٨٦] ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنۡ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١١٧] فقد أعرضوا عن اتباع الهدى وطاعة الرحمن إلى الركون إلى دار البلاء والانهماك في لذات الدنيا، وما يوافق الهوى، نسأل الله العافية.

فائدة: حرمة الأعراض والأموال والدماء

نهى الله تعالى المؤمنين عن السخرية من بعضهم، أو احتقارهم أو الاستهزاء منهم، أو التكبر عليهم، أو اللمز والهمز بهم، أو المشي بالنميمة فيما بينهم، أو غيبتهم، أو قتل بعضهم بدون حق، أو التنابز بالألقاب، أو الظن السيء فيهم، أو التجسس عليهم، أو التباغض والتدابر فيما بينهم، أو انتهاك أعراضهم وأموالهم ودمائهم، وبين أنه خلقهم من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبًا وقبائل ليتعارفوا بينهم، لا ليتفاخروا، وقال: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] وهذا الوصف للمؤمنين يعز في وقتنا الحاضر، حيث تفاخر الناس بالأنساب والأموال والأولاد، وسخر بعضهم من بعض واغتاب ونم وأكل لحم إخوانه، واعتدى البعض على الدماء والأموال والأعراض، قال رسول الله ﷺ: «كل المسلم على المسلم حرام عرضه وماله ودمه، التقوى ههنا، بحسب امرىء من الشر أن يحتقر أخاه المسلم» [الترمذي:١٩٢٧ وصححه الألباني رحمه الله] وقال في خطبة الوداع: «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا، في بلدكم هذا» [البخاري:١٧٣٩ ومسلم:١٢١٨] وقال: «لا تقاطعوا، ولا تدابروا، ولا تباغضوا، ولا تحاسدوا، وكونوا عباد الله إخوانًا، لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث» [مسلم:٢٥٦٣ والترمذي:١٩٣٥] وقال: «لا تحسسوا، ولا تجسسوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا» [البخاري: ٦٧٢٤].

وقال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن

يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات:١٢] وسئل رسول الله ﷺ أي الناس أكرم؟ قال: «أكرمهم عند الله أتقاهم» قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله» [البخاري:٤٦٨٩] فهذا النسب الديني هو الأكرم حيث إن أباه وجده وجد أبيه أنبياء، وهم ليسوا عربًا، بل إن يوسف عليه السلام اشتراه القوم بثمن بخس دراهم معدودة، وأكرمه الله بالنسب العالي بالنبوة، وقال رسول الله ﷺ: «ياأيها الناس! إن الله تعالى أذهب عنكم عبية الجاهلية، وتعظمها بآبائها، فالناس رجلان: رجل بر تقي كريم على الله تعالى، ورجل فاجر شقي هين على الله، إن الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾» [الحجرات:١٣] [عبد بن حميد في مسنده:٧٩٣، وفيه موسى بن عبيدة الربذي، وهو ضعيف].

فائدة: الملائكة رسل الله في تنفيذ أحكامه

الملائكة رسل الله في تنفيذ أوامره ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم:٦] وقال: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات:٥] وقال: ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا﴾ [الذاريات:٤] وقال: ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا﴾ [النازعات:٤] وقال: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾ [النازعات:٢] وقال: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾

[النازعات:٣] وقال: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١] وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [النساء:٩٧] وقال رسول الله ﷺ: «بينا رجل بفلاة من الأرض فسمع صوتًا في سحابة: اسق حديقة فلان، فتنحى ذلك السحاب فأفرغ ماءه في حرة، فإذا شرجة من تلك الشراج قد استوعبت ذلك الماء كله، فتتبع الماء، فإذا رجل قائم في حديقته يحول الماء بمسحاته، فقال له: ما اسمك ياعبدالله؟ قال: فلان، للاسم الذي سمع في السحابة، فقال له ياعبدالله! لم تسألني عن اسمي؟ فقال: إني سمعت صوتًا في السماء يقول: اسق حديقة فلان، لاسمك، فما تصنع فيها؟ قال: أما إذ قلت هذا، فإني أنظر ما يخرج منها فأتصدق بثلثه، وآكل أنا وعيالي ثلثًا، وأرد فيها ثلثه» [مسلم:٢٩٨٤ وأحمد ٢/٢٩٦ وابن حبان:٣٣٥٥] وثبت أن الله وكل بالرحم ملكًا، ووكل بكل عبد أربعة من الملائكة في هذه الدنيا، حافظان عن يمينه وشماله، ومعقبات من بين يديه ومن خلفه، ووكل بالموت ملائكة، ووكل بمساءلة الموتى في القبور ملائكة، ووكل بالرحمة ملائكة، وبالعذاب ملائكة، وبالمؤمنين ملائكة يثبتونهم، ووكل بالنار ملائكة يوقدونها، ووكل بالجنة ملائكة يفرشونها، قال تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ﴾ [الأنبياء:٢٧].

فائدة: الإسلام دين كامل شامل متوازن

قال الله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] الدين الإسلامي دين اليسر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإباحة الطيبات وتحريم الخبائث، ليس فيه آصار ولا أغلال، يجمع بين القوة والعدل والرحمة والشدة في الله، واللين والرأفة، فهو دين شامل

كامل متوازن، قال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الشورى:٤٠] وقال: ﴿وَلَئِن صَبَرۡتُمۡ لَهُوَ خَيۡرٞ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾ [النحل:١٢٦] وقال: ﴿وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ﴾ [البقرة:٢٨٠] وقال: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ﴾ [الحج:٧٨] وقد كانت شريعة موسى عليه السلام تحرم الشحوم وذوات الظفر وبعض الطيبات والغنائم، وحملوا من الإغلال والآصال الكثير، وأمروا بقتل أنفسهم، فالحمد لله على دين الإسلام.

فائدة: القرآن كلام الله والرسول ﷺ مبلغ عن ربه

قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ يَسۡمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة:٦] وقال: ﴿مَا قُلۡتُ لَهُمۡ إِلَّا مَآ أَمَرۡتَنِي بِهِۦٓ﴾ [المائدة:١١٧] الأمر والكلام يضاف إلى الله تعالى، والقول يضاف إلى الرسول ﷺ، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم:٣١] وقوله: ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾ [النور:٣٠] وقوله: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ [الإسراء:٥٣].

فائدة: بشارة المؤمنين بالتمكين والاستخلاف

قال الله تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ﴾ [النور:٥٥] في هذه الآية بشرى للمؤمنين بأن يمكن الله لهم في الأرض، ويكونوا سادةً وخلفاء فيها، ويكونوا ولاةً وأئمةً، ولم يمت الرسول ﷺ حتى فتح الله عليه مكة وخيبر والبحرين واليمن وسائر

الجزيرة العربية وهجر وأطراف الشام، وهاداه هرقل ملك الروم وصاحب مصر والإسكندرية وملوك عُمان والنجاشي الذي ملك الحبشة بعد أصحمة رحمه الله، وهاداه المقوقس، وفي عهد أبي بكر رضي الله عنه وطد الجزيرة، وغزا مانعي الزكاة، وبعث الجيوش إلى بلاد فارس، ففتحوا بعضها بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وبعث أبا عبيدة رضي الله عنه إلى الشام، وبعث عمرو بن العاص رضي الله عنه إلى مصر، وفتحوا بصرى ودمشق وبلاد حوران، وفي عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فتحت الشام بكاملها، وكسَّر ملك كسرى وقيصر، واستولى على بلاد الشام كلها، ثم جاءت خلافة عثمان رضي الله عنه فملكوا أقصى المشارق والمغارب، وفتحت المغرب والأندلس وقبرص وبلاد القيروان، وما يلي المحيط وسبته والصين والعراق وخراسان والأهواز وبلاد الترك، وجبي الخراج إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه بالمدينة، قال رسول الله ﷺ: «إن الله زوى لي الأرض، فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوي لي منها» [مسلم:٢٨٨٩] وقال: «فوالذي نفسي بيده! ليتمن الله هذا الأمر، حتى تخرج الظعينة من الحيرة حتى تطوف بالبيت في غير جوار أحد، وليفتحن كنوز كسرى بن هرمز» قال: قلت: كسرى بن هرمز؟ قال: «نعم، وليبذلن المال حتى لا يقبله أحد» [أحمد ٤/٢٥٧] وقال: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك» [مسلم:١٩٢٠] وكلما حصل نقص في الأمة الإسلامية حصل نقص بنسبته وسببه، وآمالنا كبيرة في أن يعز الله المسلمين، ويهديهم إلى

تحكيم شرعه الذي هو سبب النصر، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ○ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١].

فائدة: الآيات العظام التي رآها الرسول ﷺ في الإسراء والمعراج

قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] لقد أرى الله رسوله محمدًا ﷺ من الآيات العظام عندما أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى المبارك بيت الله المقدس، ومعدن الأنبياء من لدن إبراهيم عليه السلام، حيث اجتمعوا لاستقبال محمد ﷺ هناك، وأمَّهم في دارهم، لأنه الإمام الأعظم، أتي بالبراق فركبه من مكة إلى بيت المقدس، فربطه في حلقة البيت، ودخل وصلى ركعتين فخرج، وأتاه جبريل عليه السلام بإناء فيه خمر، وإناء فيه لبن، فاختار اللبن، فقال له جبريل عليه السلام: أصبت الفطرة، ثم عرج به إلى السماء الدنيا، فاستفتح جبريل عليه السلام، فقيل: من أنت؟ قال جبريل، قيل: ومن معك؟ قال محمد ﷺ، قيل: قد أرسل إليه؟ قال: قد أرسل إليه، ففتح لهما، فإذا آدم عليه السلام فرحب به، ودعا له بخير، ثم عرج به إلى السماء الثانية، فاستفتح جبريل عليه السلام، وسئل مثل ما سئل سابقًا، ففتح لهما، فإذا يحيى وعيسى عليهما السلام، فرحبا به، ودعوا له بخير، ثم عرج به إلى السماء الثالثة، فاستفتح كسابقه فأذن له، فإذا بيوسف عليه السلام، وهكذا في السماء الرابعة وجد إدريس

عليه السلام، وفي الخامسة وجد هارون عليه السلام، وفي السادسة وجد موسى عليه السلام، وفي السابعة وجد إبراهيم عليه السلام، وإذا هو مستند إلى البيت المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه، ثم ذهب به إلى سدرة المنتهى التي ورقها كآذان الفيلة، وثمرها كالقلال، فغشيها من أمر الله ما جعلها تتغير، فلا يستطيع أحد أن يصف حسنها، فأوحى الله إليه ما أوحى، وفرض عليه الصلاة خمسين في كل يوم وليلة، فانتهى إلى موسى عليه السلام، فأخذ يقول له: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف، فإن أمتك لا تطيق ذلك، وإني قد بلوت بني إسرائيل، وخبرتهم، فأخذ يراجع ربه، ويحط عنه خمسًا خمسًا، حتى قال: «يامحمد هن خمس صلوات في كل يوم وليلة، بكل صلاة عشر، فتلك خمسون صلاة» ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة، وإن عملها كتبت عشرًا، ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب شيئًا، فإن عملها كتبت سيئة واحدة، فنزل حتى انتهى إلى موسى عليه السلام، فأخبره، فقال: ارجع إلى ربك فاسأله التخفيف لأمتك، فإن أمتك لا تطيق ذلك، فقال رسول الله ﷺ: «لقد رجعت إلى ربي حتى استحييت» ومر رسول الله ﷺ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم وصدورهم، فقيل له: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس، ويقعون في أعراضهم، ورأى موسى عليه السلام قائمًا يصلي في قبره، ورأى أربعة أنهار: نهران باطنان، ونهران ظاهران، فقيل له: أما الباطنان فنهران في الجنة، وأما الظاهران، فالنيل والفرات، ورأى ﷺ في السماء الدنيا رجلًا قاعدًا عن يمينه أسودة وعن يساره أسودة، فإذا نظر قِبل يمينه

ضحك، وإذا نظر قِبل يساره بكى، فلما سَأل عنه قيل له: هذا آدم عليه السلام، وهذه الأسودة عن يمينه وعن يساره نسم بنيه، عن يمينه أهل الجنة، وعن يساره أهل النار، وسمع صلوات الله وسلامه عليه صريف الأقلام، ودخل الجنة فإذا بها حبائل اللؤلؤ، وإذا ترابها المسك، ورأى عليه الصلاة والسلام نور الله، ولما دخل الجنة سمع في جانبها وخشًا، فقال: ياجبريل ما هذا؟ قال: هذا بلال المؤذن رضي الله عنه، فقال النبي ﷺ حين جاء إلى الناس: «قد أفلح بلال، رأيت له كذا وكذا» وكان قد رأى موسى عليه السلام طويل القامة سبط الشعر مع أذنيه أو فوقهما، ورأى إبراهيم عليه السلام شيخًا جليلًا متهيبًا، ورأى في النار قومًا يأكلون الجيف، فقيل: هؤلاء كانوا يأكلون لحوم الناس، ورأى رجلًا أحمر أزرق جدًا، فقيل له: هذا عاقر ناقة صالح عليه السلام، ورأى الدجال فيلمانيًّا أقمر هجانًا إحدى عينيه قائمة، كأنها كوكب دري، وكأن شعر رأسه أغصان شجرة، ورأى عيسى عليه السلام شابًا أبيض جعد الرأس حديد البصر مبطن الخلق، ورأى موسى عليه السلام أسحم آدم كثير الشعر سديد الخلق، ورأى إبراهيم عليه السلام يشابهه، فقال له جبريل عليه السلام: سلم على أبيك، فسلم عليه، فرد عليه السلام، ورأى موسى ابن عمران عليه السلام طوالًا جعدًا كأنه من رجال شنوءة، ورأى عيسى عليه السلام مربوع الخلق، يميل إلى الحمرة والبياض، سبط الرأس، ورأى مالكًا خازن جهنم، ورأى فراشًا من ذهب غشى سدرة المنتهى، ورأى عيسى عليه السلام كأنه عروة بن مسعود الثقفي، ورأى جبريل عليه السلام على صورته له ستمائة جناح، وكان إبراهيم

عليه السلام قد أسند ظهره إلى الكعبة السماوية، وأري شجرة الزقوم الملعونة في القرآن، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ○ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٧، ١٨] فسبحان الله العظيم.

فائدة: سبب نزول سورة الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ○ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ○ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ○ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ١-٤].

سبب نزول هذه السورة أن المشركين قالوا: يامحمد انسب لنا ربك، فأنزل الله هذه السورة. [أحمد ٥/ ١٣٤ والحاكم ٢/ ٥٤٠ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي].

فهو سبحانه تصمد إليه الخلائق بحاجاتها، وهو الذي لم يلد ولم يولد، فالذي يولد يموت، والذي يموت يورث، والله منزه عن ذلك، ليس له نظير ولا شبيه ولا عدل، ليس كمثله شيء وهو السميع العليم، ومن أحب هذه السورة أحبه الله، فهي صفة الرحمن، ومن أحبها أدخله الله الجنة، وهي تعدل ثلث القرآن، ومن قرأها صباحًا ومساءً كفته، وفي هذه السورة اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دعي به أجاب، وهي شفاء للصدور والأبدان، يقرؤها الإنسان مع المعوذتين عند النوم، ويمسح باليدين بعد النفث فيهما على ما استطاع من الجسد، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ثلاثًا، وتقرأ مع المعوذتين بعد كل صلاة، تكرر ثلاثًا بعد صلاة الفجر وصلاة المغرب، فالله تعالى الواحد الأحد، لا نظير له ولا وزير ولا نديد ولا شبيه ولا عديل، الكامل في صفاته وأفعاله،

السيد الذي كمل سؤدده، الشريف الذي كمل شرفه، العظيم الذي كملت عظمته، الحليم الذي كمل حلمه، العليم الذي كمل علمه، الحكيم الذي كمل في حكمته وشرفه وسؤدده، سبحانه الواحد القهار، ليس له والد ولا ولد، ولا صاحبة، مالك كل شيء وخالقه، غيره مخلوق وهو خالق، والمخلوق لا يساوي الخالق ولا يدانيه، تعالى الله وتنزه وتقدس عما يقول الظالمون من نسبة الولد إليه ﴿وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحۡمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ○ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحۡمَٰنِ عَبۡدًا ○ لَّقَدۡ أَحۡصَىٰهُمۡ وَعَدَّهُمۡ عَدًّا ○ وَكُلُّهُمۡ ءَاتِيهِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَرۡدًا﴾ [مريم:٩٢-٩٥] ملائكته مخلوقة خلقها سبحانه، عباد مكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، والجن والإنس مخلوقون لعبادته، لا أحد أصبر على أذى سمعه من الله تعالى [البخاري:٦٠٩٩] يرزق المطيعين والعصاة ويعافيهم، روى البخاري رحمه الله عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «قال الله عز وجل: كذبني ابن آدم، ولم يكن له ذلك، وشتمني، ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفوًا أحد» [البخاري:٤٩٧٤، ٤٩٧٥].

فائدة: تحريم الظلم في الشرع

حرم الله تعالى الظلم على نفسه، وحرمه على خلقه، وجعله بينهم محرمًا، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف:٤٩] وقال: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ﴾ [فصلت:٤٦] وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ﴾ [النساء:٤٠] وقال: ﴿وَلَا تُظۡلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النساء:٧٧] وقال:

﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ﴾ [غافر:٣١] وقال: ﴿وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [آل عمران:١٠٨] وقال: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه:١١٢] فالظلم فساد للقلب وللأرض، وشر مستطير وذنب كبير، ومن الظلم بخس المكاييل والموازين، قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [الأنعام:١٥٢] وأعظم الظلم الشرك بالله، ثم ارتكاب الذنوب الأخرى، عن أبي ذر رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «ياعبادي! إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرمًا، فلا تظالموا، ياعبادي كلكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم، ياعبادي! كلكم جائع إلا من أطعمته، فاستطعموني أطعمكم، ياعبادي! كلكم عارٍ إلا من كسوته، فاستكسوني أكسكم» الحديث [مسلم:٢٥٧٧].

قال الشاعر:

ألا اثنتان فلا تقربهما أبدًا
الشرك بالله والإضرار بالناس

وخلاف الظلم العدل والقسط، وعدم اتباع الهوى، والدولة الظالمة لا يمكَّن الله لها في الأرض، بل تغلبها الدولة العادلة، ولو لم تكن مسلمة.

قال الله تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص:٢٦] وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ وَإِن

تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

فائدة: بعض اسماء الله الحسنى التي وردت في آخر سورة الحشر

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ○ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ○ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] هذه الآيات تضمنت بعض أسماء الله الحسنى، أخبر فيها أنه المتفرد بالربوبية والألوهية، لا رب غيره، ولا إله سواه، وكل ما عبد من دونه فهو باطل، وأنه عالم الغيب والشهادة، يعلم المشاهدات والغائبات، ولا يخفى عليه شيء، كبيرًا كان أو صغيرًا، يعلم دبيب النملة السوداء في صفاة سوداء في ظلمة الليل، ويراها ويسمعها، رحمته وسعت كل شيء، فهو الرحمن للخلق أجمعين، والرحيم بالمؤمنين، وهو المالك لجميع الأشياء، وكل شيء خلقه بقدرته، يقول للشيء: كن فيكون، وهو المتصرف، لا يمانعه أحد ولا يدافعه، وغيره مخلوق عبدٌ لله شاء أو أبى، وهو الطاهر المبارك المقدس الكريم السلام المسلم من جميع العيوب والنقائص، وهو الكامل في ذاته وصفاته وأفعاله، المؤمن أمن خلقه من أن يظلمهم، وأمن بقوله أنه حق، وصدق عباده المؤمنين بإيمانهم به، المهيمن الشاهد على خلقه بأعمالهم وأقوالهم وحركاتهم وسكناتهم، الرقيب عليهم، الشهيد القائم على كل نفس بما كسبت، العزيز الذي عز كل شيء فقهره، وغلب كل أمر، لا ينال جنابه لعزته وكبريائه وجبروته،

ولا تليق الجبرية إلا له، ولا التكبر إلا لعظمته، فالعظمة إزاره، والكبرياء رداؤه، ومن نازعه في شيء منهما عذبه وقصمه، وهو المنزه عن العيوب وعن الشرك، مقدر كل شيء ومدبره ومنفذه، الموجد للمخلوقات، إذا أراد شيئًا قال له كن فيكون، على الصفة والصورة التي يريدها سبحانه، المصور، كل شيء يسبح بحمده ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ [الإسراء:٤٤] لا يرام جنابه، وهو الحكيم في شرعه وقدره وأمره ونهيه، قال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٥٦] وقال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام:٥٤] وقال: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾ [البروج:٩] وقال: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ﴾ [يونس:٤٦] وقال: ﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار:٨] وقال: ﴿لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الحشر:٢٤] وقال: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الحشر:٢٤] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ «إن لله تعالى تسعة وتسعين اسمًا، مائة إلا واحدًا، من أحصاها دخل الجنة، وهو وتر يحب الوتر» [مسلم:٢٦٧٧ والترمذي:٣٥٠٦، ٣٥٠٨ وابن ماجه:٣٨٦٠، ٣٨٦١] قال تعالى: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات:٤٩] أي تذكرون أن الله واحد فهو أحد صمد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد، وهو الظاهر الباطن، فسبحانه، تقدست أسماؤه، وتعالت صفاته.

فائدة: قصة أصحاب الفيل

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ○ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ○ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ○ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ○ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل:١-٥] قصة أصحاب الفيل الذين

عزموا على هدم الكعبة، فأبادهم الله، وردهم بشر خيبة، وأرسل عليهم طيرًا كالإبل المؤبلة، لها خراطيم، رمتهم بالحجارة النارية تقع على رأس الرجل منهم، وتخرج من دبره، وريحًا شديدة، حتى هلكوا جميعًا ﴿فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ﴾ [الفيل:٥] أي كالتبن، لم ينالوا خيرًا، ولم يرجع منهم بخير إلا وهو جريح، كما حصل لملكهم أبرهة الذي انصدع صدره عن قلبه، فلما وصل إلى بلاده صنعاء هلك، قال رسول الله ﷺ لما خلأت ناقته القصواء: فقالوا: حرنت القصواء، فقال رسول الله ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال: «والذي نفسي بيده! لا يسألوني اليوم خطةً يعظمون فيها حرمات الله إلا أعطيتهم إليها» ثم زجرها فوثبت، [البخاري:٢٧٣١، ٢٧٣٢] وروى البخاري ومسلم أن رسول الله ﷺ قال يوم فتح مكة: «إن الله حبس عن مكة الفيل، وسلط عليهم رسوله والمؤمنين، ألا وإنها لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ألا وإنما أحلت لي ساعة من نهار، ألا وإنها ساعتي هذه حرام، لا يختلى شوكها، ولا يعضد شجرها، ولا يلتقط ساطقتها إلا منشد، ومن قتل له قتيل فهو بخير النظرين: إما يودى وإما يقاد» [البخاري:٦٨٨٠ ومسلم:١٣٥٥].

وكان أصحاب الفيل نصارى، وقد ولد رسول الله ﷺ في ذلك العام - عام الفيل - وقد بنى أبرهة كنيسة بأرض اليمن لم يبن قبلها مثلها، هائلة رفيعة عالية الفناء مزخرفة، وعزم على أن يصرف حج العرب إليها، كما يحج إلى الكعبة بمكة، فكرهت العرب ذلك، وغضبت قريش، وقصد بعض شباب قريش إلى داخلها فأحدث فيها

وهرب، فلما رأى السدنة ذلك رفعوا أمره إلى ملكهم أبرهة، وقالوا: هذا ما صنع بعض قريش، فأقسم أبرهة ليسيرن إلى بيت مكة وليخربنه حجرًا حجرًا، واستصحب معه فيلًا عظيم الجثة، وقيل: اثنا عشر فيلًا، ليجعل له سلاسل في أركان الكعبة، فيسقطها مرة واحدة، فلما وصلوا إلى مكة ليهدموا الكعبة، أرسل الله عليهم طيرًا أمثال الخطاطيف مع كل طائر منها أحجارًا، لا تصيب واحدًا منهم إلا هلك، فهربوا، قال الشاعر نفيل:

أين المفر والإله الطالب
والأشرم المغلوب غير الغالب

ولما هربوا أخذوا يتساقطون واحدًا واحدًا، وأصيب أبرهة في جسده، وخرجوا معهم، يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صنعاء، وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع صدره عن قلبه، والله أعلم، ونسأل الله العافية.

فائدة: المعوذتان

المعوذتان ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق:١] ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس:١] لم ير مثلهما، وهما من خير سورتين قرأ بهما الناس، أمر الرسول ﷺ بقراءتهما كلما نام الإنسان، وكلما قام من نومه، وقال: «إن الناس لم يتعوذوا بمثل هاتين» [النسائي في الكبري:٧٨٥٦] وقال: «ما سأل سائل بمثلهما، ولا استعاذ مستعيذ بمثلهما» [النسائي:٥٤٤٠ وقال الألباني رحمه الله: حسن صحيح] وعن ابن عابس الجهني رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال له: «يا ابن عابس ألا أدلك - أو ألا أخبرك - بأفضل ما يتعوذ به المتعوذون؟» قال: بلى،

يارسول الله، قال: «﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ هاتين السورتين» [النسائي:٥٤٣٤ وصححه الألباني رحمه الله] وكان رسول الله ﷺ يقرأ بهما، وينفث إذا اشتكى من مرض، ويمسح بيده على المرض رجاء بركتهما، وكانت عائشة رضي الله عنها تفعل ذلك وتمسح بيده عليه، وكان يتعوذ من الجان وعين الإنسان، حتى نزلت المعوذتان، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما [الترمذي:٢٠٥٨ وابن ماجه:٣٥١١ وصححه الألباني] والفلق هو الصبح، قال تعالى: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ﴾ [الأنعام:٩٦] والغاسق إذا وقب غاسق الليل، و ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق:٣] غروب الشمس يستعيذ مما في الليل إذا أقبل بظلامه، والشمس إذا غربت، والكواكب والقمر، أما النفاثات في العقد، فهن السواحر إذا رقين ونفثن في العقد.

وفي سورة الناس ثلاث صفات من صفات الله سبحانه الربوبية والملك والإلهية: فهو رب كل شيء ومليكه وإلهه، وكل شيء مخلوق له، ومملوك له وعبد له، فهو المستعاذ، والشيطان مستعاذ منه ومن وسوسته، وما من أحد إلا له شيطان يقارنه، ويزين له الفواحش والآثام، فنحن نعوذ بالله من هذا الشيطان، ومن شياطين الجن والإنس أجمعين، قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن» قالوا: وإياك يارسول الله؟ قال: «وإياي، إلا أن الله أعانني عليه فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» [مسلم:٢٨١٤] فالشيطان يجثم على قلب الإنسان، فإذا سها وغفل وسوس، وإذا ذكر الله خنس، وينفث في قلب ابن آدم عند الحزن والفرح، فإذا ذكر الله خنس، يأمر بالشر وينهى عن الخير، قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ

نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

وعن أنس رضي الله عنه في قصة زيارة صفية رضي الله عنها للنبي ﷺ وهو معتكف، وخروجه معها ليلًا، ليردها إلى منزلها، فلقيه رجلان من الأنصار، فلما رأيا النبي ﷺ أسرعا، فقال رسول الله ﷺ: «على رسلكما، إنها صفية بنت حيي» فقالا: سبحان الله يارسول الله! فقال: «إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم، وإني خشيت أن يقذف في قلوبكما شرًّا - أو قال شيئًا -» [البخاري: ٣٢٨١ ومسلم: ٢١٧٥ واللفظ له].

فائدة: من علامات الساعة الكبرى خروج الدابة

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢].

هذه الدابة التي تخرج من الأرض في آخر الزمان بعد أن يبدل الناس دينهم، ويتركوا أوامر الله، ويرتكبوا مناهيه، تكلم الناس وتخاطبهم ﴿أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢] عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه قال: أشرف علينا رسول الله ﷺ من غرفة ونحن نتذاكر أمر الساعة، فقال: «لا تقوم الساعة حتى تروا عشر آيات: طلوع الشمس من مغربها، ويأجوج ومأجوج، والدابة، وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب، ونار تخرج من قعر عدن تسوق - أو تحشر - الناس، فتبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا» [مسلم: ٢٩٠١، وأبو داود: ٤٣١١، والترمذي: ٢١٨٣ وابن ماجه: ٤٠٤١ واللفظ للترمذي] وعن أبي

هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تخرج دابة الأرض، معها عصا موسى عليه السلام وخاتم سليمان عليه السلام، لتخطم أنف الكافر بالعصا، وتجلي وجه المؤمن بالخاتم، حتى يجتمع الناس على الخوان، يعرف المؤمن من الكافر» [أحمد ٢/ ٢٩٥، ٢٩١، والطيالسي: ٢٥٦٤، وابن ماجه: ٤٠٦٦ والترمذي: ٣١٨٧ واللفظ للطيالسي وضعفه الألباني وغيره].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ قال: «بادروا بالأعمال ستًّا: طلوع الشمس من مغربها، أو الدخان، أو الدجال، أو الدابة، أو خاصة أحدكم، أو أمر العامة» [مسلم: ٢٩٤٧] وروى مسلم بن الحجاج عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: حفظت من رسول الله ﷺ حديثًا لم أنسه بعد، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أول الآيات خروجًا طلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابة على الناس ضحًى، وأيهما ما كانت قبل صاحبتها، فالأخرى على إثرها قريبًا» [مسلم: ٢٩٤١] قيل: إن الدابة تخرج من مكة، وقيل: من غيرها، والله أعلم، من أين تخرج وما كيفيتها.

فائدة: بيعة الرضوان

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠] هذه بيعة الرضوان التي كانت تحت شجرة سمرة بالحديبية، وكان عدد الصحابة يومئذ ألفًا وأربعمائة [البخاري: ٤٨٤٠، ومسلم: ١٨٥٦] أرسل رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى أهل مكة بمشورة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه ليخبرهم أنه لم يأت لحرب، وإنما جاء زائرًا لهذا البيت ومعظمًا لحرمته، فخرج

عثمان رضي الله عنه إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فحمله بين يديه، ثم أجاره حتى بلغ رسالة رسول الله ﷺ، فشاع في الناس أن عثمان رضي الله عنه قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم» [انظر البداية ٤/ ١٦٧] ودعا رسول الله ﷺ الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، بايعهم الرسول ﷺ على أن لا يفروا، ولم يتخلف أحد من المسلمين إلا الجد بن قيس أخو بني سلمة، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي كان من أمر عثمان رضي الله عنه باطل، فبايع الرسول ﷺ عن عثمان رضي الله عنه وقال: «اللهم إن عثمان في حاجة الله تعالى وحاجة رسوله» [الحاكم ٣/ ٩٨، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي] فضرب بإحدى يديه على الأخرى، فكانت يد رسول الله ﷺ لعثمان رضي الله عنه خيرًا من أيديهم لأنفسهم، وفي ذلك اليوم عندما وصلوا إلى البئر وليس فيها ماء يكفي القوم، بصق رسول الله ﷺ فيها ودعا، فجاشت، فاستقوا وارتووا، وقال رسول الله ﷺ للذين بايعوه: «أنتم اليوم خير أهل الأرض» [البخاري: ٤١٥٤ ومسلم: ١٨٥٦] وقال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة» [أحمد ٣/ ٣٥٠ وأبو داود: ٤٦٥٣ والترمذي: ٣٨٦٠ وصححه الألباني رحمه الله] وروى عبدالله بن أحمد عن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من يصعد الثنية ثنية المرار، فإنه يحط عنه ما حط عن بني إسرائيل» قال: فكان أول من صعدها خيلنا خيل بني الخزرج، ثم تتامَّ الناس، فقال النبي ﷺ: «كلكم مغفور له إلا صاحب الجمل الأحمر» فأتيناه فقلنا له: تعال يستغفر لك رسول الله

ﷺ، فقال: والله لأن أجد ضالتي أحب إلي من أن يستغفر لي صاحبكم، قال: وكان رجل ينشد ضالة له [مسلم:٢٧٨٠] وعن أبي الزبير أنه سمع جابرًا رضي الله عنه يقول: أخبرتني أم مبشر أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول عند حفصة رضي الله عنها: «لا يدخل النار - إن شاء الله تعالى - من أصحاب الشجرة أحد الذين بايعوا تحتها» قالت: بلى يارسول الله! فانتهرها، فقالت حفصة رضي الله عنها: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم:٧١] فقال النبي ﷺ: «قد قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾» [مريم:٧٢] [مسلم:٢٤٩٦].

فائدة: ما يباح أكله من الحيوانات

قال الله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُواْ بِٱلْأَزْلَٰمِ﴾ [المائدة:٣].

هذه أمور حرم الله أكلها، فما مات من الحيوانات حتف أنفه من غير ذكاة ولا اصطياد عدا السمك والجراد، فهو حرام.

والدم المسفوح عند ذبح الذبيحة.

ولحم الخنزير الإنسي والوحشي حتى الشحم وغيره.

وما أهل لغير الله به، وهو الذي يذكر عليه اسم غير الله من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك.

والمنخنقة التي تموت بالخنق.

والموقوذة، وهي التي تضرب بشيء ثقيل غير محدد حتى تموت كالخشبة والعصا.

والمتردية، وهي التي تقع من شاهق فتموت، كالتي تسقط من جبل، أو تقع في بئر.

والنطيحة، وهي التي تموت بسبب نطح غيرها لها.

وما أكل السبع كالأسد والفهد والنمر والذئب والكلب، أي أكل بعضها إلا ما أمكن تداركه قبل موته بذكاة شرعية، غير السن والظفر.

وما ذبح على النصب، وكانت النصب حجارةً حول الكعبة، ثلاثمائة وستون نصبًا، كانت العرب في جاهليتها يذبحون عندها، وقد حرمت، حيث إنها ذبحت للأصنام أو بجوارها، ولما في ذلك من الشرك.

وأن تستقسموا بالأزلام، وكانت العرب في جاهليتها يضعون قداحًا يكتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث، لا يكتب عليه شيء، فإما أن يذبح، أو لا يذبح، أو يعيد إذا طلع الفارغ.

فائدة: المتخلفون عن رسول الله في عمرة الحديبية

تخلف عدد كبير من الأعراب عن رسول الله ﷺ في عمرة الحديبية، واعتذروا بشغلهم، وطلبوا من رسول الله ﷺ أن يستغفر لهم وقالوا: شغلتنا أموالنا وأهلونا، وظنوا أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبدًا، فهلكوا بذلك، ولما ذهب الرسول ﷺ وأصحابه إلى خيبر يفتحونها، طلبوا الخروج معهم إلى المغنم، وقد تخلفوا في وقت الحرب، فأمر رسول الله ﷺ أن لا يؤذن لهم، لأن الله تعالى وعد أهل الحديبية بمغانم خيبر وحدهم، لا يشاركهم فيها أحد من المتخلفين، وهؤلاء الأعراب ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾

[الفتح:١٥] قال تعالى: ﴿قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ﴾ [الفتح:١٥] أي وعد الله أهل الحديبية بذلك ﴿فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الفتح:١٥] ثم أمر الله رسوله محمدًا ﷺ بقوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفتح:١٦] هؤلاء القوم ممن لديهم البأس الشديد، قيل: إنهم هوازن، وقيل: ثقيف، وقيل: هم بنو حنيفة، وقيل: هم أهل فارس، وقيل: فارس والروم، وقيل: أهل الأوثان، وقيل: هم الروم، وقيل: هم رجال أولو بأس شديد، ولم يعين فرقة، والله أعلم، وقد عذر الله عن الجهاد الأعمى والأعرج والمريض، ورضي عن أهل بيعة الرضوان، ووعدهم بالمغانم الكثيرة، ومنها مغانم خيبر التي عجلها الله لهم بعد صلح الحديبية، وكف أيدي الناس عن المؤمنين، ووعد الله المؤمنين بالنصر المبين، وبشرهم بالفتوحات العظيمة، فقال: ﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا۟ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الفتح:٢١] وبين أنه ﴿لَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الفتح:٢٢] ومنَّ عليهم بأن كَفَّ أيدي الكفار عنهم، وأيدي المؤمنين عنهم ببطن مكة، من بعد أن أظفركم عليهم، روى الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: لما كان يوم الحديبية، هبط على رسول الله ﷺ وأصحابه ثمانون رجلًا من أهل مكة بالسلاح من قِبَل جبل التنعيم، يريدون غرة رسول الله ﷺ، فدعا عليهم فأخذوا، فعفا عنهم رسول الله ﷺ، ونزلت ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ

أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ [الفتح:٢٤][مسلم:١٨٠٨، وأبو داود:٢٦٨٨، والترمذي:٣٢٦٤ وأحمد ٣/ ١٢٢، والنسائي في الكبرى:١١٥١٠] .

فائدة: من صفات رسول الله ﷺ في التوراة

من صفات رسولنا الحبيب محمد بن عبدالله صلوات الله وسلامه عليه أنه أمي، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وأنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، قال تعالى: ﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ﴾ [الأعراف:١٥٧] وأنه ﴿يُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾ [الأعراف:١٥٧] وأنه شاهد ومبشر ونذير، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح:٨] ورد في التوراة أنه حرز للأميين، وأنه عبدالله ورسوله، سماه الله المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق، يجزي بالسيئة الحسنة، ويعفو ويصفح، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا لا إله إلا الله، ويفتح به قلوبًا غلفًا، وأذانًا صمًّا وأعينًا عميًا، لا يأمر إلا بخير، ولا ينهى إلا عن شر، يأمر بعبادة الله وحده لا شريك له، وينهى عن عبادة ما سواه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟﴾ [النحل:٣٦] أحل الله عن طريق رسوله ما كانوا حرموه على أنفسهم من البحائر والسوائب والوصائل والحام والطيبات، وحرم لحم الخنزير والربا وجميع الخبائث، جاء باليسر والسماحة، قال لمعاذ بن جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما لما بعثهما إلى اليمن: «يسِّرا ولا تعسِّرا، وبشِّرا ولا تنفِّرا، وتطاوعا

ولا تختلفا» [البخاري:٣٠٣٨ ومسلم:١٧٣٣] وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، مالم تعمل أو تتكلم» [البخاري:٥٢٦٩ ومسلم:١٢٧ وأبو داود:٢٢٠٩ وابن ماجه:٢٠٤٠] وقال: «إن الله تجاوز لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه» [ابن ماجه:٢٠٤٣ وصححه الألباني رحمه الله] أنزل عليه النور العظيم والقرآن المجيد، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة:٢٨٦] «قال الله قد فعلت» [مسلم:١٢٦ وأحمد ١/٢٣٣ والترمذي:٢٩٩٢ والحاكم ٢/٢٨٦] أرسله الله إلى العالمين كافة، فمن اتبعه أفلح واهتدى، ومن لم يتبعه خسر الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ﴾ [آل عمران:٢٠] أعطي خمسًا لم يعطهن نبي قبله: بعث إلى الناس كافة، ونصر بالرعب مسيرة شهر، وأحلت له الغنائم، وجعلت له الأرض مسجدًا وطهورًا، وأعطي الشفاعة لمن لا يشرك بالله شيئًا من أمته، فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: العين حق

قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ﴾ [القلم:٥١] هذه الآية تدل على أن العين حق، فالعاين ينفذ ببصره، فيصاب المعيون بالأذى، وهذا الأمر مشاهد، وتدل عليه الآثار والأحاديث الكثيرة التي منها:

١- عن بريدة بن الحصيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا

رقية إلا من عين أو حمة» [ابن ماجه:٣٥١٣ وصححه الألباني رحمه الله].

٢- قال رسول الله ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا» [مسلم:٢١٨٨].

٣- كان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين، يقول: «أعيذكما بكلمات الله التامة، من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة» ويقول: «هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق وإسماعيل عليهما السلام» [البخاري:٣٣٧١ وأبو داود:٤٧٣٧ والترمذي:٢٠٦٠ والنسائي في الكبرى:١٠٨٤٤، وابن ماجه:٣٥٢٥].

٤- قال رسول الله ﷺ: «إذا رأى أحدكم من أخيه، أو من نفسه، أو من ماله ما يعجبه فليبركه، فإن العين حق» [أحمد ٣/ ٤٤٧، واللفظ له، وابن ماجه:٣٥٠٩ وصححه الألباني].

٥- روى ابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ أمرها أن تسترقي من العين [ابن ماجه:٣٥١٠ والبخاري:٥٧٣٨، ومسلم: ٢١٩٥].

٦- روى الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن العين حق» [البخاري:٥٧٤٠ ومسلم:٢١٨٧ وأحمد ٣/ ٤٤٧].

٧- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من أعين الجان ثم أعين الإنس، فلما نزلت المعوذتان أخذ بهما، وترك ما سوى ذلك [الترمذي:٢٠٥٨ وابن ماجه:٣٥١١ واللفظ له وصححه الألباني رحمه الله].

٨- روى الإمام أحمد عن أبي أمامة سهل بن حنيف رضي الله عنه أن أباه حدثه أن رسول الله ﷺ خرج وساروا معه نحو مكة، حتى إذا

كانوا بشعب الخرار - من الجحفة - اغتسل سهل بن حنيف رضي الله عنه وكان رجلًا أبيض حسن الجسم والجلد، فنظر إليه عامر بن ربيعة رضي الله عنه أخو بني عدي بن كعب وهو يغتسل، فقال: ما رأيت كاليوم ولا جلد مخبأة، فلبط بسهل . . . فدعا رسول الله ﷺ عامرًا، وأمره أن يغتسل، ثم صب ذلك الماء عليه، فراح سهل مع الناس ليس به بأس. [أحمد ٣/٤٨٦، ٣٨٧ وقال محققوه: هذا حديث صحيح].

٩- روى الإمام أحمد عن أبي سعيد رضي الله عنه أن جبريل أتى النبي ﷺ فقال: اشتكيت يامحمد؟ قال «نعم» قال: «باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، ومن شر كل نفس وعين يشفيك، بسم الله أرقيك» [مسلم:٢١٨٦ والترمذي:٩٧٥ والنسائي في الكبرى:١٠٨٤٣ وابن ماجه:٣٥٢٣ وأحمد ٣/٢٨، ٥٦].

روى الإمام أحمد عن عبيد الزرقي قال: قالت أسماء: يارسول الله! إن بني جعفر تصيبهم العين، أفأسترقي لهم؟ قال: «نعم، فلو كان شيء سابق القدر لسبقته العين» [الترمذي:٢٠٥٩ وابن ماجه:٣٥١٠ وأحمد ٦/٤٣٨ وصححه الألباني رحمه الله].

فائدة: الصفات المحمودة والمذمومة لدى الفرد والجماعة

القوة والشجاعة والعزة والكرم صفات محمودة لدى الفرد والجماعة، والجبن والذلة والضعف والبخل صفات مذمومة، قال الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال:٦٠] وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم

مُّؤۡمِنِينَ﴾ [آل عمران:١٣٩] وقال: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الفتح:٢٩] وقال: ﴿وَلَا تَهِنُواْ فِي ٱبۡتِغَآءِ ٱلۡقَوۡمِۖ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَۗ﴾ [النساء:١٠٤] وقال رسول الله ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير» [مسلم:٢٦٦٤] وقال: ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلۡفِرَارُ إِن فَرَرۡتُم مِّنَ ٱلۡمَوۡتِ أَوِ ٱلۡقَتۡلِ﴾ [الأحزاب:١٦].

فائدة: من أسماء الله الحسنى

من أسماء الله تعالى (المؤمن) فهو يصدق الصادقين، ويقيم الدلائل على صدقهم، صدَّق رسله، وشهد لهم بالصدق، وبيَّن للناس بالوحي وبآياته، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [فصلت:٥٣].

ومن أسمائه (الشهيد) فهو سبحانه شهيد على رسله بأنهم جاءوا بالحق، وبلغوه، وهو شهيد، لا يغيب عنه شيء من أعمال عباده، ولا ذرة في الأرض ولا في السماء، ولا أدنى من ذلك ولا أكبر، وآياته تدل عليه، فهو الدليل لعباده، أقام لهم الدلالات والآيات.

فائدة: الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة

قال الله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ﴾ [البقرة:٤٥] فالصبر والصلاة يطفئان جمرتي نار الغضب ونار الشهوة، فالوضوء والصلاة، والاستعاذة من الشيطان الرجيم، والذكر، والصبر على المصائب، وعلى طاعة الله تعالى، وعن المعاصي، تطفىء قوة الغضب والشهوة، ولهذا يكثر اقتران الغضب والشهوة في القرآن الكريم، وأشد أنواع

الغضب القتل، وأشد أنواع الشهوة الزنا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَدَهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٢].

فائدة: المطفِّف في المكاييل والموازين متوعد بالويل والهلاك

توعد الله الذين يطففون في المكاييل والموازين، وإذا اقتضوا من الناس زادوا، وإذا قضوهم نقصوا، ووعد بالهلاك والخسارة والويل، الذين يأخذون بالوافي والزائد يستوفون حقهم كاملًا، وإن كالوا أو وزنوا نقصوا حقوق غيرهم، فقال: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ○ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ○ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾ [المطففين: ١-٣] وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الأنعام: ١٥٢] وقال: ﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا۟ بِٱلْقِسْطَاسِ ٱلْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٣٥] وقال: ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ﴾ [الرحمن: ٩] وفي يوم القيامة سيحاسبون على ذلك، يوم يقوم الناس حفاةً عراةً غرلًا في موقف صعب حرج ضنك، يوم يغيب الإنسان في رشحه إلى أنصاف أذنيه، يوم تدنى الشمس من العباد قدر ميل، فتصهرهم، يوم ضيق المقام لمن نقص المكيال والموازين، يوم يكون الفجار في سجين مسجونين فيه، يقيمون إقامة دائمة في عذاب أليم، أسفل سافلين مقرنين، يدعون بالثبور، ألا يخاف المرء من ذلك العذاب، ويل له، وويل للذين يكذبون بيوم الدين، وويل للمعتدي الأثيم، وويل لمن إذا تليت آيات الله عليه قال أساطير الأولين، وويل لمن يبخس وينقص المكاييل والموازين، لقد ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون من المعاصي والسيئات، قال رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا أخطأ خطيئة نكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر

وتاب صقل قلبه، وإن عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه، وهو الران الذي ذكر الله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» [المطففين: ١٤] [الترمذي: ٣٣٣٤ واللفظ له، والنسائي في الكبرى: ١١٦٥٨، وابن ماجه: ٤٢٤٤ وحسنه الألباني رحمه الله] إن هؤلاء محجوبون عن رؤية ربهم، وصالون للجحيم، وموبخون ومحقرون يوم القيامة، ثم يقال لهم: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ [المطففين: ١٧].

أما الأبرار فإنهم في عليين، مصيرهم إلى جنات النعيم، وأرواحهم في السماء السابعة وعند سدرة المنتهى، عالية منازلهم، كتبت الملائكة أعمالهم الطيبة، وأدخلوا جنات النعيم على الأرائك، وهي السرر تحت الحجال ينظرون في ملكهم وما أعد الله لهم في سرور وحشمة، يسقون من خمر الجنة الرحيق المختوم، ويطعمون من ثمارها، ويكسون من خضرها، طيب الله لهم الخمر، وهي الرحيق المختوم، ختامه مسك، ومزاجه من تسنيم، ويشربون من عيون الجنة، وهذا مصير المؤمنين بعد أن كان الضالون يستهزؤون بهم في الدنيا ﴿وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ○ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُوا۟ فَكِهِينَ ○ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ○ وَمَآ أُرْسِلُوا۟ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ○ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ○ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ○ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [المطففين: ٣٠-٣٦].

فائدة: من صفات أهل الجنة

قال الله تعالى في صفات أهل الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ○ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِى ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ

○ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ○ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

في هذه الآيات بين الله تعالى صفات أهل الجنة، وهي:

أولًا: التقوى، وهي امتثال أوامر الله واجتناب نواهيه.

ثانيًا: الإنفاق في الشدة والرخاء والمنشط والمكره والصحة والمرض وجميع الأحوال، ليلًا ونهارًا، وسرًّا وجهرًا.

ثالثًا: كظم الغيظ إذا ثاروا وغضبوا، كظموا غيظهم، قال رسول الله ﷺ: «ليس الشديد بالصرعة، ولكن الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب» [البخاري: ٦١١٤ ومسلم: ٢٦٠٩ وأحمد ٢/ ٢٣٦].

رابعًا: العفو عن الناس، ينظرون المعسرين، ويضعون عنهم مالم يقدروا على وفائه، ويكفون شرهم عن الناس، ولا يكون في خواطرهم موجدة على أحد، ولا حسد.

خامسًا: الإحسان إلى الخلق بالصدقات والدعوات والعفو عن السيئات، والتواضع والبر.

سادسًا: ذكر الله تعالى، واستغفاره، والتوبة إليه والإنابة، وعدم الإصرار على الذنب، عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إن رجلًا أذنب ذنبًا، فقال رب إني أذنبت ذنبًا - أو قال: عملت عملًا ذنبًا - فاغفره، فقال الله عز وجل: عبدي عمل ذنبًا فعلم أن له ربًّا يغفر الذنب، ويأخذ به فقد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر - أو قال: أذنب ذنبًا آخر - فقال: رب، إني عملت ذنبًا

فاغفره، فقال تبارك وتعالى: علم عبدي أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، قد غفرت لعبدي، ثم عمل ذنبًا آخر - أو قال: أذنب ذنبًا آخر - فقال رب، إني عملت ذنبًا فاغفره، قال: عبدي علم أن له ربًّا يغفر الذنب ويأخذ به، أشهدكم أني قد غفرت لعبدي، فليعمل ما شاء» [أحمد ٢/٢٩٦ واللفظ له والبخاري:٥٧٠٧ ومسلم:٢٧٥٨].

فائدة: آداب الاستئذان

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَآ﴾ الآيات [النور:٢٧ وما بعدها] في هذه الآيات بيان آداب الدخول على البيوت، وأنه لا يجوز الدخول في غير بيوت الإنسان، إلا بعد الاستئذان، والسلام بعده، وإن الاستئذان يكون ثلاث مرات، فإن أذن للمرء، وإلا فلينصرف، كما ثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا استأذن أحدكم ثلاثًا فلم يؤذن له، فليرجع» [البخاري:٦٢٤٥ ومسلم:٢١٥٣] وينبغي للمستأذن أن لا يقف تلقاء الباب بوجهه، وليكن الباب عن يمينه أو شماله، كما ثبت من فعل رسول الله ﷺ من رواية أبي داود:٥١٨٦ وعنه ﷺ أنه قال: «لو أن امرءًا اطلع عليك بغير إذن فخذفته بحصاة ففقأت عينه، لم يكن عليك جناح» [البخاري:٦٩٠٢ ومسلم:٢١٥٨ واللفظ للبخاري] ويكره أن لا يسمي المرء نفسه، إذا قال صاحب المنزل (من ذا) كما أخرج الجماعة عن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال: أتيت النبي ﷺ في دين كان على أبي فدققت الباب، فقال: «من ذا» فقلت: أنا، فقال: «أنا، أنا» كأنه كرهها [البخاري:٦٢٥٠ ومسلم:٢١٥٥] وقد أرشد الرسول ﷺ القادم أن يستأذن ويسلم، قال جريج: سمعت عطاء بن أبي رباح

يخبر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ثلاث آيات جحدهن الناس: قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] قال: ويقولون: إن أكرمهم عند الله أعظمهم بيتًا، قال: والإذن كله قد جحده الناس، قال: قلت: أستأذن على أخواتي أيتام في حجري، معي في بيت واحد؟ قال: نعم، فرددت عليه ليرخص لي، فأبى، قال: تحب أن تراها عريانة؟ قلت: لا، قال: فاستأذن، قال: فراجعته أيضًا، فقال: أتحب أن تطيع الله؟ قلت: نعم، قال: فاستأذن.

وإذا قيل للمستأذن ارجع، فيجب عليه الرجوع، قال تعالى: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور:٢٨] وإذا أتى من سفر فليستأذن على أهله، وفي كل حال الأولى له أن يستأذن حتى على أهله، لاحتمال أن تكون على هيئة لا تحب أن يراها عليها، أما البيوت غير المسكونة فقد قال الله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَٰعٌ لَّكُمْ﴾ [النور:٢٩] وكذا البيت المعد للضيف إذا أذن له أول مرة، وعلى المستأذن أن يغض بصره، قال تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور:٣٠].

فائدة: توعد الشيطان لإضلال بني آدم

الشيطان توعد بني آدم، قال الله تعالى عنه: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ○ ثُمَّ لَءَاتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ﴾ [الأعراف:١٦،١٧] وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ وَعِدْهُمْ﴾ [الإسراء:٦٤].

فهو يقعد لابن آدم، في كل طرقه إلا أنه لا يأتيه من فوقه، لأن رحمة الله تعالى تحول بينه، فهو يوسوس للإنسان، ويسوف ويثبط، ويقطع عليه عمل الخيرات، ويفسد عليه دينه، ويكشف عوراته الظاهرة والباطنة، ويكيد ويزين له الركون للأرض والدنيا، ويخادعه ويطمعه فيها، قال الله تعالى عنه ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَٰلِدِينَ ○ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف:٢٠،٢١] ويؤز الكافرين أزًّا، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّآ أَرْسَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم:٨٣] ويشكك في الآخرة وفي الدين، ويُشَهِّي المحرمات، ويضلل، ويثقل الطاعات، ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

فائدة: أصل خلق الإنسان

بين الله تعالى أشياء من آياته في سورة الروم، فقال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ [الروم:٢٠] يبيِّن الله أن أصل الناس من تراب، ثم من ماء مهين، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظام، ثم كسا العظام لحمًا، ثم نفخ الروح، ثم خرج الإنسان من بطن أمه صغيرًا ضعيفًا، ثم أخذ بالتكامل والحركة، حتى صار إنسانًا سويًّا قويًّا له فكره وعقله، ينتشر في الأرض ويعمل ويحرث ويهم ويبني، قال ﷺ: «إن الله خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض، فجاء بنو آدم على قدر الأرض، جاء منهم الأبيض والأحمر والأسود، وبين ذلك، والخبيث والطيب، والسهل والحزن، وبين ذلك» [أبو داود:٤٦٩٣، والترمذي:٢٩٥٥، وأحمد ٤/ ٤٠٠ واللفظ له وصححه الألباني رحمه الله] وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ

أَزْوَاجًا﴾ [الروم:٢١] أي إناثًا يكُنَّ زوجات لكم ﴿لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا﴾ [الروم:٢١] وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف:١٨٩] وقال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم:٢١].

وقال سبحانه: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ○ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ○ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ○ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم:٢٢-٢٥] آيات عظيمة تدل على عظمته وقدرته، فهذه السماوات المرتفعة المتسعة، والكواكب السيارة، والأرض، والجبال، والأودية والبحار، واختلاف الألسنة، والألوان، والأجناس، والناس على كثرتهم، واختلاف أصواتهم، والنوم بالليل والنهار، وطلب الرزق والسعي إليه، والبرق والمطر، واهتزاز الأرض بعد موتها، ومجيئها بالنبات المختلف ألوانه، وإمساكه السماء أن تقع على الأرض، وإمساكه السماوات والأرض أن تزولا، ثم خروجهم بعد موتهم من الأرض، يستجيبون بحمده ويظنون أن لبثوا إلا قليلًا قال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس:٥٣] وقال: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ○ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم٢٦، ٢٧] فليس كمثله شيء، لا إله إلا هو، الأحد

الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد.

فائدة: الكوثر وما ورد في صفاته

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ○ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ○ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

الكوثر نهر وعد الله به رسوله محمدًا ﷺ، ترد إليه أمته يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، حافتاه خيام اللؤلؤ، مسك أذفر، أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر، حافتاه من ذهب، هو الخير الكثير، وماؤه يجري على اللؤلؤ.

وردت أحاديث كثيرة تصفه، منها:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: بينا رسول الله ﷺ ذات يوم بين أظهرنا، إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسمًا، قلنا: ما أضحكك يارسول الله؟ قال: «أنزلت عليَّ آنفًا سورة» فقرأ ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ○ إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ○ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ○ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣] ثم قال: «أتدرون ما الكوثر؟» فقلنا. الله ورسوله أعلم، قال: «فإنه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير، هو حوض ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النجوم، فيختلج العبد منهم، فأقول: رب! إنه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدثت بعدك» [مسلم: ٤٠٠] وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة، فإذا أنا بنهر، حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت بيدي إلى ما يجري فيه الماء، فإذا مسك أذفر، قلت: ما هذا ياجبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله عز وجل» [أحمد ٣/ ١٠٣ وصححه محققوه] وروى أحمد

عن أنس رضي الله عنه أن رجلًا سأل رسول الله ﷺ ما الكوثر؟ فقال رسول الله ﷺ: «هو نهر أعطانيه الله في الجنة أبيض من اللبن، وأحلى من العسل، فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر» فقال عمر بن الخطاب: إنها لناعمة يارسول الله، قال: فقال رسول الله ﷺ: «آكلوها أنعم منها» [أحمد ٣/ ٢٢١ وصححه محققوه] ومعنى الكوثر: الخير الكثير.

وقد أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يصلي لربه وينحر، كما أعطاه هذا الخير الكثير، فالصلاة لله ونحر الأنعام له: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ○ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام:١٦٢،١٦٣] ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر:٣] أي مبغضك هو منقطع النسل، قال ابن عباس وعكرمة: نزلت في كعب بن الأشرف وجماعة من قريش لما قالوا: انظروا إلى هذا المصنبر المنبتر من قومه يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج وأهل السدانة وأهل السقاية فقال كعب: أنتم خير منه.

فائدة: اخبار الله تعالى بغلبة الروم وحب المسلمين لذلك

قال الله تعالى: ﴿الٓمٓ ○ غُلِبَتِ الرُّومُ ○ فِيٓ أَدۡنَى الۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ○ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ الۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ الۡمُؤۡمِنُونَ ○ بِنَصۡرِ اللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ الۡعَزِيزُ الرَّحِيمُ ○ وَعۡدَ اللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ اللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ النَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ○ يَعۡلَمُونَ ظَٰهِرٗا مِّنَ الۡحَيَوٰةِ الدُّنۡيَا وَهُمۡ عَنِ الۡأٓخِرَةِ هُمۡ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم:١-٧].

كان المشركون يحبون أن تغلب فارس على الروم، لأنهم وثنيون مثلهم، وكان المسلمون يحبون غلبة الروم على فارس، لأنهم أهل كتاب، ولما غلبت الفرس قال رسول الله ﷺ: «أما إن الروم

سيغلبون» فأخبر أبو بكر رضي الله عنه المشركين بذلك، فطلب المشركون من أبي بكر رضي الله عنه أن يجعل لهم أجلًا، إن كان صادقًا، فجعل خمس سنين، فلم يغلبوا، فذكر ذلك أبو بكر رضي الله عنه للنبي ﷺ فقال: «ألا جعلتها عشرًا» لأن البضع دون العشر، روى أبو عيسى الترمذي عن نيار بن مكرم الأسلمي قال: لما نزلت ﴿الٓمٓ ○ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ○ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ○ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ [الروم:١-٤] فكانت فارس يوم نزلت هذه الآية قاهرين للروم، وكان المسلمون يحبون ظهور الروم عليهم، لأنهم وإياهم أهل كتاب، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ○ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الروم:٤،٥] فكانت قريش تحب ظهور فارس، لأنهم وإياهم ليسوا بأهل كتاب ولا إيمان ببعث، فلما أنزل الله تعالى هذه الآية، خرج أبو بكر رضي الله عنه يصيح في نواحي مكة، ويتلو الآية، قال ناس من قريش لأبي بكر رضي الله عنه: فذاك بيننا وبينكم، زعم صاحبكم أن الروم ستغلب فارسًا في بضع سنين، أفلا نراهنك على ذلك؟ قال بلى - وذلك قبل تحريم الرهان - فارتهن أبو بكر رضي الله عنه والمشركون، وتواضعوا الرهان، وقالوا لأبي بكر رضي الله عنه: كم تجعل البضع: ثلاث سنين إلى تسع سنين، فسم بيننا وبينك وسطًا تنتهي إليه، قال فسموا بينهم ست سنين، قال: فمضت الست سنين قبل أن يظهروا، فأخذ المشركون رهن أبي بكر، فلما دخلت السنة السابعة ظهرت الروم على فارس، فعاب المسلمون على أبي بكر تسمية ست سنين، لأن الله تعالى قال: في بضع سنين، قال: وأسلم عند ذلك ناس كثير

[الترمذي: ٣١٩٤ وحسنه الألباني رحمه الله].

والروم هم بنو الأصفر على دين اليونان الذين هم من سلالة يافث بن نوح، كانوا يعبدون الكواكب السيارة السبعة، قال الله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤] وهذه الآية تدل على صدق الرسول ﷺ، لأن هذا الغيب من الله تعالى وقد تحقق، ولا يخلف الله وعده، ولكن أكثر الناس علمهم في الأمور الظاهرة من الحياة الدنيا ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

فائدة: فضل ليلة القدر

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ○ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ○ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ○ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ○ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ١-٥] ليلة القدر مباركة هي ليلة من ليالي رمضان، أنزل فيها القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة من السماء الدنيا، وهي ليلة عظيمة، العمل الصالح فيها خير من عمل ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم، ومن قامها إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه، تتنزل فيها الملائكة والروح بالبركة والرحمة، وهي سلام، لا يستطيع الشيطان أن يعمل فيها سوءًا أو أذى، تقضى فيها الأمور والآجال، وتقدر فيها الأرزاق ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] وتسلم الملائكة على أهل المساجد والصلوات والدعاء ﴿سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر: ٥] وآكد الليالي ليالي العشر الأواخر من رمضان، وآكدها تسع وعشرون، أو سبع وعشرون، أو خمس وعشرون، أو ثلاث وعشرون، أو واحد وعشرون، أو آخر ليلة [أحمد ٥/٣٢١ والترمذي: ٧٩٤ والنسائي في

الكبرى:٣٤٠٤] روي أن أمارة ليلة القدر أنها صافية بلجة، كأن فيها قمرًا ساطعًا، ساكنة ساجية، لا برد فيها ولا حر، لا يرمى به فيها حتى يصبح، إن أمارتها أن الشمس صبيحتها تخرج مستوية، ليس لها شعاع مثل القمر ليلة البدر، ولا يحل للشيطان أن يخرج معها يومئذٍ [أحمد ٥/ ٣٢٤] وقد أنسيها الرسول ﷺ وقال: «إنها في العشر الأواخر من رمضان» [البخاري:٢٠٢٠ ومسلم:١١٦٩] ورأى أنه يسجد في طين وماء، وآكد الليالي الأوتار، وقيل: إنها تتنقل في ليالي العشر الأواخر من رمضان، ويستحب الإكثار من الدعاء فيها، وقول: «اللهم إنك عفوٌّ تحب العفو، فاعف عني» [أحمد ٦/ ١٨٢ وصححه محققوه] وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، ليلة القدر في تاسعة تبقى في سابعة تبقى، في خامسة تبقى» [البخاري:٢٠٢١] وقيل: إنها في كل رمضان، لما روي عن عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: سئل رسول الله ﷺ - وأنا أسمع - عن ليلة القدر، فقال: «هي في كل رمضان» إسناد رجاله ثقات، إلا أن أبا داود قال: رواه شعبة وسفيان عن أبي إسحاق موقوفًا على ابن عمر، لم يرفعاه إلى النبي ﷺ [أبو داود:١٣٨٧ وقال الألباني رحمه الله: ضعيف، والصحيح موقوف] والله أعلم.

فائدة: صيغ الصلاة على النبي ﷺ

إن الله وملائكته يصلون على النبي ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب:٥٦] فصلاة الله تعالى ثناؤه عليه في الملأ الأعلى، وصلاة الملائكة والناس الدعاء، ومن صيغ الصلاة على النبي ﷺ: «اللهم

صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم، وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد» [البخاري: ٣٣٧٠، ٦٣٥٧، ٤٧٩٧، ومسلم: ٤٠٦ وأبو داود: ٩٧٦ والترمذي: ٤٨٣ وابن ماجه: ٩٠٤ وأحمد ٤/ ٢٤١] ومنها: «اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم» [البخاري: ٤٧٩٨] ومنها: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم. وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم في العالمين، إنك حميد مجيد» [مسلم: ٤٠٥ والترمذي: ٣٢٢٠ وأبو داود: ٩٨٠].

ومن آداب الدعاء أن يبدأ المرء بتمجيد الله والثناء عليه، ثم الصلاة على النبي ﷺ، وكلما زاد المرء صلاةً على النبي ﷺ زاد خيرًا، حتى لو جعل صلاته كلها كما ورد [الترمذي: ٢٤٥٧] وأن من فعل ذلك يكفى همه ويغفر له ذنبه [أحمد ٥/ ١٣٦] ولا يصلي أحد من أمته عليه إلا صلى الله عليه عشرًا، ولا يسلم عليه إلا سلم الله عليه عشرًا [أحمد ٤/ ٣٠ والنسائي في الكبرى: ٩٨٨٨] (ومن صلى عليك من أمتك صلاة كتب الله له بها عشر حسنات، ومحا عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات، ورد عليه مثلها) [أحمد ٤/ ٢٩ وضعفه محققوه] والبخيل من ذكر عنده رسول الله ﷺ فلم يصل عليه، فرغم أنفه، كما رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ [الترمذي: ٣٥٤٦ وأحمد ١/ ٢٠١ وصححه الألباني رحمه الله] ومن مواقع الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، وعند دخول المسجد، وعند

الخروج منه، وفي صلاة الجنازة، وفي ختام الدعاء، وآكده دعاء القنوت، ويوم الجمعة وليلته، قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي» قال: قالوا: يارسول الله! وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ قال: يقولون: بَليتَ. فقال: «إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» [أبو داود:١٠٤٧، وابن ماجه:١٦٣٦، وأحمد ٨/٤ وصححه الألباني رحمه الله] وقال رسول الله ﷺ: «رغم أنف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي» [الترمذي:٣٥٤٥ وقال الألباني رحمه الله: حسن صحيح] وقال: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي» [الترمذي:٣٥٤٦ وصححه الألباني رحمه الله] وقال: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علي» [مسلم:٣٨٤ وأبو داود:٥٢٣، والترمذي:٣٦١٤، وأحمد ١٦٨/٢] قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «إن الدعاء موقوف بين السماء والأرض، لا يصعد منه شيء حتى تصلي على نبيك» [الترمذي:٤٨٦ وحسنه الألباني رحمه الله].

فائدة: الكرم صفة يحبها الله تعالى

الكرم صفة عظيمة عالية يحبها الله، فهو سبحانه الأكرم، ويحب من خلقه الكريم، قال تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق:٣] وقال تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ كَمۡ أَنۢبَتۡنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوۡجٖ كَرِيمٍ﴾ [الشعراء:٧] وقال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الحشر:٩] وقال رسول الله ﷺ: «إياكم والشح، فإنما أهلك من كان قبلكم الشح، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالفجور ففجروا، وأمرهم بالقطيعة

فقطعوا» [أبو داود:١٦٩٨، والنسائي في الكبرى:١١٥٨٣ وأحمد ٢/ ١٦٠ وصححه الألباني رحمه الله] وقال: «لا يجتمع الشح والإيمان في قلب عبد أبدًا» [النسائي:٣١١٠، ٣١١١ وصححه الألباني] وقال: «شر ما في رجل شح هالع، وجبن خالع» [أبو داود:٢٥١١ وأحمد ٢/ ٣٠٢ وصححه الألباني] فالله تعالى أكرم الكرماء، وهو أحق بالإكرام، ذو الجلال والإكرام، المستحق للإجال، ورسول الله ﷺ أكرم الخلق يعطي عطاء من لا يخاف الفقر، والمؤمن كريم، قال النبي ﷺ: «لا تسموا العنب الكرم، فإن الكرم الرجل المسلم» وفي رواية: «فإنما الكرم قلب المؤمن» [مسلم:٢٢٤٧] ومن الدعاء المأثور «اللهم قني شح نفسي» [الطبري ١٢/ ٤٢ (٣٣٨٨٢)] وإذا وقي الإنسان شح نفسه، وقي الظلم والبخل والقطيعة، كما قال عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه، فالكريم يحب نفع الناس، ولا يحسد أحدًا على ما أعطاه الله من فضله، ولا تجد كريمًا إلا شجاعًا، والشحيح جبان، لا يحب فعل الخير، ويكره النعمة على غيره، ضيق النفس، ظالم، قاطع لرحمه، حسود، مكروه عند الله وعند الناس، ومن كرم الله تعالى أنه يصب الماء صبًّا، ويشق الأرض شقًّا، وينبت فيها حبًّا وعنبًا وقضبًا، وزيتونًا ونخلًا، وحدائق غلبًا، وفاكهةً وأبًّا، متاعًا للناس ولأنعامهم. ومن كرمه أنه يجازي بالحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة، ومن كرمه أنه يغفر الذنوب جميعًا عدا الشرك بالله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾ [النساء:١١٦] فهو الرحمن الرحيم، علَّم بالقلم، علَّم الإنسان مالم يعلم، خلق فسوى، وقدر فهدى، وأعطى كل شيء خلقه ثم

هدى، رب العالمين، سبحانه وتعالى عما يشركون.

فائدة: قصة أبي لهب وزوجته

قال الله تعالى: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ○ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ○ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ○ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ○ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥].

خرج رسول الله ﷺ إلى البطحاء، وصعد الجبل، ونادى «ياصباحاه» فاجتمعت إليه قريش، فقال: «أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم مصدقوني؟» قالوا: نعم، ما نعهد عليك كذبًا، فقال: «إني نذير بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا؟! تبًّا لك، فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ الآيات [المسد: ١ وما بعدها] وكان أبو لهب يؤذي النبي ﷺ، ويقول للناس: إنه صابئ كاذب، وأبو لهب أحد أعمام النبي ﷺ، قد أعطاه الله المال والجمال والأولاد، ومن صفاته البغض لرسول الله ﷺ، والازدراء منه، والتنقص للدين والقرآن، وكان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقًّا فإني أفتدي نفسي يوم القيامة من العذاب. وكانت زوجته أم جميل أروى بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان جحودة عنود كافرة، تحمل الحطب، تضع الشوك في طريق رسول الله ﷺ، وتنشد:

مذممًا أبينا ودينه قلينا وأمره عصينا

وكانت تصرخ وتولول، وبيدها حبل من ليف، وتفتخر بأنها ابنة سيد قريش، وتقول: (تعس مذمم) وكانت بنت عمها أم حكيم بنت عبدالمطلب تقول: (إني لحصان فما أكلَّم، وثَقَافُ فما أعلَّم، وكلتانا من بني العم، وقريش بعد أعلم) [الحميدي ١/ ٣٢٣ (٣٢٥) وأبو يعلى ١/ ٥٣

والهيثمي في موارد الظمآن: ٢١٠٣ وابن حبان: ٦٥١١ والحديث صحيح بشواهده].

وكان رسول الله ﷺ إذا رأى امرأة أبي لهب مقبلة اعتصم بالقرآن، فلا تراه، وقال: إنها لن تراني، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥] وقد توعدها الله بالنار، فقال: ﴿فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ٥] أي حبل من نار في عنقها.

وهذه السورة دليل على صدق رسول الله ﷺ، حيث مات أبو لهب وامرأته على الكفر، نسأل الله العافية والخاتمة الحسنة.

فائدة: قبول توبة التائب ما لم يغرغر

التوبة من الذنوب تمحوها، والتائب من الذنب كمن لا ذنب له، بل إن التائب منها له أجر التوبة، وأجرها عظيم، إذا صدق التائب في توبته، فأقلع عن الذنب، وتأسف على فعله، وعزم على أن لا يعود إليه، ورد المظالم إلى أصحابها، فإن لم يجدهم أو خاف من مفسدة أعظم إذا أخبرهم فيتخلص منها بإخراجها إن كانت مالًا، والدعاء إذا كانت عرضًا، وذكر من اغتابه بخير، قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] ولا يجوز للتائب أن يقنط من رحمة الله، ويعتقد أن الله لا يغفر له، ولا يقبل توبته الصادقة، وحديث الذي قتل تسعًا وتسعين نفسًا، وسأل راهبًا هل تقبل توبته؟ فأفتاه بعدم ذلك، فقتله وأكمل به المائة، ثم ذهب إلى عالم فسأله، فأفتاه بقبولها، مشهور في الصحيحين. [البخاري: ٣٤٧٠ ومسلم: ٢٧٦٦].

وتقبل التوبة مالم تغرغر النفس، وممن تابوا، وغفر الله لهم أبو

سفيان بن حرب وعمر بن الخطاب وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل وصفوان بن أمية والحارث بن هشام وعمرو بن العاص وغيرهم، قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ﴾ [الأنفال:٣٨] وعلى التائب أن يكثر من الاستغفار، قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُمَتِّعۡكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ [هود:٣] وقال: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ﴾ [فصلت:٦] وقال: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ○ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [نوح:٤٣] وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [هود:٥٢] وقال نوح عليه السلام لقومه: ﴿أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ○ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ﴾ [نوح:٣،٤] وقال صالح عليه السلام لقومه: ﴿فَٱسۡتَغۡفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِۚ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٞ مُّجِيبٞ﴾ [هود:٦١] وقال تعالى: ﴿وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۚ﴾ [الأحزاب:٧٣] وقال: ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر:٣] وقد تاب آدم عليه السلام، وتاب نوح عليه السلام، و ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾ [التوبة:١١٧] وتاب الذين خلفوا في الأرض ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ﴾ [التوبة:١١٨] والإسلام يهدم ما كان قبله، وقال تعالى لمحمد ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ○ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [الفتح:١،٢].

فائدة: غزوة الأحزاب وما فيها من العبر والعظات

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ

جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ○ إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب:٩، ١٠].

لله تعالى النعمة والفضل والإحسان في إنقاذه المؤمنين عام الخندق، حيث تحزب عليهم أعداؤهم في شوال عام خمس من الهجرة، بمشورة من اليهود الذين أجلاهم رسول الله ﷺ من المدينة إلى خيبر، والذين ألّبوا قريشًا وغطفان وغيرهم من الأحباش على قتال رسول الله ﷺ ومن معه، فاجتمع هؤلاء بقيادة أبي سفيان صخر ابن حرب، وعددهم عشرة آلاف نسمة، فأشار سلمان الفارسي رضي الله عنه على رسول الله ﷺ بحفر الخندق، فحفره الصحابة ومعهم رسول الله ﷺ، وتجمع المشركون شرق المدينة وأعاليها، قال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب:١٠] وكان الذين خرجوا مع رسول الله ﷺ ثلاثة آلاف نسمة، رجالًا ونساءً وأطفالًا، ونقض العهدَ يهود بني قريظة بالمدينة، وكان عددهم ثمانمائة مقاتل، وانضموا إلى الأحزاب ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب:١١] ومكث الأحزاب محاصرين المدينة شهرًا كاملًا، وقام عمرو بن عبد ود العامري ومعه رجال فاقتحموا الخندق، فأمر رسول الله ﷺ عليًّا رضي الله عنه، فخرج إليه، وتقاتلا، فقتله علي رضي الله عنه وانهزموا، فأرسل الله تعالى ريحًا شديدةً قويةً باردةً على المشركين، فأطفأت نيرانهم، ولم تبق لهم شيئًا، قال الله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ﴾ [الأحزاب:٩] من الملائكة قال رسول الله ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور» [البخاري:

١٠٣٥ ومسلم:٩٠٠ وأحمد ٢٢٨/١] وبعث رسول الله ﷺ حذيفة ابن اليمان رضي الله عنه ليأتي له بخبر المشركين، فجاء بخبرهم، وكان البرد شديدًا جدًّا، والخوف عظيمًا، والأحزاب من المشركين وغطفان والأحباش وبعض القبائل واليهود يزدادون عددًا، فزاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر، وظن بعض من كان مع الرسول ﷺ أن الدائرة عليهم، وأرجف المنافقون بالصحابة، فعلَّمهم رسول الله ﷺ الصبر والأمل والتفاؤل والدعاء، وقول: «اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا» [أحمد ٣/٣ وقال محققوه: إسناده ضعيف] قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ○ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب:١١،١٢] واستأذن فريق منهم عن المرابطة، وقالوا: بيوتنا عورة نخاف عليها، وهم في الحقيقة يريدون الفرار، وتمنى البعض أنهم بادون في الأعراب، يسألون عن أنباء المسلمين، أما المؤمنون الصادقون فقالوا: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب:٢٢] وصدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٣] ﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ [الأحزاب:٢٥] فهرب المشركون بأنفسهم خائفين وجلين، وكان لدعاء النبي ﷺ وصبره وصبر المؤمنين أكبر الأثر في النصر، كان رسول الله ﷺ يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز جنده، ونصر عبده، وغلب الأحزاب وحده، فلا شيء بعده» [البخاري:٤١١٤ ومسلم:٢٧٢٤] وكان من دعائه: «اللهم منزل الكتاب سريع الحساب اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم» [البخاري:٦٣٩٢ ومسلم:١٧٤٢ وابن ماجه:٢٧٩٦] وهزم

الله بني قريظة الخائنين، قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ○ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٦،٢٧] لقد أنزل الله اليهود من بني قريظة من حصونهم التي احتموا فيها، وقذف الرعب في قلوبهم، وأجلاهم رسول الله ﷺ، وسبيت نساؤهم وأطفالهم، وأخذت أموالهم، وقتل من قتل منهم، وورث المؤمنون أرضهم وديارهم ومزارعهم، قال تعالى: ﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ﴾ [الأحزاب:٢٧] قال المفسرون: هي خيبر ومكة وفارس والروم ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا﴾ [الأحزاب:٢٧] فالحمد لله رب العالمين.

فائدة: علامة قرب أجل رسول الله ﷺ

قال الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ○ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ○ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر:١-٣].

روي أنها آخر سورة من القرآن (مسلم:٣٠٢٤ والنسائي في الكبرى:١١٧١٣) وهي تعدل ربع القرآن، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: قال لي ابن عباس: ياابن عتبة! أتعلم آخر سورة من القرآن نزلت؟ قال: قلت: نعم: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] قال صدقت [المصدر السابق] وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يدخله عمر رضي الله عنه مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه، فقال: لم يدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال عمر رضي الله عنه: إنه ممن علمتم، فدعاهم ذات يوم فأدخله معهم، فما رئي أنه دعاني

فيهم يومئذ إلا ليريهم فقال: ما تقولون في قول الله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر:١] فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذلك تقول ياابن عباس؟ فقلت: لا. فقال: ما تقول؟ فقلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له. فأيد ذلك عمر رضي الله عنه [البخاري:٤٩٧٠] وقال رسول الله ﷺ: «نعيت إلي نفسي» بأنه مقبوض في تلك السنة [أحمد ١/ ٢١٧ وصححه محققوه وقال: تفرد به أحمد] وبعدها كان رسول الله ﷺ يقول في سجوده وركوعه: «سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي» [البخاري:٤٩٦٨ ومسلم:٤٨٤ وأبو داود:٨٧٧ والنسائي في الكبرى: ١١٧١٠ وابن ماجه:٨٨٩].

والمراد بالفتح فتح مكة، حيث دخل الناس في دين الله أفواجًا، وأظهروا الإسلام بعد أن ظهر رسول الله ﷺ على قومه، وفتح مكة.

ولما سمع جابر بن عبدالله رضي الله عنهما ذلك بكى، وقال: إنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «إن الناس دخلوا في دين الله أفواجًا، وسيخرجون منه أفواجًا» [أحمد ٣/ ٣٤٣ وقال محققوه: إسناده ضعيف لجهالة جار جابر بن عبدالله].

وكذا قالت عائشة رضي الله عنها: كان رسول الله ﷺ يكثر في آخر أمره من قول: «سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه» قالت: فقلت: يارسول الله! مالي أراك تكثر من قول: سبحان الله وبحمده، أستغفر الله وأتوب إليه؟ قال: «إن ربي كان أخبرني أني سأرى علامةً في أمتي، وأمرني إذا رأيتها أن أسبح بحمده، وأستغفره، إنه كان توابًا، فقد رأيتها ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ○

وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ○ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾» [النصر: ١-٣] [مسلم: ٤٨٤ وأحمد ٦/ ٣٥].

فائدة: لقمان الحكيم وما نصح به ابنه من نصائح

كان لقمان عبدًا صالحًا من الحبشة، وكان نجارًا من النوبة، أعطاه الله الحكمة، روى ابن جرير عن خالد الربعي قال: كان لقمان عبدًا حبشيًا نجارًا، فقال له مولاه: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، قال: أخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، ثم مكث ما شاء الله، ثم قال: اذبح لنا هذه الشاة، فذبحها، فقال: أخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرج اللسان والقلب، فقال له مولاه: أمرتك أن تخرج أطيب مضغتين فيها، فأخرجتهما، وأمرتك أن تخرج أخبث مضغتين فيها، فأخرجتهما، فقال له لقمان: إنه ليس من شيء أطيب منهما إذا طابا، ولا أخبث منهما إذا خبثا. [تفسير الطبري ١٠/ ٢٠٩ (٢٨٠٨٧)].

وكان رحمه الله عبدًا صالحًا، ليس نبيًّا آتاه الله الحكمة والفهم والعلم، وكان شاكرًا لله، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان: ١٢] نصح ابنه بنصائح عظيمة، وأوصاه بوصايا قيمة، جاء عن رسول الله ﷺ قوله: «إن لقمان الحكيم كان يقول: إن الله إذا استودع شيئًا حفظه» [أحمد ٢/ ٨٧ والنسائي في الكبرى: ١٠٣٥٢، وقال محققو المسند: إسناده صحيح] وروي عن أبي حاتم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «قال لقمان لابنه وهو يعظه: يابني إياك والتقنع، فإنها مخوفة بالليل، مذلة بالنهار» [الحاكم ٢/ ٤١١ وصححه]

ومن حكمه قوله: (إن الحكمة أجلست المساكين مجالس الملوك) ومنها قوله لابنه: (يابني إذا أتيت نادي قوم فارمهم بسهم الإسلام، يعني السلام، ثم اجلس في ناحيتهم، فلا تنطق حتى تراهم قد نطقوا، فإن أفاضوا في ذكر الله فأجل سهمك معهم، وإن أفاضوا في غير ذلك فتحول عنهم إلى غيرهم» [الزهد لابن المبارك:٣٣٢] ونصيحته في القرآن الكريم ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان:١٣] وقوله: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ○ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ○ وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ○ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾ [لقمان:١٦-١٩].

فائدة: قصة إهلاك أصحاب قرية أنطاكية

قال الله تعالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ○ إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ○ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس:١٣-١٥] الله تعالى يضرب الأمثال للناس، وهذه القرية قال ابن عباس رضي الله عنهما وغيره هي مدينة أنطاكية، كان بها ملك يقال له: (انطيخس) وكان يعبد الأصنام، بعث الله إليه ثلاثةً من الرسل، فكذبهم، وقال: ﴿مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ [يس:١٥] ﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ○ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [يس:١٦،١٧] فهم يتعجبون أن يرسل الله بشرًا، كما

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرٞ يَهۡدُونَنَا﴾ [التغابن:٦] وقوله: ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأۡتُونَا بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ [إبراهيم:١٠] وقوله: ﴿وَلَئِنۡ أَطَعۡتُم بَشَرٗا مِّثۡلَكُمۡ إِنَّكُمۡ إِذٗا لَّخَٰسِرُونَ﴾ [المؤمنون:٣٤] وقوله: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا﴾ [الإسراء:٩٤] وقد رد الرسل عليهم قائلين: الله يعلم أنا رسله إليكم، ولو كنا كذبةً لانتقم الله منا، وكفى بالله بيننا وبينكم شهيدًا، وما علينا إلا البلاغ، فإن أطعتم الله كانت لكم السعادة في الدنيا والآخرة، وإن كذبتم كان لكم العذاب، فتطير القوم بهم، وقالوا: ﴿إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [يس:١٨] فإذا أصابهم شر قالوا: هذا بسبب هؤلاء الرسل، وتوعدوهم بالرجم بالحجارة والعذاب الأليم، وهكذا الأقوام الكافرة يتطيرون برسلهم، كما كان فرعون يتطير بموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓۚ﴾ [الأعراف:١٣١] وقال قوم صالح عليه السلام له: ﴿ٱطَّيَّرۡنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَۚ﴾ [النمل:٤٧] وقال: ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ﴾ [النساء:٧٨] ولا تخلو الأمم من وجود رجال صالحين يصبرون على الأذى، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ○ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ○ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ○ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ○ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ○ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾ [يس:٢٠-٢٥] إن اسم هذا الرجل حبيب النجار قتله

قومه، قاله ابن عباس رضي الله عنهما، وقال قتادة: جعلوا يرجمونه بالحجارة، وهو يقول: (اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون) فلم يزالوا به حتى قتلوه، رحمه الله، فأدخله الله الجنة، قال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَۢ ○ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ [يس:٢٦، ٢٧] فعاقب الله قومه بالصيحة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ○ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾ [يس:٢٨، ٢٩] أهلك الله الملك وأهل القرية المكذبين بصيحة واحدة ولم يبق منهم أحد، وما احتاج ذلك إلى إنزال ملائكة عليهم، فسبحان القوي العزيز.

فائدة: الأمر بالتوبة من جميع الذنوب مهما عظمت

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر:٥٣] فالتوبة إلى الله تعالى سبب لغفران الذنوب، مهما كانت من الكبر، فالله غفور رحيم، ولا يجوز للمرء أن يقنط من رحمة الله، مهما عظمت ذنوبه، قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ﴾ [التوبة:١٠٤] وقال: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ سُوٓءًا أَوۡ يَظۡلِمۡ نَفۡسَهُۥ ثُمَّ يَسۡتَغۡفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١١٠] بل إن الله تعالى يغفر للتائبين من المنافقين، قال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمۡ نَصِيرًا ○ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ﴾ [النساء:١٤٥، ١٤٦] ويغفر لمن تاب من قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖ﴾ [المائدة:٧٣] قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ ثَالِثُ ثَلَٰثَةٖۘ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّآ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۚ وَإِن لَّمۡ يَنتَهُواْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ○ أَفَلَا

يَتُوبُونَ إِلَى ٱللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُۥ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٣، ٧٤] فالله تعالى كريم جواد، يدعو عباده إلى الاستغفار ليغفر لهم، وإلى التوبة ليتوب عليهم، والذي قتل تسعةً وتسعين نفسًا، وسأل عابدًا: هل لي من توبة؟ فأفتاه بأنه ليس له توبة، فقتله، وأكمل به المائة، ثم سأل عالمًا، فقال له: ومن يحول بينك وبين التوبة؟ فتاب، وغفر الله له وأدخله الجنة [البخاري: ٣٤٧٠، ومسلم: ٢٧٦٦] وكذا أمر الله تعالى أن يتوب من قال: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] ومن قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] ومن زعم أن المسيح هو الله، ومن زعم أنه ابنه، ومن زعم أن عزيرًا ابن الله، ومن زعم أن الله ثالث ثلاثة، وقال النبي ﷺ في الحديث الذي رواه الإمام أحمد عن أنس بن مالك رضي الله عنه: «والذي نفسي بيده لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض، ثم استغفرتم الله، لغفر لكم، والذي نفس محمد بيده! لو لم تخطئوا لجاء الله عز وجل بقوم يخطئون ثم يستغفرون الله فيغفر لهم» [أحمد ٣/ ٢٣٨، وقال محققو المسند: هذا حديث صحيح لغيره] وقال رسول الله ﷺ: «لولا أنكم تذنبون، لخلق الله قومًا يذنبون فيغفر لهم» [مسلم: ٢٧٤٨ والترمذي: ٣٥٣٩ وأحمد ٥/ ٤١٤ واللفظ له] وأمر الله تعالى العباد أن ينيبوا إليه، ويسلموا من قبل أن يأتيهم العذاب ثم لا ينصرون، فما دامت النفس لم تغرغر، ولم تطلع الشمس من مغربها، فباب التوبة مفتوح، قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ○ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ○ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن

كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ○ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِي لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ○ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الزمر: ٥٤-٥٨] فالحمد لله رب العالمين.

وصلى الله على نبينا محمد
وعلى آله وصحبه وسلم

فهرس الموضوعات

فائدة: البيت الحرام ٥
فائدة: الرفعة عند الله بالعلم والإيمان ٥
فائدة: مكانة العلم والعلماء ١٠
فائدة: تزيين المعاصي والسيئات وعقوبة للعبد ١١
فائدة: الأمور التي تحصل بها الهداية للعبد ١١
فائدة: وجوب إعلان العقيدة ١٢
فائدة: الكبر منع بني إسرائيل من قبول الحق ١٣
فائدة: الكافر فتنة للمؤمن ١٣
فائدة: أقسام الناس من حيث قبول العمل ١٤
فائدة: حياة القلوب ١٥
فائدة: إذا منع الله العبد شيئاً أعطاه خيراً منه ١٦
فائدة: إذا امتلأ القلب بمحبة الله لم يكن لغيره فيه محل ١٦
فائدة: حقد اليهود والنصارى على المسلمين ١٧
فائدة: بشارة الرُسل بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ١٧
فائدة: القرآن الكريم نور للصدور وحياة للقلوب ١٨
فائدة: من لم يعبد الله يعبد غيره ١٨
فائدة: من كبائر الذنوب ١٩
فائدة: العبرة بالصواب والحسن وليس بالكثرة ٢٠
فائدة: مدح الله لأنبيائه إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام ٢٠

فائدة: دعاء أهل الجنة ٢١
فائدة: منة الله على موسى وهارون عليهما السلام ٢٢
فائدة: جواز القضاء في المساجد ٢٣
فائدة: من ذكر الله ذكره الله ٢٣
فائدة: العبودية أعظم صفات الإنسان ٢٤
فائدة: محاجة صاحب ياسين لقومه ٢٤
فائدة: أظلم الظلم الإشراك بالله ٢٥
فائدة: للنية الصالحة أثر كبير في صلاح العبد ٢٦
فائدة: خيار الناس أحاسنهم أخلاقاً ٢٦
فائدة: من صفات اليهود نقض العهود وتحريف كلام الله ٢٨
فائدة: الحسد أول جريمة ظهرت على الأرض ٢٩
فائدة: وجوب محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٠
فائدة: شجرة الزقوم ٣٠
فائدة: حال المؤمن وحال الكافر عند حدوث النعم ٣١
فائدة: ذم الله تعالى لآلهة الكفار ٣٢
فائدة: الإسلام دين الوسطية ٣٣
فائدة: العلم والمعرفة ٣٣
فائدة: تشبيه المؤمن بالنور والكافر بالظلمة ٣٤
فائدة: لا ينفع الكافر قربُه ومصاهرتُه للمؤمن ٣٤
فائدة: على العبد أن يحمل همَّ الدعاء قبل حمله همَّ الإجابة ٣٥
فائدة: الذبيح هو اسماعيل عليه السلام ٣٦
فائدة: زعم اليهود والنصارى أنهم ابناء الله وأحباؤه ٣٨
فائدة: خلق الله الإنسان في أحسن تقويم ٣٨

فائدة: محاسبة النفس ٣٩
فائدة: إذا زاغ الإنسان عن الهدى أزاغ قلبه ٣٩
فائدة: نقمُ أهل الكتاب من المؤمنين لأجل الإيمان ٤٠
فائدة: الصديقون في القرآن ٤٠
فائدة: لله تعالى المحامد كلها ٤١
فائدة: وجوب الإقرار لله تعالى بالمحبة ٤١
فائدة: حرمة الخمر وخبثه من جميع الوجوه ٤٢
فائدة: العلم الصحيح ٤٣
فائدة: شهادة الجوارح يوم القيامة ٤٤
فائدة: العزة المحمودة والعزة المذمومة ٤٤
فائدة: سجدة سورة (ص) خلافية ٤٤
فائدة: حال المسلمين في مكة قبل الهجرة ٤٦
فائدة: عناد مشركي قريش ومكرهم ٤٦
فائدة: التكبر عن سماع الحق وصد الناس عنه سبب حلول النقم والعقوبات ٤٧
فائدة: استحباب التقيد بالأدعية المأثورة ٤٨
فائدة: من معاني ناشئة الليل ٤٩
فائدة: أمر الله لنبيه ﷺ بمجالسة الضعفاء وتقريبهم منه ٤٩
فائدة: الدليل على البعث بعد الموت ٥١
فائدة: العبودية الحقة ٥١
فائدة: الكعبة مبنية قبل إبراهيم عليه السلام ٥٢
فائدة: لذة المؤمن وسعادته في عبادة ربه ٥٣
فائدة: خير الناس من طال عمره وحسن عمله ٥٤
فائدة: اسباب الكفر ٥٤

فائدة: النهي عن مجالسة أهل الباطل ٥٤
فائدة: الإيثار أعلى الجود والسخاء والإحسان ٥٥
فائدة: سوء أدب اليهود مع نبينا صلى الله عليه وسلم ٥٦
فائدة: عقوبة المُستهزئين بالمسلمين و بالدين ٥٦
فائدة: الصبر والرضا بالقضاء والقدر ٥٧
فائدة: كل نفس بما كسبت رهينة ٥٨
فائدة: من لم يدخل جنة الدنيا لا يدخل جنة الآخرة ٥٩
فائدة: جمال الظاهر والباطن محمود ٥٩
فائدة: تحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا ٦٠
فائدة: نور الإيمان ٦١
فائدة: الأمر بالرفق بالحيوان ٦٢
فائدة: عند الله مفاتيح الخزائن ٦٣
فائدة: صفات النفس ٦٤
فائدة: قول سادات قريش عن الموالي والضعفاء ٦٥
فائدة: الغرة والاستدراج ٦٥
فائدة: الأمية معجزة في حق رسول الله ﷺ ٦٦
فائدة: عصيان بني إسرائيل وتكذيبهم لرسلهم ٦٨
فائدة: الأمر بكل الخيرات والنهي عن كل الشرور ٦٩
فائدة: من لم يتبع محمداً ﷺ فلا دين له ٦٩
فائدة: ملة إبراهيم عليه السلام هي الإسلام ٧١
فائدة: أسباب وأنواع الشهادة ٧٢
فائدة: حسدُ أهل الكتاب والمشركين للمؤمنين ٧٥
فائدة: من وصف الله بغير صفاته فليس بمؤمن ٧٦

فائدة: قواعد الإيمان ٧٦
فائدة: الأمر بإصلاح النفس وبذل الجهد في الدعوة إلى الله تعالى ٧٧
فائدة: الأمر باصلاح النفس وبذل الجهد في الدعوة ٧٧
فائدة: دلائل النبوة ٧٨
فائدة: عاقبة موالاة الكفار ٧٩
فائدة: صفات جبريل عليه السلام ٨٠
فائدة: اسباب لعن بني إسرائيل ٨٠
فائدة: أدب المحاورة ٨١
فائدة: بعض ما كان يكتبه الإمام أحمد من الرقى عند عسر الولادة ٨١
فائدة: التقرب إلى الله بالعمل الصالح ٨٢
فائدة: وقوف العبد بين يدي الله عز وجل ٨٢
فائدة: موت القلوب أعظم من موت الأبدان ٨٣
فائدة: العين حق ٨٣
فائدة: أعظم قسم أقسم الله به ٨٥
فائدة: قساوة قلوب اليهود ٨٥
فائدة: الوفاء بالعقود ٨٧
فائدة: جزاء المتقين المتوكلين على الله تعالى ٨٧
فائدة: بركة القرآن المجيد ٨٨
فائدة: العقل ملك الجوارح ٨٨
فائدة: الله أعلم بمن يستحق العطاء ٨٩
فائدة: افتراء اليهود والنصارى على الله ٩٠
فائدة: تدبر القرآن ٩١
فائدة: استعاذة العرب في الجاهلية ٩١

فائدة: عداوة اليهود والمشركين للمسلمين ٩٢
فائدة: الكلم الطيب والعمل الصا لح يرفعه ٩٣
فائدة: المنة لله في توفيق العبد للعمل الصالح ٩٤
فائدة: تعنت اليهود في طالباتهم من موسى عليه السلام ٩٤
فائدة: نفقة الأم على الأب في الحمل والإرضاع ٩٥
فائدة: العزة الحقيقية بالدين والتقوى ٩٦
فائدة: من عرف نفسه عرف ربهُ ٩٦
فائدة: التوبة سبب للفوز ومحو الذنوب ٩٧
فائدة: يأس المشركين من ردة المسلمين عن دينهم ٩٨
فائدة: الاعتماد على الاسباب شرك ٩٩
فائدة: من أسباب الطمأنينة الإيمان بالله ٩٩
فائدة: تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم ١٠٠
فائدة: الأمر بحفظ الفروج وستر العوارات ١٠١
فائدة: تذكر الناس في الآخرة ما كانوا يعملونه في الدنيا ١٠٣
فائدة: ابتلاء الله لإبراهيم عليه السلام ١٠٣
فائدة: من شكر الله شكره وزاده من فضله ١٠٤
فائدة: من آداب الأنبياء عليهم السلام ١٠٥
فائدة: أحل الله الطيبات وحرم الخبائث ١٠٦
فائدة: الجهل مذموم ١٠٧
فائدة: الأمر بالتفكر في الخلق والبعث ١٠٨
فائدة: تتميز الاشياء بأضدادها ١٠٩
فائدة: الغافلون عن الآخرة ١٠٩
فائدة: وجوب الوفاء بالبيعة والعهود ١١٠

فائدة: إقامة الحجج على المشركين وإبتلائهم ١١١
فائدة: (المتنطع) يعتبر متعدياً على شرع الله ١١٢
فائدة: غلو النصارى في عيسى عليه السلام ١١٤
فائدة: الشك في البعث كفر ١١٥
فائدة: الإفساد في الأرض ١١٥
فائدة: رمي اليهود والنصارى بعضهم بعضاً بالسفه ١١٦
فائدة: قصر الحياة الدنيا وزوالها ١١٧
فائدة: مادة خلق الإنسان والجن ١١٨
فائدة: مكانة بيت الله الحرام ١١٩
فائدة: الدنيا سجن المؤمن ١٢٠
فائدة: وجوب تربية الأولاد ١٢١
فائدة: عجز آلهة المشركين عن نفع عابديها ١٢١
فائدة: النار دار الكافرين ١٢٢
فائدة: الشجر الربط يخرج منه النار ١٢٣
فائدة: الجزاء من جنس العمل ١٢٤
فائدة: لا يقدْح في الفاضل فهم المفضول للمشكل ١٢٤
فائدة: تفاوت أهل التوحيد في العلم والمعرفة ١٢٥
فائدة: كل جمال ظاهر وباطن فهومن الله تعالى ١٢٥
فائدة: إنفاق الكفار الأموال للصد عن سبيل الله ١٢٧
فائدة: تلاوة القرآن الكريم حق تلاوته ١٢٩
فائدة: تحريم منافع الحيوانات كذبً وافتراء على ا لله ١٣٠
فائدة: تحديد الحرم المكي ١٣١
فائدة: الولد يتبع أباه في النسب ١٣٣

فائدة: نهي الله تعالى نبيه عن طرد الضعفاء وأمره بإكرامهم ١٣٣
فائدة: اليقين أحد شروط شهادة ان لا إله إلا الله ١٣٤
فائدة: نعم الله ومننه العظيمة على بني إسرائيل ١٣٤
فائدة: تزكية النفس تكون باتباع هدي المرسلين ١٣٥
فائدة: معاني الأمانة ١٣٦
فائدة: المنافقون هم الأعداء الحقيقيون ١٣٧
فائدة: ما ورد في نزول عيسى عليه السلام قبل يوم القيامة ١٣٧
فائدة: صفات عيسى عليه السلام: ١٣٩
فائدة: تسلية الله لرسوله ﷺ بذكر تكذيب الأمم السابقة لأنبيائهم ١٤٠
فائدة: التوبة من صفات المؤمنين ١٤٠
فائدة: من معاني المشارق والمغارب ١٤١
فائدة: مخالفة أهل الكتاب في خلع النعال في الصلاة ١٤١
فائدة: علم الله محيط بالخلق ١٤٣
فائدة: مآل الأبرار ومآل الفجار يوم القيامة ١٤٣
فائدة: البلاء يعم إذا نزل ١٤٤
فائدة: سبب رفعة بعض الناس على بعض ١٤٥
فائدة: تفسير بعض الكلمات الواردة في القرآن ١٤٦
فائدة: من نسى ذكر الله أنساه الله نفسه ١٤٧
فائدة: ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين ١٤٧
فائدة: شروط تحقيق النَّصر ١٤٨
فائدة: الإيمان الحقيقي ١٤٨
فائدة: فرح الله بتوبة عبده ١٤٩
فائدة: الخواطر والتصورات تقتضي وقوع الشيء المفكر فيه ١٥٠

فائدة: ازدياد الكفار نفوراً بعد مجيء الرسول ﷺ ١٥١
فائدة: لا تكون الحياة نافعة إلا إذا كان فيها استجابة ١٥٢
فائدة: شهادة الله كافية عن شهادة أحد سواه ١٥٣
فائدة: مراتب الوحي للرسول ﷺ ١٥٣
فائدة: دعاء الله تعالى ينجي العبد من الكربات والشدائد ١٥٤
فائدة: العدل والقسط دليل التقوى ١٥٤
فائدة: معاني عداوة المحبة ١٥٥
فائدة: الأمر بطهارة الثوب والقلب ١٥٦
فائدة: تنزيه الله لنبيه صلى الله عليه وسلم عن قول الشعر ١٥٧
فائدة: الناس فقراء إلى الله ١٥٨
فائدة: عظم جرم منع الناس عن المساجد ١٥٨
فائدة: مملكة سبأ وما آل إليه أمرها ١٥٩
فائدة: ما تأليه اليهود للعجل ١٦١
فائدة: ما حرمه الله في كتابه من اللحوم ١٦٢
فائدة: التفكر في خلق الله يزيد الإيمان ١٦٣
فائدة: الاستعاذة من الشيطان و من النفس ١٦٤
فائدة: كفر بعض قريس بنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم ١٦٥
فائدة: إنكار اليهود نبوة سليمان عليه السلام ورميه بالسحر ١٦٦
فائدة: التقوى تقوى القلوب ١٦٧
فائدة: من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ١٦٨
فائدة: حسد اليهود لرسول الله ﷺ مع معرفتهم به ١٦٩
فائدة: ذم كثرة الاسئلة ١٧٠
فائدة: من ساءت نيته عوقب بالخذلان ١٧٠

فائدة: هجر القرآن يكون بأمور عديدة ١٧١
فائدة: الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ١٧١
فائدة: الرسل المذكورون في القرآن الكريم ١٧١
فائدة: سخافة عقل الكافر ١٧٣
فائدة: الكبر بطر الحق وقمط الناس ١٧٤
فائدة: مثلُ المؤمن والكافر ١٧٤
فائدة: زعمُ المشركين أن الملائكة بنات الله ١٧٥
فائدة: العلم النافع والعلم الضار ١٧٦
فائدة: آية قبض الظل ومده ١٧٦
فائدة: محاولة كفار مكة لصرف الناس عن سبيل الله وعن محمد ﷺ ١٧٧
فائدة: هجرة إبراهيم عليه السلام ١٧٨
فائدة: حفظ الله وعصمتهُ لرسوله صلى الله عليه وسلم ١٧٩
فائدة: الأخلاق المحمودة والمذمومة ١٨٠
فائدة: نقض اليهود للعهود والمواثيق وسفكهم للدماء ١٨٠
فائدة: كل يؤخذ من قوله ويرد إلا رسول الله ﷺ ١٨١
فائدة: كل يجازى بعمله ١٨٢
فائدة: مراتب الهداية ١٨٣
فائدة: منافع الرياح ١٨٥
فائدة: وصف الله سبحانه لرسله بالخيرية ١٨٥
فائدة: الإسلام هو الطريق المستقيم ١٨٦
فائدة: لا يعذب الله أحداً إلا بعد قيام الحجة عليه ١٨٦
فائدة: فوائد قصة خلق آدم ١٨٧
فائدة: بغض اليهود لجبريل عليه السلام ١٨٩

فائدة: جمال الظاهر والباطن ١٨٩
فائدة: التمسك بجميع شرائع الإسلام ١٩٠
فائدة: صبر الله تعالى على ما يقترفه العباد من الذنوب ١٩١
فائدة: لا يُحاسب الإنسان على شيء ليس باختياره ١٩٢
فائدة: بشارة الله لخليله إبراهيم عليه السلام بغلام حليم ١٩٣
فائدة: معاني التقوى ١٩٤
فائدة: مناظرة إبراهيم عليه السلام الصائبة المشركين ١٩٥
فائدة: كل ما قدمه الإنسان من خير أو شر أحصاه الله في اللوح المحفوظ ١٩٥
فائدة: أضرار المعاصي والذنوب وآثار الحسنات والطاعات ١٩٦
فائدة: أنواع القلم ١٩٧
فائدة: إثبات صفة العجب لله تعالى ١٩٨
فائدة: شرع من قبلنا شرع لنا ما لم ينسخ ١٩٩
فائدة: الله لا يخلف الميعاد ١٩٩
فائدة: الاستعاذة والاستعانة بالله ٢٠٠
فائدة: رؤية رسول الله ﷺ لجبريل عليه السلام ٢٠٠
فائدة: الحرص على أعمال الخير ٢٠١
فائدة: سلامة القلب من الأمراض ٢٠١
فائدة: إفراد الله بالعبادة دليل على صدق العبد ٢٠٢
فائدة: إقامة حد السرقة على الرجال والنساء ٢٠٣
فائدة: أوصاف الولدان المخلدين في الجنة ٢٠٤
فائدة: العَالِمُ الحقيقي هو من يخشى الله تعالى ٢٠٥
فائدة: من آثر مراد الله على مراد نفسه استحق الجنة ٢٠٦
فائدة: إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ٢٠٦

فائدة: بعض ما ورد في سورة الإسراء ٢٠٧
فائدة: من أدلة البعث بعد الموت ٢٠٨
فائدة: اليقين أكمل مراتب العلم ٢٠٨
فائدة: التفكر في آيات الله الكونية ٢١٠
فائدة: الأنبياء عليهم السلام لم يطلبوا مالاً على دعوتهم ٢١١
فائدة: لا يتقبل الإيمان عند معاينة لعذاب ٢١١
فائدة: كمال التوحيد أن يتجرد العبد لله ٢١٢
فائدة: لا أحد أظلم من صدَّ عن سبيل الله ٢١٣
فائدة: لذة النظر إلى وجه الله تعالى أعظم وألذ لذات جنات النعيم ٢١٣
فائدة: عالم السوء من آثر الدنيا على الآخرة ٢١٤
فائدة: الدنيا ظل زائل وعيش فانٍ ٢١٥
فائدة: من صفات المنافقين ٢١٥
فائدة: خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢١٩
فائدة: السعي في تغير المنكر دليل على إيمان العبد بربه وتوحيده له ٢٢٠
فائدة: علامات التوبة الصحيحة ٢٢١
فائدة: هلك المتنطعون ٢٢٢
فائدة: مفسدات القلب ٢٢٣
فائدة: وقفات مع سورة ياسين ٢٢٥
فائدة: سكينة الله على رسوله ﷺ ٢٢٦
فائدة: سبب نزول سورة عبس ٢٢٨
فائدة: من طلب الهداية زاده الله هداية على هدايته ٢٢٩
فائدة: حال أهل التوحيد وأهل الشرك ٢٣٠
فائدة: ميراث العلم والنبوة ٢٣١

فائدة: حسن الخلق جِمَاعُ الدين كله ٢٣٢
فائدة: طريق الخير واحد وطرق الشر متعددة ٢٣٣
فائدة: من آداب الصلاة ٢٣٣
فائدة: اتباع الهوى والشهوات يسبب التباس الحق على أهله ٢٣٤
فائدة: من عجائب النمل ٢٣٥
فائدة: ثقلُ العلمِ والفتوى ٢٣٦
فائدة: مخرج الصدق ومدخل الصدق ٢٣٧
فائدة: شرك المحبة ٢٣٧
فائدة: فتنة شياطين الإنس والجن ٢٣٨
فائدة: ما تحويه كلمة التوحيد من المعاني ٢٣٩
فائدة: الإيمان بالقدر يورث في القلب طمأنينة وأنساً ٢٣٩
فائدة: مراتب المحرمات ٢٤٠
فائدة: الشجرة الطيبة والشجرة الخبيثة ٢٤١
فائدة: الصلاة ٢٤٢
فائدة: الدعاء من أفضل العبادات ٢٤٣
فائدة: رؤية الله في الجنة أعظم النعم ٢٤٣
فائدة: الله تعالى موصوف بصفات الكمال ٢٤٥
فائدة: ما يستحب فعله في يوم الجمعة ٢٤٧
فائدة: من صفات أولياء الله تعالى ٢٤٨
فائدة: مزية أمة محمد صلى الله عليه وسلم ٢٥٠
فائدة: صور من سماحة الإسلام ٢٥١
فائدة: خلق الله تعالى الإنسان في أجمل صورة ٢٥١
فائدة: من فضائل السماء والأرض ٢٥٣

فائدة: الغاية من خلق الإنسان ٢٥٤
فائدة: الحسنات من الله تعالى والمصائب نفس الإنسان ٢٥٤
فائدة: فضائل العلم الشرعي ٢٥٥
فائدة: الناس من حيث الشكر والكفر قسمان ٢٥٥
فائدة: الإنفاق الممدوح والإنفاق المذموم ٢٥٦
فائدة: من أسرار الشريعة وحِكَمِها ٢٥٧
فائدة: صفات أهل الجنة ٢٥٧
فائدة: بشارة للتائبين ٢٥٨
فائدة: لا يجوز السؤال على وجه العناد والجدل ٢٦٠
فائدة: مما يتميز به المؤمنون ٢٦١
فائدة: الاستعاذة من شياطين الجن والكفار والجاهلين ٢٦١
فائدة: أجر القرض الحسن ٢٦٢
فائدة: أنواع المعاصي ثلاثة ٢٦٣
فائدة: حكم القُرعة في شرعنا وشرع من قبلنا؟ ٢٦٤
فائدة: حكمة الله تعالى في هداية المؤمنين وإضلال الكافرين ٢٦٥
فائدة: فوائد من قصص عيسى وزكريا عليهم السلام ٢٦٦
فائدة: فرار السعداء إلى الله تعالى بطاعته ٢٦٧
فائدة: أفعال الله تعالى دالة عليه ٢٦٩
فائدة: استرقاق السارق في دين يعقوب عليه السلام ٢٧٠
فائدة: اعتراف أبي جهل بصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ٢٧٠
فائدة: جميع أفعال الله تعالى وأقواله مكتوبة في اللوح المحفوظة قبل خلق السموات والأرض ٢٧١
فائدة: من فوائد قصة نوح عليه السلام مع قومه ٢٧٢

فائدة: الحب في الله أوثق عرى الإيمان ٢٧٣
فائدة: جمع الله تعالى لأهل الجنة بين سائر أنواع الأمن ٢٧٤
فائدة: المستحقون للويل والوعيد من الله تعالى ٢٧٥
فائدة: ما أعده الله لأهل الإيمان في الآخرة ٢٧٦
فائدة: كشف العذاب عن قوم يونس عليه السلام ٢٧٧
فائدة: من أشرك بالله لم يقدر الله حق قدره ٢٧٨
فائدة: الأرض خُلقت قبل السماء ٢٧٨
فائدة: عقوبة رد الحق ٢٧٩
فائدة: قصة اصحاب الأخدود ٢٨٠
فائدة: النية لها مكانة عالية في الشرع ٢٨٠
فائدة: أمة محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأمم ٢٨٢
فائدة: من فوائد قصة يوسف عليه السلام ٢٨٣
فائدة: من أدعية إبراهيم عليه السلام ٢٨٥
فائدة: بيان بأهمية أداء الشهادة والتحذير من كتمها ٢٨٦
فائدة: امتنان الله تعالى على بني آدم بأن جعلهم خلفاء الأرض ٢٨٧
فائدة: دين الأنبياء واحد ٢٨٩
فائدة: لا نجاة من الفتن إلا بالتقوى ٢٩٠
فائدة: الرياء من أخطر الذنوب ٢٩١
فائدة: أمة محمد ﷺ ثلثا أهل الجنة ٢٩٢
فائدة: من صفات المؤمنين العمل ثم الرجاء ٢٩٣
فائدة: **من مكايد الشيطان** ٢٩٣
فائدة: الوضوء التام يخرج المسلم من كل خطاياه نقيا ٢٩٤
فائدة: الحكمة في إ فراد المشارق والمغارب وجمعها ٢٩٥

فائدة: لا يوجد في الدنيا مما في الجنة إلا الاسماء ٢٩٦
فائدة: صفات تعد أشرف الطاعات وأعظم الواجبات ٢٩٦
فائدة: وسطية الإسلام ٢٩٨
فائدة: الفرق بين الوسوسة والورع ٢٩٨
فائدة: القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ٢٩٨
فائدة: فضل العلم وأهله ٢٩٩
فائدة: لا رهبانية في الإسلام ٣٠٠
فائدة: حياة القلب الطاهر ٣٠٠
فائدة: نهاية الخلق إلى الله ٣٠١
فائدة: للمؤمن زادان ولباسان وسفران ٣٠١
فائدة: لا أحد أحب إليه المدح من الله تعالى ٣٠٢
فائدة: قلة غيرة عزيز مصر ٣٠٢
فائدة: عظمة النجوم تدل على عظمة صانعها ٣٠٣
فائدة: معنى قول الله تعالى ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ ٣٠٤
فائدة: لا أجر للمصلي إلا بقدر حضور قلبه ٣٠٤
فائدة: الامر بالإعراض عن المنافقين ٣٠٥
فائدة: أعظم العقوبات الحجاب عن رؤية الله في الآخرة ٣٠٥
فائدة: النصارى لا يؤمنون بعيسى عليه السلام ٣٠٦
فائدة: مراحل خلق الإنسان ٣٠٧
فائدة: تفاضل الناس في الدرجات ٣٠٧
فائدة: شكر الله لأهل طاعته ٣٠٩
فائدة: إذا علا ماء الرجل ماء المرأة أذكرا بإذن الله تعالى وبالعكس ٣٠٩
فائدة: خلق الله الإنسان على أربعة أضرب ٣١٠

فائدة: نصاب قطع يد السارق ٣١٢
فائدة: قصة إبراهيم الخليل عليه السلام مع ضيوفه ٣١٣
فائدة: معاني الوسطية ٣١٤
فائدة: أبو البشر الأول والثاني ٣١٥
فائدة: فضل الصلاة في مسجد رسول ﷺ ومسجد قباء ٣١٥
فائدة: أهمية التدرج في الدعوة ٣١٧
فائدة: إقسام الله بخمسة أشياء في أول سورة الطور ٣١٧
فائدة: فعل الأسباب لا ينافي التوكل ٣١٨
فائدة: الرزق رزقان ٣١٨
فائدة: نقض العهد من علامات النفاق ٣١٩
فائدة: من حقق التوحيد صَلحَ حالُه ٣٢٠
فائدة: من نعيم أهل الجنَّة ٣٢١
فائدة: أضرار الإختلاف ٣٢٢
فائدة: وعد الله المنفقين بالمغفرة والفضل والإخلاف ٣٢٣
فائدة: أهل الجنة يعرفون منازلهم فيها لا يخطئونها ٣٢٣
فائدة: النفس المطمئنة ٣٢٣
فائدة: العلم من أعظم نعم الله تعالى ٣٢٤
فائدة: تكليم الله لموسى عليه السلام ٣٢٥
فائدة: إسناد الرحمة والخير إلى الله ٣٢٥
فائدة: إقسام الله بالخيل العاديات ٣٢٦
فائدة: سوء الظن بالله ٣٢٧
فائدة: ما حُرم أكله من الحيوانات ٣٢٧
فائدة: فاحشة الزنا ٣٢٨

فائدة: الحكم بغير ما أنزل الله لا يكون كفراً أكبر دائماً ٣٢٩
فائدة: محبة الله تعالى لعبده غاية مقصود العباد ٣٣١
فائدة: إقسام الله بمخلوقاته العظيمة في أول سورة الذاريات ٣٣١
فائدة: فضائل سورتي البقرة وآل عمران ٣٣٢
فائدة: من اتقى الله ثَبَّتَ اللهُ قلبَه ٣٣٤
فائدة: أسلوب الحكيم ٣٣٥
فائدة: أمة محمد ﷺ هم أرحم الناس بالنَّاس ٣٣٦
فائدة: مدة الحمل والرضاع ٣٣٦
فائدة: جواز الحَلِف على الخبر لتأكيده عند الحاجة ٣٣٧
فائدة: من سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها ٣٣٧
فائدة: دار البرزخ أول دار الجزاء ٣٣٨
فائدة: وجوب طاعة ولي الأمر في غير معصية الله ٣٣٩
فائدة: كفى بالله شهيداً ٣٤٠
فائدة: الطريق إلى معرفة الله تدبر كتابه ٣٤٢
فائدة: منة الله على عباده بالإيمان ٣٤٣
فائدة: تشبه المؤمن بالبصر والسمع وتشبه الكفار بالأعمى والأصم ٣٤٣
فائدة: الجن مثل الإنس في التكليف ٣٤٤
فائدة: الصفات العامة للإنسان ٣٤٥
فائدة: قصة هلاك قوم لوط عليه السلام ٣٤٥
فائدة: كلما زاد علم الإنسان بفضل الله عليه كلما زادت محبته له ٣٤٧
فائدة: الغناء من لهو الحديث ٣٤٨
فائدة: فوائد من قصة الخضر مع موسى عليه السلام ٣٤٩
فائدة: قوم لوط عليه السلام هم أول من بدأ بفاحشة اللواط ٣٥١

فائدة: قبول شهادة أمة محمد ﷺ على غيرهم من أهل الملل ٣٥٢
فائدة: فوائد من قصص داود وسليمان عليهما السلام ٣٥٣
فائدة: ما يتقى به شر الحاسد ٣٥٥
فائدة: الكوثر من أنهار الجنة ٣٥٧
فائدة: الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ٣٥٨
فائدة: من دلائل التوحيد ٣٦٠
فائدة: نعمة الإسلام ٣٦٠
فائدة: فضل العشر من ذي الحجة ٣٦١
فائدة: الاستخفاف والاستهزاء بالدين وأهله كفر ٣٦٢
فائدة: أهمية البداءة بالبسملة أو الحمدلة في كل أمر ذي بال ٣٦٤
فائدة: ضرب الله أمثلة للناس بجملة من مخلوقاته ٣٦٤
فائدة: أهمية الصبر في الدين ٣٦٦
فائدة: قصة هاروت وماروت ٣٦٧
فائدة: السابقون الأولون رضي الله عنهم ٣٦٨
فائدة: ما يعصم به العبد من الشيطان ٣٧٠
فائدة: إخلاص العمل لله تعالى شرط من شروط قبول العبادة ٣٧٢
فائدة: الإسراء والمعراج ٣٧٣
فائدة: أكرم الناس عند الله أتقاهم لله تعالى ٣٧٤
فائدة: فوائد مستنبطة من غزوة أحد ٣٧٧
فائدة: من نعيم الجنة ٣٧٩
فائدة: من صفات رسول الله ﷺ ٣٨٠
فائدة: سعة رحمة الله بعباده ٣٨١
فائدة: عبر عظيمة من غزوة أحد ٣٨٣

فائدة: المؤمن الحق لا يخاف إلا من الله ٣٨٦
فائدة: التعريف بالله ببعض آياته ٣٨٧
فائدة: خلق آدم عليه السلام ٣٨٩
فائدة: أول الرسل نوح عليه السلام ٣٩٠
فائدة: قوم هود عليه السلام ٣٩١
فائدة: قوم صالح عليه السلام ٣٩٣
فائدة: قوم شعيب عليه السلام ٣٩٥
فائدة: قوم لوط عليه السلام ٣٩٦
فائدة: قصة موسى عليه السالم مع فرعون ٣٩٨
فائدة: من آداب الدعاء ٤٠٠
فائدة: لا يعلم وقت وقوع الساعة ملك مقرب ولا نبي مرسل ٤٠٣
فائدة: فوائد وعبر من قصص سليمان مع النمل والهدهد وبلقيس ٤٠٥
فائدة: من صفات المنافقين ٤٠٦
فائدة: الصبر الجميل ٤٠٩
فائدة: مصارف الزكاة ٤١١
فائدة: افتراء الكفار على الله بتسييب السوائب ٤١٣
فائدة: الله يضاعف الحسنات ويغفر الذلات ٤١٤
فائدة: تخاصم الضعفاء والمتكبرين يوم القيامة ٤١٥
فائدة: أحسن القصص ٤١٦
فائدة: من أقام الصلاة سهل عليه الموقف بين يدي الله يوم القيامة ٤١٩
فائدة: طعام وشراب أهل النار ٤١٩
فائدة: كثرة ذنوب العبد تغطي على بصيرته ٤٢٠
فائدة: عدة الشهور ٤٢١

فائدة: دعاء إبراهيم عليه السلام بعد بناء البيت ٤٢١
فائدة: السبع المثاني ٤٢٣
فائدة: يوم المزيد ٤٢٤
فائدة: دنو الله تعالى من عباده يوم عرفة ٤٢٥
فائدة: الجمعة عيد الأسبوع ٤٢٥
فائدة: التقوى خير الزاد ٤٢٦
فائدة: من صفات أهل الأيمان ٤٢٧
فائدة: الأمر بلزوم الصراط المستقيم والنهي عن الافتراق ٤٢٨
فائدة: تزكية النفس ٤٢٩
فائدة: وجوب الإعراض عن مجالس السوء ٤٣٠
فائدة: احكام المساجد ٤٣٢
فائدة: المحكم والمتشابه في القرآن الكريم ٤٣٣
فائدة: نسخ الأديان السابقة بعد بعثة النبي ﷺ ٤٣٥
فائدة: جوامع البر ٤٣٦
فائدة: دلائل تثبت التوحيد وتنفي عناد المشركين وحيلهم ٤٣٧
فائدة: أعظم آية في القرآن ٤٣٨
فائدة: ستفترق هذه الأمة على ثلاث وسبعين فرقة ٤٤٠
فائدة: الرضا بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً من لوازم الإيمان ٤٤١
فائدة: أسماء الله الحسنى لا تنحصر بعدد ٤٤٢
فائدة: نعم الله على الإنسان كثيرة ٤٤٣
فائدة: زكاة النفس ٤٤٤
فائدة: الصدق أصل الإخلاص والاعتقاد والأعمال الصالحة ٤٤٥
فائدة: الدخان من علامات الساعة ٤٤٧

فائدة: أقسام الكفار ٤٤٩
فائدة: صفات نبينا محمد ﷺ وأمته ٤٤٩
فائدة: صفات بني إسرائيل الحسنة والسيئة ٤٥٠
فائدة: قصة ذي النون عليه السلام ٤٥٢
فائدة: قصة سبأ ٤٥٣
فائدة: الوعيد الشديد لمن صدَّ عن المسجد الحرام ٤٥٥
فائدة: من لم يعبد الله يعبد الشيطان ٤٥٧
فائدة: الأغنياء هم أعداء المرسلين والدعاة في الغالب ٤٥٧
فائدة: يُحشر المتقون إلى الجنة وفداً ويساق المجرمون إلى جهنم ورداً ٤٥٩
فائدة: بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تنال أمة محمد ﷺ الخيرية ٤٦١
فائدة: الإحسان جزاء المحسنين ٤٦٢
فائدة: تطير أعداء الرسل بالرسل وأصحابه ودينهم ٤٦٣
فائدة: حرمة قتل الصيد للمحرم ٤٦٤
فائدة: صلاة العصر ٤٦٥
فائدة: مضاعفة حسنات المنفقين في سبيل الله ٤٦٦
فائدة: من فوائد قصة موسى عليه السلام مع الخضر ٤٦٨
فائدة: معاني الاستغفار ٤٧٠
فائدة: بشارة الإنجيل بمحمد ﷺ ٤٧١
فائدة: أقسام الناس يوم القيامة ٤٧٢
فائدة: البخل والجبن متلازمان ٤٧٥
فائدة: المصابرة والمرابطة من أعظم ما يمحو الله به الخطايا ويرفع الدرجات ... ٤٧٦
فائدة: الإنفاق الواجب والمستحب ٤٧٨
فائدة: لا نشهد لمعين بجنة ولا نار إلا بدليل من الكتاب والسنة ٤٧٩

فائدة: حرم الله مكة يوم خلق السموات والأرض ٤٧٩
فائدة: الامر بالجهاد حتى يكون الدين كله لله ٤٨٠
فائدة: ما يدرك به المرء طعم الإيمان ٤٨١
فائدة: من فوائد الزيتون ٤٨١
فائدة: صفات أصحاب محمد ﷺ ٤٨٢
فائدة: من فضائل الأنصار وصفاتهم ٤٨٣
فائدة: تجاوز المولى سبحانه عن هذه الأمة ٤٨٥
فائدة: لا يهتدي العبد بعقله وحده إلى الإيمان ٤٨٦
فائدة: لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون ٤٨٧
فائدة: قصة ولادة مريم وإكرام الله لها ٤٨٨
فائدة: الفرار من الموت أو الجهاد لا يؤخر الآجل ولا يقربه ٤٨٩
فائدة: الغفلة والكسل سبب الحرمان من الخير ٤٩٠
فائدة: درجات أهل الجنة ٤٩١
فائدة: التهلكة في ترك الجهاد والإمساك عن الإنفاق ٤٩٢
فائدة: الإنسان يجازى يوم القيامة بما عمل من خير أو شر ٤٩٣
فائدة: وجوب المداومة على شكر النعمة ٤٩٥
فائدة: حرمةُ الجلوس مع المستهزئين بالدين والعلماء ٤٩٥
فائدة: ابتلى الله كفار مكة كما ابتلى أصحاب الجنة ٤٩٦
فائدة: بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليهما السلام ٤٩٧
فائدة: صفات الرابحين في سورة العصر ٤٩٩
فائدة: إبراهيم عليه السلام يكسر الأصنام ٥٠٠
فائدة: حشر الوحوش والطيور والدواب يوم القيامة ٥٠٣
فائدة: رفع الله تعالى ذكر نبينا محمد ﷺ ٥٠٤

فائدة: من معاني الشكر وفوائده ٥٠٤
فائدة: ذم الغفلة عن الله وحب التكاثر والانهماك في الملذات ٥٠٥
فائدة: من صفات طالوت ٥٠٦
فائدة: الإخلاص شرط من شروط صحة العمل ٥٠٧
فائدة: أمر الله لنبيه ﷺ وأمته للإقتداء بإبراهيم عليه السلام ٥٠٩
فائدة: من صفات عيسى عليه السلام وأعماله بعد نزوله ٥١٠
فائدة: العهد والميثاق الذي أخذه الله على بني آدم ٥١٢
فائدة: وعظ إبراهيم عليه السلام ومناظرته لأبيه وقومه ٥١٣
فائدة: ملة إبراهيم عليه السلام ٥١٤
فائدة: عمارة المساجد ٥١٦
فائدة: أفضل الدعاء ما كان تضرعاً وخفية ٥١٧
فائدة: سورتا الكافرون والإخلاص وما تضمنتا من الأحكام ٥١٨
فائدة: من اتبع هواه وأعجب بنفسه أذله الله ٥٢٠
فائدة: سماع الانتفاع ٥٢١
فائدة: تقديم أمر الله ورسوله ﷺ على هوى النفس ٥٢١
فائدة: الرضا بقضاء الله وقدره ٥٢٣
فائدة: فضل سورة الملك ٥٢٥
فائدة: نساء النبي ﷺ من آل البيت ٥٢٦
فائدة: تشبيه من ترك العلم والهدى بالكلب ٥٢٨
فائدة: حرمة الأعراض والأموال والدماء ٥٣٠
فائدة: الملائكة رسل الله في تنفيذ أحكامه ٥٣١
فائدة: الإسلام دين كامل شامل متوازن ٥٣٢
فائدة: القرآن كلام الله والرسول ﷺ مبلغ عن ربه ٥٣٣

فائدة: بشارة المؤمنين بالتمكين والاستخلاف ٥٣٣
فائدة: الآيات العظام التي رآها الرسول ﷺ في الإسراء والمعراج ٥٣٥
فائدة: سبب نزول سورة الإخلاص ٥٣٨
فائدة: تحريم الظلم في الشرع ٥٣٩
فائدة: بعض اسماء الله الحسنى التي وردت في آخر سورة الحشر ٥٤١
فائدة: قصة أصحاب الفيل ٥٤٢
فائدة: المعوذتان ٥٤٤
فائدة: من علامات الساعة الكبرى خروج الدابة ٥٤٦
فائدة: بيعة الرضوان ٥٤٧
فائدة: ما يباح أكله من الحيوانات ٥٤٩
فائدة: المتخلفون عن رسول الله في عمرة الحديبية ٥٥٠
فائدة: من صفات رسول الله ﷺ في التوراة ٥٥٢
فائدة: العين حق ٥٥٣
فائدة: الصفات المحمودة والمذمومة لدى الفرد والجماعة ٥٥٥
فائدة: من أسماء الله الحسنى ٥٥٦
فائدة: الأمر بالاستعانة بالصبر والصلاة ٥٥٦
فائدة: المطفِّف في المكاييل والموازين متوعد بالويل والهلاك ٥٥٧
فائدة: من صفات أهل الجنة ٥٥٨
فائدة: آداب الاستئذان ٥٦٠
فائدة: توعد الشيطان لإضلال بني آدم ٥٦١
فائدة: أصل خلق الإنسان ٥٦٢
فائدة: الكوثر وما ورد في صفاته ٥٦٤
فائدة: اخبار الله تعالى بغلبة الروم وحب المسلمين لذلك ٥٦٥

فائدة: فضل ليلة القدر ٥٦٧
فائدة: صيغ الصلاة على النبي ﷺ ٥٦٨
فائدة: الكرم صفة يحبها الله تعالى ٥٧٠
فائدة: قصة أبي لهب وزوجته ٥٧٢
فائدة: قبول توبة التائب ما لم يغرغر ٥٧٣
فائدة: غزوة الأحزاب وما فيها من العبر والعظات ٥٧٤
فائدة: علامة قرب أجل رسول الله ﷺ ٥٧٧
فائدة: لقمان الحكيم وما نصح به ابنه من نصائح ٥٧٩
فائدة: قصة إهلاك أصحاب قرية أنطاكية ٥٨٠
فائدة: الأمر بالتوبة من جميع الذنوب مهما عظمت ٥٨٢
وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ٥٨٤